فتح القدير

الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

تأليف

الإمام محمد بن علي الشوكاني

١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه

محمد صبحي بن حسن حلاق

راجعه وقابل أصوله وصنع فهارسه

د. عبد الرحمن بن محمد العيزري

الجزء السادس

دار ابن الجوزي

فتح القدير

٦

ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشوكاني، محمد علي
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير./ محمد علي الشوكاني؛ محمد صبحي حلاق؛ عبد الرحمن بن محمد العيزري.- الدمام، ١٤٤٢هـ
١٠مج.
ردمك: ٩ ـ ٧٤ ـ ٨٢٩٨ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٠ ـ ٨٠ ـ ٨٢٩٨ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨ (ج٦)
١ ـ القرآن ـ تفسير أ. حلاق، محمد صبحي (محقق)
ب. العيزري، عبد الرحمن بن محمد (محقق) ج. العنوان
ديوي ٢٢٧,٣ ١٤٤٢/٤٠٧٩

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:
الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان
ت: ٠١٣٨٤٢٨١٤٦ - ٠١٣٨٤٦٧٥٩٣
٠١٣٨٤١٢١٠٠
ص ب. واصل: ٨١١٤
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦
الرقم الإضافي: ٤٩٧٣
الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥
جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨
الأحساء - ت: ٠١٣٥٨٨٣١٢٢
جدة - ت: ٠١٢٦٨١٤٥١٩
جوّال: ٠٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:
بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:
القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠
جوّال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

aljawzi@hotmail.com
+966503897671
aljawzi
eljawzi
aljawzi.net

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ

الباركود الدولي: 9786038298749

فتح القدير

الجامع
بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

تأليف

الإمام محمد بن علي الشوكاني

١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه

محمد صبحي بن حسن حلاق

راجعه وقابل أصوله وصنع فهارسه

د. عبد الرحمن بن محمد العيزري

الجزء السادس

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الكَهْفِ

[سورة الكهف مكية]:

وهي مائةٌ وإحدى عشرة آية.

قال القرطبي[١]: وهي مكية في قول جميع المفسرين.

ورُوِيَ عن فرقة أن أوّل السورة نزل بالمدينة إلى قوله: ﴿جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]، والأوّل أصح انتهى.

ومن القائلين: إنها مكية جميعها: ابن عباس[٢]، أخرجه عنه النحاس وابن مردويه ومنهم: ابنُ الزبير[٣]، أخرجه عنه ابن مردويه.

[فضل سورة الكهف]:

وقد ورد في فضلها أحاديث:

(منها) ما أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي وغيرُهم، عن أبي الدرداء[٤]، عن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ حفظ عشر آياتٍ من أوّل سورة الكهف عُصِم من فتنة الدجال».

وأخرج أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن حبان، عن أبي الدرداء[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ العشر الأواخر مِنْ سورة الكهف عُصِم من فتنة الدجال».

وأخرج البخاري، ومسلم وغيرهما عن البراء[٥] قال: «قرأ رجل سورة الكهف

---

(١) في «تفسيره» (١٣/ ١٩٧).

(٢) أخرجه النحاس في «ناسخه» (ص٥٥٥).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٥٤).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٢١٧١٢، ٢٧٥٤٠)، ومسلم رقم (٨٠/ ٢٥٧)، وأبو داود رقم (٤٣٢٣)، والنسائي رقم (١٠٧٨٧)، وابن الضريس رقم (٢٠٩)، وابن حبان رقم (٧٨٥، ٧٨٦)، والحاكم (٢/ ٢٦٨)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢٤٩). وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٦١٤، ٤٨٣٩، ٥٠١١)، ومسلم رقم (٧٩٥)، وأحمد رقم (١٨٤٧٤، ١٨٥٩٠)، والنسائي رقم (١٥٠٣)، وابن حبان رقم (٧٦٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٨٢، ٨٣)، وابن الضريس رقم (٢٠٤).

وفي الدار دابة، فجعلتْ تنفُر، فنظر فإذا ضَبابة أو سحابة قد غَشيته، فذكر ذلك للنبيّ ﷺ، فقال: اقرأ فلانُ، فإن السكينة نزلت للقرآن»، وهذا الذي كان يقرأ هو أُسيد بن حُضَير كما بيّنه الطبراني.

وأخرج الترمذي وصححه عن أبي الدرداء(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ ثلاث آياتٍ من أول سورة الكهف عُصِم مِنْ فتنة الدجال».

وفي قراءة العشر الآيات مِنْ أولها أو من آخرها أحاديث.

وأخرج ابن مردويه، والضياء في «المختارة» عن عليّ(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصومٌ إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون، فإن خرج الدجال عُصم منه».

وأخرج الطبراني في «الأوسط»، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي، والضياء، عن أبي سعيد(٣) الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورة الكهف كانت له نوراً من مقامه إلى مكة، ومَنْ قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يَضرّه».

وأخرج الحاكم وصححه من حديث أبي سعيد(٤)، أن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمُعتين».

وأخرجه البيهقي(٥) أيضاً في السنن من هذا الوجه ومن وجه آخر.

وأخرج ابن مردويه(٦) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سَطَع له نورٌ من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة، وغُفر له ما بين الجمعتين».

---

(١) أخرجه الترمذي في «السنن» رقم (٢٨٨٦) وهو حديث شاذ بهذا اللفظ.

(٢) أخرجه الضياء في «المختارة» رقم (٤٣٠) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (١٤٥٥)، والحاكم (١/ ٥٦٤)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢٤٩).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٦٨)، والبيهقي (٣/ ٢٤٩)، وصحَّحه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: «نعيم ـ هو: ابن حمّاد ـ ذو مناكير».

(٥) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٤٦) بسند صحيح. ورجح البيهقي وقفه، وهو الصحيح.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٥٦).

وأخرج ابن مردويه(١) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بسورة ملأ عظمتُها ما بين السماء والأرض، ولكاتبها من الأجر مثل ذلك، مَنْ قرأها يوم الجمعة غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، ومَنْ قرأ الخَمْسَ الأواخر منها عند نومه بعثه الله من أيِّ الليل شاء؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: سورة أصحاب الكهف».

وأخرج ابن مردويه(٢) عن عبد الله بن مُغّفل قال: قال رسول الله ﷺ: «البيت الذي تُقرأ فيه سورة الكهف لا يدخله شيطان تلك الليلة».

وفي الباب أحاديث وآثار وفيما أوردناه كفاية مُغْنية [٣/١٩٠]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا
مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ
أَبَدٗا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ
كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ۝٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ
يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا
۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ۝٨﴾.

[علّم سبحانه عباده كيفية الحمد]:

علّم عباده كيف يحمدونه على إفاضة نِعمَه عليهم، ووصفُه بالموصول يُشْعِر بعليّة ما في حيّز الصلة لما قبله، ووجه كون إنزال الكتاب وهو القرآن نعمة على رسول الله ﷺ: كونه اطلع بواسطته على أسرار التوحيد، وأحوال الملائكة والأنبياء، وعلى كيفية الأحكام الشرعية التي تعبّده الله وتعبّد أمتَه بها، وكذلك العباد كان إنزال الكتاب على نبيّهم نعمةً لهم لمثل ما ذكرناه في النبيّ. ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾؛ أي:

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٣٥٦).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٣٥٦).

شيئاً من العوج بنوع من أنواع الاختلال[١] في اللفظ والمعنى، والعِوَج بالكسر في المعاني، وبالفتح في الأعيان كذا قيل، ويَرِد عليه قوله سبحانه: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]، يعني: الجبال، وهي مِنْ الأعيان.

قال الزجّاج[٢]: المعنى في الآية: لم يجعل فيها اختلافاً كما قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

والقيم: المستقيم الذي لا ميل فيه، أو القيّم بمصالح العباد الدينية والدنيوية، أو القيّم على ما قبله مِنْ الكُتُب السماوية مهيمناً عليها، وعلى الأوّل يكون تأكيداً لما دل عليه نفي العِوَج، فرُبَّ مستقيم في الظاهر لا يخلو عَنْ أدنى عوج في الحقيقة. وانتصاب[٣] ﴿قَيِّمًا﴾ بمضمر؛ أي: جعله قيماً، ومنع صاحبُ «الكشّاف»[٤] أن يكون حالاً من الكتاب؛ لأن قوله (ولم يجعل) معطوف على ﴿أَنزَلَ﴾ فهو داخل في حيز الصلة، فجاعله حالاً من الكتاب: فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة.

وقال الأصفهاني[٥]: هما حالان متواليان إلّا أنَّ الأوّل جملةٌ والثاني مفرد، وهذا صواب لأن قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل﴾ لم يكن معطوفاً على ما قبله؛ بل الواو للحال، فلا فصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة، وقيل: إن ﴿قَيِّمًا﴾ حال من ضمير ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير[٦].

والتقدير: أنزلَ على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً، ثم أراد سبحانه أَنْ يُفصّل ما أجمله في قوله: ﴿قَيِّمًا﴾ فقال: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ وحذف المُنْذَر للعلم به مع قصد التعميم، والمعنى: لينذر الكافرين، والبأس العذاب، ومعنى ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ صادراً مِنْ لدنه نازلاً مِنْ عنده.

روى أبو بكر، عَنْ عاصم: أَنّه قرأ مِنْ «لدْنِه» بإشمام[٧] الدال الضمة، وبكسر النون والهاء، وهي لغة الكلابيين.

---

(١) «روح المعاني» (١٥/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، و«إصلاح المنطق» (ص١٨٥)، و«الكشاف» (٣/ ٥٦٤).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٦٧).
(٣) «روح المعاني» (١٥/ ١٨٥)، و«التبيان» (٢/ ٨٣٧)، و«الفريد» (٣/ ٣٠٩).
(٤) أي: الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٦٤).
(٥) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ١٣٦).
(٦) قاله العسكري كما في «البحر المحيط» (٧/ ١٣٦).
(٧) «البحر المحيط» (٧/ ١٣٧)، و«النشر» (٢/ ٣١٠)، و«روح المعاني» (١٥/ ١٨٨).

وروى أبو زيد عن جميع القرّاء فتح اللام[١] وضم الدال وسكون النون.

﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، قرئ «يُبَشِّر» بالتشديد[٢] والتخفيف، وأُجْرِيَ الموصول على موصوفه المذكور، لأن مدار قبول الأعمال هو الإيمان ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ وهو الجنّة حال كونهم ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾؛ أي: في ذلك الأجر ﴿أَبَدًا﴾؛ أي: مكثاً دائماً لا انقطاع له، وتقديم[٣] الإنذار على التبشير لإظهار كمال العناية بزجر الكُفّار، ثم كرّر الإنذار وذكر المنذَر لخصوصه وحذف المنذر به، وهو البأس الشديد، لتقدّم ذكره فقال: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وهم: اليهود والنصارى وبعض كفار قريش، القائلون بأنّ الملائكةَ بناتُ الله، فذكر سبحانه أوّلاً قضيةً كليةً، وهي إنذار عموم الكفار، ثم عطف عليها قضيةً خاصةً هي بعض جزئيات تلك الكلية، تنبيهاً على كونها أعظم جزئيات تلك الكلية.

فأفاد ذلك أن نسبة الولد إلى الله سبحانه أقبحُ أنواع الكفر ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: بالولد، أو اتخاذ الله إيّاه، و«من» مزيدة[٤] لتأكيد النفي، والجملة في محل نصب[٥] على الحال أو هي مستأنفة.

والمعنى: ما لهم بذلك علمٌ أصلاً ﴿وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ علمٌ؛ بل كانوا في زعمهم هذا على ضلالة، وقلّدهم أبناؤهم فضلّوا جميعاً ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ انتصاب[٦] ﴿كَلِمَةً﴾ على التميز، وقرئ بالرفع[٧] على الفاعلية.

قال الفراء[٨]: كبرت تلك الكلمة كلمة.

وقال الزجاج[٩]: كَبُرتْ مقالتُهم كلمةً، والمراد بهذه الكلمة هي قولهم: اتخذ الله

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ١٣٧)، و«النشر» (٢/ ٣١٠)، و«المبسوط» (ص٢٧٥)، و«التيسير» (ص٨٧).

(٢) «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣٤٣)، و«روح المعاني» (١٥/ ١٨٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٣٧). هما قراءتان متواترتان، والجمهور يقرأ بضم الهاء إلا أن ابن كثير يُشبع الهاء والباقون بالاختلاس.

(٣) «روح المعاني» (١٥/ ١٨٩)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٤٧٣). التخفيف قراءة حمزة والكسائي بفتح الياء، وسكون الباء وضم الشين (يَبْشُر).

(٤) «الفريد» (٣/ ٣١٠)، و«روح المعاني» (١٥/ ١٩٠)، و«الإملاء» (٣/ ٥٠٤).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٦)، و«التبيان» (٢/ ٨٣٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٤٧)، و«الفريد» (٣/ ٣١١).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة. قراءة الرفع شاذة، وقرأ العشرة بنصب كلمة (كلمةً).

(٨) في «معاني القرآن» (٢/ ١٣٤).

(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٦٨).

ولداً. ثم وصفَ الكلمة بقوله: ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ﴾ وفائدة هذا الوصف: استعظامُ اجترائهم على التفوّه بها، والخارجُ من الفم وإنْ كان هو مجرد الهوى، لكن لما كانت الحروف والأصوات كيفيات قائمة بالهوى أسند إلى الحال ما هو من شأن المحل.

ثم زاد في تقبيح ما وقع منهم فقال: ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾؛ أي: ما يقولون إلَّا كذباً لا مجال للصدق فيه بحال. ثم سلَّى رسولَه ﷺ بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ قال الأخفش[(١)] والفرّاء[(٢)]: البخعُ: الجهد.

وقال الكسائي[(٣)]: بخعتَ الأرضَ بالزراعة إذا جعلتَها ضعيفةً بسبب متابعة الحراثة، وبخع الرجل نفسَه إذا نهكها. وقال أبو عبيدة[(٤)]: معناه: مهلك نفسك، ومِنْه قول ذي الرُّمة[(٥)]:

ألا أيُّها ذا الباخعُ الوجدُ نفسَه[(٦)]

فيكون المعنى على هذه الأقوال: لعلك مُجْهد نفسَك أو مُضْعفها أو مهلكها ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ على فراقهم ومِنْ بعد توليهم وإعراضهم ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾؛ أي: القرآن، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله.

وقُرِئ بفتح[(٧)] «أن»؛ أي: لأنْ لم يؤمنوا ﴿أَسَفًا﴾؛ أي: غيظاً وحَزناً وهو مفعول له أو مصدر في موضع الحال كذا قال الزجاج[(٨)].

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ هذه الجملة استئناف. والمعنى: إنا جعلنا ما على الأرض مما يصلح أن يكون زينة لها من الحيوانات والنبات والجماد كقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وانتصاب زينةً على أنها مفعول ثانٍ[(٩)] لجعل.

---

(١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦١٦). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٤).
(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ١٣٩).
(٤) في «مجاز القرآن» (١/ ٣٩٣). (٥) في «ديوانه» (٢/ ١٠٣٧).
(٦) وعجز البيت:
بشيءٍ نَحَتْه عن يَدَيْه المقادرُ
(٧) «القراءات الشاذة» (ص٧٨)، و«روح المعاني» (١٥/ ١٩٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٣٩). وهي قراءة شاذة.
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٦٨).
(٩) «التبيان» (٢/ ٨٣٨)، و«الفريد» (٣/ ٣١٢)، و«روح المعاني» (١٥/ ١٩٧).

واللّام في ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ متعلقة بجعلنا، وهي إما للغَرَض أو للعاقبة، والمراد بالابتلاء: أنه سبحانه يعاملهم معاملةً لو كانت تلك المعاملة من غيره لكانت مِنْ قبيل الابتلاء والامتحان.

قال الزجاج[١]: ﴿أَيُّهُمْ﴾ رُفع بالابتداء إلَّا أن لفظه لفظ الاستفهام، والمعنى: لنمتحن أهذا أحسنُ عملاً أم ذاك؟ قال الحسن[٢]: أيهم أزهد؟

وقال مقاتل: أيُّهم أصلح فيما أوتي من المال[٢]؟ ثم أعلم سبحانه أنه مُبيد لذلك كلِّه ومُفْنيه فقال: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾؛ أي: لجاعلون ما عليها من هذه الزينة عند تناهي عُمر الدنيا صعيداً تراباً.

قال أبو عبيدة[٣]: الصعيد: المستوي من الأرض.

وقال الزجاج[٤]: هو الطريق الذي لا نبات فيه.

قال الفرّاء[٥]: الجُرُز الأرض التي لا نباتَ فيها، مِنْ قولهم: امرأة جُرزاً: إذا كانت أكولاً. وسيفاً جرازاً: إذا كان مستأصلاً، وجَرزَ الجرادُ والشاةُ والإبلُ الأرضَ: إذا أكلتْ ما عليها. قال ذو الرُّمة[٦]:

طوى النحزُ والإجرازُ ما في بطونها[٧]

ومعنى النظم: لا تَحزنْ يا محمد ممّا وقع من هؤلاء من التكذيب فإنا قد جعلنا ما على الأرض زينةً لاختبار أعمالهم، وإنّا لمُذْهِبون ذلك عند انقضاء عمر الدنيا مجازونهم إنْ خيراً فخير، وإنْ شرّاً فشر.

وقد أخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس[٨] في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ الآية، قال: أَنزلَ الكتاب عدلاً قيّماً ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ مُلْتبساً.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٦٩).
(٢) انظر: «البحر المحيط» (٧/ ١٤٠)، و«النكت والعيون» (٣/ ٢٨٥).
(٣) في «مجاز القرآن» (١/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٦٩).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٤).
(٦) انظر: «ديوان ذي الرمة» (٢/ ١٢٩٦).
(٧) وعجز البيت:

فما بقيتْ إلا الضُّلوعُ الجراشعُ

• **الجراشعُ**: العظيم الصدر المنتفخ الجنبين من الإبل. «الصحاح» (٣/ ١١٩٥).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ١٤٠) بسند صحيح.

وأخرج ابنُ المنذر[١] عن الضحاك ﴿قَيِّمًا﴾ قال: مستقيماً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عن قتادة ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾؛ أي: من عنده.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عن السدّي ﴿حَسَنًا﴾ يعني: الجنة ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ قال: هم اليهود والنصارى.

وأخرج ابنُ مردويه عن ابن عباس[٣] قال: اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية بن خلف والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأبو البَخْتري في نفر مِنْ قريش، وكان رسول الله ﷺ قد كبرُ عليه ما يرى من خلاف قومه إيّاه، وإنكارهم ما جاء به من النصيحة، فأحزنه حزناً شديداً، فأنزل الله سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[٤] ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ يقول: قاتل نفسك.

وأخرج عبد بن حميد[٥] عن مجاهد مثلَه.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦] عن السدّي مثله.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٧] ﴿أَسَفًا﴾ قال: جزعاً.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[٨] ﴿أَسَفًا﴾ قال: حزناً.

وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس[٩] في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ قال: الرجال.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٥٩).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦٠).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ١٤٩) عن قتادة بسند صحيح.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦٠).

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٤).

(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦١)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٤).

(٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٣٩٦) بسند صحيح، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٤ ـ ٢٣٤٥).

(٩) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦١).

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عن سعيد بن جبير من قوله مثله.

وأخرج أبو نصر السِجْزي[٢] في «الإِبانة» من طريق مجاهد عن ابن عباس في الآية قال: العلماء زينة الأرض.

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن الحسن[٣] قال: هم الرجال العبَّاد العمّال لله بالطاعة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم في «التاريخ»، وابن مردويه عن ابن عمر[٤] قال: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فقلت: ما معنى ذلك يا رسول الله؟ قال: ليبلوكم أيكم أحسن عقلاً، وأوْرع عن محارم الله، وأسرعكم في طاعة الله».

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عن قتادة قال: ليختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال: أيهم أتمّ عقلاً.

وأخرج عن الحسن[٦] [٣/١٩١] ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال: أشدهم للدنيا تركاً.

وأخرج[٧] أيضاً عن الثوري قال: أزهدهم في الدنيا.

وأخرج ابنُ جرير عن ابن عباس[٨] في قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ قال: يهلِك كلُّ شيء ويَبِيد.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[٩] قال: الصعيد: الترابُ والجبال التي ليس فيها زرع.

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٥).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦١).
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٥).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠٦) بسند ساقط.
انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» (ص١٤٧ رقم ٥٢٤).
(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٥).
(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٥).
(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٥).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ١٥٣) بسند ضعيف.
(٩) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦٠).

وأخرج ابن أبي حاتم(١) عن الحسن قال: يعني بالجُرُزِ: الخراب.

[قصة أهل الكهف]:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۝١٢ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝١٥ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۝١٦﴾.

قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أم: هي المنقطعة(٢) المقدَّرة ببل والهمزة عند الجمهور، وببل وحدها عند بعضهم والتقدير: بَلْ أحسبتَ، أو بل حسبتَ، ومعناها: الانتقال من حديث إلى حديث آخر، لا لإبطال الأول والإضراب عنه كما هو معنى بل في الأصل.

والمعنى: أن القوم لـمّا تعجبوا من قصة أصحاب الكهف، وسألوا عنها الرسولَ على سبيل الامتحان، قال سبحانه: بل أظننتَ يا محمد أَنّهم كانوا عجباً من آياتنا فقط؟ لا تحسب ذلك فإنّ آياتنا كلّها عجبٌ، فإن مَنْ كان قادراً على جعل ما على الأرض زينة لها للابتلاء، ثم جعل ما عليها صعيداً جُرزاً كأنْ لم تغنَ بالأمسِ، لا تستبعد قدرته وحفظه ورحمته بالنسبة إلى طائفة مخصوصة، وإن كانت قصتهم خارقة للعادة، فإن آيات الله سبحانه كذلك وفوق ذلك.

و﴿عَجَبًا﴾ منتصبة على أنّه خبر كان(٣)؛ أي: ذات عجب، أو موصوفة

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦١).
(٢) «التبيان» (٢/ ٨٣٨)، و«الفريد» (٣/ ٣١٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٤١).
(٣) «روح المعاني» (١٥/ ٢٠٢)، و«التبيان» (٢/ ٨٣٩)، و«الفريد» (٣/ ٣١٣).

بالعجب مبالغةً، و﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ في محل نصب على الحال[١]، و﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ﴾ ظرف[٢] لحسبتَ، أو لفعلٍ مُقدّر، وهو اذكر؛ أي: صاروا إليه وجعلوه مأواهم، والفتية: هم أصحاب الكهف، والكهف هو: الغارُ الواسع في الجبل، فإن كان صغيراً سُمّي غاراً، والرقيم: قال كعب[٣] والسُدّي: إنه اسم القرية التي خرج منها أصحاب الكهف.

وقال سعيد بن جُبَير ومُجَاهد: إنّه لوح من حجارة أو رصاص رُقِّمت فيه أسماؤهم، جعل على باب الكهف[٤].

قال الفراء[٥]: ويروى أنه إنما سمي رقيماً لأن أسماءهم كانت مرقومة فيه. والرقْم: الكتابة.

وروي مثل ذلك عن ابن عباس.

ومنه قول العجّاج[٦] في أرجوزة له:

ومُستقري المصحفَ الرقيمِ

وقيل: إنّ الرقيم اسم كلبهم، وقيل: هو اسم الوادي[٧] الذي كانوا فيه، وقيل: اسمُ الجبل[٨] الذي فيه الغار.

قال الزجّاج[٩]: أعلم الله سبحانه أن قصة أصحاب الكهف ليست بعجيبة من آيات الله؛ لأنّ خلق السمٰوات والأرض وما بينهما أعجب من قصة أصحاب الكهف ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾؛ أي: من عندك، ومِنْ ابتدائية[١٠] متعلقة بآياتنا، أو بمحذوفٍ وقع حالاً، والتنوين في رحمةٍ: إما للتعظيم[١١] أو للتنويع، وتقديم ﴿مِن

---

(١) «التبيان» (٢/ ٨٣٩)، و«الفريد» (٣/ ٣١٣).
(٢) «البحر المحيط» (٧/ ١٤١)، و«الفريد» (٣/ ٣١٣)، و«روح المعاني» (١٥/ ٢٠٥).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ١٥٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٣٩٦) بسند صحيح.
(٤) انظر: «جامع البيان» (١٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨)، و«النكت والعيون» (٣/ ٢٨٧).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٤). (٦) انظر: «ديوانه» (ص٢٨٥).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ١٥٨) عن قتادة بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ١٥٩ ـ ١٦٠) بسند ضعيف.
(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٧٠). (١٠) «روح المعاني» (١٥/ ٢٠٧).
(١١) «تفسير أبي السعود» (٤/ ٤٧٨).

﴿لَدُنكَ﴾ للاختصاص؛ أي: رحمةً مختصةً بأنها مِنْ خزائن رحمتك، وهي: المغفرة في الآخرة والأمن من الأعداء، والرزق في الدنيا.

﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾؛ أي: أصلحْ لنا، من قولك: هيأتُ الأمر فتهيّأ، والمراد بأمرهم: الأمر الذي هم عليه وهو مفارقتهم للكفار، والرَشَد نقيض الضلال، و«من» للابتداء. ويجوز أن تكون للتجريد كما في قولك: رأيت منك رشداً.

وتقدمُ المجرورين للاهتمام بهما ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ قال المفسرون: أنمناهم.

والمعنى: سدَدْنا آذانهم بالنوم الغالب عن سماع الأصوات، والمفعول محذوف؛ أي: ضربنا على آذانهم الحجاب تشبيهاً للإنامة الثقيلة المانعة من وصول الأصوات إلى الآذان بضرب الحجابَ؛ عليها.

و﴿فِي ٱلْكَهْفِ﴾ ظرف لضربنا، وانتصاب ﴿سِنِينَ﴾ على الظرفية[(١)]، و﴿عَدَدًا﴾ صفة لسنين؛ أي: ذوات عددٍ على أنه مصدر أو بمعنى: معدودة على أنه بمعنى المفعول، ويستفاد مِنْ وصف السنين بالعدد: الكثرة.

قال الزجاج[(٢)]: إن الشيء إذا قلّ فهم مقدار عدده فلم يحتج إلى العدد، وإن كثر احتاج إلى أن يعدّ، وقيل: يستفاد منه التقليل لأن الكثير قليل عند الله ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾؛ أي: أيقظناهم من تلك النومة ﴿لِنَعْلَمَ﴾؛ أي: ليظهر معلومنا، وقُرئ بالتحتية[(٣)] مبنيّاً للفاعل على طريقة الالتفات، و﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ مبتدأ معلق عنه العلم لما في أيّ مِنْ الاستفهام، وخبره ﴿أَحْصَىٰ﴾ وهو فعل ماض.

قيل: والمراد بالعلم الذي جُعل علةً للبعث هو: الاختبار مجازاً فيكون المعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من نختبرهم، والأولى ما ذكرناه من أن المراد به ظهور معلوم الله سبحانه لعباده.

---

(١) «الفريد» (٣/ ٣١٥)، و«روح المعاني» (١٥/ ٢٠٩).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٧١).

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ١٤٥)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٨)، و«القراءات الشاذة» (ص٧٨). وهي قراءة شاذة.

والمراد بالحزبين: الفريقان من المؤمنين والكافرين من أصحاب الكهف المختلفين في مدة لبثهم.

ومعنى أحصى: أضبطَ. وكأنَّه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف، فبعثهم الله ليتبين لهم ذلك، ويَظْهَر مَنْ ضبط الحساب ممّن لم يضبطه، و«ما» في ﴿لِمَا لَبِثُوٓاْ﴾ مصدرية[١]؛ أي: أحصى للبثهم، وقيل: اللام زائدة، و«ما» بمعنى الذي.

و﴿أَمَدًا﴾ تمييز[٢]، والأمد: الغاية، وقيل: إنّ «أحصى» أفعل تفضيل.

ورُدّ بأنه خلاف ما تقرر في علم الإعراب، وما ورد من الشاذ لا يقاس عليه كقولهم: أفلس من ابن المذلّق، وأعدى مِنْ الجَرَبِ.

وأجيب بأن أفعل التفضيل من المزيد قياس[٣] مطرد عند سيبويه وابن عصفور. وقيل: إنّ الحزبين هم أصحاب الكهف اختلفوا بعد انتباههم كم لبثوا، وقيل: إن أصحاب الكهف حزب وأصحابهم حزب.

وقال الفراء[٤]: إن طائفتين من المسلمين في زمان أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ هذا شروع في تفصيل ما أُجْمل في قوله: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ﴾؛ أي: نحن نخبرك بخبرهم بالحق؛ أي: قصصناه بالحق، أو مُتْلبساً بالحق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾؛ أي: أحداث شبّان.

و﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ صفة لفتية، والجملة مستأنفة بتقدير سؤال، والفتية جمع قِلّة، ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ بالتثبيت والتوفيق، وفيه التفات مِنْ الغَيبة إلى الخطاب ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: قويناها بالصبر على هجر الأهل والأوطان، وفراق الخلان والأخدان ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ الظرف منصوب بربطنا.

واختلف أهلُ التفسير في هذا القيام على أقوال فقيل: إنهم اجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد، فقال رجل منهم هو أكبر القوم: إني لأجد في نفسي شيئاً، إن ربي ربُّ السمٰوات والأرض، فقالوا: ونحن أيضاً كذلك نجد في أنفسنا، فقاموا جميعاً ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قاله مجاهد.

---

(١) «روح المعاني» (١٥/ ٢١١)، و«التبيان» (٢/ ٨٣٩)، و«الفريد» (٣/ ٣١٥).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) انظر: «البحر المحيط» (٧/ ١٤٧).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٦).

وقال أكثر المفسرين[١]: إنّه كان لهم ملك جبّار يقال له: دقيانوس، وكان يدعو الناس إلى عبادة الطواغيت، فثبّت الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا بين يديه ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وقال عطاء ومقاتل: إنهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم ﴿لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾؛ أي: لن نعبد معبوداً آخر غير الله لا اشتراكاً ولا استقلالاً ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾؛ أي: قولاً ذا شططٍ، أو قولاً هو نفس الشطط لقصد المبالغة بالوصف بالمصدر، واللّام هي: الموطئة للقَسَم، والشطط: الغلو ومجاوزة الحد.

قال أعشى[٢] بن قيس:

أتنتهونَ ولن يَنْهى ذوي شططٍ كالطعن يذهبُ فيه الزيتُ والفَتَلُ

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ، وخبرهُ ﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾، و﴿قَوْمُنَا﴾ عطف بيان، وفي هذا الإخبار معنى للإنكار، وفي الإشارة إليهم تحقير لهم.

﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾؛ أي: هلّا يأتون بحجةٍ ظاهرة تصلح للتمسك بها ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعم أنّ له شريكاً في العبادة؛ أي: لا أحد أظلم منه. ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: فارقتموهم وتنحيتم عنهم جانباً؛ أي: عَنْ العابدين للأصنام.

وقوله: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ معطوف على الضمير المنصوب، و«ما» موصولة أو مصدرية؛ أي: وإذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبودَهم أو الذي يعبدونه.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ استثناء[٣] منقطع على تقدير: أنهم لم يعبدوا إلا الأصنام، أو متصل على تقدير: أنهم شركوها في العبادة مع الله سبحانه، وقيل: هو كلام معترض إخبار من الله سبحانه عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله فتكون «ما» على هذا نافية.

---

(١) «جامع البيان» (١٥/ ١٦٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢١٣).
(٢) انظر: «ديوانه» (ص٣١٢).
(٣) «روح المعاني» (١٥/ ٢٢٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٢٥).

﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾؛ أي: صيروا إليه واجعلوه مأواكم.

قال الفراء[(١)]: هو جواب إذْ، ومعناه: اذهبوا إليه واجعلوه مأواكم.

وقيل: هو دليل على جوابه؛ أي: إذ اعتزلتموهم اعتزالاً اعتقاديّاً، فاعتزلوهم اعتزالاً جسمانيّاً، وإذا أردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء إلى الكهف

﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾؛ أي: يبسط ويوسّع ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾؛ أي: يُسّهل وييسر لكم من أمركم الذي أنتم بصدده ﴿مِّرْفَقًا﴾ المرفق بفتح الميم[(٢)] وكسرها لغتان قُرئ بهما، مأخوذ مِنْ الارتفاق وهو الانتفاع، وقيل: فتح الميم أقيس، وكسرها أكثر.

قال الفراء[(٣)]: وأكثر العرب على كسر الميم من الأمر ومن مرفق الإنسان، وقد تفتح العرب الميم فيهما [٣/١٩٢] فهما لغتان، وكأن الذين فتحوا أرادوا أن يفرقوا بين المرفق من الأمر، والمرفق من الإنسان.

وقال الكسائي[(٤)]: الكسر في مرفق اليد، وقيل: المِرْفق بالكسر ما ارتفقت به، والمَرفق بالفتح الأمر الرافق، والمراد هنا: ما يرتفقون به وينتفعون بحصوله، والتقديم في الموضعين يفيد الاختصاص.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس[(٥)] قال: الرقيم: الكتاب.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم من طريق العوفيّ[(٦)] عنه قال: الرقيم: وادٍ دون فلسطين قريب من أيلة، والراويان عن ابن عباس ضعيفان.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/١٣٦).

(٢) انظر: «التيسير» (ص١٤٢)، و«النشر» (٢/٣١٠)، و«التبيان» (٢/٨٤٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٥٦)، و«فتح الباري» (٨/٣٠٨). بفتح الميم وكسر الفاء من كلمة (مَرْفِقا) قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر، وبكسر الميم وفتح الفاء باقي العشرة (مِرْفَقا).

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/١٣٦).

(٤) ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/١٥١).

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٣٦٢).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/١٥٩) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/١٥٧ ـ ١٥٨) بسند ضعيف.

وأخرج ابن جرير من طريق ابن جريج[١] عنه أيضاً قال: هو الجبل الذي فيه الكهف.

وأخرج ابن المنذر[٢] عنه، قال: والله ما أدري ما الرقيم: الكتاب أم بُنْيان؟ وفي رواية عنه[٣] من طريق أخرى قال: وسألتُ كعباً فقال: اسم القرية التي خرجوا منها.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عن أنس قال: الرقيم: الكلبُ.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عن ابن عباس في قوله: ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ يقول: الذي آتيتك مِنْ العلم والسُّنَّة والكتاب أفضل مِنْ شأن أصحاب الكهف والرقيم.

وأخرج ابن المنذر[٦] عن ابن جريج في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ يقول: أرقدناهم. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ من قوم الفتية، أهل الهدى، وأهل الضلالة ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟﴾، وذلك أنهم كتبوا اليوم الذي خرجوا فيه والشهر والسنة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧] عن الربيع بن أنس في قوله: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ قال: إخلاصاً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٨] عن قتادة في قوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قال: بالإيمان وفي قوله: ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ قال: كذباً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٩] عن السدّي قال: جَوْراً.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عطاء الخراساني[١٠] في قوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قال: كان قوم

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ١٥٩ ـ ١٦٠) بسند ضعيف.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٠).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٠).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦٢).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦٣).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٠).
(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥١).
(٨) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥١).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ١٨٠) عن قتادة بسند صحيح.
(٩) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥١).
(١٠) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧١).

الفتية يعبدون اللهَ ويعبدون معه آلهة شتّى، فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة ولم تعتزل عبادة الله.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة(١) في الآية قال: هي في مصحف ابن مسعود: «وما يعبدون مِنْ دون الله»، فهذا تفسيرها.

[هيئة الفتية في الكهف]:

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

قوله: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ شرع سبحانه في بيان حالهم، بعد ما أووا إلى الكهف ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ قرأ أهل الكوفة بحذف تاء التفاعل، وقرأ ابنُ عامر(٢) «تزوّر» قال الأخفش(٣): لا يوضع الأزورار في هذا المعنى، إنما يقال: هو مزوّر عني؛ أي: منقبض.

وقرأ الباقون(٤) بتشديد الزاي وإدغام تاء التفاعل فيه بعد تسكينها، وتزاور مأخوذ مِنْ الزَوَر بفتح الواو، وهو الميل، ومِنْه: زاره إذا مال إليه، والزَّوَر: الميل،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ١٨٢) بسند صحيح. وهي قراءة شاذة.

(٢) «جامع البيان» (١٥/ ١٨٤ ـ ١٨٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٥١)، و«النشر» (٢/ ٣١٠)، و«التيسير» (ص١٤٢). هي ثلاث قراءات متواترة، ومع ابن عامر يعقوب.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٣٩).

(٤) «جامع البيان» (١٥/ ١٨٤ ـ ١٨٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٥١)، و«النشر» (٢/ ٣١٠)، و«التيسير» (ص١٤٢). وهي هكذا «تزَّاوَرُ».

فمعنى الآية: أن الشمس إذا طلعت تَميل وتتنحّى ﴿عَن كَهْفِهِمْ﴾ قال الراجز الكلبي[١]:

.... [نـابَ] الـمـنـدّا عَـنْ هـوانـا أَزْوَرُ

أي: مائل. ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: ناحية اليمين، وهي الجهة المسماة باليمين، وانتصاب[٢] ذاتَ على الظرف، ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ القَرْضُ: القطع.

قال الكسائي[٣] والأخفش[٤]، والزجّاج[٥]، وأبو عبيدة[٦]: تعدل عنهم وتتركهم، قرضتُ المكانَ: عدلتُ عنه، تقول لصاحبك: هل وردت مكان كذا؟ فيقول: إنّما قرضته: إذا مرّ به وتجاوز عنه.

والمعنى: أن الشمس إذا طلعت مالت عن كهفهم ذات اليمين؛ أي: يمين الكهف، وإذا غربت تمرّ ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾؛ أي: شمال الكهف لا تصيبه؛ بل تعدل عن سمته إلى الجهتين، والفجوة: المكان المتسع.

وجُمْلة ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ في محلِّ نصبٍ[٧] على الحال، وللمفسرين في تفسير هذه الجملة قولان[٨]:

الأوّل: أنهم مع كونهم في مكان منفتح انفتاحاً واسعاً في ظلّ جميع نهارهم لا تصيبهم الشمسُ في طلوعها ولا في غروبها؛ لأن الله سبحانه حجبها عنهم.

والثاني: أن باب ذلك الكهف كان مفتوحاً إلى جانب الشمال، فإذا طلعت الشمس كانت عن يمين الكهف، وإذا غربت كانت عن يساره.

ويؤيد القول الأوّل قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فإن صرف الشمس عنهم مع توجه الفجوة إلى مكان تصل إليه عادةً أنسب بمعنى كونها آية، ويؤيده أيضاً إطلاق

---

(١) لأبي الزحف الكلبي «تهذيب اللغة» للأزهري (١٣/ ٢٤١) وهو هكذا:

ودون لـيـلـى بـلـد سـمـهـدر جَـدْبُ الـمـنـدّىٰ عَـنْ هـوانـا أَزْوَرُ

(٢) «التبيان» (٢/ ٣٨)، و«روح المعاني» (١٥/ ٢٣٠)، و«الفريد» (٣/ ٣١٩).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٩٠).

(٤) انظر: «البحر المحيط» (٧/ ١٥٢).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٧٣).

(٦) في «مجاز القرآن» (١/ ٣٩٥). (٧) «الفريد» (٣/ ٣١٩).

(٨) «روح المعاني» (١٥/ ٢٣٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٢٩)، و«جامع البيان» (١٥/ ١٨٨).

الفَجْوة وعدم تقييدها بكونها إلى جهة كذا، ومما يدلّ على أن الفجوة المكان الواسع قول الشاعر:

أَلـبَسْـتَ قـومَـكَ مَـخْـزاةً ومَـنْـقَـصَـةً حَـتَّـى أُبِـيحُـوا وخَـلُّـوا فَـجْـوَةَ الـدَّارَ

ثم أثنى سبحانه عليهم بقوله: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إلى الحق ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الذي ظفر بالهدى وأصاب الرشد والفلاح ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾؛ أي: ناصراً يهديه إلى الحق كدقيانوس وأصحابه.

ثم حكى سبحانه طرفاً آخر من غرائب أحوالهم فقال: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ جَمْعُ يَقِظٍ بكسر القاف وفتحها ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أي نيام، وهو جمع راقد كقعود في قاعد. قيل: وسببُ هذا الحسبان أن عيونهم كانت مفتحةً وهم نيام.

وقال الزجاج[(١)]: لكثرة تقلبهم ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾؛ أي: نقلبهم في رقدتهم إلى الجهتين لئلا تأكل الأرضُ أجسادهم ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ حكاية حال ماضية؛ لأنّ اسم الفاعل لا يعمل إذا كان بمعنى المضيّ كما تقرر في علم النحو.

قال أكثر المفسرين[(٢)]: هربوا من ملكهم ليلاً، فمرّوا براعٍ معه كلب فتبعهم.

والوصيد، قال أبو عبيد[(٣)]، وأبو عبيدة[(٤)] هو: فناء الباب، وكذا قال المفسرون، وقيل: العتبة، وردّ بأن الكهف لا يكون له عتبة ولا باب، وإنما أراد أن الكلب موضع العتبة من البيت. ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ قال الزجّاج[(٥)]: فراراً منصوب على المصدرية بمعنى: التولية، والفرار: الهرب ﴿وَلَمُلِئْتَ﴾ قرىء بتشديد اللّام وتخفيفها ﴿مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ قرىء بسكون[(٦)] العين وضمها؛ أي: خوفاً يملأ الصدر.

وانتصاب ﴿رُعْبًا﴾ على التمييز[(٧)]، أو على أنه مفعول ثانٍ، وسبب الرّعب:

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٧٤).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٣١)، و«جامع البيان» (١٥/ ١٩١ ـ ١٩٢).

(٣) في «الغريبين» (٦/ ٢٠٠٤). (٤) في «مجاز القرآن» (١/ ٣٩٧).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٧٥).

(٦) «التيسير» (ص٩١)، و«النشر» (٢/ ٢١٦)، و«روح المعاني» (١٥/ ٢٤٣). تشديد اللّام من كلمة (لملئتَ) عَنْ نافع وابن كثير وأبي جعفر ويعقوب والتخفيف عَنْ باقي العشرة. وأمّا كلمة (رُعْبا) فضم العين قراءة ابن عامر والكسائي وأبي جعفر ويعقوب، والسكون عن باقي العشرة.

(٧) «التبيان» (٢/ ٨٤١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٩)، و«روح المعاني» (١٥/ ٢٣٩).

الهيبة(١) التي ألبسهم الله إيّاها؛ وقيل: طول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم ووحشة مكانهم، ويدفعه قوله تعالى: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ فإن ذلك يدل على أنّهم لم ينكروا من حالهم شيئاً، ولا وجدوا من أظفارهم وشعورهم ما يدل على طول المدّة.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾ الإشارة إلى المذكور قبله؛ أي: وكما فعلنا بهم ما فعلنا من الكرامات بعثناهم من نومهم، وفيه تذكيرٌ لقدرته على الإماتة والبعث جميعاً، ثم ذكر الأمر الذي لأجله بعثهم فقال: ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: ليقعَ التساؤلُ بينهم، والاختلاف والتنازع في مدة اللّبث لما يترتب على ذلك من انكشاف الحال وظهور القدرة الباهرة، والاقتصار على علة التساؤل لا ينفي غيرها، وإنما أفرده لاستتباعه لسائر الآثار.

وجملة ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ مُبينة لما قبلها من التساؤل؛ أي: كم مدّة لبثكم في النوم؟ قالوا: ذلك لأنهم رأوا في أنفسهم غير ما يعهدونه في العادة ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أي قال بعضهم جواباً عن سؤال من سأل منهم.

قال المفسِّرون(٢): إنهم دخلوا الكهف غدوةً، وبعثهم الله سبحانه آخر النهار، فلذلك قالوا يوماً، فلما رأوا الشمس قالوا أو بعض يوم، وكان قد بقيت بقية من النهار، وقد مرّ مثل هذا الجواب في قصة عُزَير في البقرة. ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾؛ أي: قال البعضُ الآخر هذا القول: إما على طريق الاستدلال، أو كان ذلك إلهاماً لهم من الله سبحانه؛ أي: أنكم لا تعلمون مدّة لبثكم، وإنما يعلمها الله سبحانه.

﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ أعرضوا عن التحاور في مدّة اللبث، وأخذوا في شيء آخر، كأنه قال القائل منهم: اتركوا ما أنتم فيه من المحاورة، وخذوا في شيء آخر مما يهمكم، والفاء للسببية، والوَرِق: الفضة مضروبةً أو غير مضروبة.

وقرأ ابنُ كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عَنْ عاصم بكسر

---

(١) «روح المعاني» (١٥/ ٢٤٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٣٤).
(٢) «روح المعاني» (١٥/ ٢٤٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٣٦)، و«جامع البيان» (١٥/ ١٩٥ ـ ١٩٦).

الراء[(١)]، وقرأ أبو عَمْرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم بسكونها[(٢)]، وقرىء بكسر الراء[(٣)]، وإدغام القاف في الكاف، وقرأ ابن مُحَيصن بكسر الواو[(٤)] وسكون الراء.

[الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله]:

وفي حملهم لهذه الورق معهم دليلٌ على أن إمساك بعض ما يحتاج إليه الإنسان لا ينافي التوكل على الله، والمدينة: دقسوس، وهي مدينتهم التي كانوا فيها، ويقال لها اليوم: طرسوس، كذا قال الواحدي[(٥)].

[حل ذبائح أهل الكتاب]:

﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾؛ أي: ينظر أيّ أهلها أطيبُ طعاماً، وأحلّ مكسباً، أو أرخصُ سعراً؛ وقيل: يجوز أَنْ يعود الضمير إلى الأطعمة المدلول عليها في المقام كما يقال: زيد طبت أباه على أن الأب هو زيد، وفيه بُعد [٣/١٩٣]. واستدل بالآية على حلّ ذبائح أهل الكتاب لأنّ عامة أهل المدينة كانوا كفاراً، وفيهم قوم يُخْفون إيمانهم، ووجه الاستدلال: أن الطعام يتناول اللحم كما يتناول غيره مما يُطلق عليه اسم الطعام.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾؛ أي: يُدقّقْ النظرَ حتى لا يُعرفُ أو لا يُغْبَن، والأوّل أولى، ويؤيده ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾؛ أي: لا يفعلنّ ما يؤدّي إلى الشعور ويتسبب له، فهذا النهي يتضمن التأكيد للأمر بالتلطف.

ثم علل ما سبق من الأمر والنهي فقال: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: يطّلعوا عليكم ويَعْلموا بمكانكم، يعني: أهل المدينة ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرجم، وهذه

---

(١) «البحر المحيط» (٧/١٥٦)، و«التيسير» (ص١٤٣)، و«النشر» (٢/٣١٠)، و«التبيان» (٢/٨٤٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٥٧).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. كسر الراء مع إدغام القاف في الكاف شاذة، وكذلك كسر الواو وسكون الراء شاذة وأما فتح الواو وكسر الراء من كلمة (بوَرِقكم) فمتواترة، وهي لمن عزها المؤلف ومعهم أبو جعفر وبقية العشرة بفتح الواو وإسكان الراء. وانظر: «البدور الزاهرة» (٢/٤٥).

(٣) «البحر المحيط» (٧/١٥٦)، و«روح المعاني» (١٥/٢٤٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/٢٣٦)، و«جامع البيان» (١٥/٢١٢).

(٤) «البحر المحيط» (٧/١٥٦)، و«روح المعاني» (١٥/٢٤٦)، و«النشر» (٢/٣١٠).

(٥) في «الوسيط» (٣/١٤٠).

القتلة هي أخبث[١] قتلةً، وكان ذلك عادة لهم، ولهذا خصّه من بين أنواع ما يقع به القتل ﴿أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ﴾؛ أي: يردّوكم إلى ملّتهم التي كنتم عليها قبل أن يهديكم الله، أو المراد بالعود هنا: الصيرورة على تقدير أَنّهم لم يكونوا على ملتهم، وإيثار كلمة (في) على كلمة (إلى) للدلالة على الاستقرار[٢] ﴿وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ في «إذاً» معنى الشرط، كأنّه قال: إنْ رجعتم إلى دينهم فلن تفلحوا إذاً أبداً، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وقد أخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ قال: تَميل، وفي قوله: ﴿تَّقۡرِضُهُمۡ﴾ قال: تذرهم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٤] في قوله: ﴿تَّقۡرِضُهُمۡ﴾ قال: تتركهم ﴿وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ﴾ قال: المكان الداخل.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير[٥]، قال: الفجوة: الخلوة من الأرض، ويعني بالخلوة: الناحية من الأرض.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ﴾ الآية قال: ستة أشهر على ذي الجَنْب اليمين، وستة أشهر على ذي الجَنْب الشمال.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر عن سعيد بن جبير[٧] في الآية قال: كي لا تأكل الأرض لحومهم.

وأخرج ابن أبي حاتم[٨] عن مجاهد أن اسم كلبهم قُطموراً.

---

(١) «جامع البيان» (١٥/ ٢١٥ ـ ٢١٦)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٣/ ٢٧٦).
(٢) أي: للدلالة على الاستقرار الذي هو أشدُّ كراهة، وتقديم احتمال الرَّجم على احتمال الإعادة؛ لأن الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي إليه.
«روح المعاني» (١٥/ ٢٤٩)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٤٨٩).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ١٨٥) بسند صحيح.
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٢).
(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٢).
(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٢).
(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٢).
(٨) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٢).

وأخرج ابنُ أبي حاتم[١] عن الحسن قال: اسمه قِطْمير.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿بِٱلْوَصِيدِۚ﴾ قال: بالفناء.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[٣] قال: بالباب.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٤] أيضاً في قوله: ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ قال: أحلّ ذبيحةً، وكانوا يذبحون للطواغيت.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٥] عنه ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾؛ يعني: أطهر؛ لأنهم كانوا يذبحون للطواغيت.

[الدلالة على البعث بمثلٍ واقعي محسوس]:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: وكما أنمناهم وبعثناهم، أعثرنا عليهم؛

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٢).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ١٩٢) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ١٩٤) بسند صحيح.
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٤).
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٤).

أي: أطلعنا النّاسَ عليهم، وسمّي الإعلام إعثاراً؛ لأن مَنْ كان غافلاً عن شيء فعثر به نظر إليه وعرفه، فكان الإعثار سبباً لحصول العلم ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: ليعلم الذين أعثرَهم الله عليهم أنّ وعد الله بالبعث حقٌ. قيل: وكان مَلِكُ ذلك العصر ممّن يُنكر البعثَ، فأراه الله هذه الآية.

قيل: وسببُ الإعثار عليهم أنّ ذلك الرجل الذي بعثوه بالوَرِق، وكانت من ضربة دقيانوس إلى السوق، لما اطّلع عليها أهل السوق اتهموه بأنه وجد كنزاً، فذهبوا به إلى المَلِك، فقال له: مِنْ أين وجدتَ هذه الدراهم؟ قال: بعتُ بها أمس شيئاً من التمر، فعرف الملك صدقه، ثم قصّ عليه القصة فركب الملك وركب أصحابه معه حتى وصلوا إلى الكهف.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾؛ أي: وليعلموا أنّ القيامة لا شكّ في حصولها، فإن مَنْ شاهد حال أهل الكهف علم صحة ما وعد الله به من البعث ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ الظرف متعلق بـ﴿أَعْثَرْنَا﴾؛ أي: أعثرنا عليهم وقت التنازع والاختلاف بين أولئك الذين أعثرهم الله في أمر البعث(١).

وقيل: في أمر أصحاب الكهف في قَدْر مكثهم، وفي عددهم، وفيما يفعلونه بعد أن اطّلعوا عليهم ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا﴾ لئلّا يتطرق الناس إليهم، وذلك أن الملك وأصحابَه لما وقفوا عليهم وهم أحياء أمات الله الفتية، فقال بعضهم: ابنوا عليهم بنياناً يسترهم عن أعين الناس(٢).

ثم قال سبحانه حاكياً لقول المتنازعين فيهم وفي عددهم، وفي مدّة لبثهم، وفي نحو ذلك مما يتعلق بهم: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ من هؤلاء المتنازعين فيهم، قالوا ذلك تفويضاً للعلم إلى الله سبحانه، وقيل: هو من كلام الله سبحانه، ردّاً لقول المتنازعين فيهم؛ أي: دعوا ما أنتم فيه من التنازع، فإنّي أعلم بهم منكم؛ وقيل: إن الظرف في ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ﴾ متعلق بمحذوف هو اذكر، ويؤيده أن الإعثار ليس في زمن التنازع؛ بل قبله، ويمكن أن يقال: إن أولئك القوم ما زالوا متنازعين فيما بينهم قرناً بعد قرن، منذُ أووا إلى الكهف إلى وقت الإعثار، ويؤيد ذلك أنّ خبرهم كان مكتوباً

---

(١) «المحرر الوجيز» (١٠/ ٣٨٣)، و«روح المعاني» (١٥/ ٢٥٠).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٤٦)، و«جامع البيان» (١٥/ ٢١٨).

على باب الغار، كتبه بعضُ المعاصرين لهم من المؤمنين الذين كانوا يخفون إيمانهم كما قاله المفسرون.

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ ذكرُ اتخاذ المسجد يشعر بأنّ هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم هم المسلمون، وقيل: هم أهل السلطان، والمُلْك من القوم المذكورين فإنّهم الذين يغلبون على أمر مَنْ عداهم، والأوّل أولى.

قال الزجاج[1]: هذا يدل على أنّه لما ظهر أمرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور؛ لأنّ المساجد للمؤمنين.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ هؤلاء القائلون بأنهم ثلاثة أو خمسة أو سبعة، هم المتنازعون في عددهم في زمن رسول الله ﷺ من أهل الكتاب والمسلمين، وقيل: هم أهل الكتاب خاصةً، وعلى كل تقدير فليس المراد أنهم جميعاً قالوا جميع ذلك؛ بل قال بعضُهم بكذا، وبعضهم بكذا، وبعضهم بكذا ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ أي: هم ثلاثة أشخاص.

وجملة ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ في محل نصب[2] على الحال؛ أي: حال كون كلبهم جاعلهم أربعةً بانضمامه إليهم ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكلام فيه كالكلام فيما قبله.

وانتصاب ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ على الحال[3]؛ أي: راجمين، أو على المصدر؛ أي: يرجمون رَجْماً، والرجم بالغيب: هو القولُ بالظن والحَدْس من غير يقين، والموصوفون بالرجم بالغيب هم كلا الفريقين القائلين بأنهم ثلاثة، والقائلين بأنهم خمسة ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ كأنّ قول هذه الفرقة أقرب إلى الصواب بدلالة عدم إدخالهم في سلك الراجمين بالغيب.

قيل: وإظهار الواو في هذه الجملة يدل على أنها مرادة في الجملتين الأوليين.

قال أبو عليّ الفارسي[4] قوله: ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، و﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ جملتان استغنى عن حرف العطف فيهما بما تضمنتا من ذكر الجملة الأولى وهي قوله:

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٧٧).
(٢) «روح المعاني» (١٥/ ٢٦٨)، و«الفريد» (٣/ ٣٢٦)، و«التبيان» (٢/ ٨٤٣).
(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٩)، و«التبيان» (٢/ ٨٤٣)، و«روح المعاني» (١٥/ ٢٦٧).
(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٤٢).

﴿ثَلَٰثَةٌ﴾، والتقدير: هم ثلاثة، هكذا حكاه الواحدي(١) عن أبي عليّ، ثم قال: وهذا معنى قول الزجاج(٢) في دخول الواو في ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾ وإخراجها من الأوّل، وقيل: هي مزيدة للتوكيد، وقيل: إنها واو الثمانية(٣)، وإن ذكره متداول على ألسن العرب إذا وصلوا إلى الثمانية كما في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] وقوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥].

ثم أمر الله نبيَّه ﷺ أن يخبر المختلفين في عددهم بما يقطع التنازع بينهم فقال: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ منكم أيها المختلفون، ثم أثبت علم ذلك لقليلٍ من الناس فقال: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ﴾؛ أي: يعلم ذواتهم فضلاً عن عددهم، أو ما يعلم عددَهم على حذف المضاف ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ من الناس، ثم نهى الله سبحانه رسوله ﷺ عن الجدال مع أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف فقال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ المراء في اللغة(٤): الجدال، يقال: مارى يُماري مماراة ومراءً؛ أي: جادل، ثم استثنى سبحانه من المراء ما كان ظاهراً واضحاً فقال: ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾؛ أي: غير مُتَعمّق فيه وهو أن يقصّ عليهم ما أوحى الله إليه فحسب.

وقال الرازي(٥): هو أن لا يكذّبهم في تعيين ذلك العدد؛ بل يقول: هذا التعيين لا دليلَ عليه، فوجب التوقف، ثم نهاه سبحانه عن الاستفتاء في شأنهم فقال: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي لا تستفتِ في شأنهم من الخائضين فيهم أحداً منهم، لأنّ المفتي يجب أن يكون أعلمَ مِنْ المستفتي، وها هنا الأمر بالعكس، ولا سيما في واقعة أهل الكهف، وفيما قصّ الله عليك في ذلك ما يغنيك عَنْ سؤال مَنْ لا علم له.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾؛ أي: لأجل شيء تعزم عليه فيما يُسْتقبَل من الزمان، فعبَّر عنه بالغد، ولم يرد الغد بعينه، فيدخل فيه الغد دخولاً أوّليّاً.

[الآية نصٌّ في الأمر بالاستثناء بمشية الله]:

قال الواحدي(٦): قال المفسرون: لما سألتِ اليهودُ النبيّ ﷺ عن خبر الفتية فقال: أخبركم غداً، ولم يقل إنْ شاء الله، فاحتبس الوحي عنه حتى شقّ عليه،

---

(١) في «الوسيط» (٣/ ١٤٢).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٧٧).
(٣) انظر: «روح المعاني» (١٥/ ٢٧٣ ـ ٢٧٦).
(٤) «الصحاح» (٦/ ٢٣٤٨)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٣١٦).
(٥) في «تفسيره» (٢١/ ١٠٧).
(٦) في «الوسيط» للواحدي (٣/ ١٤٣).

فأنزل الله هذه الآية يأمره بالاستثناء بمشيئة الله يقول: إذا قلت لشيء إني فاعل ذلك غداً، فقل: إن شاء الله.

وقال الأخفش(١)، والمبرِّد(٢)، والكسائي(٣)، والفرّاء(٤): لا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن تقول: إن شاء الله، فأضمر القول، ولما حذف تقول نقل شاء إلى لفظ الاستقبال، قيل: وهذا الاستثناء مفرّغ؛ أي: لا تقولنّ ذلك في حال من الأحوال، إلا حال ملابسته لمشيئة الله وهو أن تقول: إن شاء الله، أو في وقت من الأوقات إلَّا وقت أَنْ يشاء الله أن تقوله مطلقاً؛ وقيل: الاستثناء جار مجرى التأبيد كأنه قيل: لا تقولنّه أبداً؛ كقوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٨٩]؛ لأن عودهم في ملتهم مما لا يشاؤه الله.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ الاستثناء بمشيئة الله؛ أي: فقل: إن شاء الله، سواء كانت المدّة قليلة أو كثيرة.

وقد اختلف أهل العلم في المدّة التي يجوز إلحاق الاستثناء فيها بعد المستثنى منه على أقوال معروفة [٣/١٩٤] مواضعها، وقيل: المعنى ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ بالاستغفار ﴿إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ المشار إليه بقوله: ﴿مِنْ هَٰذَا﴾ هو نبأ أصحاب الكهف؛ أي: قُلْ يا محمد عسى أن يوفقني ربي لشيء أقرب من هذا النبأ من الآيات والدلائل الدالة على نبوّتي.

قال الزجاج(٥): عسى أن يعطيني ربي من الآيات على النبوّة ما يكون أقرب في الرشد وأدلّ من قصة أصحاب الكهف، وقد فعل الله به ذلك حيث آتاه من علم غيوب المرسلين وخبرهم ما كان أوضحَ في الحجة، وأقربَ إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف.

وقيل: الإشارة إلى قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾؛ أي: عسى أن يهديني ربي عند هذا النسيان لشيء آخر بدل هذا المنسيّ، وأقرب منه رشداً وأدنى منه خيراً ومنفعة، والأوّل أولى.

---

(١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦١٨).
(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (١٠/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٥٠). (٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٨).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٧٨).

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ قرأ الجمهور بتنوين مائة ونصب سنين[1]، فيكون سنين على هذه القراءة بدلاً أو عطف بيان.

وقال الفراء[2]، وأبو عبيدة[3]، والزجاج[4]، والكسائي[5]: فيه تقديم وتأخير، والتقدير سنين ثلثمائة.

ورجح الأوّل أبو عليّ الفارسي[6].

وقرأ حمزة[7]، والكسائي بإضافة مائة إلى سنين، وعلى هذه القراءة تكون سنين تمييزاً على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله تعالى: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣]. قال الفراء: ومن العرب من يضع سنين موضع سنة.

قال أبو علي الفارسي[8]: هذه الأعداد التي تُضاف في المشهور إلى الآحاد نحو ثلثمائة رجلٍ وثوب قد تضاف إلى المجموع، وفي مصحف عبد الله «ثلثمائة سنة»[9].

وقال الأخفش: لا تكاد العرب تقول مائة سنين[10].

وقرأ الضحّاك: «ثلثمائة سنون»[11] بالواو، وقرأ الجمهور: «تسعاً» بكسر التاء[12]، وقرأ أبو عَمْرو بفتحها[13]، وهذا إخبار من الله سبحانه بمدّة لبثهم.

قال ابن جرير[14]: إن بني إسرائيل اختلفوا فيما مضى لهم من المدّة بعد الإعثار عليهم، فقال بعضهم: إنهم لبثوا ثلثمائة سنة وتسع سنين، فأخبر الله نبيّه ﷺ

---

(١) «التيسير» (ص١٤٣)، و«جامع البيان» (١٥/ ٢٣٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٦٤).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٨). (٣) في «مجاز القرآن» (١/ ٣٩٨).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٧٨).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٥٣)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٥٣).
(٦) في «الحجة» للقرَّاء السبعة (٥/ ١٣٧).
(٧) «جامع البيان» (١٥/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣)، و«الحجة» (٥/ ١٣٦). وممَّن قرأ بمثل قراءة حمزة «خَلَف».
(٨) في «الحجة» (٥/ ١٣٦).
(٩) «القراءات الشاذة» (ص٧٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٦٤)، و«روح المعاني» (١٥/ ٢٩٤). وهي قراءة شاذة.
(١٠) «البحر المحيط» (٧/ ١٦٤).
(١١) «روح المعاني» (١٥/ ٢٩٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٦٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٥٣). وهي قراءة شاذة.
(١٢) «جامع البيان» (١٥/ ٢٣٢)، و«التيسير» (ص١٤٣).
(١٣) «القراءات الشاذة» (ص٧٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٦٤). قراءة الجمهور بكسر التاء، وهي متواترة وأما قراءة «فتح التاء» فهي رواية لا تصح عن أبي عمرو بل هي رواية شاذة عنه.
(١٤) في «جامع البيان» (١٥/ ٢٣١).

أن هذه المدّة في كونهم نياماً، وأن ما بعد ذلك مجهول للبشر، فأمر الله أن يردّ علم ذلك إليه، فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾.

قال ابن عطية[١]: فقوله على هذا ﴿لَبِثُواْ﴾ الأوّل: يريد في يوم الكهف، و﴿لَبِثُواْ﴾ الثاني: يريد بعد الإعثار عليهم إلى مدة محمد ﷺ، أو إلى أن ماتوا.

وقال بعضهم: إنه لما قال: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ لم يدر الناس أهي ساعات أم أيام أم جُمَع أم شهور أم أعوام؟، واختلف بنو إسرائيل بحسب ذلك، فأمر الله بردّ العلم إليه في التسع، فهي على هذا مبهمة.

والأوّل أولى؛ لأنّ الظاهر مِنْ كلام العرب المفهوم بحسب لغتهم أن التسع أعوامٌ، بدليل أنّ العدد في هذا الكلام للسنين لا للشهور ولا للأيام ولا للساعات.

وعن الزجاج[٢] أنّ المراد: ثلثمائة سنة شمسية وثلثمائة وتسع سنين قمرية، وهذا إنما يكون مِنْ الزجّاج على جهة التقريب.

ثم أكد سبحانه اختصاصه بعلم ما لبثوا بقوله: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ما خفي فيهما وغاب من أحوالهما ليس لغيره من ذلك شيء، ثم زاد في المبالغة والتأكيد فجاء بما يدلّ على التعجب من إدراكه للمُبْصَرات والمسموعات فقال: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ فأفاد هذا التعجب على أن شأنه سبحانه في علمه بالمبصرات والمسموعات خارجٌ عما عليه إدراك المُدْرِكين، وأنه يستوي في علمه الغائبُ والحاضرُ، والخفيّ والظاهر، والصغير والكبير، واللطيف والكثيف، وكأن أصله ما أبصرَه وما أسمعَه، ثم نُقل إلى صيغة الأمر للإنشاء، والباء زائدة عند سيبويه[٣]، وخالفه الأخفش[٤]، والبحث مقرّر في علم النحو.

﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ الضمير لأهل السمٰوات والأرض، وقيل: لأهل الكهف، وقيل: لمعاصري محمد ﷺ من الكفار؛ أي: ما لهم من موالٍ يواليهم أو يتولى أمورَهم أو ينصرهم، وفي هذا بيان لغاية قدرته وأن الكل تحت قهره ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ قرأ الجمهور برفع الكاف[٥] على الخبر عن الله سبحانه.

---

(١) في «المحرر الوجيز» (١٠/ ٣٨٩).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٧٩).
(٣) في «الكتاب» (٣/ ١٠٠).
(٤) في «معاني القرآن» (٢/ ٦١٨).
(٥) «البحر المحيط» (٧/ ١٦٥)، و«روح المعاني» (١٥/ ٢٩٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٥٨)، و«زاد المسير» (٥/ ١٣١).

وقرأ ابن عباس، والحسن، وأبو رجاء، وقتادة بالتاء الفوقية[١] وإسكان الكاف على أنه نهي للنبيّ ﷺ أن يَجعلَ لله شريكاً في حكمه، ورويت هذه القراءة عن ابن عامر.

وقرأ مجاهد بالتحتية[٢] والجزم. قال يعقوب: لا أعرف وجهها، والمراد بحكم الله: ما يقضيه، أو علم الغيب، والأوّل أولى. ويدخل علم الغيب في ذلك دخولاً أوّليّاً، فإنّ علمه سبحانه مِنْ جملة قضائه.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[٣] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ قال: أطلَعْنا.

وأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم عَنْ قتادة[٤] في قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾ قال: الأمراء، أو قال: السلاطين.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عن السدّي في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ﴾ قال: اليهود ﴿وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ﴾ قال: النصارى.

وأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم عن قتادة[٦] في قوله: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ قال: قذفاً بالظنّ.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧] عن ابن مسعود في قوله: ﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ﴾ قال: أنا من القليل كانوا سبعة.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس[٨]: قال السيوطي[٩]: بسند

---

(١) «النشر» (٢/ ٣١٠)، و«التيسير» (ص١٤٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٦٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٥٤).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٥٤)، و«معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٨٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٦٥). قراءة مجاهد شاذة، أما القراءتان الأخريان فمتواترتان، الأولى «يُشركُ» بضم الكاف، وضم الياء، والثانية «تُشْركْ» بضم التاء وسكون الكاف، عن ابن عامر.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٣).

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٤). وعزاه إليهما السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٧٥).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٣٥٤).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٠٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٢٠) بسند صحيح.

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٤).

(٨) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٦١١٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣): «وفيه يحيى بن أبي روق، وهو ضعيف».

(٩) في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٥).

صحيح في قوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال: أنا من أولئك القليل كانوا سبعةً، ثم ذكر أسماءهم.

وحكاه ابن كثير[١] عن ابن عباس في رواية قتادة، وعطاء، وعكرمة، ثم قال: فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس أنّهم كانوا سبعة.

وأخرج ابن جرير[٢] عن ابن عباس في قوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ يقول: حسبكَ ما قصصتُ عليك.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ قال: اليهود.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾ الآية قال: إذا نسيتَ أن تقول لشيء إني أفعله فنسيت أن تقول إنْ شاء الله، فقل إذا ذكرتَ: إنْ شاء الله.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه[٥] عنه أنّه كان يرى الاستثناء ولو بعد سنة، ثم قرأ ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾.

وأخرج ابنُ أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه[٦] عنه أيضاً في الآية قال: هي خاصة لرسول الله ﷺ وليس لأحدٍ أن يستثني إلا في صلة يمين.

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عمر[٧] قال: كل استثناء موصول فلا حنث على صاحبه، وإذا كان غير موصول فهو حانث.

---

(١) في «تفسيره» (٩/ ١٢١).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٢١) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٢٢) من طريق سفيان الثوري، به.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٢٨١٧) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٣٥)، والطبراني رقم (١١٠٦٩)، والحاكم (٤/ ٣٠٣).

(٦) أخرجه الطبراني رقم (١١١٤٣)، وابن عساكر في «تاريخه» (٥٢/ ٢٤٥).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٨).

وأخرج البخاري، ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان بن داود: لأطوفنّ الليلةَ على سبعين امرأة ـ وفي رواية: تسعين ـ تلد كلُّ امرأةٍ منهنّ غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقال له المَلَك: قل: إنْ شاء الله، فلم يقل، فطاف فلم يلد منهنّ إلا امرأة واحدة نصف إنسان، قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لو قال: إنْ شاء الله لم يحنث، وكان دركاً لحاجته».

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الشعب» عن عكرمة(٢) ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ قال: إذا غضبت.

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» عن الحسن(٣) ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ قال: إذا لم تقل: إنْ شاء الله.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس(٤) قال: «إنّ الرجل ليفسر الآية يرى أنها كذلك فيهوِي أبعد ما بين السماء والأرض، ثم تلا ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ الآية، ثم قال: كم لبثَ القومُ؟ قالوا: ثلثمائة وتسع سنين، قال: لو كانوا لبثوا كذلك لم يقل الله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ ولكنّه حكى مقالة القوم فقال: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ فأخبر أنهم لا يعلمون، ثم قال: سيقولون: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة(٥) في حرف ابن مسعود، «وقالوا لبثوا في كهفهم» الآية: يعني: إنما قاله الناس ألا ترى أنه قال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٧٢٠)، ومسلم رقم (١٦٥٤)، والنسائي رقم (٣٨٤٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٥٨، ٣٥٩)، وأحمد رقم (٧٧١٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٧١)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٨٢٩٦).

(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٦٦).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٩).

(٥) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٤٠٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٢٩) بسند منقطع.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ١٢٦): «وهذا الذي زعمه قتادة فيه نظر، فإن الذي بأيدي أهل الكتاب: أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة من غير تسع، يعنون بالشمسية، ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ وظاهر الآية: إنما هو من إخبار الله لا حكاية عنهم، وهذا اختيار ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ، ورواية قتادة. قراءة ابن مسعود منقطعة، ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يحتج بها، والله أعلم». وانظر: «جامع البيان» (١٥/ ٢٣١).

وأخرج ابنُ مردويه عن الضحّاك عن ابن عباس[١] قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾ قيل: يا رسول الله، أياماً أم أشهراً أم سنين؟ فأنزل الله: ﴿سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾.

وأخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الضحاك[٢] بدون ذكر ابن عباس.

وأخرج ابن المنذر[٣] عن ابن عباس في قوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ قال: اللهُ يقولُه.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.

قوله: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ أمرَه الله سبحانه أن يواظبَ على تلاوة الكتاب المُوحىٰ إليه، قيل: ويحتمل أن يكون معنى قوله: ﴿وَٱتْلُ﴾ واتبع[٤]، أمراً من التلوّ، لا مِنْ التلاوة، و﴿مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ بيان للذي أوحي إليه ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾؛ أي: لا قادر على تبديلها وتغييرها، وإنما يقدر على ذلك هو وحده.

قال الزجاج[٥]: أي: ما أخبر الله به وما أمر به فلا مبدّل له، وعلى هذا يكون

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٩).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٣٠) بسند ضعيف.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٩).
(٤) «الوسيط» للواحدي (٣/ ١٤٤).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٨٠).

التقدير: لا مبدّل لحكم كلماته ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ المُلْتحَد: المُلْتجأ، وأصل اللّحد: الميلُ.

قال الزجاج[(١)]: لن تجد معدلاً عَنْ أمره ونهيه، والمعنى: أنك إن لم تتبعْ القرآن وتتله وتعملْ بأحكامه لن تجد معدلاً تعدل إليه ومكاناً تميل إليه، وهذه الآية آخر قصة أهل الكهف.

ثم شرح سبحانه [٣/١٩٥] في نوع آخر كما هو دأب الكتاب العزيز فقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ قد تقدّم في الأنعام نهيه ﷺ عن طرد فقراء المؤمنين بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: ٥٢] وأمره سبحانه هاهنا بأن يحبس نفسَه معهم، فصبرُ النفس حبْسُها، وذكر الغداة والعشي كناية عن الاستمرار[(٢)] على الدعاء في جميع الأوقات.

وقيل: في طرفي النهار، وقيل: المراد: صلاة العصر والفجر. وقرأ نصر بن عاصم، ومالك بن دينار، وأبو عبد الرحمٰن، وابن عامر: «بالغُدْوة»[(٣)] بالواو، واحتجوا بأنها في المصحف كذلك مكتوبة بالواو.

قال النحاس[(٤)]: وهذا لا يلزم لكتبهم الحياة والصلاة بالواو، ولا تكاد العرب تقول: الغدوة، ومعنى ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: أنهم يريدون بدعائهم رضى الله سبحانه، والجملة في محل نصب على الحال، ثم أمره سبحانه بالمراقبة لأحوالهم فقال: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾؛ أي: لا تتجاوز عيناك إلى غيرهم. قال الفراء[(٥)]: معناه: لا تصرف عيناك عنهم.

وقال الزجاج[(٦)]: لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة، واستعماله بـ(عن) لتضمنه معنى النبوّ، مِنْ عدوته عن الأمر؛ أي: صرفته عنه، وقيل: معناه: لا تحتقرهم عيناك. ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: مجالسة أهل الشرف

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٨٠).

(٢) «روح المعاني» (١٥/ ٣٠٩)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٤٩٥).

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٤٦٦)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٠٩). هي قراءة متواترة عن ابن عامر (بالغُدْوَة) بضم الغين وسكون الدال فواو مفتوحة وباقي العشرة (بالغداة).

(٤) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٥٤). (٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٤٠).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٨١).

والغنى، والجملة في محل نصب[1] على الحال؛ أي: حال كونك مُريداً لذلك، هذا إذا كان فاعل (تريد) هو النبيّ ﷺ، وإن كان الفاعلُ ضميراً يعود إلى العينين، فالتقدير: مريدةً زينة الحياة الدنيا، وإسناد الإِرادة إلى العينين مجاز، وتوحيد الضمير للتلازم كقول الشاعر:

لـمـن زحـلـوقَـةٌ زلّ   بـهـا الـعَـيْـنَـانِ تَـنْـهَـلُّ

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾؛ أي: جعلناه غافلاً بالختم عليه، نهى رسول الله ﷺ عن طاعة مَنْ جعل الله قلبه غافلاً عن ذكره كأولئك الذين طلبوا منه أن يُنحِّي الفقراءَ عن مجلسه، فإنّهم طالبوا تنحية الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه، وهم غافلون عن ذكر الله!، ومع هذا فهم ممن اتبع هواه وآثره على الحق فاختار الشرك على التوحيد ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾؛ أي: متجاوزاً عن حدّ الاعتدال، مِن قولهم: فرس فرط: إذا كان متقدماً للخيل فهو على هذا من الإِفراط، وقيل: هو من التفريط، وهو التقصير والتضييع. قال الزجّاج[2]: ومن قدّم العجز في أمره أضاعه فأهلكه.

ثم بيّن سبحانه لنبيّه ﷺ ما يقوله لأولئك الغافلين، فقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: قل لهم: إن ما أوحي إليك وأُمرتَ بتلاوته هو الحق الكائن من جهة الله، لا من جهة غيره حتى يمكن فيه التبديل والتغيير؛ وقيل: المراد بالحق: الصبر مع الفقراء.

قال الزجاج[3]: أي: الذين أتيتكم به ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: لم آتكم به من قِبلَ نفسي إنما أتيتكم به من الله ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ قيل: هو من تمام القول الذي أمر رسوله أن يقوله، والفاء لترتيب ما قبلها على ما بعدها، ويجوز أن يكون من كلام الله سبحانه لا من القول الذي أمر به رسول الله ﷺ، وفيه تهديد شديد، ويكون المعنى: قل لهم يا محمد: الحقّ من ربكم، وبعد أن تقول لهم هذا القول: من شاء أن يؤمن بالله ويصدّقك فليؤمن، ومَنْ شاء أن يكفر به ويكذبك فليكفر.

ثم أكد الوعيد وشدّده فقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: أعددنا وهيأنا

---

(١) «الفريد» (٣/ ٣٣١)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣١٣).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٨١). (٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٨١).

للظالمين الذين اختاروا الكفرَ بالله والجحدَ له والإنكار لأنبيائه ناراً عظيمة ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾؛ أي: اشتمل عليهم. والسُرادق: واحد السُرادِقات. قال الجوهري[١]: وهي التي تُمدُّ فوق صحن الدار، وكل بيت من كُرْسُف فهو سُرادق، ومنه قول رؤبة[٢]:

يا حَكَمَ بْنَ المُنْذِرِ بْنِ جَارُودْ سُرَادِقُ المَجْدِ عَلَيْكَ مَمْدُودْ

وقال الشاعر:

هو المُدْخِلُ النعمانَ بيتاً سَمَاؤُهُ صُدُورُ الفُيُولِ بعد بَيْتٍ مُسَرْدَقِ[٣]

يقوله سلامة[٤] بن جندل لما قتل ملكُ الفُرس ملكَ العرب النعمان بن المنذر تحت أرجل الفيلة.

وقال ابنُ الأعرابي[٥]: سرادقها سورُها. وقال القتيبي[٦]: السرادق: الحُجْرة التي تكون حول الفسطاط. والمعنى: أنه أحاط بالكفار سرادق النار على تشبيه ما يحيط بهم من النار بالسرادق المحيط بمن فيه. ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ﴾ من حرّ النار ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ وهو الحديد المُذاب.

قال الزجاج[٧]: إنهم يغاثون بماء كالرصاص المذاب أو الصفر، وقيل: هو دُرْديّ الزيت.

وقال أبو عبيدة[٨] والأخفش: هو كلّ ما أذيب من جواهر[٩] الأرض من حديد ورصاص ونحاس.

وقيل: هو ضرب من القَطِران. ثم وصف هذا الماء الذي يغاثون به بأنه ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ﴾ إذا قدّم إليهم صارت وجوههم مشوية لحرارته ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ شرابُهم هذا ﴿وَسَآءَتْ﴾ النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾: متّكأ، يقال: ارتفقتُ؛ أي: اتكأتُ، وأصل الارتفاق: نصب المرفق، ويقال: ارتفق الرجل: إذا نام على مِرفقه، وقال

---

(١) في «الصحاح» (٤/١٤٩٦). (٢) انظر: «ملحق ديوانه» (ص١٧٢).
(٣) انظر: «جامع البيان» (١٥/٢٤٦)، و«مجاز القرآن» (١/٣٩٩).
(٤) انظر: «ديوان سلامة بن جندل» (ص١٨٤).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/٢٦١). (٦) في «تفسير غريب الحديث» (ص٢٦٧).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/٢٨٢). (٨) في «مجاز القرآن» (١/٤٠٠).
(٩) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٤/٢٣٣ ـ ٢٣٤).

القتيبي[١]: هو المجْلس، وقيل: المجتمع.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هذا شروعٌ في وعد المؤمنين بعد الفراغ من وعيد الكافرين. والمعنى: إنّ الذين آمنوا بالحق الذي أُوحي إليك، وعملوا الصالحات مِنْ الأعمال ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ هذا خبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، والعائد محذوف؛ أي: من أحسن منهم عملاً، وجملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ استئناف لبيان الأجر، والإشارة إلى (مَنْ) تقدّم ذكره؛ وقيل: يجوز أن يكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ خبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وتكون جملة ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراضاً، ويجوز أن يكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ خبراً بعد خبر.

وقد تقدّم الكلام في ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾، وفي كيفية جري الأنهار من تحتها ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ قال الزجّاج[٢]: أساور جمع أسوِرة، وأسورة جمع سِوار، وهي زينة تُلبس في الزند من اليد وهي من زينة الملوك، قيل: يُحْلّى كل واحد منهم ثلاثة أسورة: واحد من فضة، وواحد من لؤلؤ، وواحد من ذهب، وظاهر الآية أنّها جميعها مِنْ ذهب، ويمكن أنْ يكون قول القائل هذا جمعاً بين الآيات لقوله سبحانه في آية أخرى: ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١] ولقوله في آية أخرى: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣] و[فاطر: ٣٣] ومن في قوله ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ للابتداء، وفي ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ للبيان[٣].

وحكى الفرّاء[٤] يَحْلَون بفتح الياء وسكون الحاء وفتح اللام، يقال: حَلِيتْ المرأةُ تَحْلَى فهي حالية إذا لبست الحَليّ ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ قال الكسائي[٥]: السُّنْدس: الرقيقُ واحده سندسة، والإستبرق ما ثَخُن وكذا قال المفسِّرون، وقيل: الإستبرق هو الديباج كما قال الشاعر[٦]:

.... وإسْتَبْرقُ الديباجِ طَوْراً لباسُها[٧]

---

(١) في «تفسير غريب القرآن» (ص٢٦٧).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٨٣).
(٣) «الفريد» (٣/ ٣٣٤)، و«التبيان» (٢/ ٨٤٦)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٢٧).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٦٥).
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٥٥).
(٦) نسبه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥)، وكذلك ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٥٥) إلى المرقش.
(٧) وصدر البيت:
تراهنَّ يلبَسنَ المشاعر مرةً

وقيل: هو المَنْسوج[١] بالذهب.

قال القتيبي[٢]: هو فارسيّ مُعرَّب. قال الجوهري[٣]: وتصغيره أُبَيرق، وخصّ الأخضر؛ لأنّه الموافق للبصر، ولكونه أحسنَ الألوان.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ قال الزجّاج[٤]: الأرائك جمع أَرِيكة، وهي السُّرُر في الحِجال، وقيل: هي أسرّة مِنْ ذهب مكلّلة بالدرّ والياقوت، وأصل اتكأ أو تكأ، وأصل متكئين: مُوْتكئين، والاتكاء: التّحامل على الشيء ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ ذلك الذي أثابهم الله به ﴿وَحَسُنَتْ﴾ تلك الأرائك ﴿مُرْتَفَقًا﴾؛ أي: مُتكأً وقد تقدّم قريباً.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عَنْ مجاهد[٥] في قوله: ﴿مُلْتَحَدًا﴾ قال: ملتجأً.

وأخرج ابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الشُعَب» عن سلمان[٦] قال: جاءت المؤلّفة قلوبهم: عيينة بن بدر، والأقرع بن حابس قالوا: يا رسول الله، لو جلست في صدر المجلس وتغيبت عن هؤلاء وأرواح جِبابهم، يعنون: سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف، جالسناك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا﴾ زاد أبو الشيخ عن سلمان أن رسول الله ﷺ قام يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبّر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا والممات.

وأخرج ابنُ جرير، والطبراني، وابن مردويه عن عبد الرحمٰن بن سهل بن حُنيف[٧] قال: نزلتْ على رسول الله ﷺ وهو في بعض أبياته ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ

---

(١) نقله الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٠٥) عن ابن بحر.

(٢) في «تفسير غريب القرآن» (ص٢٦٧).

(٣) في «الصحاح» (٤/ ١٤٥٠).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٨٤).

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٨٠).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٠٤٩٤).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٣٨، ٢٣٩)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٤) وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وقد ذكر الطبراني عبد الرحمٰن في الصحابة». وقال ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ١٣٠): «عبد الرحمٰن هذا ذكره أبو بكر بن أبي داود في الصحابة، وأمّا أبوه فمن سادات الصحابة ﵁.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ فخرج يلتمسهم فوجد قوماً يذكرون الله منهم ثائر الرأس، وحاف الجلد، وذو الثوب الخَلِق، فلما رآهم جلس معهم وقال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي مَنْ أمرني أَنْ أصبّر نفسي معهم».

وأخرج البزار عَنْ أبي سعيد وأبي هريرة[١] قالا: «جاء رسولُ الله ﷺ ورجل يقرأ سورة الحِجْر أو سورة الكهف فسكت، فقال رسول الله ﷺ: هذا المجلس الذي أُمرتُ أَن أصبّرَ نفسي معهم».

وفي الباب روايات.

وأخرجَ ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن نافع[٢] قال: أخبرني عبدُ الله بن عمر في هذه الآية ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾: أَنّهم الذين يشهدون الصلوات الخمس.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر عن ابن عباس[٣] مثله.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق عمرو بن شعيب[٤] عَنْ أبيه عن جدّه في قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية قال: نزلت في صلاة الصبح وصلاة العصر.

أخرج ابنُ مردويه[٥] من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ قال: نزلت في أُميّة بن خلف، وذلك أنه دعا النبيّ ﷺ إلى أمرٍ كرهه اللهُ مِنْ طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة، فأنزل الله هذه الآية، يعني: مَنْ ختمنا على قلبه يعني: التوحيد ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ يعني: الشرك ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ يعني: فرطاً في أمر الله وجهالة بالله.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[٦] عن ابن بريدة قال: دخل عيينة بن حصن على النبيّ ﷺ في يوم حارّ، وعنده سلمان عليه جُبة صوف، فصار منه ريح العرق في

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٣٢١ ـ «كشف»).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢١١٧): «رواه البزار متصلاً ومرسلاً، وفيه عمرو بن ثابت، أبو المقدام وهو متروك».
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٩/ ٢٦٥).
(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٨٢).
(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٨٢).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٨٢).
(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٧).

الصوف، فقال عُيينة: يا محمد إذا نحن أتيناك فأخرج هذا وضرباءه مِنْ عندك لا يؤذينا، فإذا خرجنا فأنت وهم أعلم، فأنزل الله ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ الآية.

وقد ثبت في «صحيح[١] مسلم» في سبب نزول الآية [٣/١٩٦] المتضمنة لمعنى هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢] عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبيّ ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبيّ ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنتُ أنا وابن مسعود ورجل من هُذيل وبلال ورجلان نسيت اسمهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدّث نفسه، فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: ٥٢] الآية.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٢] في قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ قال: ضياعاً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عن قتادة ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ﴾ قال: هو القرآن.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ يقول: مَنْ شاء الله له الإيمان آمن، ومَنْ شاء له الكفر كفرَ، وهو قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عنه قال: في الآية هذه تهديد ووعيد.

وأخرج ابن جرير[٦] عنه أيضاً في قوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ قال: حائط من نار.

وأخرج أحمد، والترمذي، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وأبو يعلى، وابن أبي

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٤٥، ٤٦/٢٤١٣).

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٣٨٤)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٨).

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/٢٣٥٨).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/٢٤٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٧٧) بسند صحيح.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/٢٣٥٨).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/٢٤٦) بسند ضعيف.
ابن جريج لم يسمع من ابن عباس.

حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم، وصححه، وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري[(١)] عن النبيّ ﷺ قال: «لِسُرادق النار أربعةُ جُدر، كثافة كل جدار منها مسيرة أربعين سنة».

وأخرج أحمد، والبخاري في «تاريخه»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه عن يعلى بن أُمية[(٢)] قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ البحر هو من جهنم، ثم تلا ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾».

وأخرج أحمد، والترمذي، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن حبّان، والحاكم، وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي سعيد الخُدْري[(٣)] عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: «كعَكَرِ الزيت، فإذا قُرّب إليه سقطتْ فروةُ وجهه فيه».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[(٤)] في قوله: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: أسود كعَكَرِ الزيت.

وأخرج ابن أبي شيبة، وهنّاد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عطيّة قال: سئل ابن عباس[(٥)] عن المهل فقال: ماء غليظ كدُرْديّ الزيت.

وأخرج هناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني عن ابن مسعود[(٦)] أنه سُئل عن المُهل، فدعا بذهب وفضة فأذابه، فلما

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١١٢٣٤)، والترمذي رقم (٢٥٨٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» رقم (٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٤٧)، وأبو يعلى رقم (١٣٨٩)، والحاكم (٤/ ٦٠٠، ٦٠١). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد رقم (١٧٩٦٠)، والبخاري في «تاريخه» (٨/ ٤١٤)، وابن أبي الدنيا رقم (١٨٥ ـ «صفة النار»)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٤٧)، والحاكم (٤/ ٥٩٦)، والبيهقي في «البعث» رقم (٤٩٦، ٤٩٧) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد رقم (١١٦٧٢)، وعبد بن حميد رقم (٩٢٨ ـ «المنتخب»)، والترمذي رقم (٢٥٨٤)، وأبو يعلى رقم (١٣٧٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٥٠)، وابن حبان رقم (٧٤٧٣)، والحاكم (٢/ ٥٠١) و(٤/ ٦٠٤)، والبيهقي في «البعث» رقم (٦٠٤). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٤٩) بسند صحيح.

(٥) أخرجه هناد في «الزهد» رقم (٢٨٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٤٩) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه هناد في «الزهد» رقم (٢٨٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٤٨)، والطبراني رقم (٩٠٨٢، ٩٠٨٣). =

ذاب قال: هذا أشبه شيء بالمُهل الذي هو شراب أهل النار ولونُه لون السماء، غير أن شراب أهل النار أشدّ حرّاً مِنْ هذا.

وأخرج ابنُ جرير(١) عن ابن عمر قال: هل تدرون ما المُهْل؟ المهل: مهل الزيت، يعني: آخرَه.

وأخرج ابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتم عَنْ مجاهد(٢) في قوله: ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ قال: مُجْتَمعاً.

وأخرج البخاري، ومسلم عن أبي هريرة(٣) أن النبيّ ﷺ قال: «تبلغ الحلية من المؤمن حيثُ يبلغ الوضوءُ».

وأخرج البيهقي(٤) عن أبي الخير مَرْثد بن عبد الله قال: في الجنة شجرة تُنبت السندس، منه يكون ثياب أهل الجنة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير عن عكرمة(٥) قال: الإستبرق: الديباج الغليظ.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم عن مجاهد(٦) مثله.

وأخرج ابن أبي حاتم(٧) عن الهيثم بن مالك الطائي قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الرجل ليتكىء المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحوّل منه ولا يَمَلّه، يأتيه ما اشتهت نفسُه ولذّت عينه».

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٨) قال: الأرائك: السُّرُر في جوف الحِجال عليها الفُرُش منضودٌ في السماء فرسخ.

= وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٥): «فيه يحيى الحماني وهو ضعيف».

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٧) من طريق يزيد بن أبي سمية، به.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٨٦).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٥٩٥٣)، ومسلم رقم (٢٥٠).

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» رقم (٣٢٤).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٣٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٦٤) بسند صحيح.

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٨٨) عن الضحاك.

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٠).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٦٥) بسند صحيح.

وأخرج البيهقي في «البعث»[(١)] عنه قال: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحَجَلة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن عكرمة[(٢)] أنَّه سُئل عَنْ الأرائك فقال: هي الحِجال على السرر.

[قصة الرجلين والجنتين]:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾.

قوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ هذا المَثَل ضربه الله سبحانه لمن يتعزّز بالدنيا، ويستنكف عن مجالسة الفقراء فهو على هذا متصل بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقد اختُلف في الرجلين هل هما مقدّران أو محققان؟ فقال بالأوّل: بعض المفسرين. وقال بالآخر: بعض آخر. واختلفوا في تعيينهما[(٣)]، فقيل: هما أخوان من بني إسرائيل، وقيل: هما أخوان مخزوميان من أهل مكة: أحدهما مؤمن،

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» رقم (٣٣٤).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٤٦٦) من طريق أبي رجاء، عن الحسن، به.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/٢٦٩)، و«زاد المسير» (٥/١٣٩).

والآخر كافر، وقيل: هما المذكوران في سورة الصافات في قوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات: ٥١].

وانتصاب ﴿مَّثَلًا﴾ و﴿رَّجُلَيْنِ﴾ على أنهما مفعولا[١] (اضرب)، قيل: والأوّل هو الثاني والثاني هو الأوّل ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ هو الكافر، و﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾ بيان لما في الجنتين؛ أي: مِنْ كروم متنوعة ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ الحفّ الإحاطة، ومنه ﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥] ويقال: حف القومُ بفلان يحفون حفاً؛ أي: أطافوا به.

فمعنى الآية: وجعلنا النخل مطيفاً بالجنتين مِنْ جميع جوانبهما ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾؛ أي: بين الجنتين، وهو وسطهما، ليكون كل واحد منهما جامعاً للأقوات والفواكه.

ثم أخبر سبحانه عن الجنتين بأن كل واحدة منهما كانت تؤدّي حملها وما فيها، فقال: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ أخبر عن ﴿كِلْتَا﴾ بـ﴿ءَاتَتْ﴾؛ لأن لفظه مفرد[٢]، فراعى جانب اللفظ. وقد ذهب البصريون[٣] إلى أنّ كلتا وكلا اسم مفرد غير مثنى.

وقال الفراء[٤]: هو مثنى. وهو مأخوذ مِنْ كُلٍّ فخففت اللام وزيدت الألف للتثنية.

وقال سيبويه[٥]: ألف كلتا للتأنيث، والتاء بدل من لام الفعل، وهي واو، والأصل: كلوا.

وقال أبو عمر[٦]: التاء ملحقة وأكلهما هو: ثمرهما، وفيه دلالة على أنه قد صار صالحاً للأكل.

وقرأ عبد الله بن مسعود (كل الجنتين آتى أُكلَه)[٧].

---

(١) «التبيان» (٢/ ٨٤٦ ـ ٨٤٧)، و«الفريد» (٣/ ٣٣٦).
(٢) أي: أن كلتا مفرد اللفظ مثنى المعنى، وكِلا مفرد اللفظ مجموع المعنى.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٧٣).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٤٢ ـ ١٤٣).
(٥) انظر: «الكتاب» (٤/ ٣١٧).
(٦) أبو عمر الجَرْمي. كما في «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٧٤)، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٣٧).
(٧) «روح المعاني» (١٥/ ٣٣٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٧٤)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٤٣). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾؛ أي: لم تنقص من أكلها شيئاً، يقال: ظلمه حقّه؛ أي: نقصَه، ووصف الجنتين بهذه الصفة للإشعار بأنهما على خلاف ما يعتاد في سائر البساتين فإنها في الغالب تكثر في عام، وتقلّ في عام.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾؛ أي: أجرينا وشققنا وسط الجنتين نهراً ليسقيهما دائماً من غير انقطاع، وقُرئ (فجّرنا) بالتشديد[1] للمبالغة، وبالتخفيف[2] على الأصل ﴿وَكَانَ لَهُ﴾؛ أي: لصاحب الجنتين ﴿ثَمَرٌ﴾ قرأ أبو جعفر، وشيبة، وعاصم، ويعقوب، وابن أبي إسحاق (ثَمَر) بفتح[3] الثاء والميم.

وكذلك قرءوا في قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ وقرأ أبو عمرو بضم الثاء[4] وإسكان الميم فيهما.

وقرأ الباقون[5] بضمهما جميعاً في الموضعين.

قال الجوهري[6]: الثمرة واحدة الثمر، وجمع الثمر ثِمار مثل جبل وجبال.

قال الفراء[7]: وجمع الثمار: ثُمُر، مثل: كتاب وكُتُب، وجمع الثُّمُر: أثمار، مثل: عُنُق وأَعناق.

وقيل: الثُّمُر جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، وقيل: هو الذهب والفضة خالصة ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾؛ أي: قال صاحب الجنتين الكافر لصاحبه المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾؛ أي: والكافر يحاور المؤمن.

والمعنى: يُراجعه الكلامَ ويجاوبه، والمحاورة: المراجعةُ، والتحاور التجاوب

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ١٧٤)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٣٨)، و«التبيان» (٢/ ٨٤٧)، و«زاد المسير» (٥/ ١٤٠).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة المتواترة بالتشديد، وقراءة التخفيف شاذة.

(٣) «فتح الباري» (٨/ ٣٠٨)، و«جامع البيان» (١٥/ ٢٥٩)، و«النشر» (٢/ ٣١٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٥٩).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص٢٠٧): هي ثلاث قراءات متواترة لكن الصواب في العزو هو كالآتي قرأ عاصم وأبو جعفر ويعقوب بفتح الثاء والميم في الموضع الأول (ثَمَر) وقرءوا عدا «رويس» كذلك في الموضع الثاني، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وسكون الميم في الموضعين (ثُمْر) وقرأ باقي العشرة بالضم في الموضعين ومعهم رويس في الموضع الثاني.

(٥) «التيسير» (ص١٤٣)، و«النشر» (٢/ ٣١٠)، و«زاد المسير» (٥/ ١٤٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٧٥)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٣٩).

(٦) في «الصحاح» (٢/ ٦٠٥).

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٤٤).

﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ النفر: الرهط، وهو ما دون العشرة، وأراد ها هنا الأتباع والخدم والأولاد ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾؛ أي: دخل الكافر جنةَ نفسِه.

قال المفَسّرون[(١)]: أخذ بيد أخيه المسلم، فأدخله جنتَه يطوّف به فيها، ويُريه عجائبَها، وإفراد الجنة هنا يحتمل: أنّ وجهه: كونه لم يُدخل أخاه إلا واحدةً منهما، أو لكونهما لما اتصلا كانا كواحدةٍ، أو لأنه أدخله في واحدة، ثُمّ واحدة، أو لعدم تعلّق الغَرَض بذكرهما.

وما أبعد ما قاله صاحبُ «الكشّاف»[(٢)]: أنّه وحد الجنّة للدلالة على أنه لا نصيب له في الجنّة التي وعد المؤمنون.

وجملة ﴿وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ في محل نصب[(٣)] على الحال؛ أي: وذلك الكافر ظالمٌ لنفسه بكفره وعجبه ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾؛ أي: قال الكافر لفرط غفلته وطول أمله: ما أظن أَنْ تفنى هذه الجنّة التي تشاهدها ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ أنكر البعث بعد إنكاره لفناء جنته.

قال الزجاج[(٤)]: أخبر أخاه بكفره بفَنَاء الدنيا وقيام الساعة ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾ اللّام هي الموطئة للقَسَم.

والمعنى: أنّه إنْ يردّ إلى ربه فَرْضاً وتقديراً كما زعم صاحبُه، واللام في ﴿لَأَجِدَنَّ﴾ جواب القسم والشرط؛ أي: لأجدنّ يومئذٍ خيراً من هذه الجنة، في

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٧٦)، و«جامع البيان» (١٥/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤)، و«المحرر الوجيز» (١٠/ ٤٠٢ ـ ٤٠٤).

(٢) الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٨٦).

● قال الألوسي في «روح المعاني» (١٥/ ٣٤٠): «﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾؛ أي: كل ما هو جنةٌ له يتمتعُ بها، بناء على أنَّ الإضافة للاستغراق والعموم، فتُفيدُ ما أفادته التثنية مع زيادةٍ، وهي الإشارة إلى أنّه لا جنة له غير ذلك، ولا حظَّ له في الجنة التي وعد المتقون، وإلى هذا ذهب الزمخشري، وهو معنى لطيفٌ دقَّ تصوُّرُه على أبي حيان فتعقبه بما تعقبه، واختار أنّ الإفراد؛ لأنَّ الدخول لا يمكن أن يكون في الجنتين معاً في وقت واحد، وإنما يكون في واحدةٍ واحدةٍ، وهو خالٍ عمَّا أشير إليه من النكتة. وكذا ما قيل: إنَّ الإفرادَ لاتصال إحداهما بالأخرى».

«البحر المحيط» (٧/ ١٧٦)، و«فتوح الغيث في الكشف عن قناع الرِّيب» وهو حاشية الطيبي على «الكشَّاف» (٩/ ٤٧١)، و«التبيان» (٢/ ٨٤٧).

(٣) «الفريد» (٣/ ٣٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٧٦).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٨٥).

مصاحف مكة والمدينة والشام (خيراً منهما)[(١)] وفي مصاحف أهل البصرة والكوفة (خيراً منها)[(٢)] على الإفراد.

و﴿مُنقَلَبًا﴾ منتصب[(٣)] على التمييز؛ أي: مَرْجعاً وعاقبةً، قال هذا قياساً للغائب على الحاضر، وأنّه لما كان غنيّاً في الدنيا، سيكون غنيّاً في الأخرى، اغتراراً منه بما صار فيه منْ الغنى الذي هو استدراج[(٤)] له من الله ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾؛ أي: قال للكافر صاحبه المؤمن حال محاورته له مُنْكِراً عليه ما قاله: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ بقولك: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ وقال: خلقك من تراب؛ أي: جعل أصل خلقك من تراب؛ حيثُ خلق أباك آدم منه، وهو أصلك، وأصل البشر فلكل فرد حظ من ذلك.

وقيل: يحتمل أنه كان كافراً بالله فأنكر عليه ما هو عليه من الكفر، ولم يقصد أنّ الكفر حدث له بسبب هذه المقالة ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهي المادّة[(٥)] القريبة ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾؛ أي: صيّرك إنساناً ذكراً، وعدّل أعضاءَك وكمّلك، وفي هذا تلويح بالدليل [٣/١٨٩] على البعث، وأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة.

وانتصاب ﴿رَجُلًا﴾ على الحال أو التمييز ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ كذا قرأ الجمهور بإثبات[(٦)] الألف بعد لكنّ المشددة.

وأصله (لكنْ أنا) حذفت الهمزة وألقيت حركتها على النون الساكنة قبلها فصار لكنّنا، ثم استثقلوا اجتماع النونين فسكنت الأولى وأدغمت الثانية، وضمير (هو)[(٧)] للشأن.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣١١)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٧٦)، و«التيسير» (ص١٤٣)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٤٢)، و«التبيان» (٢/ ٨٤٧).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان فقراءة أهل المدينة نافع وأهل مكة ابن كثير وكذا قراءة أهل الشام ابن عامر وهي قراءة أبي جعفر بالتثنية، والباقون يقرءون بالإفراد. اهـ.

(٣) «الفريد» (٣/ ٣٣٨).

(٤) «روح المعاني» (١٥/ ٣٤٢)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٤٩٩).

(٥) «روح المعاني» (١٥/ ٣٤٣).

(٦) «التيسير» (ص١٤٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٧٧)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٤٤). الجمهور يقرءون بإثبات الألف: أي في الرسم ولا يقرءون بالألف إلّا وقفاً لا وصلاً وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ورويس عَن يعقوب كما قال المؤلف بإثباتها وصلاً ووقفاً.

(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٤٥)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٤٥).

والجملة بعده خبره والمجموع خبر أنا، والراجع ياء الضمير، وتقدير الكلام: لكن أنا الشأن اللهُ ربي.

قال أهل العربية: إثبات ألف أنا في الوصل ضعيف.

قال النّحاس[١]: مذهب الكسائي[٢]، والفرّاء[٣]، والمازني[٤] أنّ الأصل: لكن أنا، وذكر نحو ما قدّمنا. ورُوي عن الكسائي أنّ الأصل: لكنْ الله هو ربي أنا.

قال الزجاج[٥]: إثبات الألف في لكنا في الإدراج جيد لأنها قد حُذفت الألف من أنا فجاءوا بها عوضاً، قال: وفي قراءة أُبيّ (لٰكن أنا هو الله ربي)[٦] وقرأ ابن عامر والمثنى عن نافع، ورويس عن يعقوب (لٰكنا) في حال الوصل والوقف معاً بإثبات الألف، ومثله قول الشاعر:

أنـا سيـفُ الـعـشـيـرة فـاعـرفـونـي ... فـإنـي قـد تَـذّرْبْـت الـسَّـنَـامـا[٧]

ومنه قول الأعشى[٨]:

فـكـيـفَ أنـا وألـحـانُ الـقـوافـي ... وبـعـدَ الـشـيـب يـكـفـي ذاك عـارا

ولا خلاف في إثباتها في الوقف، وقرأ أبو عبد الرحمٰن السلمي وأبو العالية، وروي عن الكسائي[٩] (لٰكنْ هو الله ربي). ثم نفى عن نفسه الشرك بالله، فقال: ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ وفيه إشارة إلى أن أخاه كان مشركاً، ثم أقبل عليه يلومه، فقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لولا للتحضيض؛ أي: هلّا قلتَ عندما دخلتها هذا القول.

---

(١) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧).

(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٥٦). (٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٤٤).

(٤) ذكره النحاس في «إعرابه» (٢/ ٤٥٦). (٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٨٦).

(٦) «التيسير» (ص١٤٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٧٧)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٤٤). رواية المثنّى عن نافع شاذة.

(٧) انظره في: «جامع البيان» (١٥/ ٢٦٤)، و«خزانة الأدب» (٥/ ٢٤٢).

(٨) انظر: «ديوان الأعشى» (ص١٠٣).
والذي في «الديوان»:
فـمـا أنـا أم مـا انـتـحـالـي الـقـوا ... في بـعـد الـمـشـيـب كـفـى ذاك عـارا

(٩) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٥٦). القراءة عن أبيٍّ والرواية عن الكسائي شاذة مخالفة للرسم.

قال الفراء[١]، والزجّاج[٢]: «ما» في موضع رفع على معنى الأمر ما شاء الله؛ أي: هلّا قلتَ حين دخلتها: الأمر بمشيئة الله، وما شاء الله كان. ويجوز أن تكون «ما» مبتدأ والخبر مقدّر؛ أي: ما شاء الله كائنٌ، ويجوز أن تكون «ما» شرطية والجواب محذوف؛ أي: أيّ شيء شاء الله كان ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾؛ أي: هلا قلت: ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله؛ تحضيضاً له على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله، إنْ شاء أبقاها وإنْ شاء أفناها، وعلى الاعتراف بالعجز، وأن ما تيسر له مِنْ عمارتها إنما هو بمعونة الله لا بقوّته وقدرته.

قال الزجاج[٣]: لا يقوى أحد على ما في يده من مُلْك ونعمة إلا بالله، ولا يكون إلا ما شاء الله.

ثم لما علّمه الإيمان وتفويضَ الأمور إلى الله سبحانه أجابه على افتخاره بالمال والنّفَر فقال: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ المفعول الأوّل[٤] ياء الضمير، وأنا ضمير فصل، وأقلّ المفعول الثاني للرؤية إنْ كانت عِلْمية، وإن جُعلت بَصرية كان انتصاب أقلّ على الحال، ويجوز أن يكون أنا تأكيد لياء الضمير، وانتصاب ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ على التمييز[٥].

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ هذا جواب الشرط؛ أي: إنْ ترني أفقر منك، فأنا أرجو أن يرزقني الله سبحانه جنةً خيراً من جنتك في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾؛ أي: ويرسلَ على جنتك حُسْباناً، والحسبان مصدر، بمعنى: الحِسَاب كالغُفْران؛ أي: مقداراً قدّره الله عليها، ووقع في حسابه سبحانه، وهو الحكم بتخريبها.

قال الزجاج[٦]: الحُسْبان من الحِساب؛ أي: يرسل عليها عذاب الحساب، وهو حساب ما كسبت يداك.

وقال الأخفش[٧]: حسباناً؛ أي: مرامي ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ واحدها حسبانة، وكذا

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٤٥).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٥٧).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٥٧).
(٤) «الفريد» (٣/ ٣٣٩)، و«التبيان» (٢/ ٨٤٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٨٠).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٩٠).
(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٠٧)، والجوهري في «الصحاح» (١/ ١١١).

قال أبو عُبيدة[١] والقتيبي[٢].

وقال ابنُ الأعرابي[٣]: الحُسْبانة: السحابة، والحسبانة الوِسادة، والحسبانة: الصّاعقة.

وقال النضر بن شميل[١]: الحُسْبان: سهامٌ يرمي بها الرجل في جوف قصبة تنزع في قوس، ثم يرمي بعشرين منها دفعةً، والمعنى: يرسل عليها مرامي من عذابه: إما بَرَدٍ، وإما حجارةٍ أو غيرِهما ممّا يشاء من أنواع العذاب. ومنه قول أبي زياد[٤] الكلابي[٥]: أصاب الأرضُ حُسبانٌ؛ أي: جراد.

﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾؛ أي: فتصبح جنة الكافر بعد إرسال الله سبحانه عليها حُسْباناً صَعيداً؛ أي: أرْضاً لا نباتَ بها وقد تقدّم تحقيقه، زَلَقاً؛ أي: تزلّ فيها الأقدامُ لملاستها، يقال: مكان زَلَق بالتحريك؛ أي: دَحْض، وهو في الأصل مصدر قولك: زلقتْ رجلُه تزلق[٦] زَلَقاً وأزلقها غيره، والمَزْلَقة: الموضع الذي لا يثبت عليه قدمٌ، وكذا الزَلّاقة، وصف الصعيد بالمصدر مبالغة، أو أريد به المفعول.

وجملة ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ معطوفة على الجملة التي قبلها والغَوْرُ: الغائر. وصف الماء بالمصدر مبالغةً.

والمعنى: أنها تصير عادمة للماء بعد أن كانت واجدة له، وكان خلالها ذلك النهر يسقيها دائماً، ويجيء الغَوْر بمعنى: الغروب، ومِنْه قول أبي[٧] ذوئيب:

هل الدهرُ إلا ليلةٌ ونهارُها وإلا طلوعُ الشمسِ ثمّ غيارُها

﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾؛ أي: لن تستطيعَ طلب الماء الغائر فضلاً عن وجوده وردّه ولا تقدر عليه بحيلة من الحيل، وقيل: المعنى: فلن تستطيع طلب غيره عوضاً عنه.

ثم أخبر سبحانه عن وقوع ما رجاه ذلك المؤمن وتوقعّه من إهلاك جنّة الكافر فقال: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ قد قدّمنا اختلاف القرّاء في هذا الحرف وتفسيره، وأصل الإحاطة من إحاطة العدوّ بالشخص كما تقدّم في قوله: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]، وهي عبارة عن إهلاكه وإفنائه، وهو معطوف على مقدّر؛ كأنه قيل: فوقع ما توقعه المؤمن وأحيط بثمره.

---

(١) في «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٣).
(٢) في «تفسير غريب القرآن» (ص٢٦٧).
(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (٤/ ٣٣٢).
(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (٤/ ٣٣٢).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٨٣).
(٦) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٨٣).
(٧) انظر: «ديوان الهذليين» (ص٢١).

﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾؛ أي: يضرب إحدى يديه على الأخرى وهو كناية عن الندم، كأنّه قيل: فأصبح يَنْدمُ ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾؛ أي: في عمارتها وإصلاحها من الأموال.

وقيل: المعنى: يُقلّب[(١)] ملكه فلا يرى فيه عوض ما أنفق؛ لأن المُلك قد يعبر عنه باليد مِنْ قولهم: في يده مال، وهو بعيد جدّاً.

وجملة ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ في محل نصب[(٢)] على الحال؛ أي: والحال أن تلك الجنة ساقطة على دعائمها التي تُعمَد بها الكروم، أو ساقط بعض تلك الجنة على بعض، مأخوذ من خَوت[(٣)] النجومُ تخويٍّ إذا سقطت ولم تُمْطر في نَوئها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل: ٥٢].

قيل: وتخصيص[(٤)] ما له عروش بالذكر دون النخل والزرع؛ لأنه الأصل، وأيضاً إهلاكها مُغنٍ عن ذكر إهلاك الباقي.

وجملة ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ معطوفة على ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾، أو حال من ضميره؛ أي: وهو يقول تمنّى عند مشاهدته لهلاك جنته بأنّه لم يشرك بالله حتى تسلم جنته من الهلاك، أو كان هذا القول منه على حقيقته، لا لما فاته من الغَرض الدنيوي؛ بل لقصد التوبة مِنْ الشرك والندم على ما فَرَط منه.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فئةٌ اسمُ كان، وله خبرها، و﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ صفةً لـ﴿فِئَةٌ﴾؛ أي: فئة ناصرة، ويجوز أن تكون ينصرونه الخبر، ورجّح الأوّل سيبويه[(٥)] ورجح الثاني المبرِّد[(٦)]، واحتج بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] والمعنى: أنّه لم تكن له فرقة وجماعة يلتجئ إليها وينتصر بها، ولا نفعه النفر الذين افتخر بهم فيما سبق ﴿وَمَا كَانَ﴾ في نفسه ﴿مُنتَصِرًا﴾؛ أي: ممتنعاً بقوته عن إهلاك الله لجنته، وانتقامه منه.

﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ قرأ أبو عَمْرو والكسائي الحق بالرفع[(٧)] نعتاً للولاية،

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٠٩).
(٢) «البحر المحيط» (٧/ ١٨١).
(٣) «القاموس المحيط» (ص١٦٥٣)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٠٥).
(٤) «روح المعاني» (١٥/ ٣٥٧). (٥) في «الكتاب» (٤/ ٥٦).
(٦) في «المقتضب» (٤/ ٩٠ ـ ٩١).
(٧) «التيسير» (ص١٤٣)، و«النشر» (٢/ ٣١١)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٦١)، و«الكشف عن =

وقرأ أهل المدينة وأهل مكة وعاصم وحمزة الحق بالجرّ[١] نعتاً لله سبحانه.

قال الزجّاج[٢]: ويجوز النصب على المصدر والتوكيد كما تقول هذا لك حقّاً.

وقرأ الأعمش، وحمزة، والكسائي الوِلاية بكسر الواو[٣]، وقرأ الباقون بفتحها[٤]، وهما لغتان بمعنى، والمعنى هنالك؛ أي: في ذلك المقام النصرةُ لله وحدَه لا يقدر عليها غيره، وقيل: هو على التقديم والتأخير؛ أي: الولاية لله الحق هنالك.

﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾؛ أي: هو سبحانه خير ثواباً لأوليائه في الدنيا والآخرة ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾؛ أي: عاقبة، قرأ الأعمش وعاصم وحمزة (عُقْباً) بسكون القاف[٥].

وقرأ الباقون بضمها[٦]، وهما بمعنى واحد؛ أي: هو خير عاقبة لمن رجاه وآمن به، يقال: هذا عاقبة أمر فلان، وعُقْباه؛ أي: أخراه.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[٧] عن السدّي في قوله: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ قال: الجنّة هي البُسْتان، فكان له بستان واحد وجدار واحد، وكان بينهما نهر، فلذلك كانا جنتين، ولذلك سمّاه جنةً مِنْ قِبل الجدار الذي عليها.

وأخرج ابن أبي حاتم[٨] عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني قال: نهر أبي فرطس نهر الجنتين. قال ابن أبي حاتم: وهو نهر مشهور بالرَّملة.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٩] ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ قال: لم تنقُص، كلّ شجر الجنة أطعم.

= وجوه القراءات» (٢/ ٦٣)، و«جامع البيان» (١٥/ ٢٧٠ ـ ٢٧١).

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٨٩).

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ١٨٢)، و«فتح الباري» (٨/ ٣٠٩)، و«جامع البيان» (١٥/ ٢٧٠)، و«التبيان» (٢/ ٨٤٩). ومع حمزة قرأ أيضاً «خلف».

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ١٨٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٦٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٨٩)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٦١).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٠).

(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٠).

(٩) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٠)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦١).

وأخرج ابن أبي حاتم[(١)] من طريق عليّ بن أبي طلحة عنه ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ يقول: مال.

وأخرج أبو عُبيد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[(٢)]، قال: قرأها ابن عباس ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثُمُرٌ﴾ بالضم[(٣)]، وقال: هي أنواع المال.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[(٤)] ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثُمُرٌ﴾ قال: ذهب وفضة.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٥)] عن قتادة ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ يقول: كفور لنعمة ربّه.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٦)] عن أسماء بنت عميس قالت: علمني رسول الله ﷺ كلماتٍ أقولهنّ عند الكرب: «اللهُ اللهُ ربي لا أشرك به شيئاً».

وأخرج عبد الله بن أحمد[(٧)] في «زوائد الزهد» عن يحيى بن سليم الطائفي عمن ذكره قال: «طلب موسى من ربِّه حاجةً فأبطأت عليه فقال: ما شاء الله، فإذا حاجته بين يديه، فقال: يا رب إنّي أطلب حاجتي منذ كذا وكذا أعطيتها الآن، فأوحى الله إليه: يا موسى، أما علمت أن قولك: ما شاء الله أنجح ما طُلبتْ به الحوائج».

وأخرج أبو يعلى، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أنس[(٨)] قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً في أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوّةَ إلا بالله، إلّا دفع الله عنه كل آفة حتى تأتيه منيّتُه، وقرأ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾»، وفي إسناده عيسى بن عون، عن عبد الملك بن

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦١).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٦٠) بسند صحيح.

(٣) انظر: «النشر» (٢/ ٣١٠)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٣٩).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٠).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٢).

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٢). وهو حديث صحيح أخرجه أحمد رقم (٢٧٠٨٢)، وأبو داود رقم (١٥٢٥).

(٧) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص٦٨).

(٨) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٤٣٦٩)، وفي «الأسماء والصفات» (١/ ٣٣٨، ٣٣٩)، وأبو يعلى كما في «المطالب العالية» رقم (٣٦٧٣)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» رقم (١)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٤٢٦١، ٥٩٩٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٩٨ ـ ١٩٩) بسند ضعيف.

زرارة، عن أنس. قال أبو الفتح الأزدي: [٣/١٩٨] عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة، عن أنس لا يصح حديثه.

وأخرج ابن أبي حاتم[١] من وجه آخر، عن أنس نحوه موقوفاً.

وأخرج البيهقي[٢] في «الشُعب» عنه نحوه مرفوعاً.

وأخرج أحمد[٣] من حديث أبي هريرة قال: قال لي نبيّ الله ﷺ: «ألا أدلُّك على كنزٍ من كنوز الجنة تحت العرش؟ قلت: نعم، قال: أن تقول: لا قوّة إلا بالله». وقد ثبت في «الصحيح» مِنْ حديث أبي موسى، أن النبيّ ﷺ قال له: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوّة إلاّ بالله»، وقد وردت أحاديث وآثار عن السلف في فضل هذه الكلمة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ قال: مثل الجُرُز.

وأخرجَ عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[٥] في قوله: ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: عذاباً فتصبح صعيداً زلقاً؛ أي: قد حُصد ما فيها فلم يُترك فيها شيء ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾؛ أي: ذاهباً قد غار في الأرض ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ قال: يُصفّق ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ متلهِّفاً على ما فاته.

[مثل الحياة الدنيا]:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾.

ثم ضربَ سبحانه مثلاً آخر لجبابرة قريش فقال: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٣).

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٤٣٧٠).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٧٩٦٦، ٨٣٢٦، ٨٧٥٣) بسند حسن. وهو حديث صحيح دون قوله: (تحت العرش).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٦٧) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٠٤) بسند صحيح.

أي: اذكرْ لهم ما يُشْبه الحياة الدنيا في حُسْنها ونضارتها وسرعة زوالها؛ لئلا يركنوا إليها، وقد تقدّم هذا المثل في سورة يونس، ثم بيّن سبحانه هذا المثل فقال: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ويجوز أن يكون هذا هو المفعول الثاني[١] لقوله: ﴿وَٱضْرِبْ﴾ على جعله بمعنى: صيّر ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: اختلط بالماء نبات الأرض حتى استوى.

وقيل: المعنى: إنّ النبات اختلط بعضُه ببعضٍ حينَ نزل عليه الماء؛ لأن النباتَ إنما يختلط ويكثر بالمطر، فتكون الباء في «به» سببية ﴿فَأَصْبَحَ﴾ النبات ﴿هَشِيمًا﴾ الهشيمُ[٢]: الكسيرُ، وهو مِنْ النبات ما تكسّر بسبب انقطاع الماء عنه وتفتّت، ورجل هشيم: ضَعيف البَدَن، وتهشّم عليه فلان: إذا تعّطف. واهتشم ما في ضرع الناقة: إذا احتلبهَ، وهَشَمَ الثريدَ: كسرَه وثردَه، ومنه قول ابن الزِّبَعْرَي[٣]:

عمرو الذي هَشَمَ الثريدَ لقومهِ ورجالُ مكةَ مُسنتون عجافُ

﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾: تُفرِّقه. قال أبو عبيدة[٤]، وابن قتيبة[٥]: تذروه: تَنسِفُه.

وقال ابن كيسان[٦]: تَذْهب به وتجيء، والمعنى متقارب.

وقرأ طلحة بن مُصرّف (تذريه الريحُ) قال الكسائي[٧]: وفي قراءة عبد الله (تُذْريه)[٨] يقال: ذرته الريح تَذْروه، وأذرته تُذريه.

وحكى الفرّاء[٩]: أذريتُ الرجلَ عَنْ فرسه؛ أي: قلبته ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾؛ أي: على كلِّ شيء من الأشياء يُحييه ويُفْنيه بقدرته، لا يَعْجَز عن شيء ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ هذا ردّ على الرؤساء الذين كانوا يفتخرون بالمال والغِنى والأَبناء فأخبرهم سبحانه أنّ ذلك مما يُتزين به في الدنيا لا مما ينفع في الآخرة، كما قال في الآية الأخرى ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

---

(١) «التبيان» (٢/ ٨٥٠)، و«الفريد» (٣/ ٣٤٣).

(٢) «الصحاح» (٥/ ٢٥٨)، و«تهذيب اللغة» (٦/ ٩٤).

(٣) انظر: «ديوانه» (ص٥٣). (٤) في «مجاز القرآن» (١/ ١٦١).

(٥) في «تفسير غريب القرآن» (ص٢٦٨). (٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٩٠).

(٧) «البحر المحيط» (٧/ ١٨٥)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٦٣). وهي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف.

(٨) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٥٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٨٥)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٦٣). وقراءة عبد الله قراءة شاذة.

(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٤٦).

وقال: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]. ولهذا عقّب هذه الزينة الدنيوية بقوله: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾؛ أي: أعمال[1] الخير، وهي ما كان يفعله فقراء المسلمين من الطاعات ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾؛ أي: أفضل مِنْ هذه الزينة بالمال والبنين ثواباً، وأكثر عائدةً ومنفعة لأهلها ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾؛ أي: أفضل أملاً، يعني: أنّ هذه الأعمال الصالحة لأهلها مِنْ الأمل أفضل مما يؤمّله أهلُ المال والبنين؛ لأنهم ينالون بها في الآخرة أفضل مما كان يؤمّله هؤلاء الأغنياء في الدنيا، وليس في زينة الدنيا خير حتى تفضل عليها الآخرة، ولكن هذا التفضيل خرّج مخرج قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤].

والظاهر أنَّ الباقيات[1] الصالحات: كلُّ عملٍ خيرٍ فلا وجه لقصرها على الصلاة كما قال بعض، ولا لقصرها على نوعٍ من أنواع الذكر كما قاله بعضٌ آخر، ولا على ما كان يفعله فقراء المهاجرين باعتبار السبب؛ لأنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وبهذا تعرف أن تفسير الباقيات الصالحات في الأحاديث بما سيأتي لا ينافي إطلاق هذا اللفظ على ما هو عمل صالح من غيرها.

وقد أخرج ابنُ أبي حاتم[2] عن عليّ قال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ﴾ حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد جمعهما الله لأقوام.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر عن ابن عباس[3] في قوله: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وأخرج سعيد بن منصور، وأحمد، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري[4] أن

---

(١) «النكت والعيون» (٣/ ٣١٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٩٢)، و«جامع البيان» (١٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٤).

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٦).

(٤) أخرجه أحمد رقم (١٧١٣)، وأبو يعلى رقم (١٣٨٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ١٧٩)، وابن حبان رقم (٨٤٠)، والحاكم (١/ ٥١٢، ٥١٣) بسند ضعيف. وهو حديث حسن لغيره.

رسول الله ﷺ قال: «استكثروا مِنْ الباقيات الصالحات، قيل: وما هنّ يا رسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله».

وأخرج الطبراني، وابن شاهين، وابن مردويه عن أبي الدرداء(١) مرفوعاً بلفظ: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، هنّ الباقياتُ الصالحات».

وأخرج النّسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني في «الصغير»، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي هريرة(٢) مرفوعاً: «خذوا جُنّتُكم، قيل: يا رسول الله أمِن عدوٍّ قد حضر؟ قال: بل جُنّتُكم مِنْ النار قول: سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر، فإنهنّ يأتين يوم القيامة مُقدّمات مُعقِّبات ومُجنِّبات، وهنّ الباقيات الصالحات».

وأخرج سعيد بن منصور، وأحمد، وابن مردويه عن النعمان بن بشير(٣)، أَنّ رسول الله ﷺ قال: «ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله الباقيات الصالحات».

وأخرج ابن مردويه نحوه من حديث أنس(٤) مرفوعاً، وزاد التكبير وسماهنّ الباقيات الصالحات.

وأخرج ابن مردويه(٥) نحوه من حديث أبي هريرة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه من حديث عائشة(٦) مرفوعاً نحوه، وزادت: «ولا حول ولا قوة إلا بالله».

---

(١) عزاه إليه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٩٠).
وأخرجه ابن ماجه رقم (٣٨١٣). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٦٨٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٧٨)، والطبراني في «الصغير» (١/ ١٤٥)، والحاكم (١/ ٥٤١)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٠٦) بسند حسن.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٩): «رجاله في الصغير رجال الصحيح غير داود بن بلال، وهو ثقة».

(٣) أخرجه أحمد رقم (١٨٣٥٣) بسند ضعيف. وهو حديث صحيح لغيره.

(٤)(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٧).

(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٧).

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه من حديث عليّ[١] مرفوعاً نحوه.

وأخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس[٢] مرفوعاً فذكر نحوه دون الحوقلة.

وأخرج الطبراني[٣] عن سعد بن جنادة مرفوعاً نحوه.

وأخرج البخاري في «تاريخه»، وابن جرير عن ابن عمر[٤] من قوله نحوه.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٥] من قوله نحوه.

وكل هذه الأحاديث مصرحة بأنّها الباقيات الصالحات، وأمّا ما ورد في فضل هذه الكلمات من غير تقييد بكونها المرادة في الآية فأحاديث كثيرة لا فائدة في ذكرها هنا.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[٦] قال: كل شيء مِنْ طاعة الله، فهو مِنْ الباقيات الصالحات.

[من مشاهد يوم القيامة]:

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٧) إلى ابن مردويه.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٧).

(٣) أخرجه الطبراني رقم (٥٤٨٢، ٥٤٨٣) بسند ضعيف.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦٦): «فيه الحسين بن الحسن بن عطية العوفي، وهو ضعيف».

(٤) أخرجه البخاري في «تاريخه» (١/ ٧٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٧٧).

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٨).

(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٩).

[قصة آدم واستكبار إبليس]:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾.

وقولُه: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ قرأ الحسنُ، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر تُسَيَّر بمثناة فوقية مضمومة[1] وفتح الياء التحتية على البناء للمفعول، ورفع الجبال على النيابة عن الفاعل.

وقرأ ابن مُحَيصن ومجاهد (تَسيرُ) بفتح التاء[2] الفوقية والتخفيف على أن الجبال فاعل.

وقرأ الباقون[3] (نُسِّير) بالنون على أَنّ الفاعل هو الله سبحانه، والجبال منصوبة على المفعولية، ويناسب القراءة الأولى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣]، ويناسب القراءة الثانية قوله تعالى: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ١٠].

واختار القراءة الثالثة أبو عُبيدة؛ لأنّها المناسبة لقوله: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ قال بعض النحويين: التقدير[4] والباقيات الصالحات خير عند ربك يوم نُسيّر الجبالَ، وقيل: العامل في الظرف فعل محذوف.

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ١٨٧)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٦٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٦٤)، و«زاد المسير» (٥/ ١٠٥). قراءة ابن محيض ومجاهد شاذة، والقراءتان الأخريان متواترتان.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٨٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٨٧).

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ١٨٧)، و«النشر» (٢/ ٣١١)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٦٧)، و«التيسير» (ص١٤٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٩٥).

(٤) «الفريد» (٣/ ٣٤٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٦٠)، و«التبيان» (٢/ ٨٥٠).

• قال النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٦٠): «وهذا غلط من أجل الواو».

والتقدير: واذكر يومَ نُسيّر الجبالَ، ومعنى تسييرُ الجبال: إزالتُها من أماكنها[(١)] وتسييرها كما تُسيّر السحاب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل: ٨٨]، ثم تعود إلى الأرض بعد أن جعلها الله كما قال: ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ۝٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾ [الواقعة: ٥ ـ ٦].

والخطاب في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ لرسول الله ﷺ، أو لكل مَنْ يصلح للرؤية، ومعنى بروزها: ظهورها، وزوال ما يسترها من الجبال والشجر والبنيان.

وقيل: المعنى ببروزها: بروز ما فيها مِنْ الكنوز والأموات كما قال سبحانه: ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ﴾ [الإنشقاق: ٤]، وقال: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]. فيكون المعنى: وترى الأرضَ بارزَة ما في جوفها. ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ﴾؛ أي: الخلائق، ومعنى الحشر: الجَمْعُ؛ أي: جمعناهم إلى الموقف من كلِّ مكان ﴿فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ فلم نترك منهم أحداً، يقال: غادره وأغدره إذا تركه، قال عنترة[(٢)]:

غادرتُه متعفِّراً أوصالُه والقومُ بين مُجَرّح ومجندلِ

أي: تركته، ومنه الغدر؛ لأنّ الغادر ترك الوفاءَ للمغدور، قالوا: وإنما سُمّي الغدير غديراً؛ لأنّ الماء ذهب وتركه، ومنه غدائر المرأة لأنّها تجعلها خلفها.

[تتكشف خبايا القلوب فلا تخفى منها خافية]:

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا﴾ انتصاب[(٣)] صفّاً على الحال؛ أي: مصفوفين، كل أمة وزمرة صف، وقيل: عُرضوا صفّاً واحداً كما في قوله: ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾ [طه: ٦٤]؛ أي: جميعاً، وقيل: قياماً.

وفي الآية تشبيه حالهم بحال الجيش الذي يُعرض على السلطان. ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ﴾ هو على إضمار القول؛ أي: قُلْنا لهم: لقد جئتمونا، والكاف في ﴿كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ نعت مصدر محذوف؛ أي: مجيئاً كائناً كمجيئكم عند أن خلقناكم أوّل مرّة، أو كائنين كما خلقناكم أوّل مرّة؛ أي: حفاةً عراة غُرْلاً، كما ورد ذلك في الحديث.

---

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٣/ ٢٩٢).
وانظر: «النكت والعيون» (٣/ ٣١١)، و«جامع البيان» (١٥/ ٢٨١).
(٢) انظر: «ديوانه» (ص٦٠).
(٣) «التبيان» (٢/ ٨٥٠)، و«الفريد» (٣/ ٣٤٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٦٠)

قال الزجاج[1]: أي: بعثناكم وأعدناكم كما خلقناكم؛ لأن قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ معناه: بعثناكم ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ هذا إضراب وانتقال من كلام إلى كلام للتقريع[2] والتوبيخ، وهو خطابٌ لمنكري البعث؛ أي: زعمتم في الدنيا أن لن تُبعثوا [٣/١٩٩]، وأن لن نجعلَ لكم موعداً نجازيكم بأعمالكم وننجز ما وعدناكم به مِنْ البعث والعذاب.

وجملة ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ معطوفة على ﴿وَعُرِضُواْ﴾، والمراد بالكتاب: «صحائف الأعمال»، وأفرده لكون التعريف فيه للجنس، والوضع إما حسيّ بأن يُوضع صحيفة[3] كل واحد في يده: السعيد في يمينه، والشقيّ في شماله، أو في الميزان. وإمّا عقلي؛ أي: أُظْهر عملُ كل واحدٍ من خيرٍ وشرّ بالحساب الكائن في ذلك اليوم.

﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾؛ أي: خائفين وجلين مما في الكتاب الموضوع؛ لما يتعقّب ذلك من الافتضاح في ذلك الجمع، والمجازاة بالعذاب الأليم.

﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ يدعون على أنفسهم بالويل لوقوعهم في الهلاك، ومعنى هذا النداء قد تقدّم تحقيقه في المائدة ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾؛ أي: أيّ شيء له لا يتركُ معصيةً صغيرةً ولا معصية كبيرة إلا حواها وضبطها وأثبتها ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ﴾ في الدنيا من المعاصي الموجبة للعقوبة، أو وجدوا جزاء ما عملوا ﴿حَاضِرًاۗ﴾ مكتوباً مُثْبَتاً ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾؛ أي: لا يعاقب أحداً مِن عباده بغير ذنبٍ، ولا ينقص فاعل الطاعة من أجره الذي يستحقه.

ثم إنه سبحانه عاد إلى الردّ على أرباب الخُيلاء من قريش، فذكر قصة آدم واستكبار إبليس عليه فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾؛ أي: واذكرْ وقتَ قولنا لهم: اسجدوا سجود تحيةٍ وتكريم، كما مرّ تحقيقه ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ طاعةً لأمر الله وامتثالاً لطلبه السجود ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فإنّه أبى واستكبر ولم يسجد، وجملة ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ مستأنفة لبيان سبب عصيانه، وأنّه كان من الجنّ ولم يكن من الملائكة فلهذا عصى.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٩٢).
(٢) «روح المعاني» (١٥/ ٣٧٢)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٠٥).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٩٨)، و«جامع البيان» (١٥/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

ومعنى ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: أنَّه خرج عَنْ طاعة ربه.

قال الفراء[(١)]: العرب تقول: فسقت الرطبةُ عَنْ قشرها لخروجها منه.

قال النّحاس[(٢)]: اختُلف في معنى ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ على قولين:

الأوّل: مذهب الخليل[(٣)]، وسيبويه أن المعنى: أتاه الفسقُ لما أُمر فَعصَى فكان سببُ الفسق أمرَ ربِّه، كما تقول: أطعمه عَنْ جوع.

والقول الآخر: قول قُطْرب[(٣)]: أن المعنى على حذف المضاف؛ أي: فسق عَنْ ترك أمره.

ثم إنّه سبحانه عجب مِنْ حال مَنْ أطاع إبليس في الكفر والمعاصي وخالف أمر الله فقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾ كأنّه قال: أعقيب ما وُجِد منه من الإباء والفسق تتخذونه؟ وتتخذون ذريَّته؛ أي: أولاده؛ وقيل: أتباعه مجازاً ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ فتطيعونهم بدل طاعتي، وتستبدلونهم بي، والحال أنهم؛ أي: إبليس وذريته ﴿لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾؛ أي: أعداء وأفرده لكونه اسمَ جنسٍ، أو لتشبيهه[(٤)] بالمصادر كما في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ [الشعراء: ٧٧].

وقوله: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤]؛ أي: كيف تصنعون هذا الصُنع، وتستبدلون بمن خلقكم، وأنعم عليكم بجميع ما أنتم فيه من النِّعم؟ بمن لم يكن لكم منه منفعة قط؛ بل هو عدوّ لكم يترقب حصول ما يضركم في كل وقت! ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾؛ أي: الواضعين للشيء في غير موضعه، المستبدلين بطاعة ربهم طاعة الشيطان، فبئس ذلك البدلُ الذي استبدلوه بدلاً عن الله سبحانه.

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال أكثر المفسرين[(٥)]: إنَّ الضميرَ للشركاء.

والمعنى: أنّهم لو كانوا شركاءَ لي في خلق السمٰوات والأرض وفي خلق أنفسهم لكانوا مشاهدين خلق ذلك، مشاركين لي فيه، ولم يشاهدوا ذلك ولا أشهدتهم إياه أنا فليسوا لي بشركاء.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٤٧).

(٢) في «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٩٤).

(٤) «روح المعاني» (١٥/ ٣٨٣)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٠٧).

(٥) «روح المعاني» (١٥/ ٣٨٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٠٤)، و«جامع البيان» (١٥/ ٢٩٥).

وهذا استدلال بانتفاء الملزوم المساوي على انتفاء اللّازم، وقيل: الضمير للمشركين[١] الذين التمسوا طرد فقراء المؤمنين، والمراد: أنهم ما كانوا شركاء لي في تدبير العالَم؛ بدليل أنّي ما أشهدتُهم خلقَ السمٰوات والأرض ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ وما اعتضدتُ بهم؛ بل هم كسائر الخلق.

وقيل: المعنى: أنَّ هؤلاء الظالمين جاهلون بما جرى به القلم في الأزل؛ لأنّهم لم يكونوا مشاهدين خلق العالم، فكيف يمكنهم أَنْ يحكموا بحسن حالهم عند الله؟ والأوّل مِنْ هذه الوجوه أولى لما يلزم في الوجهين الآخرين من تفكيك الضميرين، وهذه الجملة مستأنفة لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور.

وقرأ أبو جعفر (ما أشهدناهم)[٢]، وقرأ البَاقون[٣] (ما أشهدتُهم)، ويؤيده ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ والعَضُد يستعمل كثيراً في معنى العون، وذلك أن العَضُد قِوام اليد، ومنه قوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥]؛ أي: سنُعينك ونقوّيك به، ويقال: أعضدتُ بفلانٍ إذا استعنت به، وذكر العضد على جهة المثَل، وخصّ المضلين بالذكر لزيادة الذمّ والتوبيخ[٤].

والمعنى: ما استعنتُ على خلق السمٰوات والأرض بهم، ولا شاورتهم وما كنت متخذ الشياطين أو الكافرين أعواناً، ووحّد العضدَ لموافقة الفواصل.

وقرأ أبو جعفر والجَحْدري (وما كنتَ) بفتح التاء[٥] على أن الخطاب للنبيّ ﷺ؛ أي: وما كنتَ يا محمد متخذاً لهم عَضُداً ولا صح لك ذلك.

وقرأ الباقون بضم التاء[٦]. وفي عَضُد لغات ثمانٍ[٧] أفصحها فتح العين وضمّ الضاد، وبها قرأ الجمهور.

---

(١) «المحرر الوجيز» (١٠/ ٤١٥ ـ ٤١٦).
(٢) «النشر» (٢/ ٣١١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٠٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٩٠)، و«التبيان» (٢/ ٨٥١). وهما قراءتان متواترتان.
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «روح المعاني» (١٥/ ٣٨٨).
(٥) «النشر» (٢/ ٣١١)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٩١)، و«المحرر الوجيز» (١٠/ ٤١٤). قراءة أبي جعفر والجحدريِّ قراءة متواترة.
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) «التبيان» (٢/ ٨٥١)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٦٠).

وقرأ الحسن «عُضُد» بضم العين[(١)] والضاد. وقرأ عكرمة بضم العين[(٢)] وإسكان الضاد، وقرأ الضحاك بكسر العين[(٣)] وفتح الضاد، وقرأ عيسى بن عمر بفتحهما[(٤)]، ولغة تميم فتح العين وسكون الضاد.

ثم عاد سبحانه إلى ترهيبهم بأحوال القيامة فقال: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ قرأ حمزة ويحيى بن وثّاب وعيسى بن (عمر) نقول بالنون[(٥)].

وقرأ الباقون[(٦)] بالياء التحتية؛ أي: اذكرْ يوم يقول الله ﷻ للكفار توبيخاً لهم وتقريعاً: نادوا شركائي الذين زعمتم أنّهم ينفعونكم ويشفعون لكم، وأضافهم سبحانه إلى نفسه جرياً على ما يعتقده المشركون، تعالى الله عن ذلك ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾؛ أي: فعلوا ما أمرَهم الله به من دعاء الشركاء ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ إذ ذاك؛ أي: لم يقع منهم مُجرد الاستجابة لهم، فضلاً عَنْ أن ينفعوهم أو يدفعوا عنهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾؛ أي: جعلنا بين هؤلاء المشركين وبين مَنْ جعلوهم شركاء لله موبقاً، ذكر جماعة من المفسرين أنه اسم[(٧)] وادٍ عميق فَرّق الله به تعالى بينهم، وعلى هذا فهو اسم مكان.

قال ابن الأعرابي[(٨)]: كل حاجز بين شيئين فهو مَوْبِق.

وقال الفراء[(٩)]: المَوبِق: المَهلِك.

والمعنى: جعلنا تواصلهم في الدنيا مَهلِكاً لهم في الآخرة، يقال: وبَقَ يَوْبَق فهو وبق. هكذا ذكره الفرّاء في المصادر.

وحكى الكسائي[(١٠)]: وبق يَبِق وبوقاً فهو وابق، والمراد بالمَهلِك على هذا:

---

(١) «روح المعاني» (١٥/ ٣٨٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٠٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٦٠).

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٠٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٩١).

(٣) «روح المعاني» (١٥/ ٣٨٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٩١).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٨١). قراءة الجمهور هي المتواترة وغيرها مما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ شاذ.

(٥) «النشر» (٣/ ٣١١)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٩٢)، و«التيسير» (ص١٤٤)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٨٨).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) «روح المعاني» (١٥/ ٣٨٩)، و«جامع البيان» (١٥/ ٢٩٧)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣١٦).

(٨) «تهذيب اللغة» (٩/ ٣٥٤).

(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٤٧).

(١٠) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨)، و«المحرر الوجيز» (١٠/ ٤١٥).

هو عذاب النار يشتركون فيه. والأوّل أولى؛ لأنّ من جملة من زعموا أنهم شركاء لله الملائكة وعُزير والمسيح، فالمُوبِق هو المكان الحائل بينهم.

وقال أبو عُبيدة(١): المَوبق هنا الموعد للهلاك، وقد ثبت في اللغة أوبقه بمعنى: أهلكه، ومنه قول زهير(٢):

ومَنْ يشتري حُسْنَ الثناءِ بماله ... يصُنّ عِرْضَه عن كلِّ شنعاءَ مُوبقِ

ولكن المناسب لمعنى الآية: هو المعنى الأوّل ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ المجرمون موضوع(٣) موضع الضمير للإشارة إلى زيادة الذمّ لهم بهذا الوصف المُسجِّل عليهم به، والظن هنا بمعنى اليقين.

والمواقعة: المخالطةُ بالوقوع فيها، وقيل: إنّ الكفار(٤) يرون النار من مكان بعيد فيظنون ذلك ظنّاً ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾؛ أي: مَعْدِلاً(٥) يعدلون إليه، أو انصرافاً؛ لأنّ النار قد أحاطت بهم من كل جانب.

قال الواحدي(٦): المَصِرف الموضعُ الذي ينصرف إليه.

وقال القتيبي(٧): أي: مَعْدِلاً ينصرفون إليه، وقيل: ملجأً يلجأون إليه. والمعنى متقارب في الجميع.

وقد أخرجَ ابنُ أبي حاتم(٨) عَنْ قتادة في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ قال: ليس عليها بناء ولا شجر.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد(٩) نحوه.

---

(١) في «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٦).
(٢) انظر: «ديوان زهير» (ص٢٥٢).
(٣) «روح المعاني» (١٥/ ٣٩٠)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٠٨).
(٤) «النكت والعيون» (٣/ ٣١٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٢٥٩).
(٥) في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٤٠٧).
(٦) في «الوسيط» للواحدي (٣/ ١٥٤).
(٧) في «تفسير غريب القرآن» (ص٢٦٩).
(٨) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٥).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٨٢) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٨٢) بسند صحيح، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٥).

وأخرج ابنُ مردويه(١) عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ قال: الصغيرة: التبسّم، والكبيرة: الضحك.

وزاد ابن أبي الدنيا، وابن أبي حاتم عنه(٢) قال: الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمنين، والكبيرة القهقهة بذلك.

وأقول: صغيرة وكبيرة نكرتان في سياق النفي، فيدخل تحت ذلك كلُّ ذنبٍ يتصف بصغر، وكل ذنب يتصف بالكبر، فلا يبقى مِنْ الذنوب شيء إلا أحصاه الله وما كان مِنْ الذنوب مُلْتبساً بين كونه صغيراً أو كبيراً، فذلك إنما هو بالنسبة إلى العباد لا بالنسبة إلى الله سبحانه.

وأخرجَ ابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ في «العظمة»، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس(٣) قال: إن من الملائكة قبيلة يُقال لهم: الجنّ فكان إبليس منهم، وكان يوسوس ما بين السماء والأرض، فعصى، فسخط الله عليه فمسخَه اللهُ شيطاناً رَجيماً.

وأَخرجَ ابنُ جريرٍ(٤) عَنْه في قوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ قال: كانَ خازن الجنان، فسُمّي بالجَنَّان.

وأخرجَ ابنُ جرير، وابنُ المنذر عنه(٥) أيضاً قال: إن إبليس كان من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلةً، وكان خازناً على الجنان.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحسن(٦) قال: قاتل الله أقواماً زعموا أَنّ إبليس كان مِنْ الملائكة، والله يقول: كان مِنْ الجنّ.

وأخرج ابن جرير، وابن الأنباري عنه(٧) أنه قال: ما كان من الملائكة طرفة عين، إنّه لأصل الجنّ كما أن آدم أصلُ الإنس.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة» رقم (١٥٢).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ ٥٣٧) و(١٥/ ٢٨٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (١١٣٦)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٤٤). وهو أثر صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٩٠) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٨٧) بسند ضعيف.

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٦).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ ٥٣٩، ٥٤٠) و(١٥/ ٢٨٩)، وابن الأنباري في =

وأخرج ابنُ أبي حاتم[١] عن السُدّي في قوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال: يقول: ما أشهدتُ الشياطين الذين اتخذتم معي هذا ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ قال: الشياطين عضداً، قال: ولا اتخذتهم عضداً على شيء عضَّدوني عليه فأعانوني.

وأخرج ابنُ المنذر، وابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ يقول: مَهْلِكاً.

وأخرج ابنُ أبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد[٣] مثلَه.

وأخرج أبو عبيد، وهناد، وابن المنذر[٤] عنه قال: وادٍ في جهنم.

وأخرج عبدُ الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البَعْث» عن أنس[٥] في الآية قال: وادٍ في جهنم من قيحٍ ودم.

وأخرج أحمد في «الزهد»، وابنُ جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن ابن عمرو[٦] قال: هو وادٍ عَميق في النار فرّق الله به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة[٧] في قوله: ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ قال: علموا.

= «الأضداد» (ص٢٣٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (١١٤٠) بسند صحيح.

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٧).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٧).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٠٥).

(٤) أخرجه هنّاد في «الزهد» رقم (٢٧٥).

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في «الزهد» (ص٣١١ ـ «زوائد»)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٩٨)، والبيهقي في «البعث» (٥٢٠) بسند ضعيف. يزيد بن درهم ليس بشيء، كما قال ابن معين. «لسان الميزان» (٦/ ٢٨٤).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٩٧)، والبيهقي في «البعث» (٥٢١) بسند صحيح.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٠٤) بسند صحيح.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا
(٥٤) وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥) وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا (٥٦) [٣/٢٠٠]
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا (٥٧)
وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن
يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا (٥٨) وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم
مَّوْعِدًا (٥٩)﴾.

لمّا ذكر سبحانه افتخار الكفرة على فقراء المسلمين بأموالهم وعشائرهم، وأجابهم عن ذلك، وضربَ لهم الأمثال الواضحة، حكى بعضَ أهوالِ الآخرة فقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾؛ أي: كرّرنا وردّدنا ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: لأجلهم ولرعاية مصلحتهم ومنفعتهم ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍۚ﴾ من الأمثال التي من جملتها الأمثال المذكورة في هذه السورة.

وقد تقدّم تفسير هذه الآية في سورة بني إسرائيل.

وحين لم يترك الكفار ما هم فيه من الجدال بالباطل، ختم الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ قال الزجّاج: المراد بالإنسان: الكافر، واستدل على أن المراد الكافر بقوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾.

وقيل: المراد به في الآية: النضر بن الحارث، والظاهر العموم، وأنّ هذا النوع أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدال جدلاً، ويؤيد هذا ما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما من حديث عليّ(١): «أن النبيّ ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً، فقال: ألا تصليان؟ فقلتُ: يا رسولَ الله، إنّما أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا،

(١) أخرجه البخاري رقم (١١٢٧)، ومسلم رقم (٢٠٦/٧٧٥)، والنسائي في «التفسير» رقم (٣٢٥).

فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٖ جَدَلٗا﴾»، وانتصاب جدلاً على التمييز[(١)].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قد تقدّم الكلام على مثل هذا في سورة بني إسرائيل، وذكرنا أنّ (أن) الأولى في محل نصب، والثانية في محل رفع، و﴿ٱلْهُدَىٰ﴾: القرآن ومحمد ﷺ، و﴿ٱلنَّاسَ﴾ هنا هم أهل مكة، والمعنى على حذف مضاف؛ أي: ما منع الناس من الإيمان والاستغفار إلا طلب إتيان سُنَّة الأوّلين، أو انتظار إتيان سُنَّة الأوّلين، وزاد الاستغفار في هذه السورة؛ لأنه قد ذكر هنا ما فَرَط منهم من الذنوب التي من جملتها جدالهم بالباطل، وسُنَّة الأوّلين هو أنَّهم إذا لم يؤمنوا عُذِّبوا عذاب الاستئصال.

قال الزجّاج[(٢)]: سُنَّتهم هو قولُهم: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٢] الآية. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؛ أي: عذاب الآخرة ﴿قُبُلٗا﴾ قال الفرّاء[(٣)]: إن قُبلاً جَمْعُ قبيل؛ أي: مُتفرقاً يتلو بعضُه بعضاً، وقيل: عِياناً، وقيل: فجأة. ويناسب ما قاله الفراء قراءة أبي جعفر وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي ويحيى بن وثّاب وخَلَف ﴿قُبُلٗا﴾ بضمتين[(٤)] فإنّه جمع قَبيل، نحو: سَبيل وسُبُل.

والمراد: أصناف العذاب، ويناسب التفسير الثاني؛ أي: عِياناً، قراءة الباقين بكسر القاف[(٥)] وفتح الباء؛ أي: مُقابلةً ومعاينة، وقُرئ بفتحتين[(٦)] على معنى: أو يأتيهم العذاب مُسْتقبلاً، وانتصابه على الحال.

فحاصل معنى الآية: أنَّهم لا يؤمنون ولا يستغفرون إلَّا عند نزول عذاب الدنيا المستأصل لهم، أو عند إتيان أصناف عذاب الآخرة أو معاينته.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ مِنْ رسلنا إلى الأمم ﴿إِلَّا﴾ حال كونهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَۚ﴾ للكافرين. فالاستثناء مفرّغ من أعمّ العام، وقد تقدّم تفسير هذا.

---

(١) «الفريد» (٣/ ٣٥٠)، و«التبيان» (٢/ ٨٥٢). (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٩٦).

(٣) في «معاني القرآن» (٢/ ١٤٧).

(٤) «النشر» (٢/ ٣١١)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٩٤)، و«التيسير» (ص١٤٤).

(٥) «روح المعاني» (١٥/ ٣٩٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٩٤)، و«النشر» (٢/ ٣١١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣١١).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بفتح القاف والباء فقراءة شاذة.

﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ﴾؛ أي: ليزيلوا بالجدال بالباطل الحقَّ ويُبْطلوه، وأصل الدَّحْض الزَّلَق يقال: دَحَضتْ رِجلُه[١]؛ أي: زَلِقت تَدْحَضُ دَحْضاً، ودحضَتِ الشمسُ عن كبد السماء زالتْ، ودحضت حُجّتُه دُحوضاً بَطلت، ومِنْ ذلك قول طَرَفة[٢]:

أبا منذر رُمْتَ الوفاءَ فهبتَه وحِدْتَ كما حادَ البعيرُ عَنْ الدحضِ

ومن مجادلة هؤلاء الكفار بالباطل قولهم للرسل: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [يس: ١٥]. ونحو ذلك. ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾؛ أي: القرآن ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ به من الوعيد والتهديد ﴿هُزُوٗا﴾؛ أي: لعباً وباطلاً، وقد تقدّم هذا في البقرة.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا﴾؛ أي: لا أحد أظلم لنفسه ممن وُعِّظ بآيات ربِّه التنزيلية أو التكوينية أو مجموعهما فتهاون بها وأعرض[٣] عن قبولها، ولم يتدبرّها حقّ التدبُّر ويتفكر فيها حقّ التفكّرِ ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ﴾ من الكفر والمعاصي، فلم يتب عنها. قيل: والنسيان هنا بمعنى: الترك، وقيل: هو على حقيقته. ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ﴾؛ أي: أغطية، والأكنّة: جمع كِنان، والجملة تعليل لإعراضهم ونسيانهم.

قال الزجّاج[٤]: أخبر الله سبحانه أنّ هؤلاء طُبع على قلوبهم ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾؛ أي: وجعلنا في آذانهم ثِقلاً يمنع مِنْ استماعه.

وقد تقدّم تفسير هذا في الأنعام ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾؛ لأنَّ الله قد طبع على قلوبهم بسبب كفرهم ومعاصيهم. ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾؛ أي: كثير المغفرة، وصاحب الرحمة التي وسعت كلَّ شيءٍ فلم يعاجلهم بالعقوبة، ولهذا قال: ﴿لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ﴾؛ أي: بسبب ما كسبوه من المعاصي التي من جملتها الكفر والمجادلة والإعراض ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ﴾ لاستحقاقهم لذلك ﴿بَل﴾ جعل ﴿لَّهُم مَّوۡعِدٞ﴾؛ أي: أَجَل مُقدّر لعذابهم، قيل: هو عذاب الآخرة،

(١) «الصحاح» (٣/ ١٠٧٥)، و«تهذيب اللغة» (٤/ ١٩٨).
(٢) انظر: «ديوانه» (ص١٧٣).
(٣) «جامع البيان» (١٥/ ٣٠٣)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٩٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣١٢).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٩٧).

وقيل: يوم بدر ﴿لَن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْبِلًا﴾؛ أي: مَلْجأً يلجئون إليه.

وقال أبو عُبيدة[(١)]: منجاً، وقيل: مَحيصاً، ومنه قول الشاعر[(٢)]:

لا وَأَلَتْ نفسُك خلَّيتَها للعامريّينِ ولمْ تُكْلمِ

وقال الأعشى[(٣)]:

وقد أخالِسُ ربَّ البيتِ غفلتَه وقد يحاذرُ مني ثم ما يَئِلُ

أي: ما ينجو. ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾؛ أي: قرى عاد وثمود وأمثالها ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ هذا خبر اسم الإشارة و﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ صفته، والكلام على حذف مضاف؛ أي: أهل القرى أهلكناهم ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾؛ أي: وقتَ وقوع الظلم منهم بالكفر والمعاصي ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾؛ أي: وقتاً معيناً.

وقرأ عاصم: مَهلَكهم بفتح الميم[(٤)] واللام، وهو مصدر هَلَكَ، وأجاز الكسائي والفراء كسر اللام[(٥)] وفتح الميم، وبذلك قرأ حفص، وقرأ الجمهور بضم الميم[(٦)] وفتح اللام.

وقال الزجاج[(٧)]: مَهْلِك: اسم للزمان، والتقدير: لوقت مهلكهم.

وقد أخرج ابنُ أبي حاتم[(٨)] عن قتادة في قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال: عقوبة الأولين.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٩)] عن الأعمش في قوله: ﴿قُبُلًا﴾ قال: جهاراً.

---

(١) في «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٨).

(٢) هو: ضمرة بن ضمرة النهشلي. شاعر جاهلي.
انظر: «جامع البيان» (٥/ ٣٠٤)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٢٠).

(٣) انظر: «ديوانه» (ص١٠٩).

(٤) «البحر المحيط» (٧/ ١٩٦)، و«روح المعاني» (١٥/ ٤٠٦)، و«النشر» (٢/ ٢١١)، و«التيسير» (ص١٤٤). المقصود في قراءة (مَهْلَكهم) رواية أبي بكر عن عاصم.

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣١٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٩٦)، و«روح المعاني» (١٥/ ٤٠٦)، و«النشر» (٢/ ٢١١).

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٩٧).

(٨) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٨).

(٩) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٩).

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[١] قال: فجأةً.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[٢] عن قتادة في قوله: ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ قال: نسي ما سلف من الذنوب الكثيرة.

وأخرج أيضاً عن ابن عباس[٣] ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ يقول: بما عملوا.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عن السدّي ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ قال: الموعد: يومُ القيامة.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿مَوْئِلًا﴾ قال: مَلْجأً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٦] ﴿مَوْئِلًا﴾ قال: مَحْرِزاً.

[قصة موسى مع الخضر]:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠)﴾.

الظرف في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ متعلق بفعل محذوف هو اذكر. قيل: ووجه

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٠١) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٠٣) بسند صحيح، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٩).

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٩).

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٩).

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٠٧).

● وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٠٥) بسند صحيح، من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٠٥) بسند صحيح.

ذكر هذه القصة في هذه السورة: أن اليهود لما سألوا النبي ﷺ عن قصة أصحاب الكهف وقالوا: إنْ أخبركم فهو نبيّ وإلّا فلا. ذكر الله قصةَ موسى والخضر تنبيهاً على أن النبيّ لا يلزمه أن يكون عالماً بجميع القصص والأخبار.

وقد اتفق(١) أهل العلم على أن موسى المذكور هو موسى بن عِمْران النبيّ المرسل إلى فرعون.

وقالت فرقة: ـ لا التفات إلى ما تقوَّله ـ منهم نوف البِكَالي: إنَّه ليس ابن عمران، وإنما هو موسى بن ميشى بن يوسف بن يعقوب، وكان نبيّاً قبل موسى بن عمران.

وهذا باطل قد ردّه السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم كما في «صحيح البخاري»(٢) وغيره، والمراد بفتاه هنا هو: يوشع بن نون.

قال الواحدي(٣): أجمعوا على أنّه يوشع بن نون، وقد مضى ذكره في المائدة، وفي آخر سورة يوسف، ومَنْ قال: إن موسى هو ابن ميشى قال: إن هذا الفتى لم يكن هو يوشع بن نون.

قال الفراء(٤): وإنما سُمّي فتى موسى؛ لأنه كان ملازماً له يأخذ عنه العلم ويخدمه، ومعنى ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ لا أزال، ومنه قوله: ﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾ [طه: ٩١]. ومنه قول الشاعر(٥):

وأبــرحُ مــا أدامَ الــلّــه قــومــي [بحمد اللّه](٦) مُنْتطقاً مجيداً [٣/٢٠١]

وبرح إذا كان بمعنى زال فهو من الأفعال الناقصة، وخبره هنا محذوف اعتماداً على دلالة ما بعده وهو ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ قال الزجاج(٧): لا أبرح بمعنى: لا أزال.

---

(١) «جامع البيان» (١٥/٣٠٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/٣١٥)، و«النكت والعيون» (٣/٣٢١).

(٢) في «صحيح البخاري» رقم (٤٧٢٥)، ومسلم رقم (٢٣٨٠).

(٣) في «الوسيط» للواحدي (٣/١٥٦).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/١٥٤).

(٥) هو: خداش بن زهير بن ربيعة، من هوازن. «المعاني الكبير» (١/٨٢).

• وهو في «النكت والعيون» (٣/٣٢٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/٢٩٨) دون نسبة.

(٦) كذا في المخطوط والذي في المعاني: (رخيَّ البال).

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/٢٩٨).

وقد حُذِف الخبر لدلالة حال السفر عليه، ولأنّ قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ﴾ غاية مضروبة، فلا بدّ لها مِنْ ذي غاية، فالمعنى: لا أزال أسير إلى أن أبلغ، ويجوز أن يراد: لا يبرح مسيري حتى أبلغ، وقيل: معنى لا أبرح: لا أفارقك(١) حتى أبلغَ مَجْمع البحرين، وقيل: يجوز أنْ يكون مِنْ بَرِحَ التام، بمعنى: زال(٢) يزول، ومجمع البحرين: ملتقاهما.

قيل(٣): المراد بالبحرين: بحر فارس والروم؛ وقيل: بحرِ الأردن وبحر القُلْزُم، وقيل: مَجْمع البحرين عند طنجة، وقيل: بإفريقية.

وقالت طائفة: المراد بالبحرين موسى والخضر، وهو مِنْ الضعف بمكانٍ.

وقد حُكي عن ابن عباس(٤) ولا يصح ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾؛ أي: أسير زماناً طويلاً.

قال الجوهري(٥): الحُقُب بالضم: ثمانون سنة.

وقال النحاس(٦): الذي يعرفه أهل اللغة أنَّ الحُقب والحِقبة زمان من الدهر مُبْهم غير محدود، كما أن رهطاً وقوماً مُبْهَم غير محدود، وجمعه أحقاب.

وسبب هذه العزيمة على السير من موسى ﷺ ما روي أنَّه سُئل(٧) موسى: مَنْ أعلم الناس؟ فقال: أنا، فأوحى الله إليه: إنّ أعلمَ منك عبدٌ لي عند مجمع البحرين.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾؛ أي: موسى وفتاه ﴿مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا﴾؛ أي: بين البحرين، وأُضيف مجمع إلى الظرف توسّعاً وقيل: البين: بمعنى الافتراق؛ أي: البحران المفترقان يجتمعان هناك، وقيل: الضمير لموسى والخضر؛ أي: وصلا الموضع الذي فيه اجتماع شملهما، ويكون البين على هذا بمعنى: الوصل؛ لأنه من الأضداد، والأوّل أولى ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ قال المفسّرون(٨): إنهما تزوّدا حوتاً مُملّحاً في زنبيل، وكانا

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢٢).

(٢) قاله الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١٥٣).

(٣) سيأتي تخريج هذه الأقوال.

(٤) انظر: «جامع البيان» (١٥/ ٣١١)، و«روح المعاني» (١٥/ ٤٢١).

(٥) في «الصحاح» (١/ ١١٤).

(٦) في «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

(٧) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٧٢٥)، ومسلم رقم (٢٣٨٠) من حديث أُبيّ بن كعب.

(٨) «روح المعاني» (١٥/ ٤٢١ ـ ٤٢٢)، و«جامع البيان» (١٥/ ٣١٢ ـ ٣١٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣١٩)، و«المحرر الوجيز» (١٠/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣).

يصيبان منه عند حاجتهما إلى الطعام، وكان قد جعل الله فقدانه أمارةً لهما على وجدان المطلوب.

والمعنى: أنّهما نسيا تَفقّد أمره، وقيل: الذي نسي إنما هو فتى موسى؛ لأنه وكُل أمر الحوت إليه، وأمرَه أَنْ يُخبره إذا فقده، فلما انتهيا إلى ساحل البحر وضع فتاه المِكْتَل الذي فيه الحوت فأحياه الله، فتحرّك واضطرب في المِكْتَل، ثم انسرب في البحر، ولهذا قال: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ انتصاب ﴿سَرَبًا﴾ على أنه المفعول الثاني لاتخذَ؛ أي: اتخذ سبيلاً سرباً، والسَّرَب النَّفَقُ الذي يكون في الأرض للضبّ ونحوه من الحيوانات، وذلك أن الله سبحانه أمسك جريةَ الماء على الموضع الذي انسرب فيه الحوت، فصار كالطاق فشبّه مسلك الحوت في البحر مع بقائه وانجياب الماء عنه بالسَّرَب الذي هو الكوّة المحفورة في الأرض.

قال الفرّاء[(١)]: لما وقع في الماء جمد مذهبه في البحر فكان كالسَّرَب، فلما جاوزا ذلك المكان الذي كانت عنده الصخرة وذهب الحوتُ فيه انطلقا، فأصابهما ما يصيب المسافرَ من النّصَب والكلال، ولم يجدا النّصَبَ حتى جاوزا الموضع الذي فيه الخضر، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾؛ أي: مَجْمع البحرين الذي جُعل موعداً للملاقاة ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ وهو ما يُؤكل بالغداة، وأراد موسى أنْ يأتيه بالحوت الذي حملاه معهما ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾؛ أي: تعباً وإعياء.

قال المفسرون[(٢)]: الإشارة بقوله: ﴿سَفَرِنَا هَٰذَا﴾ إلى السفر الكائن منهما بعد مجاوزة المكان المذكور، فإنّهما لم يجدا النصب إلا في ذلك دون ما قبله.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾؛ أي: قال فتى موسى لموسى، ومعنى الاستفهام: تعجيبه لموسى مما وقع له من النسيان هناك مع كون ذلك الأمر مما لا يُنْسى؛ لأنه قد شاهد أمراً عظيماً من قدرة الله الباهرة.

ومفعول ﴿أَرَءَيْتَ﴾ محذوف[(٣)] لدلالة ما ذكره من النسيان عليه، والتقدير: أرأيت ما دهاني، أو نابني في ذلك الوقت والمكان. وتلك الصخرة كانت عند

---

(١) في «معاني القرآن» (٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

(٢) «روح المعاني» (١٥/ ٤٢٦)، و«جامع البيان» (١٥/ ٣١٦).

(٣) «التبيان» (٢/ ٨٥٤)، و«روح المعاني» (١٥/ ٤٢٧).

مَجْمع البحرين الذي هو الموعد، وإنما ذكرها دون أن يذكر مَجْمَع البحرين لكونها متضمنةً لزيادة تعيين المكان، لاحتمال أن يكون المجمع مكاناً متسعاً يتناول مكان الصخرة وغيره، وأوقع النسيان على الحوت دون الغداء الذي تقدّم ذكره؛ لبيان أن ذلك الغداء المطلوب هو ذلك الحوت الذي جعلاه زاداً لهما، وأمارةً لوجدان مطلوبهما.

ثم ذكر ما يجري مجرى السبب في وقوع ذلك النسيان فقال: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بما يقع منه من الوسوسة، و﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدل اشتمال من الضمير في أنسانيه، وفي مصحف عبد الله: «وما أنسانيه[١] أن أذكره إلا الشيطان».

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ انتصاب عجباً على أنه المفعول الثاني[٢] كما مرّ في سَرَباً، والظرف في محل نصب على الحال، يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع، أخبر موسى أن الحوت اتخذ سبيله عجباً للناس، وموضع التعجب أنْ يحيا حوتٌ قد مات وأُكِل شقُّه، ثم يَثُب إلى البحر، ويبقى أثر جريته في الماء لا يمحو أثرها جريان ماء البحر، ويحتمل أن يكون من كلام الله سبحانه لبيان طرف آخر من أمر الحوت، فيكون ما بين الكلامين اعتراضاً. ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾؛ أي: قال موسى لفتاه: ذلك الذي ذكرتَ من فقد الحوت في ذلك الموضع هو الذي كنا نطلبه، فإنّ الرجل الذي نريده هو هنالك ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾؛ أي: رجعا على الطريق التي جاءا منها يقصّان أثرهما لئلا يخطئا طريقهما، وانتصاب ﴿قَصَصًا﴾ على أنه مصدر لفعل محذوف، أو على الحال؛ أي: قاصين أو مقتصين، والقصص[٣] في اللغة اتباع الأثر.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هو الخَضِر في قول جمهور المفسرين[٤]، وعلى ذلك دلت الأحاديث الصحيحة، وخالف في ذلك من لا يُعتدّ بقوله، فقال: ليس هو الخضر؛ بل عالِم آخر.

---

(١) «جامع البيان» (١٥/ ٣١٧) وفيه: «وما أنسأنيه أن أذكّرَكَه إلا الشيطان».
«المحرر الوجيز» (١٠/ ٤٢٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٠٣). وهي قراءة شاذة لمخالفة الرسم.

(٢) «التبيان» (٢/ ٨٥٥)، و«الفريد» (٣/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦).

(٣) «الصحاح» (٣/ ١٠٥١)، و«تهذيب اللغة» (٨/ ٢٥٤).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٢٤)، و«جامع البيان» (١٥/ ٣٢١)، و«روح المعاني» (١٥/ ٤٣٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٠٤).

قيل: سُمّي الخَضِر لأنّه كان إذا صلّى اخضرّ ما حوله، قيل: واسمه بَلْيا بن مَلْكان. ثم وصفه الله سبحانه فقال: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ قيل: الرحمة هي النبوّة، وقيل: النِّعمة التي أنعم الله بها عليه ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ وهو ما علّمه الله سبحانه من علم الغيب الذي استأثر به، وفي قوله: ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ تفخيم لشأن ذلك العلم، وتعظيم له.

قال الزجّاج[1]: وفيما فعل موسى وهو من جملة الأنبياء من طلب العلم، والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه.

[حسن أدب موسى وذلك بالاستفهام لا الجزم]:

ثم قصّ الله سبحانه علينا ما دار بين موسى والخَضِر بعد اجتماعهما فقال: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ في هذا السؤال ملاطفة ومبالغة في حسن الأدب؛ لأنه استأذنه أن يكون تابعاً له على أن يعلّمه مما علمه الله من العلم.

والرُشْد: الوقوف على الخير وإصابة الصواب، وانتصابه على أنه مفعول[2] ثانٍ لـ﴿تُعَلِّمَنِ﴾؛ أي: علماً ذا رشدٍ أُرشد به، وقرئ رَشَداً بفتحتين[3]، وهما لغتان كالبُخْل والبَخَل.

وفي الآية دليل على أن المتعلِّم[4] تبع للعالم وإنْ تفاوتت المراتب، وليس في ذلك ما يدل على أن الخضر أفضل من موسى، فقد يأخذ الفاضل عن الفاضل وقد يأخذ الفاضل عن المفضول إذا اختص[5] أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر، فقد كان علمُ موسى علمَ الأحكام الشرعية والقضاء بظاهرها، وكان علم الخضر علمَ بعض الغيب ومعرفة البواطن.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٠١).

(٢) «الفريد» (٣/ ٣٥٧)، و«التبيان» (٢/ ٨٥٥).

(٣) «النشر» (٢/ ٣١١ ـ ٣١٢)، و«التيسير» (ص١٤٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٠٥). الذي قرأ (رُشْداً) بضم الراء وسكون الشين الجمهور وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتحتين (رَشَداً).

(٤) «أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ١٢٣٣)، و«روح المعاني» (١٥/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٥١٥).

(٥) ففي حديث أُبي بن كعب: «قال: يا موسى إني على علم من علم الله تعالى علّمنيه لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علَّمكه الله لا أعلمه». [البخاري رقم (٤٧٢٧)، ومسلم رقم (٢٣٨٠) من حديث أُبي بن كعب].

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾؛ أي: قال الخضر لموسى: إنك لا تطيق أن تصبرَ على ما تراه من علمي؛ لأنّ الظواهر التي هي علمُك لا توافق ذلك، ثم أكّد ذلك مشيراً إلى علّة عدم الاستطاعة، فقال: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾؛ أي: كيف تصبرُ على علمٍ ظاهره[1] منكر، وأنت لا تعلم، ومثلك مع كونك صاحب شرع لا يسوغ له السكوت على مُنكرٍ والإقرار عليه، و﴿خُبْرًا﴾ منتصب على التمييز؛ أي: لم يُحطْ به خُبْرك والخُبْر: العلم بالشيء، والخَبير بالأمور هو العالم بخفاياها، وبما يحتاج إلى الاختبار منها.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾؛ أي: قال موسى للخضر: ستجدني صابراً معك، ملتزماً طاعتك ﴿وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ فجملة ﴿وَلَآ أَعْصِي﴾ معطوفة على ﴿صَابِرًا﴾، فيكون التقييد بقوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ شاملاً[2] للصبر ونفي المعصية.

وقيل: إن التقييد بالمشيئة مختص بالصبر؛ لأنّه أمر مستقبل لا يدري كيف يكون حاله فيه، ونفي المعصية معزوم عليه في الحال.

ويجاب عنه بأنّ الصبر، ونفي المعصية متفقان في كون كل واحد منهما معزوم عليه في الحال، وفي كون كل واحد منهما لا يدري كيفَ حاله فيه في المستقبل.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ﴾ مما تشاهده من أفعالي المخالفة لما يقتضيه ظاهر الشرع الذي بعثك الله به ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾؛ أي: حتى أكون أنا المبتدئ لك بذكره، وبيان وجهه، وما يؤول إليه، وهذه الجمل المعنونة بقال وقال مستأنفة؛ لأنّها جوابات عن سؤالات مُقدّرة كل واحدة ينشأ السؤال عنها مما قبلها.

وقد أخرجَ الدارقطني في «الإفراد»، وابن عساكر من طريق مقاتل بن سليمان[3]

---

(١) «روح المعاني» (١٥/ ٤٦٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٢٦).

(٢) وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم بالصبر. «تفسير أبي السعود» (٤/ ٥١٥).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١٦/ ٤٠٠).

عن الضحاك، عن ابن عباس قال: الخضر ابن آدم لصُلْبِه ونُسِيء له في أجله حتى يُكذِّب الدجالَ.

وأخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة[١] عن النبي ﷺ قال: «إنما سُمّي الخَضِر لأنّه جلس على فَرْوة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء».

وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عباس[٢].

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عساكر عن مجاهد[٣]: إنما سُمّي الخضر لأنّه إذا صلى اخضرّ ما حوله.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤]، عن ابن زيد في قوله: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ قال: حتى أنتهي.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة[٥] في قوله: ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ قال: بحر فارس والروم، وهما نحو المشرق والمغرب.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦]، عن الربيع بن أنس مثلَه.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن أُبيّ بن كعب[٧] قال: ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ إفريقية.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧]، عن محمد بن كعب قال: طَنْجة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أُبي حاتم عن مجاهد[٨] في قوله: ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ قال: سبعين خريفاً.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٤٠٢)، وأحمد رقم (٨١١٣)، والترمذي رقم (٣١٥١).

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١٦/ ٤٠٢).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١٦/ ٤٠٢).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٢).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٠٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) بسند صحيح.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٢).

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٦).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٠٩) عن محمد بن كعب بسند ضعيف؛ لضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وأبي معشر السندي.

(٨) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٣).

وأخرج ابنُ جرير، وابن أُبي حاتم عنه[١] قال: دهراً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير[٢] في قوله: ﴿نَسِيَا [٣/٢٠٢] حُوتَهُمَا﴾ قال: كان مملوحاً مشقوق البطن.

وأخرج ابن المنذر[٣] عنه في قوله: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ قال: أثره يابس في البحر كأنّه في حَجَرٍ.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عن قتادة في قوله: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ قال: عودهما على بدئهما.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عن ابن عباس في قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ قال: أعطيناه الهدى والنبوّة.

واعلم أنها قد رُويت في قصة الخضر مع موسى المذكورة في الكتاب العزيز أحاديث كثيرة، وأتمها وأكملها ما روي عن ابن عباس ولكنّها اختلفت بعض الألفاظ، وكلها مروية مِنْ طريق سعيد بن جبير عنه، وبعضها في «الصحيحين» وغيرهما، وبعضها في أحدهما، وبعضها خارج عنهما.

وقد رويت مِنْ طريق العوفي عنه كما أخرجه ابن جرير[٦]، وابن أبي حاتم، ومن طريق هارون بن عنترة، عَنْ أبيه[٧]، عنه عند ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخطيب، وابن عساكر، فلنقتصر على الرواية التي هي أتمّ الروايات

= وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢١٠ ـ ٢١١) عن مجاهد بسند صحيح.

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٦) عن ابن عباس.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣١١) عن ابن عباس بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٣).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٣)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٧).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٧).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٣٠ ـ ٣٣١) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٢١ ـ ٣٢٢)، وابن عساكر في «تاريخه» (١٦/ ٤١١، ٤٤١) بسند ضعيف؛ لضعف ابن حميد. وهو محمد بن حميد الرازي.

الثابتة في «الصحيحين»(١)، ففي ذلك ما يغني عن غيره، وهي: قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس: إن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى صاحب بني إسرائيل، قال ابن عباس: كذب عدوّ الله. حدّثنا أُبيّ بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل. فسُئل: أيّ الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتَب الله عليه إذْ لم يردّ العلم إليه، فأوحى الله إليه إن لي عبداً بمَجْمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مِكْتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمّ، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل.

ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾، وأمسك الله عن الحوت جَرْية الماء، فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبُه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كانا من الغد قال موسى لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، فقال له فتاه: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قال: فكان للحوت سرباً، ولموسى وفتاه عجباً، فقال موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾» قال سفيان: يزعم ناس أن تلك الصخرة عندها عين الحياة لا يصيب ماؤها ميتاً إلا عاش، قال: وكان الحوت قد أكل منه. فلما قطر عليه الماء عاش، قال: «فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب فسلّم عليه موسى.

فقال الخضر: وأنّى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى. قال: موسى نبي إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أتيتك لتعلِّمَني مما عُلِّمتَ رشداً، قال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾، يا موسى إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١٢٢، ٣٢٧٨، ٣٤٠١، ٤٧٢٥، ٤٧٢٧، ٦٦٧٢)، ومسلم رقم (١٧٠/ ٢٣٨٠)، والترمذي رقم (٣١٤٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٣٠٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٢٤ ـ ٣٢٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٢٢٠).

علم من الله علّمك الله لا أعلمُه. قال موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾، فقال له الخضر: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرّت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحمَلوه بغير نَوْلٍ، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نَوْلٍ عمدتَ إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً؟ قال: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٢، ٧٣].

قال: وقال رسول الله ﷺ: «فكانت الأولى من موسى نسياناً». قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نَقْرةً، فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور الذي وقع على حرف السفينة من هذا البحر. ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسَه بيده فاقتلعه بيده فقتَله، فقال موسى: ﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٤] قال: وهذه أشدّ من الأولى ﴿قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ﴾ [الكهف: ٧٦، ٧٧] قال: مائل، فقال الخضر بيده هكذا فأقامه، ف ﴿قَالَ﴾ موسى: قوم آتيناهم فلم يُطْعمونا ولم يُضيِّفونا ﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٧] قال: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا﴾ [الكهف: ٧٨] فقال رسول الله ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقصّ الله علينا من خبرهما».

قال سعيد بن جبير: وكان ابن عباس يقرأ: «وكان أمامَهم مَلِكٌ يأخذ كل سفينة غصباً» وكان يقرأ «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين»، وبقية روايات سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أُبيّ بن كعب هي موافقة لهذه الرواية في المعنى وإن تفاوتت الألفاظ في بعضها فلا فائدة في الإطالة بذكرها، وكذلك روايات غير سعيد عنه.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا
(٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ
أَمْرِى عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا
نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا
تُصَٰحِبْنِىۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن
يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)
قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ
لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا
ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا
خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ
لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ
وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)﴾.

قوله: ﴿فَانطَلَقَا﴾؛ أي: موسى والخضر على ساحل البحر يطلبان السفينة، فمرّت بهم سفينةٌ فكلموهم أن يحملوهم فحملوهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ﴾ قيل: قلع لوحاً من ألواحها، وقيل: لوحين مما يلي الماء.

وقيل: خرق جدار السفينة ليعيبها ولا يتسارع الغرق إلى أهلها ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾؛ أي: لقد أتيت أمراً عظيماً، يقال: أَمِر الأمرُ إذا كَبُر، والإِمْرُ الاسم منه. وقال أبو عُبيدة(١): الإِمْر الداهية العظيمة وأنشد:

قد لقي الأقرانُ مني نُكرا ... داهيةً دَهياء وأَمْراً إِمْرا(٢)

وقال القتيبي(٣): الإِمْر العجبُ.

---

(١) في «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٩).

(٢) انظره في: «جامع البيان» (١٥/ ٣٣٧)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيد (١/ ٤٠٩)، وفي «الصحاح» (٢/ ٥٨١).

(٣) في «تفسير غريب القرآن» (ص٢٦٩).

وقال الأخفش[١]: أمِرَ أمْرُه يأمَر إذا اشتدّ، والاسم الإِمْرُ.

قرأ حمزة والكسائي «لَيغْرقَ أهلُها» بالياء التحتية[٢] المفتوحة، ورفع أهلها على أنه فاعل.

وقرأ الباقون بالفوقية[٣] المضمومة ونَصْب[٤] أهلها على المفعولية.

﴿قَالَ﴾؛ أي: الخَضِر ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ أذْكره ما تقدم من قوله له سابقاً: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ فـ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾ يحتمل أن تكون «ما» مصدرية[٥]؛ أي: لا تؤاخذني بنسياني أو موصولة؛ أي: لا تؤاخذني بالذي نسيته، وهو قول الخضر: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠] فالنسيان إما على حقيقته على تقدير أنّ موسى نسي ذلك، أو بمعنى: الترك على تقدير أنه لم ينس ما قاله له، ولكنّه ترك العمل به ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ قال أبو زيد: أرهقته عُسْراً إذا كلّفته ذلك[٦].

والمعنى: عاملني باليُسْر لا بالعسر. وقرىء عُسُراً بضمتين ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾؛ أي: الخضر، ولفظ الغلام يتناول الشاب البالغ كما يتناول الصغير، قيل: كان الغلام يلعب مع الصبيان فاقتلع الخَضِرُ رأسه ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس بألف بعد الزاي[٧] وتخفيف الياء اسم فاعل. وقرأ الباقون بتشديد الياء من دون ألف[٨]، الزاكية: البريئة من الذنوب.

---

(١) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٢/ ٥٨١).

(٢) «التيسير» (ص١٤٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٠٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٢٩)، و«جامع البيان» (١٥/ ٣٣٧).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «الفريد» (٣/ ٣٥٨)، و«روح المعاني» (١٥/ ٤٧١).

(٥) «روح المعاني» (١٥/ ٤٧٣)، و«الفريد» (٣/ ٣٥٩).

(٦) «روح المعاني» (١٥/ ٤٧٤). والقراءة بِضم العين والسين من كلمة (عُسُراً) لأبي جعفر وقرأ الباقون (عُسْراً) بضم العين وسكن السين.

(٧) «النشر» (٢/ ٣١٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٠٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٣٠)، و«التيسير» (ص١٤٤).

(٨) انظر: المصادر المتقدمة. هما قرءاتان متواترتان.

قال أبو عمرو[(١)]: الزاكية: التي لم تُذْنب، والزكية: التي أذنبت ثم تابت.

وقال الكسائي[(١)]: الزاكية والزكية لغتان.

وقال الفرّاء[(٢)]: الزاكية والزكية مثل القاسية والقسية، ومعنى ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: بغير قتل نفس مُحرّمة حتى يكون قتل هذه قصاصاً، ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾؛ أي: فظيعاً منكراً لا يُعرف في الشرع.

قيل: معناه: أنكر من الأمر الأوّل لكون القتل لا يمكن تداركه، بخلاف نزع اللوح من السفينة فإنّه يمكن تداركه بإرجاعه، وقيل: النُكر أقلّ من الأِمْر؛ لأن قتل نفس واحدة أهون مِنْ إغراق أهل السفينة.

قيل: استبعد موسى أن يقتل نفساً [٣/٢٠٣] بغير نفس، ولم يتأول للخضر بأنه يحلّ القتل بأسباب أخر ﴿قَالَ﴾ الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ زاد هنا لفظ (لك)، لأنّ سبب العتاب أكثر، وموجبه أقوى، وقيل: زاد لفظ (لك) لقصد التأكيد كما تقول لمن توبّخه: لك أقول وإيّاك أعني. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا﴾؛ أي: بعد هذه المرّة، أو بعد هذه النفس المقتولة ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِى﴾؛ أي: لا تجعلني[(٣)] صاحباً لك، نهاه عَنْ مصاحبته مع حرصه على التعلّم لظهور عذره، ولذا قال: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾ يريد أنَّك قد أعذرتَ حيث خالفتُك ثلاث مرّات، وهذا كلام نادم شديد الندامة، اضطره الحال إلى الاعتراف وسلوك سبيل الإنصاف.

قرأ الأعرج (تَصْحَبنّي) بفتح التاء[(٤)] والباء وتشديد النون.

وقرأ الجمهور[(٥)] (تُصاحبني) وقرأ يعقوب (تُصْحِبني) بضم التاء[(٦)] وكسر الحاء ورواها سهل عَنْ أبي عمرو.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٣٠). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٥).

(٣) «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٠).

(٤) «روح المعاني» (١٥/ ٤٨٣)، و«القراءات الشاذة» (ص٨١)، ونسبها ابن خالويه لابن مسعود رضي الله عنه. و«البحر المحيط» (٧/ ٢٠٩).

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٢٠٩)، و«النشر» (٢/ ٣١٣)، و«زاد المسير» (٥/ ١٧٤)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٥). قراءة الجمهور (تصاحبني) هي المتواترة للعشرة وغيرها شاذ، فالرواية المذكورة عن يعقوب وأبي عمرو شاذة.

(٦) «روح المعاني» (١٥/ ٤٨٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٠٩)، ونسبها ابن خالويه في «القراءات الشاذة» للجحدري والنخعي.

قال الكسائي[١]: معناه: لا تتركني أصحبك.

وقرأ الجمهور[٢] (لَدُنّي) بضم الدال إلا أنّ نافعاً وعاصماً خففا النون، وشددها الباقون. وقرأ أبو بكر عن عاصم (لُدْني) بضم اللام[٣] وسكون الدال.

قال ابن مجاهد[٤]: وهي غلط.

قال أبو عليّ[٥]: هذا التغليط لعله مِنْ جهة الرواية، فأما على قياس العربية فصحيحة.

وقرأ الجمهور[٦] (عذْراً) بسكون الذال.

وقرأ عيسى[٧] بن عمر بضم الذال.

وحكى الداني أن أُبيّاً[٨] روى عَنْ النبي ﷺ بكسر الراء وياء بعدها بإضافة العذر إلى نفسه.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قيل: هي أَيْلة؛ وقيل: أنطاكية؛ وقيل: برقة؛ وقيل: قرية من قرى أذربيجان؛ وقيل: قرية من قرى الروم ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ هذه الجملة في محل الجر[٩] على أنها صفة لـ﴿قَرْيَةٍ﴾، ووضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التأكيد، أو لكراهة اجتماع الضميرين في هذه الكلمة لما فيه من الكُلْفة، أو لزيادة التشنيع على أهل القرية بإظهارهم.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٣٣).

(٢) «جامع البيان» (١٥/ ٣٤٣)، و«النشر» (٢/ ٣١٣)، و«التيسير» (ص١٤٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٦٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢١٠).

(٣) «روح المعاني» (١٥/ ٤٨٤)، و«التيسير» (ص١٤٥)، و«النشر» (٢/ ٣١٣). قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص٢١١) الصواب في هذا: قرأ نافع وأبو جعفر (لَدُني) بفتح اللآم وضم الدال وكسر النون مُخففة، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالتخفيف مثلهما لكنّه يُسكن الدال ويشمها الضم وقرأ الباقي (لَدُنّي) بفتحة فضمة ونون مشدّدة مكسورة، وقرأة أبي بكر صحيحة من جهة الرواية.

(٤) انظر: «السبعة» (ص٣٩٦).

(٥) في «الحجة» له (٥/ ١٦٢).

(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٢٠٩)، و«روح المعاني» (١٥/ ٤٨٤).

(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٣٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٠٩)، و«روح المعاني» (١٥/ ٤٨٤)، و«جامع البيان» (١٥/ ٣٤٤).

(٨) «البحر المحيط» (٧/ ٢٠٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٣٣)، و«المحرر الوجيز» (١٠/ ٤٥٠ ـ ٤٥١). وقراءة عيسى بن عمر وأُبيّ شاذة.

(٩) «الفريد» (٣/ ٣٦١)، و«التبيان» (٢/ ٨٥٧)، و«روح المعاني» (١٥/ ٤٨٥).

﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾؛ أي: أبوا أن يعطوهما ما هو حقٌّ واجب عليهم من ضيافتهما، فمن استدل بهذه الآية على جواز السؤال[١] وحِلّ الكُدْية فقد أخطأ خطأً بيّناً، ومِنْ ذلك قول بعض الأدباء الذين يسألونَ الناس:

فإنْ رُدِدتُ فما في الردِّ منقصةٌ ... عليّ قد رُدّ موسى قبلُ والخَضِرُ[٢]

وقد ثبت في السُّنَّة تحريم السؤال بما لا يمكن دفعه من الأحاديث الصحيحة الكثيرة ﴿فَوَجَدَا فِيهَا﴾؛ أي: في القرية ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ إسناد الإرادة إلى الجدار مَجاز.

قال الزجاج[٣]: الجدار لا يُريد إرادةً حقيقية إلا أن هيئة السقوط قد ظهرت فيه كما تظهر أفعال المُريدين القاصدين فوُصف بالإرادة، ومنه قول الراعي[٤]:

في مهمهٍ فلقْتُ به هاماتِها ... فلقَ الفؤوسِ إذا أردن نُصولا

ومعنى الانقضاض: السقوط بسرعة، يقال: انقضّ الحائط إذا وقع، وانقض الطائر إذا هوى من طيرانه فسقط على شيء، ومعنى ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾: فسوّاه؛ لأنه وجده مائلاً فردّه كما كان؛ وقيل: نقضه وبناه؛ وقيل: أقامه بعمود.

وقد تقدّم في الحديث الصحيح أَنَّه مسحَه بيده ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾؛ أي: على إقامته وإصلاحه، تحريضاً من موسى للخضر على أخذ الأجر.

قال الفراء[٥]: معناه: لو شئتَ لم تُقمه حتى يَقْرونا فهو الأجر، قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وابن كثير، وابن محيصن، واليزيدي، والحسن (لَتَخِذْت)[٦] يقال: تَخذ فلان يتخذ تخذاً مثل: اتخْذ.

وقرأ الباقون (لاتّخَذْتَ)[٧] ﴿قَالَ﴾ الخضر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾ على إضافة فراق إلى الظرف اتساعاً؛ أي: هذا الكلام والإنكار منك على ترك الأجر هو المفرق بيننا.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٣٥).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٣٦).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٠٦).
(٤) للراعي النميري. انظر: «ديوانه» (ص٢٢٢).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٦).
(٦) «التيسير» (ص١٤٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٤٧)، و«النشر» (٢/ ٣١٥)، و«روح المعاني» (١٥/ ٤٩٦)، و«جامع البيان» (١٥/ ٣٥٢).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة. وهو كذلك إلَّا أن ابن كثير وحفص، ورويس عن يعقوب يظهرون الذال عند التاء وغيرهم يرغمها.

قال الزّجاج[١]: المعنى: هذا فراق بيننا؛ أي: هذا فراق اتصالنا، وكرّر (بين) تأكيداً، ولما قال الخضر لموسى بهذا أخذ في بيان الوجه الذي فعل بسببه تلك الأفعال التي أنكرها موسى فقال: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ والتأويل: رجوع الشيء إلى مآله.

ثم شرع في البيان له فقال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾ يعني: التي خرقها ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ لضعفاء لا يقدرون على دفع من أراد ظلمهم ﴿يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ ولم يكن لهم مال غير تلك السفينة يُكْرونها من الذين يركبون البحر ويأخذون الأجرة.

وقد استدل الشافعي[٢] بهذه الآية على أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾؛ أي: أجعلها ذات عيبٍ بنزع ما نزعته منها ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ قال المفسرون: يعني: أمامَهم، ووراء يكون بمعنى: أَمام، وقد مرّ الكلام على هذا في قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧].

وقيل: أراد خلفهم، وكان طريقهم في الرجوع عليه، وما كان عندهم خبر بأنه ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾؛ أي: كل سفينة صالحة لا مَعْيبة، وقد قرئ بزيادة[٣] «صالحة» روي ذلك عن أُبيّ وابن عباس.

وقرأ جماعة بتشديد السين[٤] مِنْ مسّاكين.

واختلف[٥] في معناها، فقيل: هم ملاحو السفينة، وذلك أن المسّاك هو الذي يمسك السفينة، والأظهر قراءة الجمهور بالتخفيف. ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ يعني: الذي قتله ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾؛ أي: ولم يكن هو كذلك ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾؛ أي: يرهق الغلامُ أبويه، يقال: رهقه؛ أي: غشيه، وأرهقه: أغشاه. قال المفسرون: معناه: خشينا أن يحملهما حبُّه على أن يتبعاه في دينه، وهو الكفر، و﴿طُغْيَٰنًا﴾ مفعول ﴿يُرْهِقَهُمَا﴾ ﴿وَكُفْرًا﴾ معطوف عليه، وقيل: المعنى: فخشينا أن يُرهق الوالدين طغياناً عليهما

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٠٤).

(٢) انظر: «الأم» (٣/ ١٨٦)، و«المجموع شرح المهذب» (٦/ ١٧٤).

(٣) أخرجها البخاري في «صحيحه» رقم (٤٧٢٥)، ومسلم رقم (٢٣٨٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهي قراءة صحيحة السند إلّا أنها شاذة لمخالفتها الرسم.

(٤) نسبها أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٢١٢) إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وهي قراءة شاذة.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩)، و«روح المعاني» (١٥/ ٤٩٩).

وكفراً لنعمتهما بعقوقه. قيل: ويجوز أن يكون فخشينا من كلام الله، ويكون المعنى: كرهنا كراهةَ مَنْ خشي سوء عاقبة أمره فغيره، وهذا ضعيف جدّاً، فالكلام كلام الخضر.

وقد استشكل بعضُ[١] أهل العلم قتل الخضر لهذا الغلام بهذه العلة، فقيل: إنّه كان بالغاً وقد استحق ذلك بكفره.

وقيل: كان يقطع الطريق فاستحق القتل لذلك، ويكون معنى ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾: أنّ الخَضِرَ خاف على الأبوين أن يذبّا عنه، ويتعصبا له فيقعا في المعصية، وقد يؤدّي ذلك إلى الكفر والارتداد.

والحاصل: أنّه لا إشكال في قتل الخضر له إذا كان بالغاً كافراً أو قاطعاً للطريق هذا فيما تقتضيه الشريعة الإسلامية، ويمكن أن يكون للخضر شريعة من عند الله سبحانه تسوّغ له ذلك، وأمّا إذا كان الغلام صبيّاً غير بالغ، فقيل: إن الخضر علم بإعلام الله له أنّه لو صار بالغاً لكان كافراً يتسبب عن كفره إضلال أبويه وكفرهما، وهذا وإنْ كان ظاهر الشريعة الإسلامية يأباه، فإن قتل من لا ذنب له ولا قد جرى عليه قلم التكليف لخشية أن يقع منه بعد بلوغه ما يجوز به قتله لا يحلّ في الشريعة المحمدية، ولكنه حلّ في شريعة أخرى، فلا إشكال. وقد ذهب الجمهور[٢] إلى أن الخضر كان نبيّاً. ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾ قرأ الجمهور بفتح الباء[٣] الموحدة وتشديد الدال.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب بسكون[٤] الباء وتخفيف الدال.

والمعنى: أردنا أنْ يرزقهما الله بدل هذا الولد ولداً خيراً منه ﴿زَكَوٰةً﴾؛ أي: ديناً وصلاحاً وطهارة من الذنوب ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قرأ ابن عباس، وحمزة، والكسائي، وابن كثير، وابن عامر (رُحُماً) بضم الحاء[٥].

---

(١) «روح المعاني» (١٥/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤). (٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٤١).

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٢١٥)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٠٦)، و«جامع البيان» (١٥/ ٣٥٨).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. الصواب في العزو لهذه لقراءة أنَّ نافعاً وأبا عمرو وأبا جعفر يقرءون هذه الكلمة بالتشديد (يُبَدِّلهما) وقرأ باقي العشره (يُبْدِلهما) بالتخفيف من الإبدال، وكلاهما قراءتان متواترتان.

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٢١٥ ـ ٢١٦)، و«التيسير» (ص١٤٥)، و«التبيان» (٢/ ٨٥٨)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٠٨).

وقرأ الباقون بسكونها[١]، ومعنى الرّحم: الرحمة، يقال: رحمه الله رَحْمةً وَرُحْمى، والألف للتأنيث ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ يعني: الذي أصلحه ﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ هي القرية المذكورة سابقاً، وفيه جواز إطلاق اسم المدينة على القرية لغة ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قيل: كان مالاً جسيماً كما يفيده اسم الكنز، إذ هو المال المجموع.

قال الزجاج[٢]: المعروف في اللغة: أنّ الكنز إذا أفرد فمعناه: المال المدفون، فإذا لم يكن مالاً قيل: كنز علمٍ، وكنز فهمٍ؛ وقيل: لوح من ذهب، وقيل: صحف مكتوبة.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ فكان صلاحه مقتضياً لرعاية ولديه وحفظ مالهما، قيل: هو الذي دفنه؛ وقيل: هو الأب السابع من عند الدافن له، وقيل: العاشر ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾؛ أي: مالكك ومدبِّر أمرك، وأضاف الرب إلى ضمير موسى[٣] تشريفاً له ﴿أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾؛ أي: كمالهما وتمام نموّهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ من ذلك الموضع الذي عليه الجدار، ولو انقضّ لخرج الكنز من تحته ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ لهما، وهو مصدر في موضع الحال؛ أي: مَرْحومينِ من الله سبحانه ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾؛ أي: عن اجتهادي ورأيي، وهو تأكيد لما قبله، فقد علم بقوله ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ أنّه لم يفعله الخضر عن أمر نفسه ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾؛ أي: ذلك المذكور من تلك البيانات التي بيّنتها لك، وأوضحت وجوهها تأويل ما ضاق صبرُك عنه ولم تطق السكوت عليه، ومعنى التأويل هنا: هو [٣/٢٠٤] المآل الذي آلت إليه تلك الأمور، وهو اتضاح ما كان مُشْتبهاً على موسى وظهور وجهه، وحذف التاء من ﴿تَسْطِع﴾ تخفيفاً.

وقد أخرج عبد الرزاق، وابن المنذر عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ يقول: نُكراً.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. الصواب في العزو: قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بضم الراء والحاء من (رُحُما) وقرأ باقي العشرة بالسكون. أي: بسكون الحاء.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/٣٠٧).

(٣) قال الألوسي في «روح المعاني» (١٥/٥١٢): «ففي إضافة الرب إلى ضمير موسى عليه السلام دون ضميرهما تنبيهٌ له عن تحتُّم كمال الانقياد والاستسلام لإرادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبهما، التي يشمُّ منها طلب ما يحصل به تربيةُ البدن وتدبيره». وانظر: «البحر المحيط» (٧/٢١٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/٤٠٦).

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عن مجاهد نحوه.

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن أبي حاتم عن قتادة[٢] في قوله: ﴿إِمْرًا﴾ قال: عجباً.

وأخرج ابن جرير، عن أُبيّ بن كعب[٣] في قوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ قال: لم ينس، ولكنّها مِنْ معاريض الكلام.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن أبي العالية[٤] قال: كان الخَضِر عبداً لا تراه الأعين، إلا من أراد الله أن يريه إيَّاه، فلم يره من القوم إلا موسى، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين خرق السفينة وبين قتل الغلام.

وأقول: ينبغي أَنْ يُنظر مِنْ أين له هذا؟ فإن لم يكن مستنده إلا قوله: ولو رآه القوم... إلخ، فليس ذلك بموجب لما ذكره.

أما أوّلاً: فإن من الجائز أن يفعل ذلك من غير أن يراه أهل السفينة وأهل الغلام، لا لكونه لا تراه الأعين؛ بل لكونه فعل ذلك من غير اطلاعهم.

وأما ثانياً: فيمكن أن أهل السفينة وأهل الغلام قد عرفوه وعرفوا أنه لا يفعل ذلك إلا بأمر من الله كما يفعل الأنبياء، فسلّموا لأمر الله.

وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ قال: مُسْلمة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير[٦]، قال: لم تبلغ الخطايا.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٥). وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٣٦) عن مجاهد بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٥)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٨)، وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦) من قتادة بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٣٨) بسند ضعيف.
قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤١٩): «إسناده ضعيف... ولو كان هذا ثابتاً لاعتذر موسى عن الثانية وعن الثالثة نحو ذلك».

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٦).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٤٠) بسند صحيح.

(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٦).

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، عن الحسن[١] نحوه.

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن أبي حاتم، عن قتادة[٢] في قوله: ﴿شَيْئًا نُّكْرًا﴾ قال: النّكر أنكر مِنْ العَجَبِ.

وأخرج أحمد، عن عطاء[٣] قال: كتب نجدة الحروري إلى ابن عباس يسأله عن قتل الصبيان، فكتب إليه: إنْ كنتَ الخضر تعرف الكافر من المؤمن فاقتلهم. وزاد ابن أبي شيبة من طريق أخرى عنه: «ولكنّك لا تعلم، قد نهى رسول الله ﷺ عن قتلهم فاعتزلهم».

وأخرج مسلم، وأبو داود، والترمذي، وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند»، وابن مردويه، عن أُبيّ بن كعب[٤]، عن النبيّ ﷺ قال: «الغلام الذي قتله الخضر طُبعَ يوم طبع كافراً، ولو أدرك لأرهق أبويه طُغياناً وكفراً».

وأخرج أبو داود، والترمذي، وعبد الله بن أحمد، والبزار، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، عن أُبيّ[٥]: «أن النبيّ ﷺ قرأ ﴿مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ مثقلة».

وأخرج ابن مردويه[٦] عن أُبيّ: «أن النبيّ ﷺ قرأ ﴿أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ مشدّدة».

وأخرج ابن الأنباري في «المصاحف»، وابن مردويه عن أُبيّ بن كعب[٧] عن رسول الله ﷺ: «أنه قرأ ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ فهدمه، ثم قعد يبنيه».

قلت: ورواية «الصحيحين»[٨] التي قدّمناها أنّه مسحه بيده أولى.

وأخرج الفريابي في معجمه، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٠٦) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٦).

(٣) أخرجه أحمد رقم (١٩٦٧) بسند صحيح.

(٤) أخرجه مسلم رقم (٢٦٦١)، وأبو داود رقم (٤٧٠٥)، والترمذي رقم (٣١٥٠)، وعبد الله بن أحمد رقم (٢١١٢٠).

(٥) أخرجه أبو داود رقم (٣٩٨٥)، والترمذي رقم (٢٩٣٣)، وعبد الله بن أحمد رقم (٢١١٢٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٤٤)، والطبراني رقم (٥٤٣). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٧).

(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٧). وإنْ صح السند فالقراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٨) تقدم نصه وتخريجه (ص٨٤ ـ ٨٦).

أُبيّ[١]: «أن النبيّ ﷺ قرأ ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ مخففة»[٢].

وأخرج ابنُ أبي شيبة، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن ابن عباس، عن أُبيّ بن كعب[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى. لو صبر لقصّ الله علينا من خبره، ولكن ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾».

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن ابن عباس[٤]: «أن النبيّ ﷺ كان يقرأ (وكان أمامَهم مَلِكٌ يأخذ كلَّ سفينةٍ صالحةٍ غصباً)».

وأخرج ابن الأنباري، عن أُبيّ بن كعب[٥] أنه قرأها كذلك.

وأخرج أبو عُبيد، وابن المنذر، عن أبي الزاهرية[٦] قال: كتب عثمان (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً).

وأخرج أبو عبيد، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري، عن ابن عباس[٧] أنّه كان يقرأ (وأما الغلامُ فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين).

وأخرج ابنُ جرير، وابن أبي حاتم، عن قتادة[٨] قال: هي في مصحف عبد الله (فخاف ربُّك أن يرهقهما طغياناً وكفراً).

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٩] في قوله: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» رقم (٦٣٢٥)، والحاكم (٢/ ٢٤٣).
(٢) انظر: «جامع البيان» (١٥/ ٣٥٢).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢١٩)، وأبو داود رقم (٣٩٨٤)، والترمذي رقم (٣٣٨٥)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٣١٠)، والحاكم (٢/ ٥٧٤). وهو حديث صحيح دون قوله: «ولكنه قال. . .» قاله الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٥٤)، والحاكم (٢/ ٢٤٤) بسند صحيح.
وهو جزء من حديث أخرجه البخاري رقم (٣٤٠١، ٤٧٢٦)، ومسلم رقم (١٧٠/ ٢٣٨٠).
والقراءة سندها صحيح إلّا أنها شاذة لمخالفتها الرسم.
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٨).
(٦) أخرجه أبو عبيد (ص١٧٥).
(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٨).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٥٧) بسند صحيح. وهي قراءة شاذة.
(٩) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٩).

﴿زَكَوٰةً﴾ قال: دِيناً ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قال: مودّة، فأُبدلا جارية ولدت نبياً.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[١] في قوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال: كان الكنزُ لمن قبلنا وحُرِّم علينا، وحرّمت الغنيمة على مَنْ كان قبلنا وأحلّت لنا، فلا يعجبنّ الرجل، فيقول: فما شأن الكنز، أحلّ لمن قبلنا وحرّم علينا؟ فإنّ الله يحلّ من أمره ما يشاء ويحرّم ما يشاء، وهي السنن والفرائض، يحلّ لأمة ويحرّم على أخرى.

وأخرج البخاري في «تاريخه»، والترمذي وحسنه، والبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن أبي الدرداء[٢] عن النبيّ ﷺ في قوله: «﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال: ذهب وفضة».

وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء[٣] في قوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال: أُحلّت لهم الكنوز وحُرّمت عليهم الغنائم، وأحلّت لنا الغنائم وحرّمت علينا الكنوز.

وأخرج البزار، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي ذر رفعه[٤] قال: «إن الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب مصمت فيه: عجبتُ لمن أيقن بالقدر ثم نصب، وعجبتُ لمن ذكر النار ثم ضحك، وعجبت لمن ذكر الموت ثم غَفل، لا إله إلا الله محمد رسول الله». وفي نحو هذا رواياتٌ كثيرة لا تتعلق بذكرها فائدة.

وأخرج ابن المبارك، وسعيد بن منصور، وأحمد في الزهد، والحميدي في مسنده، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ قال: حُفِظا بصلاح أبيهما.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٠٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٦٥) بسند صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في «تاريخه» (٨/ ٣٦٩)، والترمذي رقم (٢٠٢)، والحاكم (٢/ ٣٦٩). وهو حديث ضعيف جداً.

(٣) عزاه إليه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٤).

(٤) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٤٠٦٥).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣، ٥٤): «رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحارث بن عبد الله اليحصبي ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات».

(٥) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٣٣٢)، والحميدي في «مسنده» رقم (٣٧٢)، والحاكم (٢/ ٣٦٩).

وأخرج ابنُ مردويه(١) عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ يصلح بصلاح الرجل الصالح ولدَه، وولدَ ولدِه، وأهلَ دُويرته، وأهل دُويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله تعالى ما دام فيهم».

وأخرج ابن أبي حاتم(٢) عن ابن عباس قال: إن الله يصلح بصلاح الرجل ولدَه، وولد ولدِه، ويحفظه في دويرته، والدويرات حوله، فما يزالون في ستر من الله وعافية.

وأخرج ابنُ جرير(٣) من طريق الحسن بن عمارة عن أبيه قال: قيل لابن عباس: لم نسمع لفتى موسى بذكرٍ وقد كان معه؟ فقال ابن عباس: قال فيما يذكر من حديث الفتى: إنه شرب من الماء فَخُلّد، فأخذه العالِم فطابق به سفينةً ثم أرسله في البحر، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة، وذلك أنه لم يكن له أنْ يشربَ منه.

قال ابن كثير(٤): إسناده ضعيف، الحسن متروك وأبوه غير معروف.

[قصة ذي القرنين]:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾.

لما أجاب سبحانه عن سؤالين من سؤالات اليهود(٥)، وانتهى الكلام إلى حيث انتهى شرع سبحانه في السؤال الثالث والجواب عنه، فالمراد بالسائلين هنا هم اليهود.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٢).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٢).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٢٩، ٣٣٠) بسند ضعيف.
(٤) في «تفسيره» (٩/ ١٨١).
(٥) «جامع البيان» (١٥/ ٣٦٨).

واختلفوا في ذي القرنين[١] اختلافاً كثيراً، فقيل: هو الإسكندر بن فيلقوس الذي ملك الدنيا بأسرها اليوناني باني الإسكندرية.

وقال ابن إسحاق[٢]: هو رجل من أهل مصر، اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني، من ولد يونان بن يافث بن نوح؛ وقيل: هو ملك اسمه هرمس؛ وقيل: ملك اسمه هرديس؛ وقيل: شاب من الروم، وقيل: كان نبيّاً، وقيل: كان عبداً صالحاً وقيل: اسمه عبد الله بن الضحّاك؛ وقيل: مصعب بن عبد الله، من أولاد كهلان بن سبأ.

وحكى القرطبي[٣] عن السهيلي[٤] أنه قال: إن الظاهر من علم الأخبار أنهما اثنان:

أحدهما: كان على عهد إبراهيم عليه السلام.

والآخر: كان قريباً من عيسى عليه السلام.

وقيل: هو أبو كَرْب الحِمْيرَي؛ وقيل: هو مَلَكٌ من الملائكة، ورجح الرازي[٥] القول الأوّل، قال: لأن مَنْ بلغ ملكه مِنْ السعة والقوّة إلى الغاية التي نطق بها التنزيل إنما هو الإسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التاريخ؛ قال: فوجب القطع بأنّ ذا القرنين هو الإسكندر، قال: وفيه إشكال لأنّه كان تلميذاً لأرسطاطاليس الحكيم، وكان على مذهبه، فتعظيم الله إيّاه يوجب الحكم بأنّ مذهب أرسطاطاليس حق وصدق، وذلك مما لا سبيل إليه.

قال النيسابوري[٦]: قلتُ: ليس كل ما ذهب إليه الفلاسفة باطلاً فلعله أخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والله أعلم.

ورجّح ابن كثير[٧] ما ذكره السهيلي أنهما اثنان كما قدّمنا ذلك، وبيَّن أن الأوّل طاف بالبيت مع إبراهيم أوّل ما بناه وآمن به واتبعه وكان وزيره الخَضِر. وأما الثاني فهو الإسكندر المقدوني اليوناني، وكان وزيره الفيلسوف المشهور أرسطاطاليس، وكان قبل المسيح بنحو مِنْ ثلثمائة سنة.

فأما الأوّل المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل، هذا معنى ما ذكره

---

(١) «جامع البيان» (١٥/ ٣٦٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٦٥).

(٢) في «السيرة النبوية» (١/ ٣٠٧، ٣٠٨).

(٣) في «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦).

(٤) في «التعريف والإعلام» (ص١٠٦).

(٥) في «تفسيره» (٢١/ ١٦٣ ـ ١٦٤).

(٦) في «غرائب القرآن» (١٦/ ٢٢).

(٧) في «تفسيره» (٩/ ١٨٣ ـ ١٨٤).

ابن كثير في تفسيره راوياً له عَنْ الأزرقي وغيره؛ ثم قال: وقد ذكرنا طرفاً صالحاً في أخباره في كتاب «البداية والنهاية» بما فيه كفاية.

وحكى أَبو السعود[1] في «تفسيره» عن ابن كثير أنّه قال: وإنما بينا هذا يعني: أنهما [٣/٢٠٥] اثنان؛ لأنّ كثيراً من الناس يعتقد أنهما واحد، وأن المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتأخر، فيقع بذلك خطأ كبيرٌ وفساد كثير، كيف لا، **والأوّل**: كان عبداً صالحاً مؤمناً، وملكاً عادلاً، ووزيره الخَضِر، وقد قيل: إنه كان نبيّاً.

وأما الثاني: فقد كان كافراً، ووزيره إرسْطاطاليس الفيلسوف، وكان ما بينهما مِنْ الزمان أكثر من ألفي سنة، فأين هذا من ذاك؟ انتهى.

قلتُ: لعله ذكر هذا في الكتاب الذي ذكره سابقاً، وسمّاه بـ«البداية والنهاية» ولم يقف عليه، والذي يستفاد من كتب التاريخ هو أنهما اثنان كما ذكره السهيلي[2]، والأزرقي، وابن كثير[3] وغيرهم لا كما ذكره الرازي[4] وادّعى أنه الذي تشهد به كتب التواريخ، وقد وقع الخلاف هل هو نبيّ أم لا؟ وسيأتي ما يستفاد منه المطلوب آخر هذا البحث إن شاء الله.

وأما السبب الذي لأجله سُمّي ذا القرنين، فقال الزجاج[5] والأزهري[6]: إنما سُمّي ذا القرنين؛ لأنه بلغ قرن الشمس من مطلعها، وقرن الشمس من مغربها؛ وقيل: إنّه كان له ضفيرتان مِنْ شَعَر، والضفائر تُسمّى قروناً، ومنه قول الشاعر[7]:

فلثمْت فاها آخذاً بقرونِها ... شُربَ النزيفِ ببردِ ماءِ الحشرجِ

والحشرج: ماء مِنْ مياه العرب.

وقيل: إنه رأى في أوّل ملكه كأنّه قابض على قرني الشمس فسمّي بذلك، وقيل: كان له قرنان تحت عمامته؛ وقيل: إنّه دعا إلى الله فشجه قومه على قرنه، ثم دعا إلى الله فشجوه على قرنه الآخر، وقيل: إنما سمي بذلك لأنه كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأُمّه[8].

---

(١) في «تفسيره» (٤/٥٢٦ ـ ٥٢٧).
(٢) في «التعريف والإعلام» (ص١٠٦، ١٠٨).
(٣) في «تفسيره» (٩/١٨٣ ـ ١٨٤).
(٤) في «تفسيره» (٢١/١٦٣ ـ ١٦٤).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/٣٠٨).
(٦) في «تهذيب اللغة» (٩/٨٦).
(٧) هو: عمر بن أبي ربيعة. انظر: «ديوانه» (ص٤٣).
(٨) انظر: «روح المعاني» (١٥/٥٣٧ ـ ٥٣٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/٣٦٧).

وقيل: لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حيّ، وقيل: لأنه كان إذا قاتل قاتل بيديه وركابيه جميعاً، وقيل: لأنّه أُعطي علم الظاهر والباطن، وقيل: لأنه دخل النور والظلمة، وقيل: لأنّه ملك فارس والروم، وقيل: لأنه ملك الروم والترك، وقيل: لأنّه كان لتاجه قرنان.

قوله: ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾؛ أي: سأتلو عليكم أيُّها السائلون من ذي القرنين خَبْراً، وذلك بطريق الوحي المتلوّ.

ثم شرع سبحانه في بيان ما أمر به رسوله أَنْ يقوله لهم من أنه سيتلو عليهم منه ذكراً فقال: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: أَقْدرناه بما مهّدنا له من الأسباب، فجعلنا له مُكْنةً وقدرة على التصرف فيها، وسهّل عليه المسير في مواضعها، وذلّل له طرقها حتى تمكن منها أين شاء وكيف شاء؟

ومِنْ جملة تمكينه فيها أنّه جعل له الليل والنهار سواء في الإضاءة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ مما يتعلّق بمطلوبه ﴿سَبَبًا﴾؛ أي: طريقاً يتوصل بها إلى ما يريده ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ مِنْ تلك الأسباب.

قال المفسرون[(١)]: والمعنى: طريقاً تؤديه إلى مغرب الشمس.

قال الزجّاج[(٢)]: فأتبع سبباً مِنْ الأسباب التي أوتي، وذلك أنه أوتي من كل شيء سبباً فأتبع من تلك الأسباب التي أوتي سبباً في المسير إلى المغرب، وقيل: أتبع من كل شيء علماً يتسبب به إلى ما يريد.

وقيل: بلاغاً إلى حيث أراد؛ وقيل: من كل شيء يحتاج إليه الخَلْق؛ وقيل: من كل شيء تستعين به الملوك من فتح المدائن وقهر الأعداء. وأصل السبب[(٣)]: الحَبْل فاستُعين لكل ما يتوصل به إلى شيء.

قرأ ابنُ عامر، وأهل الكوفة، وعاصم، وحمزة، والكسائي (فأتبع) بقطع[(٤)]

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٦٨)، و«جامع البيان» (١٥/ ٣٦٨)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٤٩).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٠٨). (٣) «الصحاح» (١/ ١٤٥).

(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٢٢٠)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٥٠)، و«النشر» (٢/ ٣١٤)، و«جامع البيان» (١٥/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣)، و«التيسير» (ص١٤٥).

الهمزة، وقرأ أهلُ المدينة وأهل مكة وأبو عمرو بوصلها[١].

قال الأخفش[٢]: تبعته وأتبعته بمعنى. مثل ردفته وأردفته، ومنه قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠].

قال النحاس[٣]: واختار أبو عُبيد[٤] قراءة أهل الكوفة، قال: لأنها من السير. وحكى هو والأصمعي[٥] أنه يقال: تبعته وأتبعته: إذا سار ولم يلحقه، وأتبعه: إذا لحقه.

قال أبو عبيد[٦]: ومثله ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠].

قال النّحاس[٧]: وهذا مِنْ الفرق وإن كان الأصمعي قد حكاه فلا يقبل إلا بعلمٍ أو دليل، وقوله ﷻ: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠] ليس في الحديث أنهم لحقوهم، وإنما الحديث لما خرج موسى وأصحابه من البحر وحصل فرعون وأصحابه في البحر انطبق عليهم البحر.

والحق في هذا أَنّ تبع واتبع وأتبع لغات بمعنى واحد، وهو بمعنى: السير ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾؛ أي: نهاية الأرض من جهة المغرب؛ لأنّ من وراء هذه النهاية البحر المحيط، وهو لا يمكن المضيّ فيه.

﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قرأ ابن عامر[٨]، وعاصم، وحمزة، والكسائي (حامية): أي: حارّة.

وقرأ الباقون (حمئة)[٩]؛ أي: كثيرة الحَمْأة، وهي الطينة السوداء، تقول: حمئت البئر حَمْأً بالتسكين إذا نزعت حَمْاءتّها، وحَمَأت البئرُ حَمَاءً بالتحريك كثرت حمأتها، ويجوز أَنْ تكون حامية من الحمأة، فخففت الهمزة وقلبت ياء.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. قراءة القطع (فأتْبع) بهمزة قطع وسكون التاء، و(فاتّبَع) بهمزة وصل، وتشديد التاء مفتوحة، وهما قراءتان متواترتان ومع حمزة (خلف) ومع أبي عمرو يعقوب.

(٢) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٣/ ١١٩٠).

(٣) في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٧٠).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤١٣).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٦٩).

(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٧٠).

(٧) في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٧٠).

(٨) «البحر المحيط» (٧/ ٢٢٠)، و«التيسير» (ص١٤٥)، و«النشر» (٢/ ٣١٤)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٥٠ ـ ٥٥١).

(٩) انظر: المصادر المتقدمة. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم، ويعقوب (حمئة) بقصر الحاء وكسر الميم وهمزة مفتوحة، وقرأ الباقون (حامية) بألف بعد الحاء، وميم مكسورة وياء مفتوحة.

وقد يجمع بين القراءتين فيقال: كانت حارةً وذاتَ حَمْأة. قيل: ولعل ذا القرنين لما بلغ ساحل البحر المُحيط رآها كذلك في نظره، ولا يبعد أن يقال: لا مانع من أن يمكنّه الله من عبور البحر المحيط حتّى يصل إلى تلك العين التي تغرب فيها الشمس، وما المانع مِنْ هذا بعد أن حكى الله عنه أنه بلغ مغرب[1] الشمس، ومكّن له في الأرض والبحر من جملتها، ومجرد الاستبعاد لا يوجب حمل القرآن على خلاف ظاهره.

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًاۗ﴾ الضمير في عندها إمّا للعين أو للشمس. قيل: هم قوم لباسهم جلود الوحش، وكانوا كفاراً، فخيّره الله بين أَنْ يعذبهم وبين أن يتركهم، فقال: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾؛ أي: إما أنْ تعذّبهم بالقتل من أوّل الأمر، وإما أن تتخذ فيهم أمراً ذا حسن أو أمراً حسناً مبالغة بجعل المصدر صفة للأمر، والمراد: دعوتهم إلى الحق وتعليمهم الشرائع.

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين مختاراً للدعوة التي هي الشق الأخير من الترديد: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ نفسه بالإصرار على الشرك ولم يقبل دعوتي ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ بالقتل في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ في الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ﴾ فيها ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾؛ أي: مُنكراً فظيعاً.

قال الزجاج[2]: خيّره الله بين الأمرين.

قال النحاس[3]: وردّ عليُّ بن سليمان قولَه لأنَّه لم يصح أن ذا القرنين نبيّ فيخاطب بهذا، فكيف يقول لربه ﷻ: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ وكيف يقول: ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ فيخاطبه بالنون، قال: والتقدير قلنا: يا مُحمد قالوا: يا ذا القرنين.

قال النحاس[4]: وهذا الذي ذكره لا يلزم لجواز أَنْ يكون الله ﷻ خاطبه على لسان نبيّ في وقته، وكأن ذا القرنين خاطب أولئك القوم فلا يلزم ما ذكره.

ويمكن أن يكون مخاطباً للنبيّ الذي خاطبه الله على لسانه، أو خاطب قومه الذين وصل بهم إلى ذلك الموضع.

قال ثعلب[5]: إن في قوله: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ﴾ في موضع نصب، ولو رفعت لكان صواباً بمعنى، فأما هو كقول الشاعر:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٧٠).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٠٩).
(٣) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٧٠ ـ ٤٧١).
(٤) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٧١).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٧٣).

فسيروا فإما حاجةٌ تقضيانها وإمّا مَقيلٌ صالحٌ وصديقُ[١]

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ بالله وصدّق دعوتي ﴿وَعَمِلَ﴾ عملاً ﴿صَٰلِحًا﴾ مما يقتضيه الإيمان ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قرأ أهل المدينة وأبو عمرو، وعاصم، وابن كثير، وابن عامر (فله جزاءُ) بالرفع[٢] على الابتداء؛ أي: جزاء الخصلة الحسنى عند الله، أو الفعلة الحُسنى وهي الجنّة قاله الفراء[٣].

وإضافة الجزاء إلى الحسنى التي هي الجنة كإضافة حق اليقين ودار الآخرة، ويجوز أن يكون هذا الجزاء من ذي القرنين؛ أي: أعطيه وأتفضل عليه.

وقرأ سائر الكوفيين (فله جزاءً الحُسْنى) بنصب جزاء[٤] وتنوينه.

قال الفراء[٥]: انتصابه على التمييز.

وقال الزجّاج[٦]: هو مصدر في موضع الحال؛ أي: مجزياً بها جزاءً.

وقرأ ابن عباس ومسروق بنصب (جزاءَ)[٧] من غير تنوين.

قال أبو حاتم[٨]: هي على حذف التنوين لالتقاء الساكنين.

قال النحاس[٩]: وهذا عند غيره خطأ لأنه ليس موضع حذف تنوين لالتقاء الساكنين. وقرئ برفع (جزاءٌ) منوّناً[١٠] على أنه مبتدأ.

و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ بدل منه والخبر الجارّ والمجرور ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾؛ أي: ممّا نأمر به قولاً ذا يُسرٍ ليس بالصّعب الشاق، أو أطلق عليه المصدر مبالغة ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ

---

(١) انظره في: «جامع البيان» (١٦/ ١٠٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٧٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٧١).

(٢) «التيسير» (ص١٤٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٢٣)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٧٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٧٤).

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٩).

(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٢٢٣)، و«التيسير» (ص١٤٥)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٧٥). قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص٢١٣) الصواب في هذا هو: قرأ أهل الكوفة عدا أبي بكر عن عاصم بالنصب والتنوين، وقرأ باقي العشرة ومنهم أبو بكر عن عاصم بالرفع دون تنوين، وهما قراءتان متواترتان، أما النصب دون تنوين أو الرفع مع التنوين فقراءتان شاذتان.

(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٩). (٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٠٩).

(٧) «البحر المحيط» (٧/ ٢٢٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٧١).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٧٤). (٩) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٧١).

(١٠) «البحر المحيط» (٧/ ٢٢٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٧٤).

سَبَبًا﴾؛ أي: طريقاً آخر غير الطريق الأولى وهي التي رجع بها من المغرب وسار فيها إلى المشرق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾؛ أي: الموضع الذي تطلع عليه الشمس أوّلاً من معمور الأرض، أو مكان طلوعها لعدم المانع شرعاً ولا عقلاً من وصوله إليه كما أوضحناه فيما سبق.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ يَسْتُرُهم، لا من البيوت ولا من اللباس؛ بل هم حفاة عراة لا يأوون إلى شيء من العمارة. قيل: لأنهم بأرض لا يمكن أن يستقرّ عليها البناء ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾؛ أي: كذلك أمْر ذي القرنين أتبع هذه الأسباب حتّى بلغَ، وقد علمنا حين ملّكناه ما عنده من الصلاحية لذلك المُلك والاستقلال به.

وقيل: المعنى: لم نجعل لهم ستراً مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الأبنية والثياب، وقيل: المعنى: كذلك بلغ مطلع الشمس مثل ما بلغ من مغربها.

وقيل: المعنى: كذلك تطلعُ على قومٍ مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم، فقضي في هؤلاء كما قضي في أولئك من تعذيب الظالمين والإحسان إلى المؤمنين، ويكون تأويل الإحاطة بما لديه في هذه الوجوه على ما يناسب ذلك كما قلنا في الوجه الأوّل.

وقد أخرجَ ابنُ أبي حاتم(١) عن السدّي قال: «قالت اليهود للنبيّ ﷺ: يا محمد إنك إنما تذكر إبراهيم وموسى وعيسى والنبيّين، إنك سمعت ذكرهَم منّا، فأخبرنا عن نبيّ لم يذكره الله في التوراة إلا في مكان واحد، قال: ومَنْ هو؟ قالوا: ذو القرنين، قال: ما بلغني عنه شيء، فخرجوا فرحين قد غلبوا في أنفسهم، فلم يبلغوا باب البيت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾» [٣/٢٠٦].

أخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن أبي هريرة(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أدري أتبع كان نبيّاً أم لا؟ وما أدري أذو القرنين كان نبيّاً أم لا؟ وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا؟».

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨١).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨١).
قال البخاري: «ولا يثبت هذا عن النبي ﷺ لأن النّبيّ ﷺ قال: «**الحدود كفارة**»». «التاريخ الكبير» (١/ ١٥٣)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٢١٧).

وأخرج ابن مردويه[١] عن سالم بن أبي الجعد قال: سُئل عليّ عن ذي القرنين أنبيّ هو؟ قال: سمعتُ نبيكم ﷺ يقول: «هو عبدٌ ناصحَ الله فنصحه».

وأخرج ابن عبد الحكم في «فتوح مصر»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابنُ الأنباري في «المصاحف»، وابن أبي عاصم في السُّنَّة، وابن مردويه من طريق أبي الطفيل[٢]: أن ابن الكوّاء سأل عليّ بن أبي طالب عن ذي القرنين أنبيّاً كان أم مَلَكاً؟ قال: لم يكن نبيّاً ولا مَلَكاً، ولكن كان عبداً صالحاً أحبَّ الله فأحبه الله، ونصح لله فنصحه الله، بعثه الله إلى قومه فضربوه على قرنه فمات، ثم أحياه الله لجهادهم، ثم بعثه الله إلى قومه فضربوه على قرنه الآخر فمات، فأحياه الله لجهادهم، فلذلك سمي ذا القرنين، وإنّ فيكم مثلَه.

وأخرج ابنُ أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عمرو[٣] قال: ذو القرنين نبيّ.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن الأخرص بن حكيم، عن أبيه[٤]، أن النبيّ ﷺ سئل عن ذي القرنين فقال: «هو مَلَكٌ مسح الأرض بالأسباب».

وأخرج ابن عبد الحكم في «فتوح مصر»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة» عن خالد بن معدان[٥] الكلاعي مرفوعاً مثله.

وأخرج ابن عبد الحكم، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في كتاب «الأضداد»، وأبو الشيخ عن عمر بن الخطاب[٦]: أنه سمع رجلاً ينادي بمنى: يا ذا القرنين، فقال عمر: ها أنتم قد سَمَّيتُم بأسماء الأنبياء فما بالكم وأسماء الملائكة؟

وفي الباب غير ما ذكرناه مما يغني عنه ما قد أوردناه.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٣٥).

(٢) أخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص٤٠)، وابن الأنباري في «الأضداد» (ص٣٥٤)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» رقم (١٣١٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٧٠) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٣٩).

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٢).

(٥) أخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص٣٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٩٨٦) مرسلاً بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» وابن الأنباري في «الأضداد» (ص٣٥٣).

وقد أخرج ابن عبد الحكم في «فتوح مصر»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في «الدلائل» عن عقبة بن عامر[١] الجهني حديثاً يتضمن: «أن نفراً من اليهود سألوا النبيّ ﷺ عن ذي القرنين، فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء، وكان فيما أخبرهم به أنّه كان شاباً من الروم، وأنه بنى الإسكندرية، وأنه علا به مَلَكٌ في السماء، وذهب به إلى السدّ»، وإسناده ضعيف، وفي متنه نكارة، وأكثر ما فيه أنه مِنْ أخبار بني إسرائيل، ذكر معنى هذا ابن كثير[٢] في «تفسيره» وعزاه إلى ابن جرير والأموي في «مغازيه»، ثم قال بعد ذلك: والعجبُ أنّ أبا زرعة الداري مع جلالة قدره ساقه بتمامه في كتابه «دلائل النبوّة»، انتهى.

وقد ساقه بتمامه السيوطي في «الدرّ المنثور»[٣].

وساق أيضاً خبراً طويلاً عن وهب بن منبه[٤] وعزاه إلى ابن إسحاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والشيرازي في «الألقاب»، وأبي الشيخ، وفيه أشياء منكرة جدّاً.

وكذلك ذكر خبراً طويلاً عن مُحمد الباقر[٥] أخرجه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، ولعل هذه الأخبار ونحوها منقولة عن أهل الكتاب، وقد أُمرنا بأن لا نصدقهم ولا نكذبهم فيما ينقلونه إلينا.

---

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص٣٨ ـ ٣٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٩٧٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٩٥، ٢٩٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٦٨ ـ ٣٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (١٧/ ٢٣٨) من طرق بسند ضعيف.

(٢) في «تفسيره» (٩/ ١٨٢).

(٣) في «الدر المنثور» (٥/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨).

(٤) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٩٧٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩٨).

قال ابن كثير في «تفسيره»: «قد ذكر ابن جرير عن وهب بن منبه أثراً طويلاً عجيباً في سير ذي القرنين، وبنائه السد، وكيفية ما جرى له، وفيه طول، وغرابة، ونكارة. وروى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة، لا تصح أسانيدها».

• وقال الشيخ أبو شهبة في «الإسرائيليات» (ص٢٤٢): «أنا لا أشك في أن ذلك مما تلقاه وهب من كتبهم، وفيها ما فيها من الباطل والكذب، ثم حملها عنه بعض التابعين، فلا شك في أنّها من الإسرائيليات.

(٥) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٩٦٢) بسند صحيح، ولكنه منقطع.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ قال: عِلْماً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢]، عن سعيد بن أبي هلال: أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار: أنت تقول: إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا، قال له كعب: إن كنتُ قلتُ ذلك فإنّ الله قال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾.

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق عثمان بن أبي حاضر، أن ابن عباس[٣] ذكر له: أن معاوية بن أبي سفيان قرأ الآية التي في سورة الكهف «تغرب في عين حامية»[٤] قال ابن عباس: فقلت لمعاوية: ما نقرؤها إلا (حمئة) فسأل معاوية عبد الله بن عَمْرو كيف تقرؤها؟ فقال عبد الله: كما قرأتها، قال ابن عباس: فقلت لمعاوية: في بيتي نزل القرآن، فأرسل إلى كعب، فقال له: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟ فقال له كعب: سل أهل العربية فإنهم أعلم بها، وأما أنا فإني أجد في التوراة في ماء وطين، وأشار بيده إلى المغرب. قال ابن أبي حاضر: لو أني عندكما أيدتك بكلام تزداد به بصيرة في

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٢).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٣).

قال ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ١٨٤): «وهذا الذي أنكره معاوية ﷺ على كعب الأحبار هو الصواب، والحق مع معاوية في الإنكار، فإن معاوية كان يقول عن كعب: إن كنا نبلوا عليه الكذب، يعني: فيما ينقله، لا أنّه كان يتعمد نقل ما ليس في صحيفته، ولكن الشأن في صحيفته أنَّها من الإسرائيليات والتي غالبها مبدل مُصحّف، مُحرّف مختلف، ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسول الله ﷺ إلى شيء منها بالكلية، فإنه دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض.

وتأويل كعب قول الله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ واستشهاده بذلك على ما يجده في صحيفته، من أنّه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح ولا مطابق، فإنه لا سبيل للبشر إلى شيء من ذلك، ولا إلى الترقي في أسباب السمٰوات، وقد قال الله في حق بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]؛ أي: مما يؤتى مثلها من الملوك، وهكذا ذو القرنين، يسر الله له الأسباب؛ أي: الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضي، وكسر الأعادي، وكبت ملوك الأرض، وإذلال أهل الشرك، قد أوتي من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سبباً، والله أعلم».

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤١١، ٤١٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٧٥) من طريق يقوي بعضها بعضاً.

(٤) انظر: «النشر» (٢/ ٣١٤)، و«جامع البيان» (١٥/ ٣٧٨).

حمئة. قال ابن عباس: وما هو؟ قلت: فيما نأثر قول تُبَّع فيما ذَكر به ذا القرنين في كَلَفِه بالعلم واتباعه إياه:

قد كان ذو القرنين عُمِّر مُسْلِما ... مَلِكاً تذِلُّ له الملوك وتُحشَدْ
فأتى المشارق والمغاربَ يبتغي ... أسبابَ مُلكٍ من حكيم مرشدْ
فرأى مغيبَ الشمس عند غروبِها ... في عين ذي خُلُب وثأطٍ خرمدْ[١]

فقال ابن عباس: ما الخُلُب؟ قلت: الطين بكلامهم، قال: فما الثأط؟ قلت: الحمأة. قال: فما الخرمد؟ قلت: الأسود، فدعا ابن عباس غلاماً فقال: اكتب ما يقول هذا الرجل.

وأخرج الترمذي، وأبو داود الطيالسي، وابن جرير، وابن المنذر عن أُبيّ بن كعب[٢] أن النبيّ ﷺ: «كان يقرأ ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾».

وأخرج الطبراني، والحاكم، وابن مردويه عن ابن عباس[٣] مرفوعاً مثله.

[إقامة السَّد في وجه يأجوج ومأجوج]:

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾.

ثم حكى سبحانه سفر ذي القرنين إلى ناحية أخرى، وهي ناحية القطر الشمالي بعد تهيئة أسبابه فقال: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾؛ أي: طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص، وابن محيصن، ويحيى

---

(١) انظر هذه الأبيات في: «ديوان أُمية بن أبي الصلت» (ص٤٨).

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٩٣٤)، والطيالسي رقم (٥٣٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٣٧٨) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٢٤٨٠)، وفي «الصغير» (٢/ ١٢٤)، والحاكم (٢/ ٢٣٧).

اليزيدي، وأبو زيد، عن المفضّل بفتح السين[١]. وقرأ الباقون بضمها[٢].

قال أبو عُبيدة[٣]، وابن الأنباري[٤]، وأبو عمرو بن العلاء[٥]: السد إن كان بخلق الله سبحانه فهو بضم السين حتى يكون بمعنى مفعول؛ أي: هو مما فعله الله وخلقه، وإن كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون حدثاً.

وقال ابن الأعرابي[٦]: كل ما قابلك فسدّ ما وراءه، فهو سَدّ وسُدّ، نحو الضَعْف والضعف، والفَقْر والفُقْر، والسدّان هما جبلان مِن قِبل أرمينية وأذربيجان، وانتصاب «بين» على أنه مفعول به كما ارتفع بالفاعلية في قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]. وقيل: موضع بين السدّين هو منقطع أرض الترك مما يلي المشرق لا جبلا أرمينية وأذربيجان.

وحكى ابن جرير في «تاريخه»[٧] أنّ صاحب أذربيجان أيام فتحها وجّه إنساناً مِنْ ناحية الجزر فشاهده، ووصف أنّه بنيان رفيع وراء خندق وثيق منيع، و﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾؛ أي: من ورائهما مجاوزاً عنهما، وقيل: أمامهما ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ قرأ حمزة والكسائي (يُفقِهون) بضم الياء[٨] وكسر القاف من أفقه إذا أبان؛ أي: لا يبينون لغيرهم كلاماً.

وقرأ الباقون بفتح الياء[٩] والقاف؛ أي: لا يَفْهمون كلام غيرهم، والقراءتان صحيحتان، ومعناهما: لا يَفْهمون عن غيرهم ولا يُفْهمون غيرَهم؛ لأنهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم.

﴿قَالُواْ﴾؛ أي: هؤلاء القوم الذين لا يَفْهمون قولاً، قيل: إن فهم ذي القرنين

---

(١) «التيسير» (ص١٤٥)، و«النشر» (٢/ ٣١٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٢٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٧٧)، و«جامع البيان» (١٥/ ٣٨٧).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٤).

(٤) انظر: «البحر المحيط» (٧/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٧٧).

(٥) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٢٢٤).

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (١٢/ ٢٧٥).

(٧) (٤/ ١٥٩) ط: دار المعارف.

(٨) «جامع البيان» (١٥/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٢٥)، و«التيسير» (ص١٤٥)، و«النشر» (٢/ ٣١٥).

(٩) انظر: المصادر المتقدمة.

لكلامهم من جملة الأسباب التي أعطاه الله، وقيل: إنهم قالوا ذلك لترجمانهم، فقال لذي القرنين بما قالوا له: ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يأجوج ومأجوج: اسمان عجميان بدليل منع صرفهما، وبه قال الأكثر.

وقيل: مشتقان من أَجّ الظليم[١] في مَشْيه: إذا هَرْولَ، وتأجّجت النار: إذا تلهبّت، قرأهما الجمهور بغير همز، وقرأ عاصم بالهمز.

قال ابن الأنباري[٢]: وجه همزهما وإنْ لم يُعْرف له أصل أن العرب قد همزت حروفاً لا يعرف للهمز فيها أصل كقولهم: كبأث ورثأت واستشأث الريحُ.

قال أبو علي[٣]: يجوز أن يكونا عربيين، فمَنْ همز فهو على وزن يفعول مثل: يَرْبُوع، ومن لم يهمز أمكن أن يكون خفف الهمزة فقبلها ألفاً مثل راس.

وأمّا مأجوج، فهو مفعول مِنْ أجّ، والكلمتان من أصل واحد في الاشتقاق. قال: وترك الصرف فيهما على تقدير كونهما عربيين للتأنيث والتعريف كأنه اسم للقبيلة.

واختُلف في نسبهم؛ فقيل: هم من ولد يافث بن نوح، وقيل: يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم. وقال كعب الأحبار: احتلم آدم فاختلط ماؤه بالتراب فخُلقوا من ذلك الماء.

قال القرطبي[٤]: وهذا فيه نظر؛ لأن الأنبياء لا يحتلمون، وإنما هم من ولد يافث، كذلك قال مقاتل وغيره.

وقد وقع الخلاف في صفتهم؛ فمن الناس: مَنْ يصفهم بصغر الجُثث، وقصر القامة، ومنهم مَنْ يصفهم بكبر الجُثث وطول القامة، ومنهم مَنْ يقول: لهم مخالب كمخالب السباع، وإن منهم: صنفاً يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، ولأهل العلم من السلف ومن بعدهم أخبار مختلفة في صفاتهم وأفعالهم.

واختلف في إفسادهم[٥] في الأرض؛ فقيل: هو أكلُ بني آدم؛ وقيل: هو الظلم والغشم والقتل وسائر وجوه الإفساد؛ وقيل: كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء القوم الذين شكوهم إلى ذي القرنين في أيام الربيع فلا يدعون [٣/٢٠٧] فيها شيئاً

---

(١) «الصحاح» (١/ ٢٩٧).
(٢) انظر: «البحر المحيط» (٧/ ٢٢٦).
(٣) في «الحجة» (٥/ ١٧٣).
(٤) في «تفسيره» (١٣/ ٣٧٩).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٧٨)، و«المحرر الوجيز» (١٠/ ٤٤٩)، و«جامع البيان» (١٥/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

أخضر إلا أكلوه[١] ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ هذا الاستفهام مِنْ باب حسن الأدب مع ذي القرنين. وقرئ (خراجاً)[٢].

قال الأزهري[٣]: الخراج يقع على الضريبة ويقع على مال الفيء، ويقع على الجزية وعلى الغَلّة.

والخراج أيضاً اسمٌ لما يخرج من الفرائض في الأموال، والخرج: المصدر.

وقال قُطرب: الخَرْج الجزية[٤] والخراج في الأرض، وقيل: الخرج: ما يخرجه كل أحد من ماله، والخراج: ما يُجبيه السلطان؛ وقيل: هما بمعنى واحد.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾؛ أي: رَدْماً حاجزاً بيننا وبينهم. وقُرئ سَدّاً بفتح السين. قال الخليل[٥] وسيبويه: الضم هو الاسم، والفتح المصدر.

وقال الكسائي[٥]: الفتح والضم لغتان بمعنى واحد، وقد سبق قريباً ما حكيناه عن أبي عمرو بن العلاء، وأبي عبيدة، وابن الأنباري من الفرق بينهما.

وقال ابن أبي إسحاق[٦]: ما رأته عيناك فهو سُدّ بالضم، وما لا ترى فهو سَدّ بالفتح، وقد قدّمنا بيان مَنْ قرأ بالفتح وبالضم في السدّين ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى﴾؛ أي: قال لهم ذو القرنين: ما بسطه الله لي من القدرة والملك ﴿خَيْرٌ﴾ من خَرْجكم، ثم طلب منهم المعاونة له فقال: ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: برجال منكم يعملون بأيديهم، أو أعينوني بآلات البناء، أو بمجموعهما.

قال الزجّاج[٧]: بعمل تعملونه معي.

قرأ ابن كثير وحده (ما مكنني) بنونين[٨]، وقرأ الباقون بنون واحدة[٩]. ﴿أَجْعَلْ

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٨٣)، و«المحرر الوجيز» (١٠/ ٤٤٩).
(٢) «التيسير» (ص١٤٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٢٦)، و«النشر» (٢/ ٣١٥). وهما قراءتان متواترتان و(خراجاً) بفتح الراء وألف بعدها قراءة حمزة والكسائي، وخلف وقرأ باقي العشرة بسكون الراء دون ألف بعدها.
(٣) في «تهذيب اللغة» (٧/ ٤٧ ـ ٥٥).
(٤) انظر: «روح المعاني» (١٥/ ٥٧٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٨٣).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٨٣). (٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٨٣).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣١١).
(٨) «التيسير» (ص١٤٦)، و«جامع البيان» (١٥/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٢٧).
(٩) انظر: المصادر المتقدمة.

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ هذا جواب الأمر، والرَدْم: ما جُعل بعضه على بعض حتى يتصل.

قال الهروي[(١)]: يقال: ردمتُ الثُّلْمة أرْدِمُها بالكسر رَدْماً؛ أي: سددتها، والرَدْم أيضاً الاسم، وهو السدّ، وقيل: الردم أبلغ مِنْ السدّ، إذ السدّ كل ما يسدّ به، والردم: وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوهما حتى يقوم من ذلك حجاب منيع، ومنه ردَم ثوبَه: إذا رقّعه برقاع متكاثفة بعضها فوق بعض، ومنه قول عنترة[(٢)]:

هل غادرَ الشعراءُ مِنْ متردّمِ[(٣)]

أي: من قولٍ يركب بعضه على بعض. ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾؛ أي: أعطوني وناولوني، وزُبَر الحديد جمع زُبْرة، وهي القطعة.

قال الخليل[(٤)]: الزُبرة من الحديد: القطعة الضخمة.

قال الفراء[(٥)]: معنى ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ ائتوني بها فلمّا ألقيت الياء زيدت ألفاً، وعلى هذا فانتصاب زبر بنزع الخافض ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ والصدفان: جانبا الجبل.

قال الأزهري[(٦)]: يقال لجانبي الجبل: صَدَفان إذا تحاذيا لتصادفهما؛ أي: تلاقيهما، وكذا قال أبو عبيدة[(٧)]، والهروي[(٨)]. قال الشاعر:

كلا الصَّدَفينِ ينفذُهُ سَنَاها تَوقّدُ مثلَ مِصْباحِ الظلامِ[(٩)]

وقد يقال لكل بناء عظيم مرتفع: صَدَف، قاله أبو عبيدة[(١٠)]. قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص (الصَدَفين) بفتح الصاد[(١١)] والدال.

---

(١) في «غريب الحديث» (٣/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨). (٢) «ديوان عنترة» (ص١٥).

(٣) وعجز البيت:

أم هل عرفتَ الدار بعد توهُّم.

(٤) في كتاب «العين» (ص٣٨٤). (٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٦٠).

(٦) في «تهذيب اللغة» (١٢/ ١٤٦). (٧) في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٤).

(٨) في «غريب الحديث» (١/ ٧٧ ـ ٧٨).

(٩) نسبه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٤٣) لعمرو بن شاش.

(١٠) في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٤).

(١١) «البحر المحيط» (٧/ ٢٢٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٨٧)، و«النشر» (٢/ ٣١٦)، و«التيسير» (ص١٤٦).

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، ويعقوب، واليزيدي، وابن محيصن بضم الصاد[١] والدال.

وقرأ عاصم في رواية أَبي بكر بضم[٢] الصاد وسكون الدال.

وقرأ ابن الماجشون[٣] بفتح الصاد وضم الدال، واختار القراءة الأولى أبو عبيدة[٤] لأنّها أشهر اللغات.

ومعنى الآية: أنهم أعطوه زُبَر الحديد، فجعل يبني بها بين الجبلين حتى ساواهما ﴿قَالَ ٱنفُخُوا﴾؛ أي: قال للعَمَلة: انفخوا على هذه الزبر بالكيران ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾؛ أي: جعل ذلك المنفوخ فيه، وهو الزُبر ناراً؛ أي: كالنار في حرّها وإسناد الجعل إلى ذي القرنين مجاز لكونه الآمر بالنفخ.

قيل: كانَ يأمر بوضع طاقة من الزبر والحجارة ثم يوقد عليها الحطب والفحم بالمنافخ حتى تحمى، والحديد إذا أوقد عليه صار كالنّار، ثم يؤتى بالنحاس المذاب فيفرغه على تلك الطاقة، وهو معنى قوله: ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا﴾ قال أهل اللغة[٥]: القِطْر: النحاس الذائب، والإفراغ: الصبّ، وكذا قال أكثر[٦] المفسرين.

وقالت طائفة: القطر الحديد[٧] المُذاب. وقالت فرقة أخرى منهم ابن الأنباري[٨]: هو الرصاص[٩] المذاب ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ﴾ أصله استطاعوا، فلما اجتمع المتقاربان، وهما التاء والطاء خففوا بالحذف.

قال ابن السكّيت[١٠]: يقال: ما أستطيع، وما أسطيع، وما أستيع. وبالتخفيف[١١]

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٢٢٧)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٧٣).
(٣) «التيسير» (ص١٤٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٢٧). القراءات الثلاث متواترة، أما قراءة ابن الماجشون فشاذة.
(٤) في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٤).
(٥) «تهذيب اللغة» (١٦/ ٢١٠)، و«الصحاح» (٢/ ٧٩٦).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٨٨).
(٧) ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٥).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٨٨).
(٩) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٠/ ٤٥١).
(١٠) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٦٨).
(١١) «البحر المحيط» (٧/ ٢٢٨)، و«النشر» (٢/ ٣١٦)، و«التيسير» (ص١٤٦).

قرأ الجمهور، وقرأ حمزة وحده (فما اسْطَّاعوا) بتشديد الطاء[١] كأنه أراد استطاعوا فأدغم التاء في الطاء وهي قراءة ضَعيفة الوجه، قال أبو علي[٢] الفارسي: هي غير جائزة.

وقرأ الأعمش[٣] (فما استطاعوا) على الأصل، ومعنى ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾: أَنْ يعلوه؛ أي: فما اسطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا على ذلك الردْم لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ يقال: نقبتُ الحائط: إذا خرقتُ فيه خَرْقاً فخلص إلى ما وراءه.

قال الزجاج[٤]: ما قدروا أَنْ يعلوا عليه لارتفاعه وانملاسه، وما استطاعوا أن ينقبوه مِنْ أسفله لشدّته وصلابته.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾؛ أي: قال ذو القرنين مشيراً إلى السدّ: هذا السدّ رحمة من ربي؛ أي: أَثرٌ مِنْ آثار[٥] رحمته لهؤلاء المتجاوزين للسدّ ولمن خلفهم ممن يُخشى عليه معرتهم لو لم يكن ذلك السد.

وقيل: الإشارة إلى التمكين من بنائه ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾؛ أي: أجلِ ربي أن يَخْرجوا منه، وقيل: هو مصدر بمعنى المفعول، وهو يوم القيامة ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾؛ أي: مستوياً بالأرض ومنه قوله: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١].

قال اليزيدي[٦]: أي: مستوياً، يقال: ناقة دكّاء: إذا ذهب سَنَامها.

وقال القتيبي[٧]: أي: جعله مدكوكاً مُلْصقاً بالأرض.

وقال الكلبي[٨]: قِطَعاً متكسّراً. قال الشاعر:

هل غيرُ غارٍ دكّ غاراً فانهدَم[٩]

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) في «الحجة» (٥/ ١٧٨).
(٣) «روح المعاني» (١٥/ ٥٧٥)، و«النشر» (٢/ ٣١٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٢٨). قراءة الأعمش شاذة، وأما القراءة بالتخفيف والتشديد فمتواترتان.
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣١٢).
(٥) «روح المعاني» (١٥/ ٥٧٦ ـ ٥٧٧).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٩٠).
(٧) في «تفسير غريب القرآن» (ص٢٧١).
(٨) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٤٥).
(٩) نسبه الماوردي في «النكت والعيون» لأغلب (٣/ ٣٤٥).

قال الأزهري(١): دككته؛ أي: دققتُه. ومَنْ قرأ دكّاء بالمد(٢) وهو عاصم، وحَمْزة، والكسائي أراد التشبيه بالناقة الدكّاء، وهي التي لا سَنام لها؛ أي: مثل دكاء؛ لأنّ السدّ مذكر فلا يُوصف بدكّاء.

وقرأ الباقون (دكاً) بالتنوين(٣) على أنّه مصدر، ومعناه ما تقدّم، ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى الحال؛ أي: مدكوكاً ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾؛ أي: وعده بالثواب والعقاب، أو الوعد المعهود حقّاً ثابتاً لا يتخلّف. وهذا آخر قول ذي القرنين.

وقد أخرج ابنُ المنذر(٤) عن ابن عباس في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ قال: الجبلين أرمينية وأذربيجان.

وأخرج(٥) أيضاً عن ابن جريج ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ قال: التُّرك.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس(٦) قال: يأجوج ومأجوج شِبْر وشبران وأطولهم ثلاثةُ أشبار؛ وهم من ولد آدم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث»، وابن عساكر عن ابن عمرو عن النبي ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، ولو أُرْسلوا لأفسدوا على النّاس معايشهم، ولا يموت مِنْهم رجل إلا ترك مِنْ ذريته ألفاً فصاعداً، وإنّ مِنْ ورائهم ثلاثَ أمم: تاويل، وتاريس، ومنسك».

وأخرج النسائي(٧) مِنْ حديث عمرو بن أوس عَنْ أبيه مرفوعاً: «أنّه لا يموت رجلٌ منهم إلَّا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً».

---

(١) في «تهذيب اللغة» (٩/ ٤٣٦ ـ ٤٣٨).

(٢) «التيسير» (ص١٤٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٩٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٢٨)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٧٨).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٤).

(٥) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٢٧).
وعزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٧).

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٨٥٩٨)، وابن عساكر في «تاريخه» (٢/ ٢٣٢)، والطيالسي رقم (٢٢٨٢) منكر ضعيف.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٠٦): «هذا حديث غريب؛ بل منكر ضعيف».

(٧) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٣٣٤). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

وأخرج أحمد، والترمذي وحسّنه، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الْبَعْث» عن أبي هريرة[(١)] عن رسول الله ﷺ قال: «إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض يحفرون السدّ كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شُعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستفتحونه غداً، فيعودون إليه أشدّ ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شُعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستفتحونه غداً إنْ شاء الله، ويستثني فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه. ويتحصّن الناسُ منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع مخضبَّةً بالدماء، فيقولون: قَهرنا مَنْ في الأرض، وعلونا مَنْ في السماء قَسْراً وعُلوّاً، فيبعث الله عليهم نَغَفاً في أقفائهم فَيهلِكون»، قال رسول الله ﷺ: «فوالذي نفس محمدٍ بيده إنَّ دوابّ الأرض لتسمن وتبطر وتَشْكَر شَكَراً من لحومهم».

وقد ثبت في «الصحيحين»[(٢)] مِنْ حديث زينب بنت جحش قالت: «استيقظ رسولُ الله ﷺ مِنْ نومه وهو مُحْمَرّ وجهُه وهو يقول: لا إله إلا الله، وَيْلٌ للعرب من شرّ قد اقترب، فُتح اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلّق، قلت: يا رسولَ الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخَبَث». وأخرجا[(٣)] نحوه من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٤)] في قوله: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ قال: أجراً عظيماً.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٥)] عنه في قوله: ﴿رَدْمًا﴾ قال: هو كأشد الحِجاب.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٠٦٣٢)، والترمذي رقم (٣١٥٣)، وابن ماجه رقم (٤٠٨٠)، وابن حبان رقم (٦٨٢٩)، والحاكم (٤/ ٤٨٨). وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٦، ٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥)، ومسلم رقم (٢٨٨٠).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٧، ٧١٣٦)، ومسلم رقم (٢٨٨١)، وأحمد رقم (٨٥٠١، ١٠٨٥٣)، وابن أبي شيبة (١٥/ ٦٢).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٩).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٨).

وأخرج ابنُ المنذر، وابن أبي حاتم عنه[١] أيضاً في قوله: ﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قال: قِطَع الحديد.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٢] ﴿بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ قال: الجبلين.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٣] قال: رؤوس الجبلين.

وأخرج هؤلاء عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿قِطْرًا﴾ قال: النُّحاس.

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي حاتم عن قتادة[٥] ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ قال: أَنْ يرتقوه.

وأخرج ابن المنذر[٦] عن ابن جريج قال: أن يَعْلُوه.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧] عن قتادة في قوله: ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ قال: لا أدري الجبلين يعني به أم بينهما.

[مشهد من مشاهد يوم القيامة]:

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا [٣/٢٠٨] (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)﴾

قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ هذا من كلام الله سبحانه بعد انقضاء

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٩)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٨).
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٩).
(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٩)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٩).
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٠).
(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤١٣) بسند صحيح.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٠).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤١٢) بسند صحيح.

كلام ذي القرنين، والضمير في ﴿بَعْضَهُمْ﴾ ليأجوج ومأجوج؛ أي: تركنا بعضَ يأجوجَ ومأجوج يوم مجيء[١] الوعد، أو يوم خروج يأجوج ومأجوج يموج في بعضٍ آخر منهم، يقال: ماج النّاس: إذا دخل بعضهُم في بعض حيارى كموج الماء.

والمعنى: أنهم يضطربون ويختلطون[٢]، وقيل: الضمير[٣] في (بعضهم) للخلق، واليوم يوم القيامة؛ أي: وجعلنا بعضَ الخلق من الجنّ والإنس يموج في بعض، وقيل: المعنى: وتركنا يأجوج ومأجوج يوم كمال السدّ وتمام عمارته بعضهم يموج في بعض، وقد تقدّم تفسير ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ في الأنعام.

قيل: هي النفخة الثانية بدليل قوله بعد: ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ فإنّ الفاء تُشْعر بذلك، ولم يذكر النفخة الأولى لأن المقصود هنا ذكر أحوال القيامة.

والمعنى: جمعنا الخلائق بعد تلاشي أبدانهم ومصيرها تراباً جمعاً تامّاً على أكمل صفةٍ، وأبدع هيئة، وأعجب أسلوب ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ المراد بالعَرْض هنا: الإظهار؛ أي: أظهرنا لهم جهنّم حتى شاهدوها يوم جمعنا لهم، وفي ذلك وعيد للكفار عظيم لما يحصل معهم عند مشاهدتها من الفزع والروعة، ثم وصف الكافرين المذكورين بقوله: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾؛ أي: كانت أعينهم في الدنيا في غطاء وهو ما غطّى الشيءَ وستَره مِنْ جميع الجوانب ﴿عَن ذِكْرِي﴾ عن سبب ذكري وهو الآيات التي يشاهدها مَنْ له تفكّر واعتبار، فيذكر الله بالتوحيد والتمجيد، فأطلق المسبَّب على السبب، أو عن القرآن العظيم، وتأمل معانيه وتدبر فوائده.

ثم لمّا وصفهم سبحانه بالعَمى عن الدلائل[٤] التكوينية أو التنزيلية أو مجموعهما، أراد أن يصفهم بالصّمَم عن استماع الحق فقال: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾؛ أي: لا يقدرون على الاستماع لما فيه الحق من كلام الله وكلام رسوله، وهذا أبلغ مما لو قال: وكانوا صُمّاً؛ لأنّ الأصمّ قد يستطيع السمع إذا صيح به، وهؤلاء لا استطاعة لهم بالكليّة، وفي ذكر غطاء الأعين وعدم استطاعة السماع تمثيل لتعاميهم عَنْ المشاهدة بالأبصار وإعراضهم عن الأدلة السمعية ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

---

(١) «جامع البيان» (١٥/ ٤١٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٩١).
(٢) «الوسيط» للواحدي (٣/ ١٦٩).
(٣) «روح المعاني» (١٥/ ٥٧٩).
(٤) «تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٣٤)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٨٣).

الحُسْبان هنا بمعنى: الظنّ. والاستفهام: للتقريع[١] والتوبيخ والفاء للعطف على مُقدّر كنظائره.

والمعنى: أفظنّوا أنهم ينتفعون بما عبدوه مع إعراضهم عن تدبر آيات الله وتمرّدهم عَنْ قبول الحق؟ ومعنى ﴿أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ﴾؛ أي: يتخذوهم من دون الله، وهم الملائكة والمسيح والشياطين ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾؛ أي: مَعْبودين.

قال الزجاج[٢]: المعنى: أيحسبون أَنْ ينفعهم ذلك؟ وقُرئ (أفحسْب) بسكون السين[٣]، ومعناه: أكافيهم ومُحْسِبُهم أَنْ يتخذوهم أولياء؟ على أنه مبتدأ[٤] وخبر، يريد أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا﴾؛ أي: هيأناها لهم نُزلاً يتمتعون به عند ورودهم.

قال الزجاج[٥]: النُزْل المأوى والمنزل، وقيل: إنه الذي يعدّ للضيف، فيكون تهكماً بهم كقوله: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١ ـ الانشقاق: ٢٤]. والمعنى: أن جهنم معدّة لهم عندنا كما يعد النُزْل للضيف ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾ انتصاب[٦] أعمالاً على التمييز، والجمع للدلالة على إرادة الأنواع منها، ومحل الموصول وهو ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ الرفع على أنه خبر مبتدأ[٧] محذوف، كأنه قيل: مَنْ هم؟ فقيل: هم الذين ضل سعيهم، والمراد بضلال السعي: بطلانه وضياعه، ويجوز أن يكون في محل نصب على الذمّ، ويكون الجواب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ ويجوز أَنْ يكون في محل جرّ على أنه نعت للأخسرين أو بدل منه، ويكون الجواب أيضاً هو أولٰئك وما بعده، وأول هذه الوجوه هو أولاها، وجملة ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ في محل نصب على الحال من فاعل ضلّ؛ أي: والحال أنّهم يظنون أنهم محسنون في ذلك منتفعون بآثاره، وتكون جملة

---

(١) «روح المعاني» (١٥/ ٥٨٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٢٩)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٣٥).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣١٤).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص٨٢)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤). وهي قراءة شاذة.
(٤) «التبيان» (٢/ ٨٦٣)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٨٦)، و«الفريد» (٣/ ٣٧٤).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣١٤).
(٦) «الفريد» (٣/ ٣٧٥)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٨٨)، «التبيان» (٢/ ٨٦٣).
(٧) «الفريد» (٣/ ٣٧٥)، «روح المعاني» (١٥/ ٥٩٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٣٠).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ مستأنفة مسوقة لتكميل الخُسْران وبيان سببه.

هذا على الوجه الأوّل الراجح لا على الوجوه الآخرة، فإنها هي الجواب كما قدّمنا.

ومعنى كفرهم بآيات ربِّهم: كفرهم بدلائل توحيده من الآيات التكوينية والتنزيلية، ومعنى كفرهم بلقائه: كفرهم بالبعث وما بعده من أمور الآخرة، ثم رتب على ذلك قوله: ﴿فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾؛ أي: التي عملوها مما يظنونه حسناً، وهو خُسْران وضلال، ثم حكم عليهم بقوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾؛ أي: لا يكون لهم عندنا قَدْر ولا نعبأ بهم.

وقيل: لا يقام لهم ميزان تُوزن[١] به أعمالهم، لأن ذلك إنما يكون لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين، وهؤلاء لا حسنات لهم.

قال ابن الأعرابي[٢]: العرب تقول ما لفلان عندنا وزن؛ أي: قَدْر؛ لخسته، ويوصف الرجل بأنّه لا وزن له لخفّته، وسرعة طيشه، وقلّة تثبته. والمعنى على هذا أنهم لا يُعتدّ بهم ولا يكون لهم عند الله قدر ولا منزلة، وقرأ مجاهد (يقيم) بالياء التحتية[٣]؛ أي: فلا يقيم اللهُ، وقرأ الباقون بالنون[٤].

ثم بيّن سبحانه عاقبة هؤلاء وما يئول إليه أمرهم فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الذي ذكرناه مِنْ أنواع الوعيد ﴿جَزَآؤُهُمۡ﴾، ويكون قوله: ﴿جَهَنَّمُ﴾ عطف بيان للجزاء، أو جملة ﴿جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ مبتدأ وخبر[٥] والجملة خبر ذلك، والسبب في ذلك أَنّهم ضمّوا إلى الكفر اتخاذ آيات الله، واتخاذ رسله هُزوا، فالباء في ﴿بِمَا كَفَرُواْ﴾ للسببية[٦].

ومعنى كونهم هُزُوا: أَنَّهم مهزوء[٧] بهم.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٩٤)، و«جامع البيان» (١٥/ ٤٢٩)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٩٢).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ٢٥٦).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٨٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٣١). هي قراءة شاذة.

(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٢٣١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٩٣)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٩٢).

(٥) «روح المعاني» (١٥/ ٥٩٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٣١).

(٦) «الفريد» (٣/ ٣٧٦)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٩٣).

(٧) «جامع البيان» (١٥/ ٤٣٠).

وقد اختلف السلف في تعيين هؤلاء الأخسرين أعمالاً، فقيل: اليهود والنصارى، وقيل: كفّار مكة، وقيل: الخوارج، وقيل: الرهبان أصحاب الصوامع، والأولى حَمْل الآية على العموم لكلِّ مَنْ اتصف بتلك الصفات المذكورة.

ثم ذكر سبحانه بعد هذا الوعيد لهؤلاء الكفار الوعد للمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: جمعوا بينهما حتى كانوا على ضد صفة مَنْ قبلهم ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ قال ابن الأنباري[(١)]: كانت فيما سَبق مِنْ علم الله كانت لأهل طاعته ﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ قال المبرِّد[(٢)]: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب: الشجرُ الملتفّ والأغلب عليه العنب. واختار الزجّاج[(٣)] ما قاله مجاهد: إنّ الفردوس البُسْتان باللغة الرومية.

وقد تقدّم بيان النُزْل، وانتصابه على أنه خبر كان. والمعنى: كانت لهم ثمار جنة الفردوس نُزْلاً مُعدّاً لهم مبالغةً في إكرامهم، وانتصاب ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ على الحال[(٤)]، وكذلك جملة ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ في محل نصب[(٥)] على الحال، والحِوَل مصدر؛ أي: لا يَطْلبون تحوّلاً عنها إذ هي أعزّ مَنْ أن يطلبوا غيرها، أو تشتاق أنفسهم إلى سواها.

قال ابن الأعرابي[(٦)]، وابن قتيبة[(٧)]، والأزهري[(٨)]: الحِوَل اسم بمعنى: التحوّل يقوم مقام المصدر.

وقال أبو عبيدة[(٩)]، والفراء[(١٠)]: إنّ الحِوَل التحويل.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق هارون ابن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس[(١١)] في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ الآية قال: الجنّ والإنس ﴿يَمُوجُ﴾ بعضُهم ﴿فِى بَعْضٍ﴾.

---

(١) انظر: «الوسيط» للواحدي (٣/ ١٧٠)، و«زاد المسير» (٥/ ١٩٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٣٢).
(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٥٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٣٢).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣١٥).
(٤) «الفريد» (٣/ ٣٧٦)، و«التبيان» (٢/ ٨٦٤)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٩٨).
(٥) «الفريد» (٣/ ٣٧٧)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٩٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٣٢).
(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (٥/ ٢٤٠).
(٧) في «تفسير غريب القرآن» (ص٢٧١).
(٨) في «تهذيب اللغة» (٥/ ٢٤٠).
(٩) في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٦).
(١٠) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣١).
(١١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩١).

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[١] في قوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ قال: لا يعقلون سمعاً.

وأخرج أبو عبيد، وسعيد بن منصور، وابن المنذر عن عليّ[٢]: أنه قرأ ﴿أَفَحَسْبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ قال أبو عُبيد: بجزم السين[٣] وضم الباء.

وأخرج أبو عبيد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة[٤]: أنه قرأ كذلك.

وأخرج عبد الرزاق، والبخاري، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه من طريق مُصعب بن سعد[٥] قال: سألت أبي: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ أهم الحرورية؟ قال: لا هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذّبوا محمداً ﷺ، وأما النّصارى فكفروا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧]، وكان سعد يُسمّيهم: الفاسقين.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن مصعب[٦] قال: قلت لأبي: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ الحرورية هم؟ قال: لا ولكنّهم أصحاب الصوامع، والحرورية قوم: زاغوا فأزاغ الله قلوبهم.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي خميصة[٧] عبد الله بن قيس قال: سمعتُ عليّ بن أبي طالب يقول: في هذه الآية ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ إنهم الرهبان الذين حبسوا أنفسَهم في السواري.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٣).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٢١) عن مجاهد بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٤).

(٣) وهي قراءة شاذة.

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٤).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤١٣)، والبخاري رقم (٤٧٢٨)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٣١٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٢٥)، والحاكم (٢/ ٣٧٠).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤١٣)، والحاكم (٢/ ٣٧٠)، وانظر: البخاري رقم (٤٧٢٨).

(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٥).

وأخرج ابن مردويه[(١)] عن أبي الطفيل قال: سمعتُ عليّ بن أبي طالب وسأله ابن الكوّا فقال: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ قال: فَجَرةُ قريش.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريقين عن عليّ[(٢)]: أنه سئل عن هذه الآية ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ قال: لا أظنّ إلا أنّ الخوارج منهم.

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة[(٣)]، أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾».

وأخرج عبد بن حميد [٣/٢٠٩]، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه عن أبي أمامة[(٤)] قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله الفردوس، فإنّها سرّة الجنة، وإن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش».

وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث أبي هريرة[(٥)] قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنّه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمٰن، ومنه تفجَّر أنهار الجنة».

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأحمد، والترمذي، وابن جرير، والحاكم، والبيهقي، وابن مردويه عن عبادة بن الصامت[(٦)]، أن النبيّ ﷺ قال: «إن في الجنة مائةَ درجةٍ، كل درجة منها ما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومِنْ فوقها يكون العرش، ومنه تفجّر أنهار الجنة الأربعة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس».

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٥).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤١٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٧٢٩)، ومسلم رقم (٢٧٨٥).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٣١)، والطبراني رقم (٧٩٦٦)، والحاكم (٢/ ٣٧١). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٥) أخرجه البخاري رقم (٢٧٩٠، ٧٤٢٣) ولم يخرجه مسلم. انظر: «تحفة الأشراف» رقم (١٤٢٣٦).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٣٨)، وعبد بن حميد رقم (١٨٢ ـ «منتخب»)، وأحمد رقم (٢٢٦٩٥، ٢٢٧٣٨)، والترمذي رقم (٢٥٣١)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٣٢، ٤٣٣)، والحاكم (١/ ٨٠)، والبيهقي في «البعث» (٢٤٨). وهو حديث صحيح.

والأحاديث بهذا المعنى كثيرة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[١] قال: الفردوس بستان بالرومية.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عن السدّي قال: هو الكَرْم بالنبطية.

وأخرج ابن أبي شيبة، وهناد، وابن المنذر، عن عبد الله بن الحارث[٣]: أن ابن عباس سأل كعباً عَنْ الفردوس قال: هي جنّاتُ الأعناب بالسريانية.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٤] في قوله: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ قال: مُتحوّلاً.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.

لمّا ذكر سبحانه أنواع «الدلائل» نبَّه على كمال القرآن فقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ قال ابن الأنباري[٥]: سُمّي المداد مداداً لإمداده الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء، ويقال للزيت الذي يُوقد به السراج: مداد، والمراد بالبحر هنا: الجنس.

والمعنى: لو كُتبتْ كلماتُ علم الله وحكمته، وفُرضَ أَنّ جنس البحر مداداً لها لنفدَ البحرُ قبل نفود الكلمات، ولَو جئنا بمثل البحر مِداداً لنفدَ أيضاً، وقيل في بيان المعنى: لو كان البحرُ مداداً للقلم والقلم يَكْتب ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ كلام من جهته سبحانه غير داخل تحت قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ﴾.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٤٦٨)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٤).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٤٩) عن عبد الله بن الحارث، عن كعب.

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٨).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٧١).

وفيه زيادةُ مبالغةٍ وتأكيد، والواو لعطف ما بعده على جملة مُقدّرة مدلول عليها بما قبلها؛ أي: لنفدَ البحرُ قبل أن تنفد كلماتهُ لو لم يجئ بمثله مدداً، ولو جئنا بمثله مدداً، والمددُ: الزيادةُ، وقيل: عنى سبحانه بالكلمات الكلام القديم الذي لا غاية له ولا مُنْتهى، وهو وإنْ كان واحداً فيجوز أن يعبّر عنه بلفظ الجمع لما فيه من الفوائد، وقد عبّرت العرب عَنْ الفرد بلفظ الجمع، قال الأعشى[1]:

ووجهٌ نقّي اللونِ صافٍ يزينُه مَعَ الجيدِ لباتٌ لها ومعاصمُ

فعبّر بالّلبات عَنْ اللّبة.

قال الجُبّائي[2]: إنَّ قوله: ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ يدل على أن كلماته قد تنفد في الجملة، وما ثبت عدمه امتنع قدمه.

وأُجيب[3] بأنّ المراد: الألفاظ الدالة على متعلقات تلك الصفة الأزلية، وقيل في الجواب: إنّ نفاد شيء قبل نفاد شيء آخر لا يدّل على نفاد الشيء الآخر، ولا على عدم نفاده، فلا يستفاد من الآية إلا كثرة كلمات الله بحيث لا تضبطها عقول البشر، أما أنها متناهية، أو غير متناهية فلا دليل على ذلك في الآية.

والحق أنّ كلمات الله تابعة لمعلوماته، وهي غير متناهية، فالكلمات غير متناهية.

وقرأ مجاهد، وابن مُحَيصن، وحميد (ولو جئنا بمثله[4] مداداً) وهي كذلك في مصحف أُبيّ، وقرأ الباقون (مدداً)[5].

---

(١) انظر: «ديوانه» (ص١٢٧).
(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/ ١٧٦).
(٣) «تفسير الرازي» (٢١/ ١٧٦ ـ ١٧٧)، و«روح المعاني» (١٥/ ٦٠٠)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ١٧٢).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص٨٢)، و«المحتسب» (١٥/ ٣٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٣٣)، و«روح المعاني» (١٥/ ٦٠١). وهي قراءة شاذة.
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٣/ ٣١٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٩٧)، و«جامع البيان» (١٥/ ٤٣٨)، و«التبيان» (٢/ ٨٦٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٣٣).

وقرأ حمزة، والكسائي (قبل أنْ ينفد)[١] بالتحتية، وقرأ الباقون[٢] بالفوقية.

ثم أمر سبحانه نبيَّه ﷺ أن يسلك مسلك التواضع، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؛ أي: إنّ حالي مقصور على البشرية لا يتخطاها إلى المَلَكية، ومَنْ كان هكذا فهو لا يدّعي الإحاطة بكلمات الله إلَّا أنه امتاز عنهم بالوحي إليه من الله سبحانه فقال: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ وكفى بهذا الوصف فارقاً بينه وبين سائر أنواع البشر، ثم بيّن أن الذي أوحى إليه هو قوله: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريك له في ألوهيته، وفي هذا إرشاد إلى التوحيد، ثم أمرهم بالعمل الصالح والتوحيد فقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الرجاء توقّع وصول الخير في المستقبل.

والمعنى: مَنْ كان له هذا الرجاء الذي هو شأن المؤمنين ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو ما دلّ الشرع على أنّه عملُ خيرٍ، يُثاب عليه فاعلُه ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ من خلقه سواء كان صالحاً، أو طالحاً، حيواناً أو جماداً.

قال الماوردي[٣]: قال جميع أهل التأويل في تفسير هذه الآية: إن المعنى لا يرائي بعمله أحداً.

وأقول: إنّ دخول الشرك الجليّ الذي كان يفعله المشركون تحت هذه الآية هو المقدّم على دخول الشرك الخفي الذي هو الرياء، ولا مانع من دخول هذا الخفي تحتها، إنما المانع من كونه هو المراد بهذه الآية.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٤] في قوله: ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ يقول: علم ربي.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عن قتادة في الآية قال: يقول: ينفد ماءُ البحر قبل أن ينفد كلام الله وحكمته.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣١٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٣٤)، و«التيسير» (ص١٤٩)، و«روح المعاني» (١٥/ ٦٠١). ومع حمزة والكسائي خلف.

(٢) انظر: المصادر المتقدمة في التعليقة السابقة. (٣) في «النكت والعيون» (٣/ ٣٥٠).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٨).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٤)، وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩) عن قتادة بسند صحيح.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الآية قال: أُنْزِلت في المشركين الذين عبدوا مع الله إلٰهاً غيره، وليست هذه في المؤمنين.

وأخرجَ الحاكم وصحّحه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: «قال رجل: يا نبيّ الله إنّي أقف المواقف أبتغي وجه الله، وأحبّ أن يُرى موطني، فلم يردّ عليه شيئاً حتى نزلت هذه الآية ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾».

وأخرج ابن منده، وأبو نعيم في «الصحابة»، وابن عساكر من طريق السدّي الصغير عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس[٣] قال: كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدّق فذُكر بخير ارتاح له، فزاد في ذلك لقالة الناس فلا يريد به الله، فنزل في ذلك ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الآية.

وأخرج ابن المنذر عن مجاهد[٤] قال: «قال رجل: يا رسول الله أُعتق وأُحبّ أن يُرى، وأتصدّق وأحبّ أن يُرى، فنزلت: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الآية» وهو مرسل.

وأخرجه هناد[٥] في «الزهد» عنه أيضاً.

وأخرج ابن سعد، وأحمد، والترمذي، وابن ماجه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي سعيد بن أبي فَضَالة الأنصاري[٦] وكان مِنْ الصحابة: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه، نادى مُنادٍ: مَنْ كان أشرك في عملٍ عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك».

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٦٨٥٣).

(٢) أخرجه البيهقي رقم (٦٨٥٤)، والحاكم (٢/ ١١١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الصحابة» رقم (١٥٧٢)، وابن عساكر في «تاريخه» (١١/ ٣٠١) بسند ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٩).

(٥) أخرجه هنّاد في «الزهد» رقم (٨٥٢).

(٦) أخرجه أحمد رقم (١٥٨٣٨)، والترمذي رقم (٣١٥٤)، وابن ماجه رقم (٤٢٠٣)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٨١٧). وهو حديث حسن.

وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي هريرة[١]: «أن رجلاً قال: يا رسول الله الرجل يجاهد في سبيل الله وهو يبتغي عَرَضاً من الدنيا؟ فقال: لا أجر له، فأعظم الناس ذلك، فعاد الرجل فقال: لا أجر له».

وأخرج ابن أبي الدنيا في «الإخلاص»، وابن جرير في «تهذيبه»، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي عن شدّاد بن أوس[٢] قال: كنا نعدّ الرياء على عهد رسول الله ﷺ: الشركَ الأصغر.

وأخرج الطيالسي، وأحمد، وابن أبي الدنيا، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي عن شدّاد بن أوس[٣] أيضاً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صلى يرائي فقد أشرك، ومَنْ صام يرائي فقد أشرك، ومَنْ تصدّق يرائي فقد أشرك، ثم قرأ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الآية».

وأخرج الطيالسي، وأحمد، وابن مردويه، وأبو نعيم[٤] عن شدّاد أيضاً قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله يقول: أنا خير قسيم لمن أشرك بي، من أشرك بي شيئاً فإنّ عملَه قليله وكثيره لشريكه الذي أشركه، أنا عنه غنيّ».

وأخرج أحمد، والحكيم الترمذي، وابن جرير في «تهذيبه»، والحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي سعيد[٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيخ: الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي لمكان رجل».

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٨٥، ٣٧١)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٨٤٠)، وأحمد رقم (٧٩٠٠، ٨٧٩٣)، وأبو داود رقم (٢٥١٦). وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٧١٦٠)، وفي «الأوسط» رقم (١٩٦)، والحاكم (٤/ ٣٢٩)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٨٤٣) بسند صحيح.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٢): «رواه الطبراني في «الأوسط» والبزار... ورجالهما رجال الصحيح غير يعلى بن شداد وهو ثقة».

(٣) أخرجه الطيالسي في «مسنده» رقم (١٢١٦)، وأحمد في «مسنده» رقم (١٧١٤٠)، والطبراني رقم (٧١٣٩)، والحاكم (٤/ ٣٢٩)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٨٤٤) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه الطيالسي رقم (١٢١٦)، وأحمد رقم (١٧١٤٠)، وأبو نعيم (١/ ٢٦٨، ٢٦٩) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه أحمد رقم (١١٢٥٢)، والحكيم الترمذي (٢/ ٢٢٨)، والحاكم (٤/ ٣٢٩)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٨٣٢) بسند ضعيف.

وأخرج أحمد، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي عن شدّاد بن أوس(١) سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أتخوّف على أمتي الشرك والشهوة الخفية، قلت: أتشرك أمتك من بعدك؟ قال: نعم، أما إنّهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، ولكن يُراءون الناس بأعمالهم، قلت: يا رسول الله ما الشهوة الخفية؟ قال: يُصْبحُ أحدُهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه ويواقع شهوته».

وأخرج أحمد، ومسلم، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي هريرة(٢) عن النبي ﷺ عن ربه أنه قال: «أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك»، وفي لفظ: «فمن أشرك بي أحداً فهو له كله».

وفي الباب أحاديث كثيرة في التحذير من الرياء وأنّه الشرك الأصغر، وأن الله لا يقبله.

وقد استوفاها صاحب «الدرّ المنثور»(٣) في هذا الموضع فليرجع إليه، ولكنها لا تدلّ على أنه المراد بالآية؛ بل الشرك الجليّ يدخل تحتها دخولاً أوّليّاً، وعلى فرض أن سبب النزول هو الرياء كما يشير إلى ذلك ما قدّمنا، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرّر في علم الأصول.

وقد ورد في فضائل هذه الآية بخصوصها [٣/٢١٠] ما أخرجه الطبراني، وابن مردويه عن أبي حكيم(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يَنزل على أمتي إلّا خاتمة سورة الكهف لكفتهم».

وأخرج ابن راهويه، والبزار، والحاكم وصححه، والشيرازي في «الألقاب»،

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٧١٢٠)، والطبراني رقم (٧١٤٤، ٧١٤٥)، والحاكم (٤/ ٣٣٠)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٨٣٠) بسند ضعيف جدّاً.

(٢) أخرجه أحمد رقم (٧٩٩٩، ٨٠٠٠، ٩٦١٩)، ومسلم رقم (٢٩٨٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٨١٥، ٦٨١٦).

(٣) أي: السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٠ ـ ٤٧٤).

(٤) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» رقم (١٦٨٥) بسند ضعيف؛ لضعف محمد بن إسماعيل.

وابن مردويه عن عمر بن الخطاب[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ في ليلة ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الآية، كان له نور مِنْ عدن أبين إلى مكة حَشْوه الملائكة». قال ابن كثير[٢] بعد إخراجه: غريب جدّاً.

وأخرج ابن الضُرَيس[٣] عن أبي الدرداء قال: مَنْ حفظ خاتمة الكهف كان له نورٌ يوم القيامة من لدن قَرْنه إلى قدمه.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن معاوية بن أبي سفيان[٤] أنه تلا هذه الآية ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ وقال: إنها آخر آية نزلت من القرآن.

قال ابنُ كثير: وهذا أثرٌ مشكل، فإن هذه الآية هي آخر سورة الكهف، والكهف كلُّها مكية، ولعلّ معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها ما ينسخها ولا يغير حكمها؛ بل هي مثبتة مُحْكَمة، فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه.

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه البزار كما في «مختصر الزوائد» رقم (٢١٢٦) وقال: «لا نعلمه مرفوعاً إلا عن عمر بهذا الإسناد وأبو قرة تفرد عنه النضر».
قال ابن حجر: «قد وثق، وصح سماع سعيد من عمر».
وأخرجه ابن راهويه كما في «المطالب العالية» رقم (٤٠٣٥)، والحاكم (٢/ ٣٧١) من طريق النضر بن شميل، به. وصحَّحه الحاكم وتعقَّبه الذهبي بقوله: «أبو قرة فيه جهالة ولم يضعف».
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٢٩): «رواه البزار وفيه أبو قرة الأسدي لم يرو عنه غير النضر بن شميل، وبقية رجاله ثقات».

(٢) في «تفسيره» (٩/ ٢١٢).

(٣) أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» رقم (٢٠٦) من طريق قتادة، عن رجل من أهل الشام، عن أبي الدرداء بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٤١ ـ ٤٤٢)، والطبراني في «الكبير» (ج١٩ رقم (٩٢١)) بسند رجاله ثقات.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧) «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

سُورَةُ مَرْيَمَ

هي مكية وآياتها ثمان وتسعون آية.

أخرج النحاس، وابن مردويه عن ابن عباس(١) قال: أُنْزلت بمكة سورة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

وأخرج ابن مردويه(٢) عن ابن الزبير قال: نزلت سورة مريم بمكة.

وأخرج ابنُ مردويه عن عائشة مثلَه.

وأخرج أحمد(٣)، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» عن أمّ سلمة أن النجاشي قال لجعفر بن أبي طالب: هل معك مما جاء به - يعني: رسول الله ﷺ - عن الله شيء؟ قال: نعم، فقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ فبكى النجاشي حتى أخضلّ لحيتَه، وبكت أساقفتُه حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج مِنْ مشكاةٍ واحدة. وقد ذكر ابن إسحاق القصةَ بطولها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[قصة زكريا]:

﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى
خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ
ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن
قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ
عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾

---

(١) النحاس (ص٥٥٥).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/١٠).

(٣) أحمد (٣/٢٦٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/٣٠١) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/١٠) إلى ابن أبي حاتم. وقال مُحققو المسند: إسناده حسن.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾.

قولُه: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قرأ أبو جعفر هذه الحروف مُقطّعةً، ووصلَها الباقون، وأمال أبو عَمْرو الهاء[١] وفتح الياء، وعكس ذلك ابن عامر[٢] وحمزة، وأمالهما جميعاً[٣] الكسائي وأبو بكر وخَلَف، وقرأهما بين[٤] اللفظين أهلُ المدينة وفتحهما[٥] الباقون.

وعَنْ خارجة أن الحسن كان يضم «كاف»[٦]، وحُكي عن غيره[٧] أنه كان يضم ها. وقال أبو حاتم[٨]: لا يجوز ضمّ الكاف ولا الهاء ولا الياء.

قال النحاس[٩]: قراءة أهل المدينة مِنْ أحسن ما في هذا، والإمالة جائزة في «ها» وفي «يا» وقد اعترض على قراءة الحسن جماعة.

وقيل في تأويلها: أنّه كان يُشِمّ الرفع فقط.

وأظهر[١٠] الدال مِنْ هجاء «صاد» نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وعاصم، ويعقوب، وهو اختيار أبي عُبيد وأدغمها الباقون.

وقد قيل في توجيه هذه القراءات: أنّ التفخيم هو الأصلُ، والإمالة فرع عنه، فمَنْ قرأ بتفخيم الهاء والياء فقد عمل بالأصل.

ومَنْ أمالهما فقد عمل بالفرع، ومَنْ أمال أحدهما وفخم الآخر فقد عمل بالأمرين.

وقد تقدم الكلامُ في هذه الحروف الواقعة في فواتح السورة مستوفى في أوائل

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٠٥)، و«روح المعاني» (١٦/ ٧)، و«النشر» (٢/ ٧٦)، و«التيسير» (ص١٤٨). الصواب: أمال أبو عَمرو الهاء، وكذا الياء بخلف عَنْه.

(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٢٣٨)، و«روح المعاني» (١٦/ ٧).

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٢٣٨)، و«النشر» (٢/ ٣١٧)، و«التيسير» (ص١٤٨).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٢٣٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٠٥)، و«روح المعاني» (١٦/ ٧).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص٨٣). قراءة الحسن شاذة.

(٧) «البحر المحيط» (٧/ ٢٣٨)، و«روح المعاني» (١٦/ ٧).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٠٥).

(٩) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤).

(١٠) «التيسير» (ص١٤٨)، و«النشر» (٢/ ٣١٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٠٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٣٨).

سورة البقرة، ومحل هذه الفاتحة إنْ جُعلتْ اسماً للسورة على ما عليه الأكثر الرفعُ على أنها مبتدأ خبرها ما بعدها، قاله الفرّاء[١].

واعترضه الزجّاج[٢] فقال: هذا محال لأنّ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ليس هو ممّا أنبأنا الله ﷻ به عن زكرياء، وقد أخبر الله تبارك وتعالى عنه وعما بُشّر به، وليس ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ مِنْ قصته، أو على أنّها خبر مبتدأ محذوف، وإنْ جعلت مسرودة على نمط التعديد، فقوله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ خبر[٣] لمبتدأ محذوف؛ أي: هذا ذكر رحمة ربك؛ وقيل: هو مبتدأ خبرُه محذوف؛ أي: فيما يُتلى عليك ذكرُ رحمة ربك.

قال الزجّاج[٤]: ﴿ذِكْرُ﴾ مرتفع بالمضمر، والمعنى: هذا الذي نتلوه عليك ذكرُ رحمة ربك ﴿عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ يعني: إجابته إيّاه حين دعاه وسأله الولد.

وانتصاب ﴿عَبْدَهُۥ﴾ على أنه مفعول للرحمة قاله الأخفش[٥]، وقيل: للذكر.

ومعنى ذكر الرحمة: بلوغها وإصابتها، كما يقال: ذَكَرني معروفُ فلان؛ أي: بلغني. وقرأ يحيى بن يَعْمُر (ذِكْرَ) بالنصب[٦].

وقرأ أبو العالية ﴿عَبْدُهُ﴾ بالرفع[٧] على أنّ المصدر مضاف إلى المفعول، وفاعل الذكر هو ﴿عَبْدَهُۥ﴾، وزكرياء على القراءتين عطف بيان له أو بدل منه.

وقرأ الكلبي[٨] (ذَكَّر) على صيغة الفعل الماضي مشدّداً ومخففاً على أن الفاعل عبده.

وقرأ ابن يَعْمر[٩] على الأمر، وتكون الرحمة على هذا عبارة عن زكرياء؛ لأن كل نبيّ رحمة لأمته ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ العامل[١٠] في الظرف رحمة، وقيل: ذكر، وقيل: هو بدل اشتمال من زكرياء.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٦١). (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣١٨).
(٣) «التبيان» (٢/ ٨٦٥)، و«الفريد» (٣/ ٣٨٠). (٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣١٨).
(٥) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٢٤).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٠٧). وهي قراءة شاذة.
(٧) «القراءات الشاذة» (ص٨٣) وقد نسبها ابن خالويه إلى يحيى بن يعمر. وهي كذلك قراءة شاذة.
(٨) «روح المعاني» (١٦/ ١١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٣٩). وهي شاذة.
(٩) «روح المعاني» (١٦/ ١٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٣٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٠٧). والقراءة بالأمر: شاذة.
(١٠) «الفريد» (٣/ ٣٨١)، و«التبيان» (٢/ ٨٦٦).

واختلف في وجه كون ندائه هذا خفيّاً[١]؛ فقيل: لأنه أبعد عن الرياء، وقيل: أخفاه، لئلا يُلام على طلبه للولد في غير وقته، ولكونه مِنْ أمور الدنيا، وقيل: أخفاه مخافةً من قومه؛ وقيل: كان ذلك منه لكونه قد صار ضعيفاً هَرِماً لا يقدر على الجهر.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ هذه الجملة مفسِّرة لقوله: ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾، يقال: وهَنَ يَهِنُ وهنْاً إذا ضعف فهو واهن، وقُرئ بالحركات الثلاث. أراد أن عظامه فترت وضعفت قوّته، وذكر العظم؛ لأنّه عمودُ البدن[٢]، وبه قوامه، وهو أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوّته، ولأن أشدّ ما في الإنسان صلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ووحّد العظمَ قصداً إلى الجنس المفيد لشمول الوهن لكل فرد[٣] من أفراد العظام.

﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ قرأ أبو عَمْرو بإدغام[٤] السين في الشين، والباقون[٥] بعدمه.

والاشتعال في الأصل: انتشارُ شعاع النّار، فشبّه به انتشار بياض شعر الرأس في سواده بجامع البياض والإنارة، ثم أخرجه مخرج[٦] الاستعارة بالكناية، بأن حذف المشبه به وأداة التشبيه، وهذه الاستعارة مِنْ أبدع الاستعارات وأحسنها[٧].

قال الزجّاج[٨]: يقال للشيب إذا كثر جدّاً: قد اشتعل رأسُ فلان، وأنشد للبيد[٩]:

فإنْ تَرَيْ رأسي أمسى واضحاً ... سُلّط الشيبُ عليه فاشتعلْ

وانتصاب شيباً على التمييز قاله الزجّاج[١٠].

وقال الأخفش[١١]: انتصابه على المصدر؛ لأن معنى اشتعل: شاب.

---

(١) «النكت والعيون» (٣/ ٣٥٤)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٢).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٠٨). القراءة المتواترة هي (وهَنَ) بفتح الهاء، أما ضم الهاء، وكسرها فشاذ.
(٣) «روح المعاني» (١٦/ ١٣)، و«مفتاح العلوم» (ص٢٦).
(٤) «روح المعاني» (١٦/ ١٣ ـ ١٤)، و«النشر» (١/ ٢٩٢)، و«التيسير» (ص٢٤).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «المُطوّل» (ص٥٩٣)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٣ ـ ١٤).
(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٥٥).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣١٩).
(٩) انظر: «ديوان لبيد بن أبي ربيعة».
(١٠) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣١٩).
(١١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٢٤).

قال النّحاس[١]: قول الأخفش أولى لأنه مشتق من فَعَلَ، والمصدرية أظهر فيما كان كذلك، وكان الأصل اشتعل شيبُ رأسي، فأسند الاشتعال إلى الرأس لإفادة الشمول.

﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾؛ أي: لم أكن بدعائي إيّاك خائباً في وقت من الأوقات؛ بل كلما دعوتُك استجبتَ لي.

قال العلماء[٢]: يُستحب للمرء أَنْ يجمع في دعائه بين الخضوع، وذكر نعم الله عليه كما فعل زكرياء ها هنا، فإنّ في قوله: ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ غاية الخضوع والتذلل وإظهار الضعف والقصور عن نيل مطالبه، وبلوغ مآربه.

وفي قوله: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ ذكر ما عوّده الله من الإنعام عليه بإجابة أدعيته، يقال: شَقي بكذا؛ أي: تَعبَ فيه ولم يُحصِّل مقصودَه[٣] مِنْه.

﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ قرأ عثمان بن عفان، ومحمد بن علي بن الحسين، وأبوه علي، ويحيى بن يَعْمر (خَفَّتِ) بفتح الخاء[٤] وتشديد الفاء وكسر التاء وفاعله ﴿ٱلْمَوَٰلِىَ﴾؛ أي: قلّوا وعجزوا عن القيام بأمر الدين بعدي، أو انقطعوا بالموت، مأخوذاً من خَفَتَ القومُ إذا ارتحلوا، وهذه قراءة شاذةٌ بعيدة عن الصواب.

وقرأ الباقون (خِفْتُ) بكسر الخاء[٥] وسكون الفاء على أن فاعله ضمير يعود إلى زكرياء، ومفعوله الموالي، ومن ورائي متعلّق بمحذوف لا بخفت، وتقديره: خفتُ فعل الموالي مِنْ بعدي.

قرأ الجمهور (ورائيْ) بالهمز والمدّ[٦] وسكون الياء، وقرأ ابنُ كثير بالهمز والمدّ وفتح[٧] الياء.

---

(١) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٥).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٠٩).
(٣) «معالم التنزيل» (٣/ ١٨٨)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٤).
(٤) «جامع البيان» (١٥/ ٤٥٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٤١).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤١٠)، و«جامع البيان» (١٥/ ٤٥٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٤١)، و«التبيان» (٢/ ٨٦٦).
(٦) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٩٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٤١)، و«النشر» (٢/ ٣١٩).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.

وروي عنه أَنّه قرأ بالقصر[١] مفتوح الياء، مثل عَصَايَ.

والموالي هنا: هم الأقاربُ الذين يرثون وسائر العَصَبات مِنْ بني العمّ ونحوهم، والعربُ تسمّي هؤلاء موالي، قال الشاعر[٢]:

مهلاً بني عَمِّنا مهلاً موالينا ... لا تَنْشُروا بيننا ما كان مدفوناً

وقيل: الموالي الناصرون له.

واختلفوا في وجه المخافة من زكرياء لمواليه مِنْ بعده، فقيل: خاف أن يرثوا ماله، وأراد أن يرثه ولدُه، فطلب من الله سبحانه أن يرزقه ولداً.

وقال آخرون: إنهم كانوا مُهْمِلين[٣] لأمر الدين، فخاف أن يضيع الدين بموته، فطلب وليّاً يقوم به بعد موته، وهذا القول أرجح من الأوّل لأن الأنبياء لا يُورثون وهم أجلّ مِنْ أن يعتنوا بأمور الدنيا، فليس المراد هنا: وراثة المال؛ بل المراد: وراثة العلم والنبوّة والقيام بأمر الدين.

وقد ثبت عن نبيِّنا ﷺ أنه قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نُورث، ما تركناه صدقة»[٤].

﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ العاقر: هي التي لا تلد [٣/٢١١] لكبر سنِّها، والتي لا تلد أيضاً لغير كبر وهي المرادة هُنا، ويقال: للرجل الذي لا يلد: عاقر أيضاً، ومنه قول عامر بن الطفيل[٥]:

لبئسَ الفتى إنْ كنتَ أعورَ عاقراً[٦]

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٢٤١)، و«النشر» (٢/ ٣١٩)، و«الحجة» (٥/ ١٨٦)، و«زاد المسير» (٥/ ٢٠٨). القراءة عن ابن كثير بالقصر مفتوح الياء رواية شاذة، أم المدُّ مع سكون الياء ومع فتحها فقراءتان متواترتان.

(٢) هو: الأخضر اللهبي. وهو الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب. «الكامل» للمبرد (٣/ ١٤١٠)، و«المؤتلف والمختلف» للآمدي (ص٤١).

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٢٠).

(٤) أخرجه البخاري رقم (٦٧٢٦، ٦٧٢٧، ٦٧٣٥)، ومسلم رقم (١٧٥٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) انظر: «ديوانه» (ص٩٩).

(٦) وعجز البيت:

جباناً فما عُذْرِي لَدى كُلِّ مَحْضَرِ

قال ابنُ جرير[١]: وكان اسم امرأته أشياع بنت فاقود بن ميل، وهي أخت حنّة، وحنّة هي أمّ مريم.

وقال القتيبي[٢]: هي أشياع بنت عمران، فعلى القول يكون يحيى بن زكرياء ابن خالة أمّ عيسى، وعلى القول الثاني يكونان ابني خالة كما ورد في الحديث[٣] الصحيح ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾؛ أي: أعطني من فضلك وليّاً، ولم يُصرِّح بطلب الولد لما علم من نفسه بأنّه قد صار هو وامرأته في حالة لا يجوّز فيها حدوث الولد بينهما وحصوله منهما.

وقد قيل[٤]: إنّه كان ابن بضع وتسعين سنة، وقيل: بل أراد بالوليّ الذي طلبه هو الولد، ولا مانع من سؤال مَنْ كان مثله لما هو خارق للعادة، فإن الله سبحانه قد يُكرمُ رسلَه بما يكون كذلك، فيكون مِنْ جملة المعجزات الدالة على صدقهم ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ قرأ أهل الحرمين، والحسنُ، وعاصم، وحمزة، وابن محيصن، واليزيدي، ويحيى بن المبارك بالرفع[٥] في الفعلين جميعاً على أنهما صفتان للوليّ وليسا بجواب للدعاء.

وقرأ يحيى بن يَعْمُر، وأبو عَمْرو، ويحيى ابن وثّاب، والأعمش، والكسائي بالجزم[٦] فيهما على أنّهما جواب للدعاء.

ورجح القراءة الأولى أبو عُبيد[٧] وقال: هي أصوب في المعنى؛ لأنه طلب وليّاً هذه صفته فقال: هب لي الذي يكون وارثي.

ورجح ذلك النّحاس[٨] وقال: لأنّ جواب الأمر عند النحويين فيه معنى الشرط والمجازاة، تقول: أطعِ اللهَ يُدْخلْك الجنةَ؛ أي: إنْ تطعه يُدْخلك الجنة، وكيف

---

(١) في «التاريخ» (١/ ٥٨٥).
(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤١٢).
(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٤٣٠)، ومسلم رقم (١٦٢)، وأحمد رقم (١٧٨٥) من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه.
(٤) «المحرر الوجيز» (١١/ ١٤ ـ ١٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤١٣).
(٥) «التيسير» (ص١٤٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٨٤)، و«التبيان» (٢/ ٨٦٧)، و«النشر» (٢/ ٣١٧).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) «البحر المحيط» (٧/ ٢٤١).
(٨) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٦ ـ ٧).

يخبر الله سبحانه بهذا، أعني: كونه أَنْ يهب له وليّاً يرثه، وهو أعلم بذلك؟.

[الوراثة هنا وراثة العلم والنبوة]:

والوراثة هنا هي وراثةُ العلم والنبوّة على ما هو الراجح كما سلف. وقد ذهب أكثرُ المفسرين إلى أنّ يعقوب المذكور هنا هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

وزعم بعض المفسرين أنّه يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان، وبه قال الكلبي(١) ومقاتل.

وآل يعقوب هم خاصتُه الذين يؤول أمرهم إليه للقرابة أو الصحبة أو الموافقة في الدين، وقد كان فيهم أنبياء وملوك، وقُرِئ(٢) «يرثني وارثٌ مِنْ آل يعقوب» على أنّه فاعل يرثني.

وقُرِئ (وأُرِثُ(٣) آلَ يعقوب)؛ أي: أنا. وقُرِئ(٣) (أُوَ يرثُ آل يعقوب) بلفظ التصغير على أنّ هذا المصغّر فاعل يرثني، وهذه القراءات في غاية الشذوذ لفظاً.

ومعنى ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾؛ أي: مَرْضياً في أخلاقه وأفعاله؛ وقيل: راضياً بقضائك وقَدَرك؛ وقيل: رجلاً صالحاً ترضى عنه؛ وقيل: نبيّاً كما جعلت آباءه أنبياء.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ قال جمهور المفسرين: إنّ هذا النداء من الله سبحانه، وقيل: إنّه من جهة الملائكة، لقوله في آل عمران: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وفي الكلام حذف؛ أي: فاستجاب له دعاءه، فقال: يا زكرياء.

وقد تقدّم في آل عمران وجه التسمية بيحيى وزكرياء.

قال الزجّاج(٤): سمي يحيى لأنّه حَييَ بالعلم والحكمة التي أوتيها ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

قال أكثر المفسرين: معناه: لم نسمّ أحداً قبله يحيى.

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤١٦)، و«الإتقان» (٢/ ١٠٦٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٧).

(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٢٤١)، و«روح المعاني» (١٦/ ٢٠).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٨٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٤١)، و«روح المعاني» (١٦/ ٢١).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٢٠).

وقال مجاهد[(١)] وجماعة: معنى ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾: أنّه لم يجعل له مِثْلاً ولا نظيراً، فيكون على هذا مأخوذاً مِنْ المساماة أو السموّ، وردّ هذا بأنه يقتضي تفضيله على إبراهيم وموسى، وقيل: معناه: لم تلد[(٢)] عاقرٌ مثله، والأوّل أولى.

وفي إخباره سبحانه بأنَّه لم يسمّ بهذا الاسم قبله أحد، فضيلةٌ[(٣)] له من جهتين:

الأولى: أنّ الله سبحانه هو الذي تولَّى تسميته به، ولم يكلها إلى الأبوين.

والجهة الثانية: أن تسميته باسم لم يُوضع لغيره يفيد تشريفه وتعظيمه.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾؛ أي: كيفَ أو مِنْ أين يكون لي غلام؟ وليس معنى هذا الاستفهام الإنكار؛ بل التعجّب مِنْ قدرة الله وبديع صنعه، حيث يخرج ولداً من امرأة عاقرٍ، وشيخٍ كبير.

وقد تقدّم الكلام على مثل هذا في آل عمران.

﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ يقال: عَتا الشيخُ يعتو عُتيًّا: إذا انتهى سنُّه وكَبِر، وشيخ عاتٍ: إذا صار إلى حال اليَبس والجفاف، والأصل: عُتّواً لأنّه من ذوات الواو فأبدلوه ياء لكونها أخفّ، ومثل ما في الآية قول الشاعر[(٤)]:

إنما يُعذَرُ الوليدُ ولا يُعـ ... ـذَرُ مَنْ كان في الزمانِ عِتياً

وقرأ يحيى بن وثّاب، وحمزة، والكسائي، وحفص، والأعمش (عِتيّاً) بكسر[(٥)] العين، وقرأ الباقون بضم العين[(٦)] وهما لغتان.

ومحل جملة ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ النصب[(٧)] على الحال من ضمير المتكلّم، ومحل جملة ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ النصب[(٨)] أيضاً على الحال، وكلا الجملتين لتأكيد الاستبعاد والتعجّب المستفاد من قوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٦٢) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٦١ ـ ٤٦٢) عن ابن عباس بسند صحيح.
(٣) «النكت والعيون» (٣/ ٣٥٧).
(٤) هو: إبراهيم بن هرمة. انظر: «ديوانه» (ص٢٢٦).
(٥) «النشر» (٢/ ٣١٧)، و«روح المعاني» (١٦/ ٢٧).
(٦) «التيسير» (ص١٤٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤١٨).
(٧) «الفريد» (٣/ ٣٨٣)، و«روح المعاني» (١٦/ ٢٧).
(٨) «التبيان» (٢/ ٨٦٧)، و«الفريد» (٣/ ٣٨٣).

غُلَمٌ﴾؛ أي: كيفَ يحصل بيننا ولدُ الآن، وقد كانت امرأتي عاقراً لم تلد في شبابها وشبابي وهي الآن عجوز، وأنا شيخ هرم؟!

ثم أجاب الله سبحانه على هذا السؤال المُشْعِر بالتعجّب والاستبعاد بقوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ الكاف في محل رفع(١)؛ أي: الأمر كذلك، والإشارة إلى ما سبق من قول زكريا، ثم ابتدأ بقوله: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ ويحتمل أن يكون محله النصب(٢) على المصدرية؛ أي: قال قولاً مثل ذلك، والإشارة بذلك إلى مُبْهم يفسِّره قوله: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ وأمّا على الاحتمال الأوّل فتكون جملة ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ مستأنفة مسوقة لإزالة استبعاد زكريا بعد تقريره؛ أي: قال هو مع بُعْده عندك عليّ هَيّنٌ، وهو فَيْعِلٌ مِنْ هان الشيء يَهون إذا لم يَصْعُب ولم يمتنع من المراد.

قال الفرّاء(٣): أي: خَلْقُه عليّ هَيّنٌ ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ هذه الجملة مقرِّرة لما قبلها.

قال الزجّاج(٤): أي: فخلق الولد لك كخلقك.

والمعنى: أنّ الله سبحانه خلقه ابتداءً، وأوجده مِنْ العدم المحض، فإيجاد الولد له بطريق التوالد المعتاد أهون مِنْ ذلك وأسهل منه، وإنما لم ينسب ذلك إلى آدم عليه السلام لكونه المخلوق من العدم حقيقة بأن يقول: وقد خلقتُ أباك آدم من قبل ولم يك شيئاً، للدلالة على أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشاء آدم من العَدم.

قرأ أهلُ المدينة وأهلُ مكة والبصرة وعاصم وابن عامر (وقد خلقتُك(٥) من قبل) وقرأ سائر الكوفيين (وقد خلقناكَ(٦) مِنْ قبل). ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾؛ أي: علامةً تدلني على وقوع المسؤول، وتحقُّقه وحصول الحبَل، والمقصود من هذا السؤال: تعريفه وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه.

قال ابن الأنباري(٧): وجه ذلك: أنَّ نفسَه تاقت إلى سرعة الأمر، فسأل الله

---

(١) «التبيان» (٢/ ٨٦٧)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٠)، و«الفريد» (٣/ ٣٨٤).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٦٢).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٢١).
(٥) «النشر» (٢/ ٣١٧)، و«التيسير» (ص١٤٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٤٤). هما متواترتان، وقراءة (قد خلقناك) بـ (نا) الفاعلين هي لحمزة والكسائي.
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٧٨).

آيةً يستدلّ بها على قُرب ما مَنّ به عليه، وقيل: طلب آيةً تدله على أن البشرى من الله سبحانه لا مِنْ الشيطان، لأنّ إبليس أوهمه بذلك، كذا قال الضحّاك والسدّي وهو بَعيد جدّاً. ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ قد تقدّم تفسير هذا في آل عمران مستوفى، وانتصاب ﴿سَوِيًّا﴾ على الحال[1].

والمعنى: آيتُك أَنْ لا تقدر على الكلامَ ـ والحال أنَّك سويّ الخلق ليس بك آفة تمنعك منه ـ وقد دلّ بذكر الليالي هنا والأيام في آل عمران: أنّ المراد ثلاثة أيام ولياليهنّ.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ وهو مصلّاه، واشتقاقه مِنْ الحَرْب، كأنّ ملازمه يحارب الشيطان، وقيل: من الحَرَب[2] محركاً، كأنّ ملازِمه يلقى حرباً وتعباً وَنصباً ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قيل معنى أوحى: أومأ بدليل قوله في آل عمران: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١].

وقيل: كتب لهم في الأرض وبالأوّل قال الكلبي[3]، والقتيبي[4]، وقتادة[5]، وابن منّبه[6]، وبالثاني قال مجاهد[7]، وقد يطلق الوحي على الكتابة، ومنه قول ذي الرُّمة[8]:

سوى الأربعِ الدُّهْم اللّواتي كأنها ... بقيةُ وَحْيٍ في بطونِ الصحائفِ

وقال عنترة[9]:

كوحي صحائفٍ من عهدِ كسرى ... فأهداها لأعجمَ طِمْطِميّ

---

(١) «التبيان» (٢/ ٨٦٧)، و«الفريد» (٣/ ٣٨٤).
(٢) «المحرر الوجيز» (١١/ ١٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ٤٢٠).
(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٥٩).
(٤) في «تفسير غريب القرآن» (ص٢٧٣).
(٥) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١١/ ١٦).
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٧١ ـ ٤٧٢) بسند ضعيف، من طريق رجل مبهم، عن وهب، وهو ابن منبه.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٧١) بسند صحيح.
(٨) انظر: «ديوانه» (٣/ ١٦٢٢).
(٩) انظر: «ديوانه» (ص٧٨).

و«أن» في قوله: ﴿أَن سَبِّحُواْ﴾ مصدرية[١] أو مفسِّرة، والمعنى: فأوحى إليهم بأنْ صلّوا، أو أي: صلّوا، وانتصاب ﴿بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ على الظرفية.

قال الفرّاء[٢]: العشي يؤنّث، ويجوز تذكيره إذا أُبهم.

قال: وقد يقال: العشيّ جمع عشية، قيل: والمراد صلاة الفجر والعصر، وقيل: المراد بالتسبيح: هو قولهم: سبحان الله في الوقتين؛ أي: نزّهوا ربَّكم طرفي النهار.

وقد أخرج الفريابيُّ، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، والضياء في المختارة عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كبيرٌ، هادٍ، أمينٌ، عزيز، صادقٌ، وفي لفظ كافٍ بدل: كبيرٌ.

وأخرج عَبْدُ الرزاق، وآدم بن أبي إياس، وعثمان بن سعيد الدارمي في «التوحيد»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[٤] ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال: كافٌ من كريم، وهاءً مِنْ هادٍ، وياءٌ من حكيم، وعَينٌ من عليم، وصادٌ من صادق.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[٥] عن ابن مسعود وناس مِنْ الصحابة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ هو الهجاء المُقطّع: الكافُ مِنْ الملك، والهاء من الله، والياء والعين من العزيز، والصاد مِنْ المصوّر.

وأخرج ابنُ مردويه[٦] عَنْ الكلبي أنه سُئل عن ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ فحدّث عن أبي

---

(١) «الفريد» (٣/ ٣٨٥)، و«التبيان» (٢/ ٨٦٨). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٤٣ ـ ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٠)، والحاكم (٢/ ٣٧٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٦٥، ١٦٦)، والضياء (١٠/ ٥٦ رقم ٤٨) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣)، والدارمي في «الرد على المريسي» (ص١١)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٤٤ ـ ٤٥٠)، والحاكم (٢/ ٣٧١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٦٤) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٨).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٨).

صالح، عَنْ أمّ هانئ، عَنْ رسول الله ﷺ قال: «كافٍ، هادٍ، عالمٌ، صادقٌ».

وأخرج عُثمان بن سعيد الدارميّ، وابنُ ماجه، وابنُ جرير عَنْ فاطمة ابنة عليّ[(١)] قالت: كان عليٌّ يقول: يا كٓهيعٓصٓ اغفرْ لي.

وأخرجَ أبو الشيخ في «العظَمَة»، وابنُ مردويه مِنْ طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس[(٢)] في ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال: الكافُ الكافي، والهاءُ الهادي، والعينُ العالم، والصاد الصادقُ.

وأخرجَ أبو عبيد، وابن المنذر، عن السُدّي قال: كان ابنُ عباس[(٣)] يقول في ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿يسٓ﴾ وأشباه هذا: هو [٣/٢١٢] اسم الله الأعظم.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[(٤)] عن ابن عباس قال: هو قَسَمٌ أقسم الله به، وهو من أسماء الله.

[فصّل المصنّف الكلام عن الحروف المقطعة في أوائل السور]:

وكما وقع الخلاف في هذا وأمثاله بين الصحابة وقع بين من بعدهم ولم يصح مرفوعاً في ذلك شيء، ومَنْ روي عنه من الصحابة في ذلك شيء فقد روى عن غيره ما يخالفه، وقد يُروى عن الصحابي نفسه التفاسير المتخالفة المتناقضة في هذه الفواتح فلا يقوم شيء من ذلك حُجّةٌ؛ بل الحقُّ الوقفُ، وردّ العلم في مثلها إلى الله سبحانه، وقد قدّمنا تحقيق هذا في فاتحة سورة البقرة.

وأخرج أحمد، وأبو يعلى، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن أبي هريرة[(٥)] عن النبيّ ﷺ قال: «كان زكريا نجّاراً».

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود[(٦)] قال: كان آخر أنبياء بني إسرائيل

---

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على المريسي» (ص١١)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٥١)، وابن ماجه في «تهذيب الكمال» (٢٩/ ٢٨٤) من طريق ابي بكر الهُذَليِّ، به.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٨٨) بسند ضعيف جدّاً.

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٨) إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٨).

(٥) أخرجه أحمد رقم (٧٩٤٧، ٩٢٥٧)، وأبو يعلى رقم (٦٤٢٦)، والحاكم (٢/ ٥٩٠)، وهو في «صحيح مسلم» رقم (٢٣٧٩). وهو حديث صحيح.

(٦) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٩٠).

زكريا بن آزر بن مسلم مِنْ ذرية يعقوب دعا ربَّه سرّاً ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ إلى قوله: ﴿خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ قال: وهم العَصَبةُ ﴿يَرِثُنِي﴾ يرث نبوّتي ونبوّة آل يعقوب، فنادته الملائكة، وهو جبريل: إنّ الله يبشرك ﴿بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾.

فلمّا سمع النداء جاءه الشيطان فقال: يا زكريّا إن الصوت الذي سمعتَ ليس من الله إنما هو من الشيطان سَخِرَ بك، فشكَّ وقال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ يقول: مِنْ أين يكون ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠]، قال الله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾.

وأخرج ابنُ أبي حاتم(١) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾ قال: الورثة: وهم عَصَبةُ الرجل.

وأخرج الفريابي(٢) عنه قال: كان زكريا لا يُولد له فسأل ربَّه فقال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ قال: يرثُ مالي ويرثُ من آل يعقوب النبوّةَ.

وأخرج الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه عن ابن عباس(٣) في قوله: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قال: مِثْلاً.

وأخرج سعيدُ بن منصور، وعبدُ بن حميد، وأبو داود، وابن جرير، والحاكم وصحّحه، وابنُ مردويه عنه(٤) قال: لا أدري كيفَ كانَ رسولُ الله ﷺ يقرأ هذا الحرف عتياً أو عُسيّاً.

وأخرج ابنُ أبي حاتم(٥) عن عطاء في قوله: ﴿عِتِيًّا﴾ قال: لبث زماناً في الكبر.

وأخرج(٦) أيضاً عَنْ السُدّي قال: هرماً.

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٧).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٠).

(٣) أخرجه الفريابي كما في «التغليق» (٤/ ٣٣)، وابن أبي شيبة (١١/ ٥٦٠)، والحاكم (٢/ ٣٧٢)، وابن أبي حاتم كما في «فتح الباري» (٦/ ٤٦٨).

(٤) أخرجه أحمد رقم (٢٢٤٦، ٢٣٣٢)، وأبو داود رقم (٨٠٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٦٥)، والحاكم (٢/ ٢٤٤) بسند صحيح.

(٥)(٦) لم أجده في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٢) (ط. دار الفكر)، ولعله في نسخه أخرى.

وأخرج ابنُ جرير[١] عن ابن عباس في قوله: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ قال: اعتُقل لسانُه مِنْ غير مرضٍ.

وفي لفظ[٢]: من غير خَرَسٍ، أخرجه[٣] ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[٤] عَنْه أيضاً ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ قال: كتب لهم كتاباً.

وأخرج ابنُ أبي الدنيا، والحاكم وصحَّحه عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿أَن سَبِّحُواْ﴾ قال: أمرهم بالصلاة ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

[ذكرُ يحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ]:

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾.

قولُه: ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ ها هنا حذف، وتقدُيره: وقال الله للمولود: يا يحيى، أو: فُولِد له مولودٌ فبلغ المبلغ الذي يجوز أَنْ يُخَاطب فيه، فقلنا له: يا يحيى.

وقال الزجّاج[٦]: المعنى: فوهبنا له وقُلْنا له: يا يحيى.

والمراد بالكتاب: التوراة لأنّه المعهود حينئذٍ، ويحتمل أن يكون كتاباً مختصّاً به وإنْ كنا لا نعرفه الآن، والمراد بالأخذ: إمَّا الأخذ الحسي أو الأخذ من حيث المعنى، وهو القيام بما فيه كما ينبغي، وذلك بتحصيل مَلَكةً تقتضي سهولة الإقدام على المأمور به، والإحجام عَنْ المنهيّ عنه، ثم أكّده بقوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: بجدّ وعزيمة واجتهاد ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ المراد بالحكم: الحِكْمة، وهي الفهم للكتاب الذي أُمر بأخذه وفهم الأحكام الدينية، وقيل: هي العلمُ، وحفظهُ، والعملُ به.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٦٨) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٦٨) بسند صحيح.
(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٣).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٣).
(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٢).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٢١).

وقيل: النبوّة؛ وقيل: العقل، ولا مانع مِنْ أن يكون الحكم صالحاً لحمله على جميع ما ذُكر. قيل: كان يحيى عند هذا الخطاب له ابن سنتين، وقيل: ابن ثلاث.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ معطوف على الحُكْم.

قال جمهور المفسرين(١): الحنَانُ: الرحمةُ، والشفقةُ، والعطف، والمحبة، وأصله(٢) تَوقَان النفس، مأخوذ مِنْ حنين الناقة على ولدها.

قال أبو عُبيدة(٣): تقول: حنانَك يا ربّ وحنانيك يا ربّ بمعنى واحد، يريد: رحمتَك، قال طَرَفة(٤):

أبا منذرٍ أفنيْتَ فاستبْقِ بعضَنا ... حنانيك بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ

وقال امرؤ القيس(٥):

ويمنحُها بنو شَمَجى بنِ بَكْرٍ ... مَعِيزَهم حَنَانَك ذا الحنَانِ

قال ابن الأعرابي(٦): الحنّان مشدّداً مِنْ صفات الله ﷻ، والحنَان مخففاً: العطفُ والرحمة، والحَنانُ: الرزق والبركة.

قال ابن عطية(٧): والحنان: في كلام العرب أيضاً: ما عُظِّم من الأمور في ذات الله، ومِنْه قول زيد بن عَمْرو بن نفيل: والله لئن قتلتم هذا العبد لأتخذنَّ قبره حناناً، يعني: بلالاً، لما مرَّ به، وهو يُعذَّب، وقيل: إنّ القائل لذلك هو ورقة بن نوفل. قال الأزهري(٨): معنى ذلك: لأترحمنّ عليه، ولأتعطفنّ عليه لأنه من أهل الجنّة، ومثله قول الحُطيئة(٩):

تحنّنْ عليَّ هداك المليكُ ... فإنَّ لكلِّ مقام مقالا

ومعنى ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾: مِنْ جنابنا، قيل: ويجوز أن يكون المعنى: أعطيناه رحمةً من لدنا كائنة في قلبه يتحنن بها على الناس، ومنهم: أبواه وقرابتُه حتى يُخلِّصَهم من

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٢٤).
(٢) «المحرر الوجيز» (١١/ ١٧)، و«جامع البيان» (١٥/ ٤٧٥).
(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢).
(٤) انظر: «ديوان طرفة بن العبد» (ص٦٦).
(٥) انظر: «ديوانه» (ص١٤٣).
(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ٤٤٦).
(٧) في «المحرر الوجيز» (١١/ ١٧).
(٨) في «تهذيب اللغة» (٣/ ٤٤٨).
(٩) انظر: «ديوان الحطيئة» (ص٢٢٢).

الكفر ﴿وَزَكَوٰةً﴾ معطوف على ما قبله، والزكاةُ: التطهير والبركةُ والتنمية والبرّ؛ أي: جعلناه مباركاً للناس يهديهم إلى الخير؛ وقيل: زكيناه بحسن الثناء[١] عليه كتزكية الشهود، وقيل: صدقة تصدقنا به على أبويه قاله ابن قتيبة[٢] ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾؛ أي: متجنباً لمعاصي الله مطيعاً له.

وقد روي أنه لم يعمل معصية قط ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ معطوف على ﴿تَقِيًّا﴾، البرّ هنا بمعنى: البارّ[٣]، فَعْل بمعنى فاعل، والمعنى: لطيفاً بهما، مُحْسناً إليهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾؛ أي: لم يكن مُتكبِّراً ولا عاصياً لوالديه أو لربِّه، وهذا وصف له ﷺ بلين الجانب وخفض الجناح ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ قال ابن جرير[٤] وغيره: معناه: أمان عليه من الله.

قال ابن عطية[٥]: والأظهر عندي أنّها التحية المتعارفة، فهي أشرف وأنبه من الأمان؛ لأن الأمان متحصل له بنفي العصيان عنه، وهو أقلّ درجاته، وإنما الشرف في أَنْ يُسلّم الله عليه.

[ما وجه تخصيص السلام بهذه المواطن الثلاث؟]:

ومعنى ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ أنه أمن مِنْ الشيطان وغيره في ذلك اليوم، أو أن الله حيّاه في ذلك اليوم، وهكذا معنى ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ وهكذا معنى ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ قيل: أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن: يوم ولد لأنَّه خرج مما كان فيه، ويوم يموت لأنَّه يرى قوماً لم يكن قد عرفهم وأحكاماً ليس له بها عهد، ويوم يُبعث لأنه يرى هولَ يوم القيامة. فخصّ الله سبحانه يحيى بالكرامة والسلامة في المواطن الثلاثة.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وعبدُ بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٦] في قوله: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ قال: بجدّ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قال: الفَهمُ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٦٠).
(٢) في «تفسير غريب القرآن» (ص٢٧٣).
(٣) قاله مقاتل كما في «النكت والعيون» (٣/ ٣٦٠).
(٤) في «جامع البيان» (١٥/ ٤٨١).
(٥) في «المحرر الوجيز» (١١/ ١٨).
(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٤).

وأخرج ابنُ أبي حاتم[١] عن سعيد بن جبير قال: يقول: اعمل بما فيه من فرائضه.

وأخرج ابن المنذر[٢] عن مالك بن دينار قال: اللُّب.

وأخرج أبو نعيم، وابن مردويه، والديلمي عن ابن عباس[٣]، عن النبيِّ ﷺ في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قال: أُعطي الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين.

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن أبي حاتم[٤] عن قتادة: قال: وهو ابنُ ثلاث سنين.

وأخرج الحاكم في «تاريخه»[٥] من طريق نَهْشل بن سعيد، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الغلمان ليحيى بن زكريا: اذهبْ بنا نلعب، فقال يحيى: ما للعب خُلقنا، اذهبوا نُصلي، فهو قول الله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾».

وأخرج ابن مردويه، والبيهقي في «الشعب»، عن ابن عباس[٦] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ القرآن قبل أن يَحْتلم فهو ممّن أوتي الحكم صبيّاً».

وأخرجه ابن أبي حاتم[٧] عن ابن عباس موقوفاً.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» من طريق عكرمة عن ابن عباس[٨] في قوله: ﴿وَحَنَانًا﴾ قال: لا أدري ما هو إلا أنّي أظنه تَعطُّف الله على عبده بالرحمة.

وقد فسّرها جماعة من السلف بالرحمة[٩].

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٠).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٤).
(٣) أخرجه الديلمي في «مسنده» رقم (٧٣٧١).
(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص٧٦، ٩٠)، وابن عساكر (٦٤/ ١٨٣).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٥).
(٦) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (١٩٤٩).
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٥).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٧٧)، والحاكم (٢/ ٣٧٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٤١) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٧٦) عن قتادة بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَزَكَوٰةً﴾ قال: بركةً، وفي قوله: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ قال[٢]: طَهُر فلم يَعْمل بذنْب.

[قصة ولادة عيسى ابن مريم]:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [٣/٢١٣].

قوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ هذا شروع في ابتداء خلق عيسى، والمراد بالكتاب: هذه السورة؛ أي: اذكر يا محمد للناس في هذه السورة قصة مريم، ويجوز أَنْ يُراد بالكتاب: جنس القرآن، وهذه السورة منه، ولمّا كان الذكر لا يتعلق بالأعيان احتيج إلى تقدير مضاف يتعلق به الذكر، وهو قصة مريم، أو خبر مريم ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾ العامل في الظرف[٣] هو ذلك المضاف المُقدّر، ويجوز أَنْ يجعل بدل اشتمال مِنْ مريم؛ لأنَّ الأزمان مشتملة على ما فيها، ويكون المراد بمريم: خبرها، وفي هذا الإبدال دلالة على تفخيم شأن الوقت لوقوع قصتها العجيبة فيه، والنَّبْذُ[٤]: الطرْحُ والرمي.

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠١).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٨٠) بسند ضعيف.
(٢) «التبيان» (٢/ ٨٦٨)، و«الفريد» (٣/ ٣٨٦). (٣) «الصحاح» (٢/ ٥٧١).
(٤) «الفريد» (٣/ ٣٨٦)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٥)، و«التبيان» (٢/ ٨٦٨).

قال الله سبحانه: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. والمعنى: أنها تنحّتْ وتباعدتْ.

وقال ابن قتيبة(١): اعتزلت وقيل: انفردت، والمعاني متقاربة.

واختلفوا في سبب انتباذها فقيل: لأجل أَنْ تعبدَ الله سبحانه؛ وقيل: لتطهر من حيضها، و﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ متعلق بانتبذت.

وانتصاب ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ على المفعولية(٢) للفعل المذكور؛ أي: مكاناً من جانب الشرق، والشَرْق بسكون الراء: المكان الذي تَشْرقُ فيه الشمس، وإنما خص المكان بالشرق لأنّهم كانوا يُعظّمون جهة الشرق لأنّها مطلعُ الأنوار، حكى معناه ابن جرير(٢).

وقد اختلف الناس(٣) في نبوّة مريم، فقيل: إنَّها نبيّة بمجرّد هذا الإرسال إليها ومخاطبتها للمَلَك؛ وقيل: لم تكن نبيّة؛ لأنه إنما كلّمها المَلَك وهو على مثال البشر.

وقد تقدّم الكلام في هذا في آل عمران.

﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾؛ أي: اتخذت مِنْ دون أهلها حجاباً يسترها عنهم لئلا يروها حال العبادة. أو حال التطهر مِنْ الحيض، والحجاب الستر والحاجز.

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ هو جبريلُ عليه السلام، وقيل: هو روح عيسى؛ لأن الله سبحانه خلق الأرواح قبل الأجساد، والأوّل أولى لقوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾؛ أي: تمثّل جبريل لها بشراً مستوي الخَلْق لم يَفْقد من نعوت بني آدم شيئاً.

قيل: ووجه تمثّل الملك لها بشراً أنها لا تطيق أن تنظر إلى المَلك وهو على صورته، فلما رأته في صورة إنسانٍ حسن كامل الخَلْق، قد خرق عليها الحجاب ظنت أنّه يريدها بسوء، فاستعاذت بالله منه و﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾؛

(١) في «جامع البيان» (١٥/ ٤٨٣).

(٢) «المحرر الوجيز» (١١/ ١٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٢٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٢٨٧)، والبخاري في «صحيحه» قبل الحديث رقم (٤٧٣٠) عن أبي وائل، وذكر قصص مريم فقال: قد علمتُ أنَّ التقيّ ذو نُهيةٍ حين قالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾.

أي: ممّن يتقي[١] الله ويخافه، وقيل: إنّ تقيّاً اسمُ رجل صالح[٢] فتعوّذت منه تعجباً، وقيل: إنّه اسم رجل فاجر معروف في ذلك الوقت، والأوّل أولى.

وجواب الشرط محذوف؛ أي: فلا تتعرض لي ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾؛ أي: قال لها جبريل: إنما أنا رسولُ ربِّك الذي استعذْتِ به، ولستُ ممن يتوقع منه ما خطر ببالك مِنْ إرادة السوء ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ جعل الهبة مِنْ قِبله لكونه سبباً فيها من جهة كون الإعلام لها من جهته، أو من جهة كون النفخ قام به في الظاهر.

وقرأ أبو عَمْرو، ويعقوب، وورش، عَنْ نافع (ليهب)[٣] على معنى: أرسلني اللهُ ليهبَ لك، وقرأ الباقون[٤] بالهمز.

والزكيّ الطاهر من الذنوب، الذي ينمو على النزاهة والعفّة، وقيل: المراد بالزكيّ النبيّ. ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾؛ أي: لم يقربني زوجٌ ولا غيره ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ البغيّ: هي الزانية التي تبغي الرجال.

قال المبرِّد[٥]: أصله بَغْوي على فَعْول قلبت الواو ياء ثم أدغمت في الياء وكسرت الغين للمناسبة.

وقال ابن جنّي[٦]: إنَّه فَعْيل، وزيادةُ[٧] ذكر كونها لم تك بغيّاً مع كون قولها: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ يتناول الحلال والحرام لقصد التأكيد؛ تنزيهاً لجانبها من الفَحْشاء؛ وقيل: ما استبعدت من قدرة الله شيئاً، ولكن أرادت كيفَ يكون هذا الولد هل مِنْ قبل زوج تتزوّجه في المستقبل أم يخلقه الله سبحانه ابتداء؟ وقيل: إنّ المس عبارة عن النِّكاح الحلال، وعلى هذا لا يحتاج إلى بيان وجه قولها: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، وما ذكرناه من شموله أولى باستعمالات أهل اللغة، وما يوجد في محاوراتهم مما يطول تعداده. اهـ.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٢٩) عن الثعلبي.
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٢٩) عن وهب بن منبه.
(٣) «التيسير» (ص١٤٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٢٩)، و«روح المعاني» (١٥/ ٥٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٢٩)، و«زاد المسير» (٥/ ٢١٧). وقرأ كذلك بالياء (قالون) عَنْ نافع في جه له، والوجه الآخر بالهمز.
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (٨/ ٢٠٩).
(٦) في كتاب «التمام» كما في «البحر المحيط» (٧/ ٢٤٩).
(٧) «روح المعاني» (١٦/ ٥١)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٨٥٣).

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: ولنجعلَ هذا الغلام أو خلقه من غير أب آيةً للناس يستدلون بها على كمال القدرة، وهو علة لمعلَّل محذوف.

والتقدير: خلقناه لنجعلَه، أو معطوف على علَّة أخرى مُضْمرة تتعلق بما يدل عليه قوله سبحانه: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾.

وجملة ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٩] مستأنفة، والقائل هو المَلَكُ، والكلام فيها كالكلام فيما تقدّم من قول زكرياء.

وقوله: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ﴾ معطوف على آية؛ أي: ولنجعلَه رحمةً عظيمةً كائنة منا للناس لما ينالونه منه من الهداية والخير الكثير؛ لأن كلَّ نبيّ رحمة لأمته ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾؛ أي: وكان ذلك المذكور أمراً مُقدّراً قد قدّره الله سبحانه، وجف به القلم ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ ها هنا كلام مطويّ.

والتقدير: فاطمأنتْ إلى قوله فدنا منها فنفخَ في جيب دِرْعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملته، وقيل: كانت النفخة في ذيلها، وقيل: في فمها. قيل: إن وضعها كان متصلاً بهذا الحمل[١] من غير مضيّ مدة للحمل، ويدلّ على ذلك قوله: ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾؛ أي: تنحّت واعتزلتْ إلى مكان بعيد، والقصيّ هو البعيد.

قيل: كان هذا المكان وراء الجبل؛ وقيل: أبعد مكان في تلك الدار، وقيل: أقصى الوادي، وقيل: إنّها حملت به ستة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: سبعة. ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾؛ أي: ألجأها واضطرها، ومِنْه قول زهير[٢]:

أجاءتْهُ المخافةُ والرجاءُ[٣]

وقرأ شبل (فاجأها)[٤] من المفاجأة، ورويت هذه القراءة عن عاصم، وقرأ

---

(١) «الوسيط» (٣/ ١٨٠)، و«جامع البيان» (١٥/ ٤٩٧).

(٢) انظر: «شرح ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص٧٧).

(٣) وصدر البيت:

وَجَارٍ سَارَ معتمداً إلينا

(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٢٥١)، و«روح المعاني» (١٦/ ٥٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٣٠)، و«جامع البيان» (١٥/ ٤٩٠ ـ ٤٩١).

الحسن بغير همز، وفي مصحف أُبيّ (فلما أجاءها)[١] قال في «الكشاف»[٢]: إن «أجاءها» منقول من جاء، إلّا أنَّ استعماله قد تعيَّن بعد النقل إلى معنى الإلجاء، وفيه بُعد، والظاهر أن كل واحد من الفعلين موضوع بوضع مستقلّ. والمخاضُ مصدر مخضتِ المرأةُ تمخَضُ مَخْضاً ومَخَاضاً إذا دنا ولادُها.

وقرأ الجمهور بفتح الميم[٣]، وقرأ ابنُ كثير بكسرها[٤].

والجِذْعُ: ساقُ النخلة اليابسة، كأنها طلبت شيئاً تستند إليه وتتعلق به؛ كما تتعلق الحامل لشدّة وجع الطَلْق بشيء مما تجده عندها، والتعريف إما للجنس أو للعهد ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾؛ أي: قبل هذا الوقت، تمنت الموت لأنها خافت أَنْ يُظنّ بها السوء في دينها، أو لئلا يقع قوم بسببها في البهتان ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ النسي في كلام العرب: الشيء الحقير الذي من شأنه أن يُنْسى ولا يُذْكَر ولا يتألم لفقده كالوتد والحبل، ومنه قول الكُميت[٥]:

أتجعلُنا خُسراً لكلبِ قُضاعةٍ ولسنا بِنَسْي في معدٍّ ولا دخلِ

وقال الفرّاء[٦]: النِّسي: ما تُلقيه المرأة مِنْ خِرَقِ اعتلالها، فتقول مريم: ﴿نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾؛ أي: حيضة مُلْقاة، وقد قُرئ بفتح النون[٧] وكسرها، وهما لغتان مثل الحِجْر والحَجْر، والوِتر والوَتر.

وقرأ محمد بن كعب القُرظي (نِسْئاً) بالهمز[٨] مع كسر النون.

وقرأ نوف البِكَالي بالهمز مع فتح النون[٩]. وقرأ بكر بن حبيب (نَسيّاً) بفتح

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. هي رواية شاذة عن عاصم، وكذا قراءة «الحسن» وأُبيَّ شاذة.

(٢) الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٣).

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٢٥١)، و«روح المعاني» (١٦/ ٥٨)، و«زاد المسير» (٥/ ٢١٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٣١).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٨٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٥١). قراءة العشر بفتح الميم، أمّا كسرها فرواية شاذة عن ابن كثير.

(٥) انظر: «ديوانه» (ص٢٦٢).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٦٤ ـ ١٦٥).

(٧) «البحر المحيط» (٧/ ٢٥٣)، و«التيسير» (ص١٤٨).

(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٣٢)، و«روح المعاني» (١٦/ ٦١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٥٣).

(٩) «البحر المحيط» (٧/ ٢٥٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٣٢)، و«المحتسب» (٢/ ٤٠).

النون[١] وتشديد الياء بدون همز.

والمنسيُّ: المتروكُ الذي لا يُذْكر ولا يَخْطر ببال أحدٍ من الناس ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾؛ أي: جبريل لمّا سمع قولها، وكان أسفل منها تحت الأكَمَة، وقيل: تحت النخلة، وقيل: المنادي هو عيسى.

وقد قُرئ بفتح الميم[٢] من (مَنْ) وكسرها. وقولُه: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾ تفسير للنداء؛ أي: لا تحزني أو المعنى: بأنْ لا تحزني على أنها المصدرية ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ قال جمهور المفسرين[٣]: السريّ: النهرُ الصغير، والمعنى: قد جعل ربك تحت قدمك نهراً.

قيل: كان نهراً قد انقطع عنه الماء، فأرسل الله فيه الماء لمريم، وأحيا به ذلك الجِذْعَ اليابس الذي اعتمدت عليه حتى أورق وأثمر.

وقيل: المراد بالسريّ هنا: عيسى[٤]، والسريّ: العظيم مِنْ الرجال، ومنه قولهم: فلان سَريّ؛ أي: عظيم، ومن قوم سَرَاة؛ أي: عظام ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ الهزّ: التحريك، يقال: هزه فاهتزّ، والباء في ﴿بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ مزيدة للتوكيد[٥].

وقال الفراء[٦]: العرب تقول: هزّه وهزّ به، والجِذْع هو: أسفل الشجرة.

قال قُطْرب[٧]: كل خشبة في أصل شجرة فهي جِذْع، ومعنى إليك: إلى جهتك، وأصل تَسَاقط: تتساقط فأدغم التاء في السين.

وقرأ حمزةُ والأعمش (تَسَاقط) مخففاً[٨]. وقرأ عاصم في رواية حفص

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ٦١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٥٣). قرأ حفص وحمزة بفتح النون وسكون السين وفتح الياء بعدها ألف منوناً، وقرأ باقي العشرة مثلهما لكن مع كسر النون، وهما متواترتان، وغيرهما مما ذكره المؤلف فشاذ.

(٢) «التيسير» (ص١٤٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٥٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٣٣). قرأ نافع وأبو جعفر وروح عن يعقوب وأهل الكوفة عدا «أبي بكر» (مِنْ تحتها) بكسر الميم وجرّ (تحتها) وقرأ باقي العشرة بفتح الميم ونصب تحتها (مَنْ تحتها). ا.هـ.

(٣) «زاد المسير» (٥/ ٢٢٢)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤).

(٤) «الوسيط» للواحدي (٣/ ١٨١)، و«جامع البيان» (١٥/ ٥٠٠).

(٥) «التبيان» (٢/ ٨٧٤)، و«الفريد» (٣/ ٣٩٢).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٦٥). (٧) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/ ٢٠٥).

(٨) «التيسير» (ص١٤٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٥٥)، و«روح المعاني» (١٦/ ٦٨)، و«جامع البيان» (١٥/ ٥١٤).

والحسن بضم التاء[١] مع التخفيف وكسر القاف.

وقُرئ (تَتَساقط) بإظهار[٢] التاءين. وقُرئ بالتحتية مع تشديد السين[٣]. وقُرئ[٤] (تُسْقِط، ويُسْقِط).

وقرأ الباقون[٥] بإدغام التاء في السين.

فَمَنْ قرأ بالفوقية جعل الضمير للنخلة.

ومَنْ قرأ بالتحتية جعل الضمير للجذع، وانتصاب ﴿رُطَبًا﴾ على بعض هذه القراءات للتميز، وعلى البعض الآخر على المفعولية لتساقط.

قال المبرِّد، والأخفش[٦]: يجوز انتصاب رُطباً بهزّي؛ أي: هزّي إليك رطباً ﴿جَنِيًّا﴾ بجذع النخلة؛ أي: على جذعها، وضعّفه الزمخشري[٧]، والجنيّ: المأخوذُ طرياً، وقيل: هو ما طاب وصلح للاجتناء، وهو فعيل بمعنى: مفعول.

قال الفراء[٨]: الجنيّ والمَجنيُّ واحد، وقيل: هو فَعيل بمعنى فاعل؛ أي: رُطباً طريّاً طيباً. ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي﴾؛ أي: مِنْ ذلك الرطب وذلك الماء، أو من الرطب وعصيره، وقدّم الأكل مع أن ذكر النّهر مقدّم على الرطب؛ لأن احتياج النفساء إلى أكل الرطب أشدّ من احتياجها إلى شرب الماء، ثُم قال: ﴿وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ قرأ الجمهور[٩] بفتح القاف.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص٢١٧) أن في (تساقط) أربع قراءات متواترة: ١ ـ (تُساقط) بضم الفوقية وتخفيف السين وكسر القاف وهي لحفص. ٢ ـ (تَساقَطِ) بفتح الفوقية وتخفيف السين وفتح القاف لحمزة. ٣ ـ (يَسّاقطِ) بفتح التحتية وتشديد السين وفتح القاف ليعقوب وشعبة في وجه. ٤ ـ (تَسّاقَط) بفتح الفوقية، وتشديد السين وفتح القاف لباقي العشرة أما (تَتَساقط،) (وتسقط)، (ويسقط)، فقراءات شاذة.

(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٢٥٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٣٥)، و«روح المعاني» (١٦/ ٦٨).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٢٥٥)، و«النشر» (٢/ ٣١٨)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٣٥).

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٢٥٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٣٥)، و«التيسير» (ص١٤٩).

(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/ ٢٠٥).

(٧) الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٦).

(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٦٦).

(٩) «البحر المحيط» (٧/ ٢٥٦)، و«جامع البيان» (١٥/ ٥٢٦)، و«التبيان» (٢/ ٨٧٢).

وحكى ابن جرير[١] أنّه قُرِئ بكسرها[٢]، قال: وهي لغة نجد. والمعنى: طيبي نفساً [٢/٢١٤] وارفضي عنك الحزن، وهو مأخوذ من القرّ والقِرّة وهما البَرْدُ، والمسرور بارد القلب ساكن الجوارح، وقيل: المعنى: وقَرّي برؤية الولد الموهوب لك.

وقال الشيباني[٣]: معناه: نامي.

قال أبو عَمْرو[٤]: أقرّ الله عينَه؛ أي: أنام عينه وأذهبَ سَهَره ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ أصله ترءيين، مثل تسمعين خُفّفت الهمزة وسقطت النون للجزم وياء الضمير للساكنين بعد لحوق نون التوكيد، ومثل هذا مع عدم لحوق نون التوكيد قول ابن دُريد[٥]:

إمَّا تَرَيْ رأسي حَاكَى لونُه ... طُرةَ صُبْحٍ تحتَ أذيالِ الدُّجى

وقرأ طلحة، وأبو جعفر، وشيبة (يرينَ) بسكون الياء[٦] وفتح النون مخففة. قال أبو الفتح[٧]: وهي شاذة، وجواب الشرط ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمًا﴾؛ أي: قولي إن طلب منك الكلام أحد من الناس: إني نذرت للرحمٰن صوماً؛ أي: صَمْتاً؛ وقيل: المراد به: الصوم الشرعي، وهو الإمساك عَنْ المفطرات، والأوّل أولى.

[جمهور المفسرين على الصوم هنا الصمت]:

وفي قراءة أُبيّ (إنِّي نذرتُ للرحمٰن صَوماً صَمْتاً) بالجمع[٨] بين اللفظين، وكذا روي عَنْ أنس[٩]، وروي عنه[١٠] أنه قرأ «صَوماً وصَمْتاً» بالواو، والذي عليه

---

(١) في «جامع البيان» (١٥/٥٢٦).

(٢) وهي قراءة شاذة. قاله العكبري في «الإملاء» (٢/١١٣)، و«روح المعاني» (١٦/٧١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/٤٣٧).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/٤٣٨).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (٨/٢٧٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/١٣).

(٥) انظره في: مقصورة ابن دريد (ص٣ ـ التبريزي).

(٦) «روح المعاني» (١٦/٧٢)، و«الكشاف» (٤/١٧). وهي قراءة شاذة.

(٧) في «المحتسب» (٢/٤٢).
والقراءة المتواترة عن أبي جعفر كقراءة الجمهور.

(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/٤٣٩)، و«الكشاف» (٤/١٧).

(٩) «زاد المسير» (٥/٢٢٥).

(١٠) «القراءات الشاذة» (ص٨٤). وهما قراءتان شاذتان لمخالفتهما للرسم.

جمهور[١] المفسرين أنّ الصوم هنا الصَمْتُ، ويدل عليه ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ ومعنى الصوم في اللغة: أوسع من المعنيين.

قال أبو عُبيدة[٢]: كل مُمْسك عَنْ طعامٍ أو كلام أو سَيرٍ فهو صائم. وقراءة أُبيّ تدل على أن المراد بالصوم هنا: الصَمْت؛ لأنَّه تفسير للصوم.

وقراءة[٣] أنس تدل على أن الصوم هنا غير الصمت كما تفيده الواو.

ومعنى ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾: أنها لا تكلم أحداً من الإنس بعد إخبارهم بهذا الخبر؛ بل إنما تكلم الملائكة وتُناجي ربَّها؛ وقيل: إنها لم تخبرهم هنا باللفظ؛ بل بالإشارة المفيدة للنذر.

وقد أخرج ابنُ أبي حاتم[٤] عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ قال: مكاناً أظلَّها الشمسُ أَنْ يراها أحدٌ منهم.

وأخرج الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٥] عنه قال: إنما اتخذت النصارى المشرقَ قبلةً؛ لأن مريم اتخذت من أهلها مكاناً شرقيّاً، فاتخذوا ميلاده قبلةً، وإنما سجدت اليهود على حرفٍ، حين نُتق فوقهم الجبل، فجعلوا ينحرفون وهم ينظرون إليه، يتخوّفون أَنْ يقع عليهم، فسجدوا سجدةً رضيها الله، فاتخذوها سُنَّة.

وأخرج الحاكم وصحّحه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وابن عساكر من طريق السدّي عن أبي مالك، عن ابن عباس. وعن مرّة عن ابن مسعود[٦] قالا: خرجت مريمُ بنت عمران إلى جانب المحراب لحيضٍ أصابها، فلما طَهُرت إذا هي برجل معها ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا﴾ ففزِعت و﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ فخرجتُ وعليها جلبابُها، فأخذ بكُمَّها فنفخ في جنب دِرْعها، وكان مشقوقاً من قُدّامها، فدخلت النفخةُ صدرها فحملت، فأتتها أختُها امرأةُ زكريا ليلةً تزورها، فلما فتحت لها الباب التزمتها، فقالت امرأة زكريا: يا مريمُ أُشْعرتُ أني حُبلى، قالت

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ٧٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٣٩).

(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٧).

(٣) وهي قراءة شاذة كما تقدم.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٢).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٤٣) و(١٥/ ٤٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١١) بسند صحيح.

(٦) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٩٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧٧٣) بسند ضعيف.

مريم: أُشْعرتُ أني حُبْلى، فقالت امرأةُ زكريا: فإنّي وجدتُ ما في بطني سجد للذي في بطنك، فذلك قوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩]. فولدت امرأةُ زكرياء يحيى، ولما بلغ أن تضع مريمُ خرجت إلى جانب المحراب ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ الآية ﴿فَنَادَىٰهَا﴾ جبريل ﴿مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى﴾ فلما ولدته ذهبَ الشيطانُ، فأخبرَ بني إسرائيل أنَّ مريم ولَدَتْ، ، فلما أرادوها على الكلام أشارت إلى عيسى فتكلّم فـ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [مريم: ٣٠] الآيات، ولما وُلد لم يبق في الأرض صَنمٌ إلا خرّ لوجهه.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[1] في مريم قال: حين حملت وَضَعتْ.

وأخرج ابن عساكر[2] عنه قال: وضعت لثمانية أشهر.

وأخرج ابن أبي حاتم[3] عن قتادة في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ قال: جبريل.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر عن سعيد بن جبير[4] نحوه.

وأخرج ابن أُبي حاتم[5]، عن عطاء نحوه أيضاً.

وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وابن عساكر عن أبيّ بن كعب[6] في الآية قال: تمثّل لها روحُ عيسى في صورة بشر (فحملته)، قال: حَملت الذي خاطبها دخل في فيها.

وأخرج ابن جرير[7] عن ابن عباس في قوله: ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ قال: نائياً.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[8] في قوله: ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ قال: كان جذعاً يابساً.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٩٧) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٧/ ٣٥٢).

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٣).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٨٥) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٩٩).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٣).

(٦) أخرجه الحاكم (١/ ٣٧٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧٨٥)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٧/ ٣٤٩) بسند ضعيف.
وقال ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٢٢٧): «وهذا في غاية الغرابة والنكارة، وكأنه إسرائيلي».

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٩٢) بسند ضعيف.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥١١) بسند ضعيف.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[١] أيضاً في قوله: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ قال: لم أُخْلق ولم أك شيئاً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة[٢] ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ قال: حَيْضة مُلْقاةً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد[٣] نحوه.

وأخرج عبد بن حميد[٤]، عن نوف البكالي، والضحاك مثله.

وأخرج عبد بن حميد[٤] عن عكرمة في قوله: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ قال: الذي ناداها جبريل.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٥] قال: الذي ناداها مِنْ تحتها جبريل، ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها.

وقد اختلفت الروايات عن السلف، هل هذا المنادي هو جبريل أو عيسى.

وأخرج عبد بن حميد[٦]، عن أبي بكر بن عياش قال: قرأ عاصم بن أبي النَّجود ﴿فَنَادَىٰهَا مَنْ تَحْتِهَآ﴾ بالنصب[٧]، قال: وقال عاصم: مَنْ قرأ بالنصب فهو عيسى، ومَنْ قرأ بالخفض[٧] فهو جبريل.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه، وابن النّجار عن ابن عمر[٨]: سمعت

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٤٦٩) بسند صحيح.
(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠١).
(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠١).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠١).
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠١).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٢).
(٧) انظر: «النشر» (٢/ ٢٣٨) وقد تقدم ذكره. بفتح الميم قراءة أبي بكر عن عاصم، وبكسر الميم حفص عن عاصم، وهما قراءتان متواترتان، ومع أبي بكر ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ورويس بن يعقوب ومع حفص بقية العشرة.
(٨) أخرجه الطبراني رقم (١٣٣٠٣).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٥): «فيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف».
وقال ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٢٣٥): «وهذا حديث غريب جدّاً من هذا الوجه».

رسول الله ﷺ يقول: «إن السَّرِيّ الذي قال الله لمريم: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ نهرٌ أخرجه الله لها لتشربَ منه».

وفي إسناده أَيوب بن نهيك الجبلي قال فيه أبو حاتم الرازي: ضعيف، وقال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال أبو فتح الأزدي: متروك الحديث، وقال الطبراني بعد إخراج هذا الحديث: إنّه غريب جدّاً.

وأخرج الطبراني في الصغير، وابن مردويه عن البراء بن عازب[(١)] عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ قال: النهر.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وصححه، والحاكم، وابن مردويه عن البراء[(٢)] قال في الآية: هو الجدول، وهو النهر الصغير، فظهر بهذا أَنّ الموقوف أصح.

وقد روي عن جماعة من التابعين أن السريّ هو عيسى[(٣)].

وأخرج ابن أبي حاتم[(٤)] عن ابن عباس في قوله: ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾ قال: طريّاً.

وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه[(٥)] في قوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ قال: صَمْتاً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن الأنباري[(٦)] عنه أنه قرأ (صوماً صَمْتاً)[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٤٣، ٢٤٤).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٤): «رواه الطبراني في «الصغير»، وفيه معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٦)، والحاكم (٢/ ٣٧٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٠٦) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٠٦) عن ابن عباس بسند صحيح.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٠٩) عن الحسن بسند صحيح.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٦).

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٦).

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٦).

(٧) وهي قراءة شاذة.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾.

لما اطمأنّت مريم عليها السلام بما رأت من الآيات وفرغت من نفاسها ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ﴾؛ أي: بعيسى، وجملة ﴿تَحْمِلُهُۥ﴾ في محل نصب[1] على الحال، وكان إتيانها إليهم من المكان القَصيّ التي انتبذت فيه، فلما رأوا الولد معها حزنوا، وكانوا أهل بيت صالحين ﴿فَقَالُوا۟﴾ مُنكرين لذلك: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ﴾؛ أي: فعلتِ ﴿شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ قال أبو عبيدة[2]: الفَرْيُ: العجيب النادر، وكذا قال الأخفش[3]. والفَرْي القطع، كأنه مما يخرق العادةَ، أو يقطع بكونه عجيباً نادراً.

وقال قُطْرب[4]: الفرْي: الجديد من الأسقية؛ أي: جئتِ بأمرٍ بديع جديد لم تُسْبقي إليه.

وقال سعيد بن مَسْعدة[5]: الفري: المختَلق المفتعل، يقال: فَرَيتُ وأفْريتُ بمعنى واحد، والولد مِنْ الزنا كالشيء المُفْترى، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢] وقال مجاهد[6]: الفرْي: العظيم ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾.

قد وقع الخلاف[7] في معنى هذه الأخوّة، وفي هارون المذكور مَنْ هو؟ فقيل: هو هارون أخو موسى، والمعنى: أنّ مَنْ كانت نظنها مثل هارون في العبادة كيف

(١) «الفريد» (٣/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧)، و«التبيان» (٢/ ٨٧٣)، و«روح المعاني» (١٦/ ٧٤).
(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٧).
(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٦٨).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٤١). (٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٤١).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٢١ ـ ٥٢٢) بسند صحيح.
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٤٢).

تأتي بمثل هذا!؛ وقيل: كانت مريم من ولد هارون أخي موسى، فقيل لها: يا أختَ هارون، كما يُقال لمن كان مِنْ العرب: يا أخا العرب[١].

وقيل: كان لها أخ مِنْ أبيها اسمه هارون؛ وقيل: هارون هذا رجل صالح في ذلك الوقت؛ وقيل: بل كان في ذلك الوقت رجل فاجر اسمه هارون، فنسبوها إليه على وجهة التعيير والتوبيخ، حكاه ابن جرير[٢] ولم يسمّ قائله وهو ضعيف.

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ هذا فيه تقرير لما تقدّم من التعيير والتوبيخ، وتنبيه على أن الفاحشة من ذرّية الصالحين مما لا ينبغي أن تكون [٣/٢١٥].

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى عيسى، وإنما اكتفت بالإشارة ولم تأمره بالنطق؛ لأنّها نذرت للرحمٰن صوماً عن الكلام كما تقدّم، هذا على تقدير أنها كانت إذ ذاك في أيام نذرها، وعلى تقدير أنها قد خرجت من أيام نذرها، فيمكن أن يقال: إن اقتصارها على الإشارة للمبالغة في إظهار الآية العظيمة، وأن هذا المولود يفهم الإشارة ويقدر على العبارة ﴿قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ هذا الاستفهام للإنكار والتعجّب[٣] من إشارتها إلى ذلك المولود بأن يكلمهم.

قال أبو عبيدة[٤]: في الكلام حشو زائد[٥]. والمعنى: كيف نكلم صبيّاً في المهد كقول الشاعر[٦]:

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٤٢)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٦٩)، و«جامع البيان» (١٥/ ٥٢٥).
• وانظره موسعاً في: «التفسير الكبير» للرازي (٢١/ ٢١٣ ـ ٢١٤).
(٢) في «جامع البيان» (١٥/ ٥٢٥)
(٣) «روح المعاني» (١٦/ ٧٧ ـ ٧٨)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٥٧).
(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ٧ ـ ٨).
(٥) أي: أنَّ (كان) زائدة لمجرَّد التأكيد من غير دلالة على الزمان.
وأجيب: إنَّ (كان) الزائدة لا تدلُّ عن حدثٍ، لكنّها تدل على زمانٍ ماضٍ مقيَّد به ما زيدت فيه.
قال القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٤٥): والصحيح أنَّ (من) في معنى الجزاء، و«كان» بمعنى يكن، التقدير: من يكن في المهد صبيّاً فكيف نكلمه؟
(٦) انظر: «ديوان الفرزدق» (ص٢٩٠).

وجـيـرانٍ لـنـا كـانـوا كـرامِ(١)

وقال الزجّاج(٢): الأجود أن تكون (مَنْ) في معنى الشرط والجزاء، والمعنى: مَنْ يكون في المهد صبيّاً فكيف نُكلّمه؟

ورجّحه ابن الأنباري(٣) وقال: لا يجوز أن يقال إن ﴿كَانَ﴾ زائدة وقد نصبت ﴿صَبِيًّا﴾، ويُجاب عنه بأن القائل بزيادتها يجعل الناصب له الفعل، وهو ﴿نُكَلِّمُ﴾ كما سبق تقديره، وقيل: إنْ كان هنا هي التامة التي بمعنى الحدوث والوجود. وردّ بأنها لو كانت تامة لاستغنت عَنْ الخبر، والمهد هو شيء معروف يُتخذ لتنويم الصبي.

والمعنى: كيف نُكلِّم مَنْ سبيله أَنْ ينوّم في المهد لصغره؟ وقيل: هو هنا حِجْر الأمّ، وقيل: سريرٌ كالمهد، فلما سمع عيسى كلامهم ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ فكان أوّل ما نطق به الاعتراف بالعبودية لله ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: الإنجيل؛ أي: حَكَمَ لي بإيتائي الكتاب والنبوّة في الأزل، وإنْ لم يكن قد نزل عليه في تلك الحال ولا قد صار نبيّاً؛ وقيل: إنه آتاه الكتاب وجعله نبيّاً في تلك الحال، وهو بعيد(٤) ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾؛ أي: حيثُما كنتُ، والبركة أصلها مِنْ بروك البعير، والمعنى: جعلني ثابتاً في دين الله، وقيل: البركة هي: الزيادة(٥) والعلوّ، فكأنه قال: جعلني في جميع الأشياء زائداً عالياً منجحاً.

وقيل: معنى المبارك: النفّاع للعباد، وقيل: المُعلِّم للخير(٦)، وقيل: الآمر

---

(١) وصدر هذا البيت:

فـكـيـف إذا رأيـتَ ديـار قـومٍ

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٢٨). (٣) في «البيان» (٢/ ١٢٥).

(٤) وقال القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٤٦): وهذا في غاية الضعف. ثم بيَّن القرطبي أسباب ضعف هذا القول **ومنها**:

١ ـ روي أن عيسى عليه السلام إنما تكلم في طفولته بهذه الآية ثم عاد إلى حالة الأطفال، حتى مشى على عادة البشر إلى أن بلغ مبلغ الصبيان، فكان نطقه إظهار براءة أمه لا أنّه دام نطقه.

٢ ـ ولا أنّه كان يصلي وهو ابن يوم أو شهر، ولو كان يدوم نطقه وتسبيحه، ووعظه وصلاته في صغره من وقت الولادة، لكان مثله مما لا ينكتم. وهذا كله يدل على فساد القول ـ الذي تقدم ذكره ـ، ويصرح بجهالة قائله.

انظر: «الوسيط» (٣/ ١٨٣)، و«معالم التنزيل» (٣/ ١٩٤)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٧٠).

(٥) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/ ٢١٤).

(٦) نسبه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٠) إلى سفيان.

بالمعروف الناهي[١] عن المنكر ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: أمرني بها ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ زكاة المال، أو تطهير النفس ﴿مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾؛ أي: مُدةَ دوام حياتي.

وهذه الأفعال الماضية[٢] هي مِنْ باب تنزيل ما لم يقع مَنْزلة الواقع تنبيهاً على تَحقّق وقوعه لكونه قد سبق في القضاء المبرم.

﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ معطوف على ﴿مُبَارَكًا﴾، واقتصر على البرّ بوالدته؛ لأنه قد علم في تلك الحال أنَّه لم يكن له أب، وقُرِئ (وبِرّاً) بكسر الباء[٢] على أنه مصدر وصف به مبالغة ﴿وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾ الجبّار: المتعظِّم الذي لا يرى لأحد عليه حقّاً، والشقيّ: العاصي لربِّه، وقيل: الخائب، وقيل: العاقّ ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ قال المفسّرون[٣]: السلام هنا بمعنى: السلامة؛ أي: السلامة عليّ يوم ولدتُ، فلم يضرني الشيطان في ذلك الوقت ولا أغواني عند الموت ولا عند البعث.

وقيل: المراد به: التحية. قيل: واللّام للجنس، وقيل: للعهد؛ أي: وذلك السلام الموجّه إلى يحيى في هذه المواطن الثلاثة موجه إليّ. قيل: إنه لم يتكلم المسيح بعد هذا الكلام حتى بلغ المدّة التي تتكلم فيها الصبيان في العادة.

وقد أخرج سعيد بن منصور، وابن عساكر، عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥ﴾ قال: بعد أربعين يوماً بعدما تعالَّتْ من نِفاسها.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، والترمذي، والنسائي وغيرهم عن المغيرة بن شعبة[٥] قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران، فقالوا: أرأيت ما تَقْرءون ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، قال: فرجعتُ فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «ألا أخبرتَهم أنّهم كانوا يُسمَّون بالأنبياء

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٠).
(٢) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٤/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨). وهي قراءة شاذة.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٤٩)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ١٨٣)، و«جامع البيان» (١٥/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤).
(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٧/ ٩٦).
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٥٥١)، وأحمد رقم (١٨٢٠١)، ومسلم رقم (٢١٣٥)، والترمذي رقم (٣١٥٥)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٣١٥)، وابن حبان رقم (٦٢٥٠)، والطبراني (ج٢٠ رقم ٩٨٦).

والصالحين قبلهم؟» وهذا التفسير النبوّي يُغْني عن سائر ما رُوي عن السلف في ذلك.

وأخرج ابنُ أبي حاتم، عن أنس[1] قال: كان عيسى قد درس الإنجيل وأحكامها في بطن أمه، فذلك قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة[2] في قوله: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، قال: قضى أن أكون كذلك.

وأخرج الإسماعيلي في «مُعْجمه»، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن مردويه، وابن النجار عن أبي هريرة[3] قال: قال النبيّ ﷺ في قول عيسى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ قال: جعلني نفَّاعاً للناس أينما اتّجهتُ».

وأخرج ابن عديّ، وابن عساكر عن ابن مسعود[4] عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ قال: مُعلِّماً ومأدّباً.

وأخرج ابن أبي حاتم[5] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ يقول: عصياً.

[القول الحق في عيسى عليه السلام]:

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

الإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى المتصف بالأوصاف السابقة.

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/٢٤٠٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/٩) بسند صحيح.
وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/٢٤٠٨).

(٣) أخرجه الإسماعيلي في «معجمه» رقم (٢٤٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/٢٥) بسند واهٍ.
وقال أبو نعيم: «غريب من حديث يونس تفرد به عن هشيم، وعنه شعيب».

(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/١٧٨١)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٧/٣٦٠).
قال ابن عدي: «غير محفوظ بهذا الإسناد».

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/٢٤٠٨).

قال الزجاج[١]: ذلك الذي قال: إني عبد الله عيسى ابن مريم، لا ما تقوله النصارى مِنْ أنّه ابنُ الله، وأنّه إلٰه. وقرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ بالنصب[٢].

وقرأ الباقون بالرفع[٣]. فوجه القراءة الأولى أنَّه منتصب على المدح، أو على أنَّه مصدر مؤكَّد لقال: إنّي عبد الله، قاله الزجاج.

ووجه القراءة الثانية أنّه نعت لعيسى؛ أي: ذلك عيسى ابن مريم قولُ الحقّ، قاله الكسائي[٤]. وسُمي قول الحق كما سمي كلمة الله، والحق هو الله ﷻ.

وقال أبو حاتم[٥]: المعنى هو قول الحق، وقيل: التقدير هذا الكلام قول الحق، وهو مِنْ باب إضافة الموصوف إلى الصفة مثل حق اليقين، وقيل: الإضافة للبيان، وقُرئ (قالُ الحق) وروي ذلك عن ابن مسعود[٦].

وقرأ الحسن (قُولُ الحق) بضم القاف[٧]، والقَول والقُول والقَال والمقال بمعنى واحد.

و﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ صفة لعيسى؛ أي: ذلك عيسى ابن مريم الذي فيه يمترون قول الحق، ومعنى يمترون: يختلفون على أنّه من المماراة، أو يشكو على أنّه من المرية.

وقد وقع الاختلاف في عيسى؛ فقالت اليهود: هو ساحر، وقالت النصارى: هو ابنُ الله ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۢ﴾؛ أي: ما صحّ ولا استقام ذلك، فـ (أن) في محل رفع[٨] على أنها اسم كان.

قال الزجاج[٩]: «من» في ﴿مِن وَلَدٍۢ﴾ مؤكدة تدلّ على نفي الواحد والجماعة، ثم نزّه سبحانه نفسه فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾؛ أي: تنزّه وتقدّس عن مقالتهم هذه، ثم صرح

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٧٩).
(٢) «التيسير» (ص١٤٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٦٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٥٠)، و«روح المعاني» (١٥/ ٨٤).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٦).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٠).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص٨٥)، و«روح المعاني» (١٦/ ٨٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٦٠).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص٨٥)، و«جامع البيان» (١٥/ ٥٣٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٦٠).
(٨) «الفريد» (٣/ ٤٠٠)، و«روح المعاني» (١٦/ ٨٣).
(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٢٩).

سبحانه بما هو شأنه ـ تعالى سلطانه ـ فقال: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾؛ أي: إذا قضى أمراً من الأمور فيكون حينئذٍ بلا تأخير.

وقد سبق الكلام على هذا مُسْتوفى في البقرة، وفي إيراده في هذا الموضع تبكيت[1] عظيم للنصارى؛ أي: مَنْ كان هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد؟ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ قرأ أهل المدينة وابن كثير وأبو عَمْرو بفتح[2] «أن».

وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة بكسرها[3]، وهو مِنْ تمام كلام عيسى.

وقرأ أُبيّ (إنّ الله) بغير واو[4].

قال الخليل[5] وسيبويه[6]: في توجيه قراءة النّصب بأن المعنى: ولأنّ الله ربي وربُّكم، وأجاز الفرّاء[7] أن يكون في موضع خفض عطفاً على الصلاة.

وجوّز أبو عمرو بن العلاء عطفه على ﴿أَمۡرٗا﴾، ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾؛ أي: هذا الذي ذكرته لكم من أنّه ربي وربكم، هو الطريق القيّم الذي لا اعوجاج فيه ولا يضلّ سالكه.

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ (مِنْ) زائد للتوكيد، و﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ اليهود والنصارى؛ أي: فاختلفت الفرق من أهل الكتاب في أمر عيسى، فاليهود قالوا: إنه ساحر كما تقدّم، وقالوا: إنه ابن يوسف النجار، والنصارى اختلفت فرقهم فيه، فقالت النسطورية منهم: هو ابن الله، [٣/٢١٦] وقالت الملكية: هو ثالث ثلاثة، وقالت اليعقوبية: هو الله تعالى فأفرطت النصارى وغلت، وفرّطت اليهود وقَصّرت ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وهم المختلفون في أمره ﴿مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: من شهود يوم القيامة وما يجري فيه من الحساب والعقاب، أو من مكان الشهود فيه، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم.

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٤/٥٥٨)، و«روح المعاني» (١٦/٨٥).

(٢) «جامع البيان» (١٥/٥٣٩ ـ ٥٤٠)، و«التيسير» (ص١٤٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/٤٥٣).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان سبعيتان متواترتان

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٨٦)، و«البحر المحيط» (٧/٢٦١). وهي شاذة لمخالفة الرسم.

(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/١٧ ـ ١٨).

(٦) في «الكتاب» (٣/١٢٦ ـ ١٢٧).

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٢/١٦٨).

وقيل: المعنى: فويل لهم من حضورهم المشهدَ العظيمَ الذي اجتمعوا فيه للتشاور ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ قال أبو العبّاس[١]: العرب تقول هذا في موضع التعجب، فيقولون: أسمع بزيد وأبصر به؛ أي: ما أسمَعه وأبصَره، فعجب الله سبحانه نبيّه ﷺ منهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾؛ أي: للحساب والجزاء ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: في الدنيا ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: واضح ظاهر ولكنهم أغفلوا التفكر، والاعتبار والنظر في الآثار.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾؛ أي: يوم يتحسّرون جميعاً، فالمسيء يتحسر على إساءته، والمُحْسن على عدم استكثاره من الخير ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: فُرغ من الحساب، وطُويت الصحف، وصار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

وجملة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ في محل نصب[٢] على الحال؛ أي: غافلين عمّا يُعمل بهم، وكذلك جملة ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في محل نصب[٣] على الحال، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾؛ أي: نميت سكانها فلا يبقى بها أحد يرث الأموات، فكأنّه سبحانه ورث الأرض ومَنْ عليها حيث أماتهم جميعاً ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾؛ أي: يُردّون إلينا يوم القيامة فنجازي كلّاً بعمله، وقد تقدّم مثل هذا في سورة الحجر.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[٤] في قوله: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ قال: اللهُ الحقُّ ﷻ.

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي حاتم عنه[٥] في قوله: ﴿ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ قال: اجتمع بنو إسرائيل وأخرجوا منهم أربعةَ نفرٍ من كل قوم عالمُهم، فامتروا في عيسى حين رُفع، فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض وأحيا مَنْ أحيا، وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم اليعقوبية؛ فقالت الثلاثةُ: كذبتَ، ثم قال اثنان

(١) انظر: «المقتضب» (٤/ ١٨٣).
(٢) «الفريد» (٣/ ٤٠٢)، و«روح المعاني» (١٦/ ٩٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٦٤).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٠) عن مجاهد.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٣٥) بسند ضعيف من طريق ابن جريج، عن مجاهد.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٤١ ـ ٥٤٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٨) بسند صحيح.

منهم للثالث: قل فيه، فقال: هو ابنُ الله، وهم النُّسطُورية، فقال اثنان: كذبتَ؛ ثم قال أحد الاثنين للآخر: قلْ فيه، فقال: هو ثالثُ ثلاثة، الله إلٰه، وعيسى إلٰه، وأمه إلٰه، وهم الإِسرائيلية، وهم ملوك النصارى، فقال الرابع: كذبتَ، هو عبدُ الله ورسولُه وروحُه مِنْ كلمته، وهم المسلمون، فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال فاقتتلوا، فظهروا على المسلمين، فذلك قول الله سبحانه: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٢١].

قال قتادة(١): وهم الذين قال الله: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ قال: اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً، فاختصم القومُ، فقال المرء المسلم: أنشدُكم بالله هل تعلمون أن عيسى كان يَطْعم الطعامَ وأن الله لا يَطْعَم؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم، قال: فهل تعلمون أن عيسى كان ينام وأنَّ الله لا ينام؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم، فخصمهم المسلمون فاقتتل القوم، فَذُكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذٍ وأُصيب المسلمون، فأنزل الله ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وأخرج ابنُ المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ يقول: الكفارُ يومئذٍ أسمعُ شيءٍ وأبصرُه، وهم اليوم لا يسمعون ولا يُبْصرون.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة(٢) في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ قال: ذلك يوم القيامة.

وأخرج البخاري، ومسلم وغيرهما عن أبي سعيد الخدري(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهلُ الجنة الجنةَ، وأهلُ النار النار، يُجاء بالموت كأنه كَبْش أملح، فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهلَ الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبّون وينظرون إليه فيقولون: نعم هذا الموت، وكلُّهم قد رآه، ثم ينادى: يا

---

(١) انظر: «جامع البيان» (١٥/٥٤٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/٥٤٣ ـ ٥٤٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/٨) بسند صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٧٣٠)، ومسلم رقم (٢٨٤٩)، وأحمد رقم (١١٠٦٦)، وعبد بن حميد رقم (١٢ ـ «المنتخب»)، والترمذي رقم (٣١٥٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٣١٦)، وأبو يعلى رقم (١١٧٥)، وابن حبان رقم (٧٤٧٤)، وهنّاد في «الزهد» رقم (٢١٣).

أهلَ النّار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبّون وينظرون فيقولون: نعم هذا الموت، وكلُّهم قد رآه، فيؤمر به فيذبح ويقال: يا أهل الجنّة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ الآية، وأشار بيده قال: أهل الدنيا في غَفْلة».

وأخرج النسائي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن أبي هريرة(١) مرفوعاً نحوه.

وأخرج ابنُ جرير مِنْ طريق عليّ بن أبي طلحة عَنْ ابن عباس(٢)، قال: يوم الحسرة هو مِنْ أسماء يوم القيامة، وقرأ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]. وعليّ هذا ضعيف، والآية التي استدل بها ابن عباس لا تدل على المطلوب لا بمطابقة ولا تضمن ولا التزام.

[قصة إبراهيم مع أبيه]:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾.

قوله: ﴿وَٱذْكُرْ﴾ معطوف على: وأنذر، والمراد بذكر الرسول إياه في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس كقوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الشعراء: ٦٩]. وجملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ تعليل لما تقدّم من الأمر لرسول الله ﷺ بأن يذكره، وهي

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٣١٧). قال الدارقطني في «العلل» (٤/ق٧): «والصحيح حديث أبي سعيد الخدري».

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/٥٤٧) بسند صحيح.

معترضة ما بين البدل والمبدل منه، والصدّيق كثير الصدق، وانتصاب ﴿نَّبِيًّا﴾ على أنه خبر[١] آخر لكان؛ أي: اذكر إبراهيم الجامع لهذين الوصفين، و﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ بدل[٢] اشتمال من إبراهيم، وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث للمبالغة، وأبو إبراهيم هو آزر على ما تقدّم تقريره، التاء في (يا أبت) عوض عن الياء، ولهذا لا يجتمعان، والاستفهام في ﴿لِمَ تَعْبُدُ﴾ للإنكار والتوبيخ[٣] ﴿مَا لَا يَسْمَعُ﴾ ما تقولَه من الثناء عليه والدعاء له ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ ما تفعله من عبادته ومن الأفعال التي تفعلها مريداً بها الثواب.

ويجوز أن يحمل نفي[٤] السمع والإبصار على ما هو أعمّ من ذلك؛ أي: لا يسمع شيئاً من المسموعات، ولا يبصر شيئاً من المبصرات ﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾ من الأشياء، فلا يجلب لك نفعاً ولا يدفع عنك ضرراً، وهي الأصنام التي كان يعبدها آزر.

أورد إبراهيم عليه السلام على أبيه «الدلائل» والنصائح، وصدّر كلًّا منها بالنداء المتضمن للرفق واللين استمالةً لقلبه، وامتثالاً لأمر ربه، ثُمّ كرّر دعوته إلى الحق فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ فأخبر أنه قد وصل إليه من العلم نصيب لم يصل إلى أبيه، وأنه قد تجدّد له حصول ما يتوصل به منه إلى الحق ويقتدر به على إرشاد الضالّ، ولهذا أمره باتباعه فقال: ﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ مستوياً موصلاً إلى المطلوب مُنْجياً من المكروه، ثم أكد ذلك بنصيحة أخرى زاجرة له عما هو فيه فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾؛ أي: لا تطعه فإن عبادة الأصنام هي من طاعة الشيطان، ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ حين ترك ما أمر به من السجود لآدم، ومَنْ أطاع من هو عاصٍ لله سبحانه فهو عاصٍ لله، والعاصي حقيق بأن تسلب عنه النِّعم وتحلّ به النقم.

قال الكسائي[٥]: العصيّ والعاصي بمعنى واحد. ثم بيَّن له الباعث على هذه

---

(١) «الفريد» (٣/ ٤٠٢).
(٢) «روح المعاني» (١٦/ ٩٤)، و«الفريد» (٣/ ٤٠٢).
(٣) «تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٦٢). (٤) «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٣).
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٩).

النصائح فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قال الفراء[(١)]: معنى أخاف هنا: أعلم.

وقال الأكثرون[(٢)]: إنّ الخوف هنا محمول على ظاهره؛ لأن إبراهيم غير جازم بموت أبيه على الكفر، إذ لو كان جازماً بذلك لم يشتغل بنصحه، ومعنى الخوف على الغير: هو أن يظنّ وصول الضرر إلى ذلك الغير ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾؛ أي: إنك إذا أطعت الشيطان كنت معه في النار واللعنة، فتكون بهذا السبب موالياً، أو تكون بسبب موالاته في العذاب معه، وليس هناك ولاية حقيقية لقوله سبحانه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الزخرف: ٦٧]. وقيل: الوليّ[(٣)] بمعنى: التالي.

وقيل: الوليّ بمعنى: القريب؛ أي: تكون للشيطان قريباً منه في النار، فلما مرّت هذه النصائح النافعة والمواعظ المقبولة بسمع آزر قابلها بالغلظة والفظاظة والقسوة المفرطة، فـ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ والاستفهام[(٤)] للتقريع والتوبيخ والتعجيب.

والمعنى: أمعرضٌ أنت عن ذلك ومنصرف إلى غيره؟ ثم توعده فقال: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾؛ أي: بالحجارة؛ وقيل: باللسان، فيكون معناه: لأشتمنك؛ وقيل: معناه لأضربنّك، وقيل: لأظهرنّ أمرك ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾؛ أي: زماناً طويلاً.

قال الكسائي[(٥)]: يقال هجرته مليّاً ومَلْوةً ومَلَاوةً، بمعنى: الملاوة من الزمان، وهو الطويل، ومنه قول مُهْلهل[(٦)]:

فتصدَّعَتْ صُمُّ الجبال لموتِه ... وبكَتْ عليه المُرمِلاتُ مَليّاً

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٦٩).

(٢) «جامع البيان» (١٥/ ٥٥١)، و«روح المعاني» (١٦/ ٩٧).

(٣) «معالم التنزيل» (٣/ ١٩٧)، و«زاد المسير» (٥/ ٢٣٦).

(٤) «روح المعاني» (٧/ ٩٩ ـ ١٠٠)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٦٣).

(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٣٣٥).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٤)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٠١).

وقيل: معناه: اعتزلني سالم العِرْضِ لا يُصبْكَ مني مَعرّة، واختار هذا ابن جرير[(١)]، فمليّاً على هذا منتصب[(٢)] على الحال من إبراهيم، وعلى القول الأوّل منتصب على الظرفية، فلما رأى إبراهيم إصرار أبيه على العناد ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾؛ أي: تحية توديع ومتاركة كقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. وقيل: معناه: أمنةً مني لك، قاله ابن جرير[(٣)]، وإنما أمنه مع كُفره؛ لأنه لم يؤمر بقتاله، والأوّل أولى، وبه قال الجمهور[(٤)].

وقيل: معناه: الدعاء له بالسلامة، استمالةً له ورفقاً [٣/٢١٧] به ثم وعده بأن يطلب له المغفرة من الله سبحانه تألفاً له وطمعاً في لينه وذهاب قسوته:

والشيخُ لا يَتركُ أخلاقَه حتى يُوارى في ثَرى رمسِه

وكان منه هذا الوعد قبل أن يعلم أنَّه يموت على الكفر، وتحق عليه الكلمة، ولهذا قال الله سبحانه في موضع آخر: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]. بعد قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

وجملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ تعليل لما قبلها؛ والمعنى: سأطلب لك المغفرة من الله، فإنه كان بي كثير البرِّ واللطف. يقال: حفي به وتَحفّى: إذا بَرّه.

قال الكسائي[(٥)]: يقال: حَفِي بي حفاوةً وحِفْوةً.

وقال الفراء[(٦)]: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾؛ أي: عالماً لطيفاً يجيبني إذا دعوته.

ثم صرّح الخليلُ بما تضمنه سلامه من التوديع والمتاركة فقال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أهاجر بديني عنكم وعن معبوداتكم حيث لم تقبلوا نصحي، ولا نجعتْ فيكم دعوتي ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ وحدَه ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾؛ أي: خائباً، وقيل: عاصياً.

قيل: أراد بهذا الدعاء: هو أن يهب الله له ولداً وأهلاً يستأنس بهم في اعتزاله

---

(١) في «جامع البيان» (١٥/٥٥٥ ـ ٥٥٦).
(٢) «الفريد» (٣/٤٠٣)، و«التبيان» (٢/٨٧٦)، و«روح المعاني» (١٦/١٠١).
(٣) في «جامع البيان» (١٥/٥٥٥).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/٤٥٨)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/٣٣٥).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/٤٦١). (٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/١٢٩).

ويطمأن إليهم عند وحشته؛ وقيل: أراد دعاءه لأبيه بالهداية، وعسى للشك؛ لأنه كان لا يَدْرِي هل يستجاب له فيه أم لا؟ والأوّل أولى لقوله: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾؛ أي: جعلنا هؤلاء الموهوبين له أهلاً وولداً بدل الأهل الذين فارقهم ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾؛ أي: كل واحد منهما، وانتصاب[1] (كُلاً) على أنه المفعول الأوّل لـ (جعلنا) قُدّم عليه للتخصيص، لكن بالنسبة إليهم أنفسهم لا بالنسبة إلى مَنْ عداهم؛ أي: كل واحد منهم جعلنا نبيّاً، لا بعضهم دون بعض ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ بأن جعلناهم أنبياء، وذكر هذا بعد التصريح بجعلهم أنبياء لبيان أن النبوّة هي من باب الرحمة.

وقيل: المراد بالرحمة[2] هنا: المال؛ وقيل: الأولاد، وقيل: الكتاب، ولا يبعد أن يندرج تحتها جميع هذه الأمور ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ لسان الصدق: الثناءُ الحسن[3]، عبّر عنه باللسان لكونه يوجد به كما عبر باليد عن العطية، وإضافته إلى الصدق ووصفه بالعلوّ للدلالة على أنهم أحقّاء بما يقال فيهم من الثناء على ألسن العباد.

وقد أخرجَ ابنُ المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[4] في قوله: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قال: لأشتمنّك ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ قال: حِيناً.

وأخرجَ ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[5] ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ قال: اجتنبني سوياً.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[6] عنه أيضاً في الآية قال: اجتنبني سالماً قبل أن تُصيبك مني عقوبة.

وأخرج عبد بن حميد[7] عن سعيد بن جبير وعكرمة ﴿مَلِيًّا﴾ دهراً.

---

(١) «التبيان» (٢/ ٨٧٦)، و«الفريد» (٣/ ٤٠٤).
(٢) «روح المعاني» (١٦/ ١٠٧).
(٣) «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٥).
(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٤).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٥٤) بسند صحيح.
(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٠).
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٤).

وأخرج عبدُ الرزاق، وعبدُ بن حميد عن قتادة[١] قال: سالماً.

وأخرج عبدُ بن حُميد[٢] عَنْ الحسن مثلَه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ قال: لطيفاً.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[٤] عنه في قوله: ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ قال: يقول: وهبنا له إسحاق ويعقوب ابنَ ابنه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٥] أيضاً في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ قال: الثناء الحسن.

[ذكرُ بعض الأَنْبِياء - عليهم السلام -]:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ
ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ
كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا
﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا
وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ
وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا
يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا
مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾.

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٥١) بسند صحيح.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٤).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٥٦) بسند صحيح.
(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٠).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٥٧) بسند صحيح.

قفّى سبحانه قصة إبراهيم بقصة موسى؛ لأنه تلوه في الشرَف. وقدّمه على إسماعيل لئلا يفصل بينه وبين ذكر يعقوب؛ أي: واقرأ عليهم من القرآن قصة موسى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ قرأ أهل الكوفة بفتح اللام(١)؛ أي: جعلناه مُخْتاراً وأخلصناه.

وقرأ الباقون بكسرها(٢)؛ أي: أخلص العبادةَ والتوحيدَ لله غير مراءٍ للعباد ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾؛ أي: أرسله الله إلى عباده فأنبأهم عن الله بشرائعه التي شرعها لهم، فهذا وجه ذكر النبيّ بعد الرسول مع استلزام الرسالة للنبوّة، فكأنه أراد بالرسول معناه اللّغوي لا الشرعي، والله أعلم.

وقال النيسابوري(٣): الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء، والنبيّ الذي يُنْبئ عن الله ﷻ وإن لم يكن معه كتاب، وكان المناسب ذكر الأعمّ قبل الأخص، إلا أن رعاية الفاصلة اقتضت عكس ذلك كقوله في طه: ﴿بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠]. انتهى.

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾؛ أي: كلّمناه من جانب الطور، وهو جبل بين مصر(٤) ومدين اسمه زبير، ومعنى الأيمن: أنَّه كان ذلك الجانب عن يمين(٥) موسى، فإنّ الشجرة كانت في ذلك الجانب والنداء وقع منها، وليس المراد يمين الجبل نفسه. فإنّ الجبال لا يمين لها ولا شمال.

وقيل: معنى الأيمن: الميمون، ومعنى النداء: أنَّه تمثل له الكلام من ذلك الجانب ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾؛ أي: أدنيناه بتقريب المنزلة حتى كلّمناه، والنجيّ بمعنى المناجي كالجليس والنديم، فالتقريب هنا هو تقريب التشريف والإكرام، مثلت حاله بحال من قرّبه الملك لمناجاته.

---

(١) «التيسير» (ص١٤٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٧٤)، و«النشر» (٢/ ٢٩٥)، و«روح المعاني» (١/ ١٠٩).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) في «غريب القرآن» (١٦/ ١٥).
(٤) «روح المعاني» (١٦/ ١٠٩)، و«جامع البيان» (١٥/ ٥٥٩).
(٥) «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٦).

قال الزجاج[١]: قرّبه منه في المنزلة حتى سمع مناجاته؛ وقيل: إن الله سبحانه رفعَه حتى سمع صريف القلم.

رُوي هذا عَنْ بعض السلف ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾؛ أي: من نعمتنا، وقيل: من أجل رحمتنا، و﴿هَٰرُونَ﴾ عطف بيان، و﴿نَبِيًّا﴾ حال منه، وذلك حين سأل ربَّه قال: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٠].

ووصف الله سبحانه إسماعيل بصدق الوعد مع كون جميع الأنبياء كذلك؛ لأنه كان مشهوراً بذلك مبالغاً فيه، وناهيك بأنّه وعد الصبر من نفسه على الذبح فوفّى بذلك، وكان ينتظر لمن وعده بوعد الأيام والليالي، حتى قيل: إنه انتظر لبعض من وعده حولاً. والمراد بإسماعيل هنا: هو إسماعيل بن إبراهيم، ولم يخالف في ذلك إلا مَنْ لا يعتدّ به فقال: هو إسماعيل بن حزقيل، بعثه الله إلى قومه فسلخوا جلدة رأسه، فخيره الله فيما شاء من عذابهم، فاستعفاه ورضي بثوابه[٢].

وقد استدل بقوله تعالى في إسماعيل: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ على أن الرسول لا يجب أَنْ يكون صاحب شريعة فإن أولاد إبراهيم كانوا على شريعته، وقيل: إنه وصفه بالرسالة لكون إبراهيم أرسله إلى جُرْهم ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ قيل: المراد بأهله هنا: أمّته، وقيل: جُرْهم، وقيل: عشيرته كما في قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] والمراد بالصلاة والزكاة هنا، هما العبادتان الشرعيتان، ويجوز أن يراد معناهما اللغوي ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾؛ أي: رضياً زاكياً صالحاً.

قال الكسائي[٣] والفراء[٤]: من قال: مرضيّ؛ بنى على رضيت، قالا: وأهل الحجاز يقولون: مرضوّ. ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ﴾ اسم إدريس أخنوخ، قيل: هو جدّ نوح، فإن نوحاً هو ابن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ، وعلى هذا فيكون جد أبي

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٣٣).

(٢) «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٧٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣).

(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (ص٢٠ ـ ٢١).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠).

نوحٍ ذكره الثعلبي[١] وغيره، وقد قيل: إنّ هذا خطأ، وامتناع إدريس للعجمة والعلمية. وهو أوّل مَنْ خط بالقلم، ونظر في النجوم والحساب، وأوّل من خاط الثياب. قيل: وهو أوّل من أعطي النبوّة من بني آدم.

وقد اختُلف في معنى قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فقيل: إن الله رفعه إلى السماء الرابعة، وقيل: إلى السادسة، وقيل: إلى الثانية.

وقد روى البخاري[٢] في «صحيحه» من حديث الإسراء وفيه: ومنهم إدريس في الثانية، وهو غلط مِنْ رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر.

والصحيح: أنه في السماء الرابعة كما رواه مسلم[٣] في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ، وقيل: إن المراد برفعه مكاناً عليّاً: ما أُعطيه من شرف النبوّة، [٣/٢١٨] وقيل: إنّه رُفع إلى الجنة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الإشارة إلى المذكورين من أوّل السورة إلى هنا، والموصول صفته، و﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بيان للموصول، و﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ بدل منه بإعادة الخافض.

وقيل: إن «من» في ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ للتبعيض[٤] ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾؛ أي: مِنْ ذرية مَنْ حملنا معه وهم مَنْ عدا إدريس، فإنّ إبراهيم كان من ذرية سام بن نوح ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وهم الباقون ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: ومن ذرية إسرائيل، ومنهم موسى وهارون ويحيى وعيسى، وقيل: إنّه أراد بقوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ إدريس وحده، وأراد بقوله: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ إبراهيم وحده، وأراد بقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق ويعقوب

وأراد بقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾؛ أي: من جملة مَنْ هدينا إلى الإسلام ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ بالإيمان ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ وهذا خبر لأولئك، ويجوز أن يكون الخبر هو ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾.

وهذا استئناف لبيان خشوعهم لله وخشيتهم منه.

---

(١) في تفسيره «الكشف والبيان» (٦/ ٢١٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٧٥١٧).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٦٢).

(٤) «روح المعاني» (١٦/ ١١٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٧٧).

وقد تقدّم في «سبحان» بيان معنى خرّوا سجداً يقال: بكى يبكي بكاءً وبُكيّاً. قال الخليل: إذا قصرت البكاء فهو مثل الحُزْن؛ أي: ليس معه صوت، ومنه قول الشاعر:

بكت عيني وحقّ لها بُكاها ... وما يغني البكاءُ ولا العويلُ[(١)]

و﴿سُجَّدًا﴾ منصوب على الحال.

[الآية دليل على مشروعية سجود التلاوة]:

قال الزجاج[(٢)]: قد بيّن الله أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا آيات الله بكوا وسجدوا.

وقد استدلّ بهذه الآية على مشروعية سجود التلاوة، ولما مدح هؤلاء الأنبياء بهذه الأوصاف ترغيباً لغيرهم في الاقتداء بهم وسلوك طريقتهم ذكر أضدادهم تنفيراً للناس عن طريقتهم فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾؛ أي: عقب سوء.

قال أهل اللغة[(٣)]: يقال لعقب الخير: خَلَف بفتح اللام، ولعقب الشر: خلْف بسكون اللام، وقد قدّمنا الكلام على هذا في آخر الأعراف ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال الأكثر: معنى ذلك: أَنّهم أخّروها عن وقتها؛ وقيل: أضاعوا الوقت، وقيل: كفروا بها وجحدوا[(٤)] وجوبَها؛ وقيل: لم يأتوا بها على الوجه المشروع.

والظاهر: أن مَنْ أخَّر الصلاة عن وقتها أو ترك فرضاً من فروضها أو شرطاً من شروطها أو ركناً من أركانها فقد أضاعها[(٥)]، ويدخل تحت الإضاعة مَنْ تركها بالمرّة أو جحدها دخولاً أوّليّاً.

واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية؟ فقيل: في اليهود؛ وقيل: في النصارى؛ وقيل: في قوم من أمة محمد ﷺ يأتون في آخر الزمان، ومعنى ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾؛ أي: فعلوا ما تشتهيه أنفسُهم وترغب إليه من المحرمات كشرب الخمر والزنا ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ الغيّ هو الشرّ عند أهل اللغة[(٦)] كما أن الخير هو: الرشادُ.

والمعنى: أنهم سيلقون شرّاً لا خيراً، وقيل: الْغيّ: الضلال، وقيل: الخيبة،

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٧١). (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٣٥).
(٣) «الصحاح» (١/ ١٨٤ ـ ١٨٥)، و«تهذيب اللغة» (١/ ٢٧١).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٧٣)، و«جامع القرآن» (١٥/ ٥٦٧).
(٥) انظر: «التمهيد» (٢٣/ ٣٠٠).
(٦) «تهذيب اللغة» (٨/ ٢١٨)، و«الصحاح» (٦/ ٢٤٥٠).

وقيل: هو اسم وادٍ في جهنّم؛ وقيل: في الكلام حذف، والتقدير: سيلقون جزاء الغيّ، كذا قال الزجّاج[١]، ومثله قوله سبحانه: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]؛ أي: جزاء أثام ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ أي: تاب مما فرط منه من تضييع الصلوات واتباع الشهوات فرجع إلى طاعة الله وآمن به وعمل عملاً صالحاً، وفي هذا الاستثناء دليل على أن الآية في الكفرة لا في المسلمين.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ قرأ أبو جعفر وشيبة، وابن كثير، وابن محيصن وأبو عمرو ويعقوب وأبو بكر (يُدْخَلون) بضم الياء[٢] وفتح الخاء.

وقرأ الباقون بفتح الياء[٣] وضم الخاء ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا ينقص من أجورهم شيء وإنْ كان قليلاً، فإن الله سبحانه يوفّي إليهم أجورهم، وانتصاب ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ على البدل مِنْ الجنّة، بدل البعض لكون جنات عدن بعضاً من الجنة.

قال الزجّاج[٤]: ويجوز «جناتُ عدن» بالرفع على الابتداء، وقرئ كذلك. قال أبو حاتم[٥]: ولولا الخط لكان جنة عدن يعني: بالإفراد مكان الجمع وليس هذا بشيء، فإن الجنّة اسم لمجموع الجنات التي هي بمنزلة الأنواع للجنس.

وقُرئ بنصب[٦] الجنات على المدح، وقد قُرئ جنّة بالإفراد[٧] ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ هذه الجملة صفة لجنات عدن، و﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ في محل نصب[٨] على الحال من الجنات، أو من عباده؛ أي: متلبّسة، أو متلبسين بالغيب، وقُرئ بصرف عدن[٩] ومنعها على أنها علَم لمعنى العَدْن وهو الإقامة، أو علَمٌ لأرض الجنة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٣٦).
(٢) «التيسير» (ص٩٧)، و«روح المعاني» (١٦/ ١١٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٧٨).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٨). رفع (جناتُ) شاذ وقراءة (جنة) بالإفراد مع الرفع رُويت عن الحسين وهي شاذة، وكذا رُويت (جنةً) بالإفراد مع النصب عن المطوعي عن الأعمش وهي شاذة.
(٥) «تفسير القرطبي» (١٢/ ٤٧٨).
(٦) «التبيان» (٢/ ٨٧٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٧٨)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٢٧).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.
(٨) «الفريد» (٣/ ٤٠٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٧٩).
(٩) «البحر المحيط» (٧/ ٢٧٩)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٢٦). قراءة الشعرة بصرف (عدن) أما منع الصرف فشاذ.

وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾؛ أي: موعوده على العموم، فتدخل فيه الجنات دخولاً أوّليّاً.

قال الفراء[(١)]: لم يقل آتياً؛ لأن كل ما أتاك فقد أتيته، وكذا قال الزجاج[(٢)] ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ هو الهذر من الكلام الذي يلغى ولا طائل تحته، وهو كناية عن عدم صدور اللغو منهم؛ وقيل: اللّغو كل ما لم يكن فيه ذكر الله ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ هو استثناء منقطع[(٣)]؛ أي: سلام بعضهم على بعض، أو سلام الملائكة عليهم.

وقال الزجاج[(٤)]: السلام اسمٌ جامع للخير؛ لأنه يتضمن السلامة، والمعنى: أن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤلمهم وإنما يسمعون ما يسلمهم ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال المفسّرون[(٥)]: ليس في الجنة بكرة ولا عشية، ولكنهم يؤتون رزقهم على مقدار ما يعرفون من الغداء والعشاء ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾؛ أي: هذه الجنة التي وصفنا أحوالها نُورثها مَنْ كان من أهل التقوى كما نُبقي على الوارث مال موروثه.

قرأ يعقوب (نُوَرِّث) بفتح الواو[(٦)] وتشديد الراء، وقرأ الباقون[(٧)] بالتخفيف، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: نورّث مَنْ كان تقيّاً من عبادنا.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[(٨)] في قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ قال: النبي الذي يُكلَّم ويُنَزّل عليه ولا يُرْسل، ولفظ ابن أبي حاتم[(٩)]: الأنبياءُ الذين ليسوا برسل يُوحى إلى أحدهم ولا يُرسل إلى أحد. والرسل: الأنبياء الذين يوحى إليهم ويُرْسلون.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[(١٠)] في قوله:

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٠).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٣٦).
(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٢٧٩)، و«الفريد» (٣/ ٤٠٨)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٢٨).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٣٧).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٨٠)، و«جامع البيان» (١٥/ ٥٧٦).
(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٢٨٠)، و«النشر» (٢/ ٣١٨)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٢٩). الصواب: قرأ رويس عَنْ يعقوب بالتشديد، أما روح عن يعقوب فمع باقي العشرة بالتخفيف.
(٧) انظر المصادر المتقدمة.
(٨) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٤).
(٩) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١١).
(١٠) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٥٩، ٥٦٠) بسند صحيح.

﴿جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ قال: جانب الجبل الأيمن ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ قال: نَجا بصدقه.

وأخرج عبد بن حميد عن أبي العالية[(١)] قال: قَرّبه حتى سمَع صريفَ القلم.

وروي نحو هذا عن جماعة من التابعين.

وأخرج الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه عن ابن عباس[(٢)] في الآية قال: حتّى سمعَ صريفَ القلم يَكْتبُ في اللّوح. وأخرجه الديلمي عنه مرفوعاً.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٣)] في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ قال: كان هارون أكبر من موسى، ولكن إنما وهَب له نُبوّته.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٤)] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال: كان إدريس خيّاطاً، وكان لا يَغرزُ غرزةً إلا قال: سبحان الله، وكان يمسي حين يمسي وليس على الأرض أفضل عملاً منه، فاستأذن ملَك مِنْ الملائكة ربَّه فقال: يا ربّ ائذن لي فأهبط إلى إدريس، فأذن له فأتى إدريس فقال: إنّي جئتك لأخدمَك، قال: كيف تخدمني وأنت مَلَكٌ وأنا إنسان؟ ثم قال إدريس: هل بينك وبين ملَك الموت شيء؟ قال الملَك: ذاك أخي مِنْ الملائكة، قال: هل تستطيع أَنْ تنفعني؟ قال: أما يؤخر شيئاً أو يقدّمه فلا، ولكن سأكلّمه لك فيرفُق بك عند الموت، فقال: اركب بين جناحيّ، فركب إدريس فصعد إلى السماء العليا فلقي ملَك الموت وإدريس بين جناحيه، فقال له الملَك: إنّ لي إليك حاجة، قال: علمتُ حاجتك تكلّمني في إدريس.

وقد مُحي اسمه مِنْ الصحيفة فلم يبق من أجله إلا نصفُ طرفة عين، فمات إدريس بين جناحي الملَك.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٦٠) مرسلاً بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٥٣٣)، وهنّاد في «الزهد» رقم (١٤٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/)، والحاكم (٢/ ٣٧٣) بسند صحيح. والمرفوع رواه الديلمي برقم (٧١٩٦).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٦١) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٩/ ٢٦١).

وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٦٢ ـ ٥٦٣) بسند حسن. وقال ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٢٦١)، وهذا من «أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات»، وفي بعضه نكارة. والله أعلم.

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنّف»، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(١) قال: سألتُ كعباً فذكر نحوه، فهذا هو من الإسرائيليات التي يرويها كعب.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس(٢) قال: «رُفع إدريس إلى السماء السادسة» [٣/٢١٩].

وأخرج الترمذي وصححه، وابن المنذر، وابن مردويه قال: حدثنا أنس بن مالك(٣) عن النبيّ ﷺ قال: «لما عرج بي رأيتُ إدريس في السماء الرابعة».

وأخرج ابن مردويه(٤) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً نحوه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد(٥) في الآية قال: رُفع إدريس كما رفع عيسى ولم يمت.

وأخرج ابن أبي حاتم(٦) عن ابن مسعود قال: إدريس هو إلياس. وحسنه(٧) السيوطي.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السديّ(٨) في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ إلى آخره، قال: هذه تسمية الأنبياء الذين ذكرهم؛ أمّا مِنْ ذرية آدم: فإدريس ونوح، وأما من حُمل مع نوح فإبراهيم، وأما ذرية إبراهيم: فإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وأما ذرية إسرائيل: فموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى.

وأخرج ابن أبي حاتم(٨) عن السديّ في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ قال: هم اليهود والنصارى.

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد(٩) في الآية قال: هم من هذه الأمة يتراكبون في الطرق كما تراكبُ الأنعامُ، لا يستحيون من الناس، ولا يخافون من الله في السماء.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥١٨).
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥١٨).
(٣) أخرجه الترمذي رقم (٣١٥٧) وهو حديث صحيح.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥١٩).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/٥٦٣) بسند صحيح.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٢٩).
(٧) في «الدر المنثور» (٥/٥١٩).
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٢٥).
(٩) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٢٦).

وأخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود(١) في قوله: ﴿أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ﴾ قال: ليس إضاعتها تركها قد يُضيّع الإنسانُ الشيءَ ولا يتركه، ولكن إضاعتها: إذا لم يُصلِّها لوقتها.

وأخرج أحمد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي سعيد الخدري(٢): «سمعتُ رسول الله ﷺ وتلا هذه الآية ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ﴾ الآية قال: يكون خَلْفٌ من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ثم يكون خَلْف يقرؤون القرآن لا يعدو تراقيَهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمنٌ، ومنافق، وفاجر».

وأخرج أحمد، والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر(٣): سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيهلك من أمتي أهلُ الكتاب وأهل اللَّبن، قلت: يا رسول الله ما أهل الكتاب؟ قال: قوم يتعلمون الكتاب يجادلون به الذين آمنوا، قلت: ما أهل اللّبن؟ قال: قوم يتبعون الشهوات ويضيّعون الصلوات».

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم وصححه عن عائشة(٤) أنها كانت ترسل بالصدقة لأهل الصدقة وتقول: لا تعطوا منها بربريّاً ولا بربريةً، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «هم الخَلْف الذين قال الله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾».

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٥) في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ قال: خُسْراً.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير،

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٦).

(٢) أخرجه أحمد رقم (١١٣٤٠)، وابن حبان رقم (٧٥٥)، والحاكم (٢/ ٣٧٤)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٦٢٦) بسند حسن.

(٣) أخرجه أحمد رقم (١٧٣١٨، ١٧٤٢١)، والحاكم (٢/ ٣٧٤) بسند حسن.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٤٤) وصحَّحه، وتعقبه الذهبي بقوله: «فيه عبيد الله وهو مختلف في توثيقه، وقال مالك: لا أعرفه ثم هو منقطع».
وقال ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٢٦٧): «هذا حديث غريب».

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٧).

وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي في «البعث» من طرق عن ابن مسعود[١] في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ قال: الغيّ نَهْرٌ، أو وادٍ في جهنم من قيح، بعيد القعر خبيثُ الطعم، يُقْذف فيه الذين يتبعون الشهوات. وقد قال بأنه وادٍ في جهنم البراء بن عازب.

وروى ذلك عنه ابن المنذر والطبراني.

وأخرج ابن جرير، والطبراني، وابن مردويه ،والبيهقي عن أبي أُمامة[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنّ صخرة زنة عَشر عُشَراواتٍ قذف بها من شَفير جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريفاً، ثم تنتهي إلى غَيّ وأثام، قلتُ: وما غيّ وأثام؟ قال: نهران في أسفل جهنّم يسيل فيهما صديد أهل النار، وهما اللذان ذكر الله في كتابه ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]».

وأخرج ابنُ مردويه[٣] عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ قال: «الغيّ وادٍ في جهنم».

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٤] في قوله: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ قال: باطلاً.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه أيضاً[٥] في قوله: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال: يؤتون به في الآخرة على مقدار ما كانوا يؤتون به في الدنيا.

وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» من طريق أبان، عن الحسن[٦] وأبي قلابة قالا: قال رجل: يا رسول الله هل في الجنّة من ليل؟ قال: «وما

---

(١) أخرجه هنّاد في «الزهد» رقم (٢٧٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣)، والطبراني رقم (٩١٠٨ ـ ٩١١٤)، والحاكم (٢/ ٣٧٤)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٥١٨، ٥١٩) من طرق، بسند ضعيف. أبو عبيدة لم يسمع من ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٧١ ـ ٥٧٢)، والطبراني رقم (٧٧٣١)، والبيهقي في «البعث» رقم (٥٢٢).

قال ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٢٦٩): هذا حديث غريب ورفعه منكر.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٨).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٨).

(٥)(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٠).

هيَّجك على هذا؟» قال: سمعتُ الله يذكر في الكتاب ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فقلت: الليل مِنْ البكرة والعشِي، فقال رسول الله ﷺ: «ليس هناك ليل، وإنما هو ضوءٌ ونور، يَرِدُ الغدوّ على الرواح والرواح على الغدوّ، تأتيهم طُرَفُ الهدايا من الله لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا، وتسلّم عليهم الملائكة».

وأخرج ابن أبي حاتم(١)، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «ما من غداة من غدوات الجنّة، وكل الجنّة غَدَوات، إلا أنه يُزفّ إلى وليّ الله فيها زوجة مِنْ الحور العين وأدناهنّ التي خُلقت مِنْ الزعفران»، قال بعد إخراجه: قال أبو محمد(٢): هذا حديث مُنْكر.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.

قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾؛ أي: قال الله سبحانه: قل يا جبريل وما نتنزّل، وذلك أن رسول الله ﷺ استبطأ نزولَ جبريل عليه، فأمر جبريل أن يخبره بأن الملائكة ما تتنزل عليه إلا بأمر الله. قيل: احتبس(٣) جبريل عن رسول الله ﷺ أربعين يوماً.

وقيل: خمسة عشر؛ وقيل: اثني عشر؛ وقيل: ثلاثة أيام؛ وقيل: إن هذا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٩/ ٢٧٢).
وقال ابن كثير: قال أبو محمد ـ ابن أبي حاتم ـ: هذا حديث منكر.
(٢) أي: ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٢٧٢).
(٣) «جامع البيان» (١٥/ ٥٧٨)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ١٨٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨١).

حكاية عن أهل الجنة[١]، وأنهم يقولون عند دخولها: وما نتنزل هذه الجنان ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ والأوّل أولى بدلالة ما قبله، ومعناه يحتمل وجهين[٢]:

الأوّل: وما نتنزّل عليك إلا بأمر ربك لنا بالتنزل.

والثاني: وما نتنزّل عليك إلا بأمر ربك الذي يأمرك به بما شرعه لك ولأمتك، والتنزل: النزول على مَهْل، وقد يطلق على مطلق النزول.

ثم أكّد جبريل ما أخبر به النبي ﷺ فقال: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: من الجهات[٣] والأماكن، أو من الأزمنة الماضية والمستقبلة، وما بينهما من الزمان أو المكان الذي نحن فيه، فلا نقدر على أن ننتقل من جهة إلى جهة، أو من زمان إلى زمان إلا بأمر ربك ومشيئته.

وقيل: المعنى: له ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة وما بين ذلك[٤]، وهو ما بين النفختين[٥]؛ وقيل: الأرض[٦] التي بين أيدينا إذا نزلنا، والسماء التي وراءنا وما بين السماء والأرض.

وقيل[٧]: ما مضى من أعمارنا وما غَبَر منها والحالة التي نحن فيها.

وعلى هذه الأقوال كلِّها يكون المعنى: أن الله سبحانه هو المحيط بكل شيء لا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عن علمه مثقالُ ذرّة، فلا نقدم على أمر إلا بإذنه.

وقال: وما بين ذلك، ولم يقل وما بين ذينك لأن المراد: وما بين ما ذكرنا كما في قوله سبحانه: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾؛ أي: لم ينسك وإنْ تأخر عنك الوحي.

وقيل: المعنى: إنه عالم بجميع الأشياء لا ينسى منها شيئاً؛ وقيل: المعنى: وما كان ربك ينسى الإرسال إليك عند الوقت الذي يَرْسل فيه رسلَه.

---

(١) «زاد المسير» (٥/ ٢٥٠).
(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٨١ ـ ٣٨٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٨٢).
(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٢٠٢)، و«جامع البيان» (١٥/ ٥٨٣)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٨٢).
(٤) «جامع البيان» (١٥/ ٥٨٣). انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٣٨٢).
(٥) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٢٠٢).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٨٢)، و«جامع البيان» (١٥/ ٥٨٣).
(٧) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٧).

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: خالقهما وخالق[١] ما بينهما، ومالكهما ومالك ما بينهما، ومِنْ كان هكذا فالنسيان محالٌ عليه.

ثم أمر الله نبيّه ﷺ بعبادته والصبر عليها فقال: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ والفاء للسببية[٢]؛ لأن كونه ربّ العالمين سببٌ موجِب لأن يُعْبَد، وعُدّى فعل الصبر باللام دون «على» التي يتعدّى بها لتضمنه[٣] معنى الثبات. ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ الاستفهام[٤] للإنكار.

والمعنى: أنه ليس له مِثْل[٥] ولا نظير حتى يشاركه في العبادة، فيلزم من ذلك أن تكون غير خالصة له سبحانه، فلما انتفى المشارك استحق الله سبحانه أن يُفرد بالعبادة وتخلص له، هذا مبنيّ على أن المراد بالسميّ: هو الشريك في المسمى.

وقيل: المراد به الشريك في الاسم كما هو الظاهر من لغة العرب، فقيل: المعنى: إنّه لم يسمّ شيء من الأصنام ولا غيرها بالله قط، يعني: بعد دخول الألف واللام التي عوّضت عَنْ الهمزة ولزمت، وقيل: المراد: هل تعلم أحداً اسمه الرحمٰن غيره؟.

قال الزجاج[٦]: تأويله والله أعلم: هل تعلم له سمياً يستحق أن يقال له خالق وقادرٌ وعالِم بما كان وبما يكون، وعلى هذا لا سميّ لله في جميع أسمائه؛ لأن غيره وإنْ سمي بشيء من أسمائه، فللّه سبحانه حقيقة ذلك الوصف، والمراد بنفي العلم المستفاد من الإنكار هنا: نفي المعلوم على أبلغ وجه وأكمله. ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ [٣/٢٢٠] أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ قرأ الجمهور[٧] على الاستفهام.

وقرأ ابن ذكوان «إذا ما متّ» على الخبر.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٨٣).
(٢) «روح المعاني» (١٦/ ١٣٤ ـ ١٣٥).
(٣) انظر: «روح المعاني» (١٦/ ١٣٥)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٧١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٨٣).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) «جامع البيان» (١٥/ ٥٨٥)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٨٢)، و«الوسيط» (٣/ ١٨٩).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٨٣).
(٧) «التيسير» (ص١٤٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٨٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٨٥). هما قراءتان متواترتان لكن الصواب أن ابن ذكوان قرأ على الخبر في وجه له، والوجه الآخر كالجمهور بالاستفهام.

والمراد بالإنسان ها هنا: الكافر؛ لأن هذا الاستفهام هنا للإنكار[١] والاستهزاء والتكذيب بالبعث؛ وقيل: اللام في الإنسان للجنس[٢] بأسره وإن لم يقل هذه المقالة إلا البعض، وهم الكفرة فقد يُسْنَد إلى الجماعة ما قام بواحد منهم، والمراد بقوله ﴿أُخْرَجُ﴾؛ أي: مِنْ القبر، والعامل في الظرف فعل دلّ عليه أخرج؛ لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها. ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ الهمزة للإنكار التوبيخي[٣]، والواو لعطف الجملة التي بعدها على الجملة التي قبلها، والمراد بالذكر هنا: إعمال الفكر؛ أي: ألا يتفكر هذا الجاحد في أوّل خلقه فيستدلّ بالابتداء[٤] على الإعادة؟ والابتداء أعجب وأغرب من الإعادة؛ لأن النشأة الأولى هي إخراج لهذه المخلوقات من العدم إلى الوجود ابتداعاً واختراعاً، لم يتقدّم عليه ما يكون كالمثال له.

وأما النشأة الآخرة فقد تقدّم عليها النشأة الأولى فكانت كالمثال لها، ومعنى ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل الحالة التي هو عليها الآن.

وجملة ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ في محل نصب[٥] على الحال؛ أي: والحال أنه لم يكن حينئذٍ شيئاً من الأشياء أصلاً، فإعادته بعد أن كان شيئاً موجوداً أسهل وأيسر.

قرأ أهل مكة وأبو عَمْرو وأبو جعفر وأهل الكوفة إلا عاصماً (أو لا يَذَّكّر) بالتشديد[٦]، وأصله: يتذكر.

وقرأ شيبة، ونافع، وعاصم، وابن عامر (يَذْكر) بالتخفيف[٧]، وفي قرءاة أُبيّ[٨] (أو لا يتذكر).

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ١٣٨)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٧٣).
(٢) «تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٧٣)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٣٩).
(٣) «روح المعاني» (١٦/ ١٤٠)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٧٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٨٥).
(٤) «جامع البيان» (١٥/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧).
(٥) «روح المعاني» (١٦/ ١٤٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٨٦).
(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٢٨٥)، و«جامع البيان» (١٥/ ٥٨٧)، و«التيسير» (ص١٤٩)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٤٠).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.
(٨) «القراءات الشاذة» (ص٨٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٨٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٣). وهي قراءة تفسيرية؛ لأنها مخالفةٌ لخط المصحف.
«البحر المحيط» (٧/ ٢٨٥).

ثم لما جاء ﷺ بهذه الحجة التي أجمع العقلاء على أنه لم يكن في حجج البعث حجة أقوى منها، أكدها بالقَسَم باسمه سبحانه مضافاً إلى رسوله تشريفاً له وتعظيماً، فقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ ومعنى لنحشرنّهم: لنسوقنّهم إلى المحشر بعد إخراجهم من قبورهم أحياء كما كانوا.

والواو في قوله: ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ للعطف[1] على المنصوب، أو بمعنى مع.

والمعنى: أن هؤلاء الجاحدين يحشرهم الله مع شياطينهم الذين أغروهم وأضلّوهم، وهذا ظاهر على جعل اللام في الإنسان للعهد، وهو الإنسان الكافر، وأما على جعلها للجنس فكونه قد وجد في الجنس مَنْ يحشر مع شيطانه ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ الجثي جمع جاثٍ، من قولهم جثا على ركبتيه يَجْثو جُثوّاً، وهو منتصب على الحال؛ أي: جاثين على ركبهم لما يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب، أو لكون الجثي على الركب شأن أهل الموقف كما في قوله سبحانه: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨].

وقيل: المراد بقوله: ﴿جِثِيًّا﴾: جماعات، وأصله جمع[2] جُثْوة، والجُثْوة هي المجموع من التراب أو الحجارة. قال طرفة[3]:

أرى جَثوتين من تُرابٍ عليهما   صفائحُ صُمٌّ من صفيحٍ مُنَضّدِ

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الشيعة: الفِرقةُ التي تبعتْ ديناً مِنْ الأديان، وخصّص ذلك الزمخشري[4] فقال: هي الطائفة التي شاعت؛ أي: تبعت غاوياً مَنْ الغواة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]. ومعنى ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾: مَنْ كان أعصى لله وأعتى فإنه يُنزع من كل طائفة من طوائف الغيّ والفساد أعصاهم وأعتاهم، فإذا اجتمعوا طرحهم في جهنم.

والعتيّ ها هنا مصدر كالعتوّ، وهو التمرّد في العصيان، وقيل: المعنى: لننزعن من أهل كلّ دين قادتهم ورؤساهم في الشرّ.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤٨٦)، و«الفريد» (٣/ ٤١٠).
(٢) «الصحاح» (٦/ ١٢٩٨)، و«تهذيب اللغة» (١١/ ١٧١).
(٣) انظر: «ديوانه» (ص٣٣).
(٤) في «الكشاف» (٤/ ٤٢ ـ ٤٣).

وقد اتفق القراء على قراءة ﴿أَيُّهُمْ﴾ بالضم[١] إلا هارون الغازي فإنّه قرأها بالفتح[٢].

قال الزجاج[٣]: في رفع أيهم ثلاثة أقوال:

الأوّل: قول الخليل[٤] بن أحمد: إنه مرفوع على الحكاية. والمعنى: ثم لننزعن من كل شيعة الذين يُقال لهم: أيُّهم أشدّ، وأنشد الخليل في ذلك قول الشاعر[٥]:

وقد أبيتُ من الفتاةِ بمنزلٍ فأبيتُ لا حرِجٌ ولا محرومُ

أي: فأبيت بمنزلة الذي يُقال له: هو لا حرِج ولا محروم. قال النحاس[٦]: ورأيت أبا إسحاق ـ يعني: الزجّاج ـ يختار هذا القول ويستحسنه.

القول الثاني: قول يونس: وهو أن ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾ بمنزلة الأفعال التي تلغى وتُعلّق، فهذا الفعل عنده مُعلّق عَنْ العمل في أيّ، وخصص الخليل وسيبويه وغيرهما التعليق بأفعال الشك ونحوها مما لم يتحقق وقوعه.

القول الثالث: قول سيبويه[٧]: إن «أيهم» ها هنا مبنيّ على الضم؛ لأنه خالف أخواته في الحذف، وقد غَلَّط سيبويه في قوله هذا جمهورُ النحويين حتى قال الزجاج[٨]: ما تبين لي أنّ سيبويه غلط في كتابه إلَّا في موضعين هذا أحدهما، وللنحويين في إعراب «أيُّهم» هذه في هذا الموضع كلام طويل.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ يقال: صَلَى يَصْلي صِلّياً مثل مَضى الشيء يَمْضي مُضِياً، قال الجوهري[٩]: يقال: صَلَيْتُ الرجلَ ناراً: إذا أدخلتُه النار وجعلته يَصلاها، فإن ألقيته إلقاءً كأنّك تريد الإحراقَ قلت: أَصْلَيْتُه بالألف وصَلَّيتُه تصليةً ومنه ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الإنشقاق: ١٢].

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٢٨٨)، و«التبيان» (٢/ ٨٧٨)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٤٤)، و«معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٣٩).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٨٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٨٨)، و«حاشية الشهاب» (٦/ ١٧٤). وهي قراءة شاذة؟

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٣٩).

(٤) ذكره سيبويه في «الكتاب» (٢/ ٣٩٩).

(٥) هو الأخطل: «ديوانه» (ص٨٤).

(٦) في «إعراب القرآن» (٣/ ٢٤).

(٧) انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٩٩).

(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

(٩) في «الصحاح» (٦/ ٢٤٠٣).

ومَنْ خفّف فهو من قولهم: صَلِي فلانٌ النار بالكسر يَصْلَى صِلِياً: احترق، قال الله تعالى: ﴿بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ قال العجّاج[(١)]:

والـلّـهِ لـولاَ الـنـارُ أن تَـصْـلاهـا

ومعنى الآية: أن هؤلاء الذين هم أشدّ على الرحمٰن عتياً هم أولى بصليها أو صليهم أولى بالنار. ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الخطاب للناّس مِنْ غير التفات، أو للإنسان المذكور، فيكون التفاتاً؛ أي: ما مِنْكم منْ أحدٍ إلا واردها؛ أي: واصلها.

وقد اختلف الناس[(٢)] في هذا الورود، فقيل: الورود: الدخولُ ويكون على المؤمنين بَرْداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم.

وقالت فرقة: الورود هو المرور على الصراط؛ وقيل: ليس الورود الدخول إنما هو كما يقول: وردتُ البصرةَ ولم أدخلها، وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود، وحمله على ظاهره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. قالوا: فلا يدخل النار مَنْ ضمن الله أن يبعده عنها، ومما يدلّ على أن الورود لا يستلزم الدخول قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]. فإن المراد أشرف عليه لا أنّه دخل فيه، ومنه قول زهير[(٣)]:

فـلـمـا وردْنَ الـمـاءَ زُرقـاً جـمـامُـه   وضعْـنَ عِـصـي الـحـاضـرِ الـمـتـخـيـمِ

[رجح المصنف الورود بالمرور على الصراط]:

ولا يخفى أَنّ القول بأنّ الورود هو المرور على الصرط، أو الورود على جهنّم وهي خامدة فيه جمعٌ بين الأدلة من الكتاب والسُّنَّة، فينبغي حمل هذه الآية على ذلك؛ [٣/٢٢١] لأنه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار مع كون الداخل من المؤمنين مُبْعَداً من عذابها، أو بحمله على المضيّ فوق الجسر المنصوب عليها، وهو الصراط. ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾؛ أي: كان ورودهم المذكور أمراً محتوماً قد قضى سبحانه أنه لا بدّ من وقوعه لا محالة.

---

(١) نسبه إليه الجوهري في «الصحاح» (٦/٢٤٠٣).
وهو لعطاء بن أسيد (الزَّفَيان) كما في «معجم الشعراء» (ص١٥٩ ـ للمرزباني).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/٤٩٢)، و«جامع البيان» (١٥/٥٩٠).
(٣) انظر: «ديوان زهير» (ص١٣ ـ ١٤).

وقد استدلت المعتزلة[١] بهذه الآية على أنّ العقاب واجب على الله، وعند الأشاعرة أن هذا مشبّه بالواجب من جهة استحالة تطرّق الخلف إليه. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾؛ أي: اتقوا ما يُوجب النار، وهو الكفر بالله ومعاصيه، وترك ما شرعه، وأوجب العمل به.

قرأ عاصم الجَحدري ومعاوية بن قرة (نُنْجي) بالتخفيف[٢] من أَنْجى، وبها قرأ حُميد ويعقوب والكسائي.

وقرأ الباقون بالتشديد[٣]، وقرأ ابن أبي ليلى (ثَمّ نذر) بفتح الثاء[٤] من ثَمَّ، والمراد بالظالمين: الذين ظلموا أنفسَهم بفعل ما يُوجب النار، أو ظلموا غيرهم بمظلمة في النفس أو المال أو العِرْض، والجثيّ جمع جاثٍ، وقد تقدّم قريباً تفسير الجثيّ وإعرابه.

وقد أخرج البخاري[٥] وغيره عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ إلى آخر الآية».

---

(١) انظر: «شرح الأصول الخمسة» (ص٤٦٢، ٤٦٣)، «المعتزلة وأصولها الخمسة» (ص١٦١ ـ ١٦٢).

• قال ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩): «فعليك بالفرقان في هذا الموضع الذي افترقت فيه الفرق والناس ثلاث فرق. . . والفرقة الثالثة أهل الهدى والصواب قالت: لا يستوجب على الله بسعيه نجاة ولا فلاحاً ولا يدخل أحداً عملُه الجنة أبداً، والله تعالى بفضله وكرمه أكد إحسانه وجوده بأن أوجب لعبده عليه حقّاً بمقتضى الوعد، فإن وعد الكريم إيجاب ولو بعسى ولعل.
وإذاً فأهل السُّنَّة لا يقولون بالوجوب على الله مطلقاً، ولا ينفونه مطلقاً؛ بل يثبتون ما أوجبه ﷻ على نفسه، ويعتبرونه من التفضل، وينفون أن يوجب أحد عليه شيئاً».
وانظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٤٠٩ ـ ٤١٠).

(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٢٨٩)، و«التيسير» (ص١٤٩)، و«زاد المسير» (٥/ ٢٥٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات».

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان.

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٨٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٨٩)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٥٤).

(٥) أخرجه البخاري رقم (٣٢١٨، ٤٧٣١، ٧٤٥٥)، والترمذي رقم (٣١٥٨)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٢١٩)، والحاكم (٢/ ٦١١)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٦٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٧٩).

وزاد ابن جرير[١]، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وكان ذلك الجواب لمحمد.

وأخرج ابن مردويه[٢] من حديث أنس قال: «سُئلَ رسولُ الله ﷺ: أيّ البقاع أحبُّ إلى الله، وأيُّها أبغضُ إلى الله؟ قال: ما أدري حتى أسألَ» فنزل جبريل، وكان قد أبطأ عليه، فقال: لقد أبطأتَ عليّ حتى ظننتُ أن بربي عليّ مَوجِدة، فقال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾».

وأخرج عبدُ بن حميد، وابنُ أبي حاتم عن عكرمة[٣] قال: «أبطأ جبريل على النبيّ ﷺ أربعين يوماً ثم نزل، فقال له النبيّ ﷺ: ما نزلتَ حتى اشتقتُ إليك، فقال له جبريل: أنا كنتُ إليك أشوق، ولكنّي مأمور، فأوحى الله إلى جبريل أنْ قل له: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾». وهو مُرْسل.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٤] قال: أبطأت الرسلُ على رسول الله ﷺ، ثم أتاه جبريل فقال له: «ما حبَسك عنّي؟ قال: وكيفَ نأتيكم وأنتم لا تقصّون أظفاركم، ولا تُنقُّون براجمكم ولا تأخذون شواربكم، ولا تَسْتاكون؟ وقرأ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾»، وهو مرسل أيضاً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عن سعيد بن جبير ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ قال: من أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ قال: مِنْ أمر الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ قال: ما بين الدنيا والآخرة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦] عن قتادة ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ قال: ما بين النفختين.

وأخرج ابن المنذر[٧] عن أبي العالية مثلَه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٧٩).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٠).

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «تفسير ابن كثير» (٩/ ٢٧٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٨١) من طريق ابن جريج، به.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٤).

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٤).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣١).

وأخرج البزّار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني، والبيهقي، والحاكم وصحّحه عن أبي الدرداء[١] رفعَ الحديثَ قال: «ما أحلّ الله في كتابه فهو حلالٌ، وما حرّم فهو حرام، وما سكتَ عنه فهو عافية. فاقبلوا من الله عافيتَه، فإنّ الله لم يكن لينسى شيئاً، ثُمّ تلا ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾».

وأخرج ابن مردويه[٢] من حديث جابر مثلَه.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشُعَب» عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ قال: هل تعرف للربّ شِبْهاً أو مِثْلاً؟

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، والبيهقي في «الشعب» عنه[٤] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾؟ قال: ليس أحد يُسمّى الرحمٰن غيره.

وأخرج ابن مردويه[٥] عنه أيضاً في الآية قال: يا محمد هل تعلم لإلٰهك من ولد؟

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج[٦] في قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ قال: العاص بن وائل.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧] عن ابن عباس في قوله: ﴿جِثِيًّا﴾ قال: قعوداً، وفي قوله: ﴿عِتِيًّا﴾ قال: معصية.

وأخرج ابن جرير[٨] عنه في قوله: ﴿عِتِيًّا﴾ قال: عصياً.

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (١٢٣، ٢٢٣١ ـ «كشف»)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٢)، والحاكم (٢/ ٣٧٥) بسند حسن.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣١).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٨٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٢٢) بسند صحيح.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٢٣).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣١).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٢).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٣).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٨٨) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عَنْ قتادة في قوله: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾ قال: لننزعنَّ من أهل كل دينٍ قادتَهم ورؤوسَهم في الشرّ.

وأخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن مسعود[٢] قال: يُحشرُ الأوّل على الآخِرِ حتى إذا تكاملت العدةُ أثارَهم جميعاً، ثم بدأ بالأكابر فالأكابر جُرْماً، ثم قرأ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿عِتِيًّا﴾.

وأخرج ابن المنذر[٣] عن ابن جريج في قوله: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ قال: يقول: أَيُّهم أولى بالخلود في جهنّم.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي سُميّة[٤] قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضُنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعاً ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ فلقيتُ جابر بن عبد الله فذكرت له، فقال وأهوى بأصبعه إلى أذنيه صُمَّتا إنْ لم أكن سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى بَرٌّ ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بَرْداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إنّ للنار ضجيجاً مِنْ بردها ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾».

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن مجاهد[٥] قال: خاصم نافعُ بن الأزرق ابنَ عباس، فقال ابن عباس: الورودُ: الدخولُ، وقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء:

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٣).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٨٩) عن ابن جريج بسند ضعيف؛ لضعف الحسين، وهو ابن داود.

(٤) أخرجه أحمد في «مسند» رقم (١٤٥٢٠)، وعبد بن حميد رقم (١١٠٦ ـ المنتخب)، والحكيم الترمذي (١/ ١٢٧)، والحاكم (٤/ ٥٨٧)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٣٧٠) بسند ضعيف، لجهالة أبي سمية.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١١)، وهناد في «الزهد» رقم (٢٢٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٥٩٠ ـ ٥٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٨٠) مختصراً بسند ضعيف؛ لجهالة الراوي عن ابن عباس.

٩٨]. وقال: وردوا أم لا؟ وقرأ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨]. أوردوا أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها فانظرْ هل نخرج منها أم لا؟

وأخرج الحاكم(١) عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: وإن منكم إلّا داخلها.

وأخرج هنّاد، والطبراني عنه(٢) في الآية قال: ورودها: الصراطُ.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي، وابن الأنباري، وابن مردويه عن ابن مسعود(٣) في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: قال رسول الله : «يَردُ النّاسُ كلُّهم النار، ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأوّلهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحُضْر الفَرَس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشدّ الرجُل، ثم كمشيه». وقد روي نحو هذا من حديث ابن مسعود من طرق.

وأخرج ابن مردويه(٤) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾» يقول: مجتازٌ فيها.

وأخرج مُسلم(٥) وغيرُه عن أم مُبشّر قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النارَ أحدٌ شهد بدراً والحُديبية. قالت حفصة: أليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قالت: ألم تسمعيه يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾».

وأخرج البخاري(٦) ومسلم وغيرهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموت لمسلم ثلاثة مِنْ الولد فيلج النار إلا تحلّة القسَم»، ثم قرأ سفيان: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٨٧).

(٢) أخرجه هنّاد في «الزهد» رقم (٢٣٢)، والطبراني رقم (٩٠٨٤، ٩١٢١).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٤١٤١)، والترمذي رقم (٣١٥٩)، والحاكم (٢/ ٣٧٥)، والبيهقي في «البعث» رقم (٦٥٧). وهو حديث صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ١١٥).

(٥) أخرجه مسلم رقم (٢٤٩٦)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٠٠)، وأحمد رقم (٢٦٤٤، ٢٧٠٤٢)، وهناد في «الزهد» رقم (٢٣٠)، وابن ماجه رقم (٤٢٨١)، والطبراني رقم (٣٥٨، ٣٦٣).

(٦) أخرجه البخاري رقم (١٢٥١)، ومسلم رقم (٢٦٣٢)، والترمذي رقم (١٠٦٠)، والترمذي رقم (١٠٦٠)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٣٢٠)، وابن ماجه رقم (١٦٠٣).

وأخرج أحمد، والبخاري في «تاريخه»، وأبو يعلى، والطبراني، وابن مردويه عن معاذ بن أنس[١] عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوّعاً لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينيه إلا تحلّة القَسَم، فإنّ الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾».

والأحاديث في تفسير هذه الآية كثيرةٌ جدّاً.

وأخرج ابنُ أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٢] في قوله: ﴿حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ قال: قضاءٌ مِنْ الله.

وأخرج الخطيبُ في «تالي التلخيص» عَنْ عكرمة[٣] ﴿حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ قال: قَسَماً واجباً.

وأخرج ابن أبي حاتم [٣/٢٢٢] عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ قال: باقين فيها.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾.

الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ راجع إلى الكفار الذين سبق ذكرهم في قوله: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦]؛ أي: هؤلاءِ إذا قُرئ عليهم القرآنُ تعذّروا بالدنيا،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (١٥٦١٢)، والبخاري في «تاريخه» رقم (٣/٤٤٣)، وأبو يعلى رقم (١٤٩٠)، والطبراني (ج٢٠ رقم ٤٠٢) بسند ضعيف.

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/١٢).

وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/٦٠٥)، عن مجاهد بسند صحيح.

(٣) أخرجه الخطيب في «التلخيص» رقم (١٤٤).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/١٢٤).

وقالوا: لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أطيب من حالنا. ولم يكن بالعكس؛ لأنّ الحكيم لا يليق به أن يهين أولياءه ويعزّ أعداءه.

ومعنى البيّنات(١): الواضحات التي لا تلتبس معانيها؛ وقيل: ظاهرات الإعجاز، وقيل: إنّها حججٌ وبراهين، والأوّل أولى. وهي حال مؤكدة(٢) لأن آيات الله لا تكون إلا واضحة، ووضع الظاهر(٣) موضع المضمر في قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ للإشعار بأن كفرهم هو السبب لصدور هذا القول عنهم.

وقيل: المراد بالذين كفروا هنا هم المتمرّدون المصرّون منهم.

[قياسٌ عقيمٌ ناشئٌ من رأي سقيم نقضه الله وأبطله]:

ومعنى قالوا: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ قالوا: لأجلهم، وقيل: هذه اللام هي لام التبليغ(٤) كما في قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٧]؛ أي: خاطبوهم بذلك وبلّغوا القول إليهم: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ المراد بالفريقين: المؤمنون والكافرون، كأنهم قالوا: أفريقنا خير أم فريقكم؟ قرأ ابنُ كثير، وابن محيصن، وحميد، وشِبْل بن عباد (مُقاماً) بضم(٥) الميم وهو موضع الإقامة، ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى: الإقامة.

وقرأ الباقون بالفتح(٦)؛ أي: مَنْزلاً ومَسْكناً وقيل: المقام الموضع الذي يقام فيه بالأمور الجليلة والمعنى: أي الفريقين أكبر جاهاً وأكثر أنصاراً وأعواناً، والنديّ والنادي: مجلس القوم ومجتمعهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]. وناداه: جالسه في النادي، ومنه دار الندوة؛ لأن المشركين كانوا يتشاورون فيها في أمورهم، ومنه أيضاً قول الشاعر(٧):

أنادي به آلَ الوليدِ وجعفرا

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٥٧).

(٢) «الكشاف» (٤/ ٤٧)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٥٥)، و«الفريد» (٣/ ٤١٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٩٠).

(٣) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (١٦/ ١٥٥)، وأبو السعود في «تفسيره» (٤/ ٥٧٥).

(٤) «روح المعاني» (١٦/ ١٥٥)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٧٥).

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٢٩٠)، و«النشر» (٢/ ٣١٨ ـ ٣١٩)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٥٥)، و«التيسير» (ص١٤٩).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) نسبه الجوهري في «الصحاح» (٦/ ٢٥٠٥) إلى المرقّش.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ القرن: الأُمّة[١] والجماعة ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ الأثاث: المالُ أجمع: الإبل والغنم والبقر والعبيد والمتاع، وقيل: هو متاع البيت خاصة، وقيل: هو الجديد من الفَرْش؛ وقيل: اللباس خاصة.

واختلفت القراءات في ﴿وَرِءْيًا﴾ فقرأ أهل المدينة وابن ذكوان (وريّاً)[٢] بياء مشدّدة، وفي ذلك وجهان:

أحدهما: أَنْ يكون من رأيت ثم خُفّفت الهمزة فأبدل منها ياء وأدغمت الياء في الياء، والمعنى على هذه القراءة: هم أحسنُ مَنْظراً وبه قول جمهور المفسّرين، وحُسْنُ المنظر يكون من جهة حسن اللباس؛ أو حسن الأبدان وتنعمها، أو مجموع الأمرين.

وقرأ أهلُ الكوفة وأبو عَمرو وابن كثير (ورئياً) بالهمز[٣]، وحكاها وَرْش عن نافع، وهشام عن ابن عامر، ومعناها معنى القراءة الأولى.

قال الجوهري[٤]: مَنْ همزَ جعله مِنْ المنظر من رأيت، وهو ما رأته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة، وأنشد أبو عُبيدة[٥] لمحمد بن نمير الثقفي:

أشاقتك الظعائنُ يومَ بانوا ... بذي الرئي الجميلِ من الأثاث

ومن لم يهمز: إما أن يكون من تخفيف الهمزة، أو يكون من رَوِيتْ ألوانهم وجلودهم رِيّاً؛ أي: امتلأتْ وحَسُنت. وقد ذكر الزجاج[٦] معنى هذا كما حكاه عنه الواحدي[٧].

---

(١) «الحامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٥٠٣).
«الوسيط» للواحدي (٣/ ١٩٣)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٨٦).

(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٢٩١)، و«النشر» (١/ ٤٧١)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٥٨)، و«جامع البيان» (١٥/ ٦١٣).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

● قال ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦١٣): وأولى القراءات في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ﴿أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ بالراء والهمز لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن معناه المنظرُ، وذلك من رؤية العين، لا من الرَّوية، فلذلك كان الهمز به أولى. فإن قرأ قارئ ذلك بترك الهمز وهو يريد هذا المعنى، فغيرُ مخطئ في ذلك.

(٤) في «الصحاح» (٦/ ٢٣٤٩).

(٥) في «مجاز القرآن» (١/ ٣٦٦)، وذكره الجوهري في «الصحاح» (٦/ ٢٣٤٩)، والقرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٥٠٣).

(٦) في «معاني وإعراب القرآن» (٣/ ٣٤٢). (٧) في «الوسيط» (٣/ ١٩٣).

وحكى يعقوب أن طلحة بن مُصّرف قرأ بياء واحدة[١] خفيفة، فقيل: إن هذه القراءة غلط، ووجهها بعضُ النحويين أنّه كان أصلها الهمزة فَقُلبت ياء ثم حذفت إحدى الياءين.

وروي عن ابن عباس أَنّه قرأ بالزاي[٢] مكان الراء، وروي مثل ذلك عن أُبيّ بن كعب، وسعيد بن جبير، والأعصم المكي واليزيدي، والزيّ الهيئة والحسن.

قيل: ويجوز أَنْ يكون من زَوَيتُ؛ أي: جمعت، فيكون أصلها زِوْياً فقلبت الواو ياء، والزيُّ محاسنٌ مجموعة.

[الإمهال منه سبحانه للعصاة واستدراجهم]:

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ أمر الله[٣] سبحانه رسوله ﷺ أن يجيب على هؤلاء المفتخرين بحظوظهم الدنيوية؛ أي: من كان مستقرّاً في الضلالة ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ هذا وإن كان على صيغة الأمر، فالمراد به الخبر، وإنما خرج مخرج الأمر لبيان الإمهال منه سبحانه للعصاة، وأنّ ذلك كائن لا محالة لتنقطع معاذير أهل الضلال، ويقال لهم يوم القيامة: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]. أو للاستدراج كقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]. وقيل: المراد بالآية: الدعاء بالمد والتنفيس.

قال الزجاج[٤]: تأويله أن الله جعل جزاء ضلالته أن يتركه ويمدّه فيها؛ لأن لفظ الأمر يُؤكّد معنى الخبر كأنّ المتكلِّم يقول: أفعل ذلك وآمر به نفسي ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ يعني: الذين مدّ لهم في الضلالة، وجاء بضمير الجماعة اعتباراً بمعنى مَنْ، كما أن قوله: ﴿كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ﴾ اعتبار بلفظها، وهذه غاية للمدّ، لا لقول المفتخرين إذْ ليس فيه امتداد ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ هذا تفصيل لقوله: ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾؛ أي: هذا الذي توعدون هو أحد أمرين[٥] إما العذاب في الدنيا بالقتل

(١) «القراءات الشاذة» (ص٨٦)، و«المحتسب» (٢/ ٤٣). والقراءة بياء واحدة شاذة.

(٢) قال ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦١٤): وأمّا قراءة من قرأ بالزاي فقراءةٌ خارجة عن قراءةِ القرأه، فلا أستجيز القراءة بها؛ لخلافها قراءَتهم، وإن كان لها في تأويل وجهٌ صحيح. وانظر: «القراءات الشاذة» (ص٨٦)، و«المحتسب» (٢/ ٤٤).

(٣) «روح المعاني» (١٦/ ١٥٩)، و«جامع البيان» (١٥/ ٦١٤).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٤٣).

(٥) «معالم التنزيل» (٣/ ٢٠٨)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ١٩٣)، و«زاد المسير» (٥/ ٢٥٩).

والأسر، وإما يوم القيامة وما يحلّ بهم حينئذٍ من العذاب الأخروي ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ هذا جواب الشرط، وهو جواب على المفتخرين: أيّ هؤلاء القائلون: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾، إذا عاينوا ما يُوعدون به مِنْ العذاب الدنيوي بأيدي المؤمنين، أو الأخروي، فسيعلمون عند ذلك مَنْ هو شرّ مكاناً من الفريقين، وأضعف جنداً منهما: أي: أنصاراً وأعواناً.

والمعنى: أنّهم سيعلمون عند ذلك أنهم شرّ مكاناً لا خير مكاناً، وأضعف جنداً لا أقوى ولا أحسن من فريق المؤمنين، وليس المراد أن للمفتخرين هنالك جنداً ضعفاء؛ بل لا جند لهم أصلاً كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣]، ثم لما أخبر سبحانه عن حال أهل الضلالة، أراد أن يبين حال أهل الهداية فقال: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ وذلك أن بعض الهدى يجرّ إلى البعض الآخر، والخير يدعو إلى الخير.

وقيل: المراد[1] بالزيادة: العبادة من المؤمنين، والواو في «ويزيد» للاستئناف، والجملة مستأنفة لبيان حال المهتدين؛ وقيل: الواو للعطف على (فليمدد)؛ وقيل: للعطف على جملة ﴿مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾.

قال الزجاج[2]: المعنى: أن الله يجعل جزاء المؤمنين أن يزيدهم يقيناً كما جعل جزاء الكافرين أن يمدّهم في ضلالتهم.

[معنى الباقيات الصالحات]:

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ هي الطاعات المؤدّية إلى السعادة الأبدية، ومعنى كونها خيراً عند الله ثواباً: أنها أنفع عائدةً مما يتمتع به الكفار من النعم الدنيوية ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ المردّ ها هنا مصدر كالردّ[3]، والمعنى: وخير مردّاً للثواب على فاعلها ليست كأعمال الكفّار التي خسروا فيها.

والمردّ: المرجع والعاقبة والتفضيل للتهكم[4] بهم للقطع بأنَّ أعمال الكفار

---

(١) «النكت والعيون» (٣/ ٣٨٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٥٠٤)، و«جامع البيان» (١٥/ ٦١٦).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٤٤).

(٣) «الفريد» (٣/ ٤١٥)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٦٤).

(٤) «الكشاف» (٤/ ٤٩ ـ ٥٠)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٦٣).

لا خير فيها أصلاً. ثم أردف سبحانه مقالة أولئك المفتخرين بأخرى مثلها على سبيل التعجّب فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾؛ أي: أخبرني بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقب حديث أولئك، وإنما استعملوا أرأيت بمعنى أخبر؛ لأنَّ رؤية الشيء من أسباب صحة الخبر عنه، والآيات تعمّ كلَّ آية ومن جملتها آية البعث، والفاء للعطف على مُقدّر يدل عليه المقام؛ أي: أنظرت فرأيتَ؟ واللّام في ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ هي الموطئة للقَسَم، كأنّه قال: والله لأوتينّ في الآخرة مالاً وولداً؛ أي: أنظر إلى حال هذا الكافر وتعجب من كلامه، وتأليّه على الله مع كفره به وتكذيبه بآياته. ثم أجاب سبحانه عن قول هذا الكافر بما يدفعه ويبطله، فقال: ﴿أَطَّلَعَ﴾ على ﴿ٱلْغَيْبَ﴾؛ أي: أَعَلِمَ ما غاب عنه حتى يعلم [٣/٢٢٣] أنه في الجنة ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ بذلك، فإنه لا يتوصل إلى العلم إلا بإحدى هاتين الطريقتين.

وقيل: المعنى: أَنظرَ في اللوح المحفوظ[(١)]؟ أم اتخذ عند الرحمٰن عهداً؛ وقيل: معنى ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾؟ أم قال: لا إلٰه إلا الله فأرحمه بها؛ وقيل: المعنى: أم قدّم عملاً صالحاً فهو يرجوه. واطلع مأخوذ من قولهم: اطّلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه.

وقرأ حمزة، والكسائي، ويحيى بن وثّاب، والأعمش (وَوُلْداً) بضم الواو[(٢)]، والباقون بفتحها[(٣)]، فقيل: هما لغتان معناهما واحد، يقال: وَلَد ووُلْد كما يقال: عَدم وعُدْم، قال الحارث بن حلزّة[(٤)]:

ولقد رأيتُ معاشرا قد [ثمروا][(٥)] مالاً ووُلْداً

وقال آخر[(٦)]:

فليت فلاناً كانَ في بطن أُمِّه وليتَ فلاناً كان ولْدَ حمارِ

---

(١) قاله ابن عباس.
ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/٥٠٦).

(٢) «التيسير» (ص١٥٠)، و«جامع البيان» (١٥/٦١٩)، و«النشر» (٢/٣١٩)، و«روح المعاني» (١٦/١٦٦).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) انظر: «ديوانه» (ص١١٦).

(٥) كذا في المخطوط، والذي في الديوان: (جمعوا).

(٦) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/٦٢٠)

وقيل: الوُلْد بالضم للجمع وبالفتح للواحد. وقد ذهب الجمهور إلى أن هذا الكافر أراد بقوله: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ أنه يؤتى ذلك في الدنيا.

وقال جماعة: في الجنّة، وقيل: المعنى: إن أقمت على دين آبائي لأوتين؛ وقيل: المعنى: لو كنت على باطل لما أوتيت مالاً وولداً.

[عذاب مَنْ جمع بين الكفر والاستهزاء]:

﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾، ﴿كَلَّا﴾ حرف رَدْعٍ[١] وزَجْرٍ؛ أي: ليس الأمر[٢] على ما قال هذا الكافر من أنّه يؤتى المال والولد سَنكتُبُ ما يقول؛ أي: سنحفظ عليه ما يقوله فنجازيه به في الآخرة، أو سنظهر ما يقول، أو سننتقم منه انتقام من كتبت معصيته ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾؛ أي: نزيده عذاباً فوق عذابه مكان ما يدّعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد، أو نطوّل له من العذاب ما يستحقه وهو عذاب من جمع بين الكفر والاستهزاء ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾؛ أي: نميته فنرثه المال والولد الذي يقول إنّه يؤتاه.

والمعنى: مُسمّى ما يقول ومصداقه، وقيل: المعنى: نحرمه ما تمنّاه ونعطيه غيره ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾؛ أي: يوم القيامة لا[٣] مال له ولا ولد؛ بل نسلبه ذلك، فكيف يطمع في أن نعطيه؛ وقيل: المراد بما يقول: نفس القول لا مُسمّاه، والمعنى: إنما يقول هذا القول ما دام حيّاً، فإذا أمتناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضاً له منفرداً عنه، والأوّل أولى.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٤] في قوله: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ قال: قريشٌ تقولُه لها ولأصحاب محمدٍ.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿خَيْرٌ مَقَامًا﴾ قال: المنازل ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ قال: المجالس، وفي قوله: ﴿أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾ قال: المتاع والمال ﴿وَرِءْيًا﴾ قال: المَنْظَر.

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ١٦٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٩٦).
(٢) «جامع البيان» (١٥/ ٦٢١ ـ ٦٢٢).
(٣) «النكت والعيون» (٣/ ٣٨٨)، و«الوسيط» (٣/ ١٧٥).
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ١٢٦ ـ ١٢٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦٠٩) عن مجاهد بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩، ٦١١) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد(١) في قوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ فليدعه الله في طُغيانه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن حبيب بن أبي ثابت(٢) قال في حرف أُبيّ: «قل مَنْ كان في الضلالة فإنّه يزيده الله ضلالةً».

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ من حديث خبّاب بن الأرتّ(٣) قال: كنتُ رجلاً قَيْناً وكان لي على العاص بن وائل دَين، فأتيته أتقاضاه فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمدٍ، فقلتُ: والله لا أكفر بمحمد حتى تموتَ ثم تُبعث، قال: فإنّي إذا متّ ثم بُعثت جئتني ولي ثَمَّ مال وولد فأعطيك، فأنزل الله فيه هذه الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم(٤) عن ابن عباس في قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ قال: لا إله إلا الله يرجو بها.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم(٥) عنه في قوله: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ قال: مالَه وولَده.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦١٥) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ١٢٧). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٣) أخرجه أحمد رقم (٢١٠٦٨)، والبخاري رقم (٢٠٩١، ٢٢٧٥، ٢٤٢٥، ٤٧٣٢، ٤٧٣٣، ٤٧٣٥)، ومسلم رقم (٢٧٩٥)، والترمذي رقم (٣١٦٢)، والبزار في «مسنده» رقم (٢١٢٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦١٧، ٦١٨)، وابن حبان رقم (٤٨٨٥)، والطبراني رقم (٣٦٥١، ٣٦٥٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٨٠، ٢٨١).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٢٢٩).

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٢٢٩).

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾
أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا
﴿٩٥﴾﴾.

حكى سبحانه ما كان عليه هؤلاء الكفار الذين تمنّوا ما لا يستحقونه، وتألّوا على الله سبحانه من اتخاذهم الآلهة مِنْ دون الله لأجل يتعززون بذلك.

قال الهروّي[(١)]: معنى ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾: ليكونوا لهم أعواناً.

قال الفرّاء[(٢)]: معناه: ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة، وقيل: معناه ليتعززوا بهم من عذاب الله ويمتنعوا بها ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾؛ أي: ليس الأمر كما ظنوا وتوهموا، والضمير[(٣)] في الفعل إما للآلهة؛ أي: ستجحد هذه الأصنام عبادة الكفار لها يوم ينطقها الله سبحانه؛ لأنّها عند أن عبدوها جمادات لا تعقل ذلك، وإما للمشركين؛ أي: سيجحد المشركون أنهم عبدوا الأصنام.

ويدل على الوجه الأوّل قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

وقوله: ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ٨٦].

ويدلّ على الوجه الثاني قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] وقرأ ابن أبي نهيك (كُلاً) بالتنوين[(٤)]، وروي عنه مع ذلك ضمّ الكاف[(٥)] وفتحها فعلى الضم هي بمعنى جميعاً وانتصابها بفعل مضمر كأنه قال: سيكفرون كُلاً سيكفرون بعبادتهم، وعلى الفتح يكون مصدراً لفعل محذوف تقديره: كَلّ هذا الرأي كَلاً.

---

(١) في «الغريبين» (٤/ ١٢٧٠).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧١).
(٣) «الفريد» (٣/ ٤١٦)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٧٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٩٦).
(٤)(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٢٩٦)، و«حاشية الشهاب» (٢/ ٤٥)، و«القراءات الشاذة» (ص٨٦)، و«المحتسب» (٢/ ٤٥)، و«التبيان» (٢/ ٨٨١). القراءة بالتنوين مع الضم في الكاف أو فتحها شاذة.

وقراءة الجمهور(١) هي الصواب، وهي حرفُ رَدْعٍ وزجْرٍ.

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾؛ أي: تكون هذه الآلهة التي ظنوها عزّاً لهم ضدّاً عليهم؛ أي: ضدّاً للعزّ، وضدّ العزّ: الذلُّ هذا على الوجه الأوّل، وأما على الوجه الثاني فيكون المشركون للآلهة ضدّاً وأعداءً يكفرون بها بعد أن كانوا يحبونها ويؤمنون بها. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

ذكر الزجاج(٢) في معنى هذا وجهين:

أحدهما: أن معناه: خلينا بين الكافرين وبين الشياطين فلم نعصمهم منهم ولم نُعِذْهم، بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥ ـ الحجر: ٤٢].

الوجه الثاني: أنهم أُرسلوا عليهم وقَيّضوا لهم بكفرهم قال: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ [الزخرف: ٣٦]. فمعنى الإرسال ها هنا: التسليط ومن ذلك قوله سبحانه لإبليس. ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

ويؤيد الوجه الثاني تمام الآية، وهو ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ فإن الأزّ والهزّ والاستفزاز معناها: التحريك(٣) والتهييج والإزعاج، فأخبر الله سبحانه أن الشياطين تحرّك الكافرين وتهيجهم(٤) وتغويهم، وذلك هو التسليط لها عليهم.

وقيل: معنى الأزّ: الاستعجال، وهو مقارب لما ذكرنا لأن الاستعجال تحريك وتهييج واستفزاز وإزعاج، وسياق هذه الآية لتعجيب رسول الله ﷺ من حالهم وللتنبيه له على أن جميع ذلك بإضلال الشياطين وإغوائهم، وجملة: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ في محل نصب(٥) على الحال، أو مستأنفة على تقدير سؤال يدل عليه المقام؛ كأنه قيل: ماذا تفعل الشياطين بهم؟

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بأن تطلب من الله إهلاكهم بسبب تصميمهم على الكفر وعنادهم للحق وتمرّدهم عن داعي الله سبحانه، ثم علل سبحانه هذا النهي بقوله:

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٢٩٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٥١٠).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٤٥).

(٣) «تهذيب اللغة» (١٣/ ٢٨٠)، و«الصحاح» (٣/ ٨٦٤).

(٤) «النكت والعيون» (٣/ ٣٨٩)، و«جامع البيان» (١٥/ ٦٢٧).

(٥) «الفريد» (٣/ ٤١٧)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٧٧).

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ يعني: نعدّ الأيام[١] والليالي والشهور والسنين من أعمارهم إلى انتهاء آجالهم.

وقيل: نعدّ أنفاسَهم[٢]؛ وقيل: خطواتِهم؛ وقيل: لحظاتهم؛ وقيل: الساعات.

وقال قُطْرب[٣]: نعدّ أعمالهم؛ وقيل: المعنى: لا تعجل عليهم فإنما نؤخرهم ليزدادوا إثماً.

ثم لما قرّر سبحانه أمر الحشر وأجاب عن شُبْهة منكريه أراد أن يشرح حال المكلَّفين حينئذٍ، فقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ الظرف منصوب بفعل مقدّر[٤]؛ أي: اذكر يا محمد يوم الحشر؛ وقيل: منصوب بالفعل الذي بعده، ومعنى حشرهم إلى الرحمٰن: حشرهم إلى جنته ودار كرامته؛ كقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩] والوفد جمع وافد كالركب جمع راكب وصَحْب جمع صاحب، يقال: وفد يَفِدُ وفْداً إذا خرج إلى مَلِكٍ أو أمر خطير كذا قال الجوهري[٥].

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ السوق: الحثّ على السير، والورد: العطاش، قاله الأخفش وغيره.

وقال الفراء[٦] وابن الأعرابي[٧]: هم المشاة [٣/٢٢٤]، وقال الأزهري[٨]: هم المشاة العطاش كالإبل ترد الماء؛ وقيل: وردا؛ أي: للوِرد، كقولك: جئتك إكراماً؛ أي: للإكرام، وقيل: أفراداً.

قيل: ولا تناقض بينِ هذه الأقوال فهم يُساقون مشاةً عطاشاً أفراداً، وأصل الورد الجماعة التي تَرِدُ الماء مِنْ طير أو إبل أو قوم أو غير ذلك.

والوِرد: الماء الذي يُورد.

وجملة ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ مستأنفة لبيان بعض ما يكون في ذلك اليوم من الأمور، والضمير في ﴿يَمْلِكُونَ﴾ راجع إلى الفريقين؛ وقيل: للمتقين خاصة؛ وقيل:

---

(١) قاله الكلبي كما في «النكت والعيون» (٣/٣٨٩).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/٦٢٨) عن ابن عباس بسند صحيح.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/٥١٢). (٤) «البحر المحيط» (٧/٢٩٧ ـ ٢٩٨).
(٥) «الصحاح» (٢/٥٥٣). (٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/١٧٢).
(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (١٤/١٩٩ ـ ٢٠٠).
(٨) «تهذيب اللغة» (١٤/١٩٩).

للمجرمين خاصة، والأوّل أولى. ومعنى ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾: أنهم لا يملكون أن يشفعوا لغيرهم؛ وقيل: لا يملك غيرُهم أن يشفع لهم، والأوّل أولى ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ هذا الاستثناء[١] متصل على الوجه الأوّل؛ أي: لا يملك الفريقان المذكوران الشفاعة إلا من استعدّ لذلك بما يصير به من جملة الشافعين لغيرهم بأن يكون مؤمناً متقياً، فهذا معنى اتخاذ العهد عند الله.

وقيل: معنى اتخاذ العهد: أن الله أمره بذلك كقولهم: عهد الأمير إلى فلان إذا أمره به؛ وقيل: معنى اتخاذ العهد: شهادةُ أن لا إله إلا الله؛ وقيل غير ذلك. وعلى الاتصال في هذا الاستثناء يكون محل (مَنْ) في «من اتخذ» الرفع على البدل[٢]، أو النصب على أصل الاستثناء.

وأمَّا على الوجه الثاني فالاستثناء[٣] منقطع لأن التقدير: لا يملك المجرمون الشفاعة ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ وهم المسلمون؛ وقيل: هو متصل على هذا الوجه أيضاً.

والتقدير: لا يملك المجرمون الشفاعة إلا مَنْ كان منهم مسلماً ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ قرأ يحيى بن وثّاب، والأعمش، وحَمْزة، والكسائي (وُلْداً) بضم[٤] الواو وإسكان اللام.

وقرأ الباقون[٥] في الأربعة المواضع المذكورة في هذه السورة بفتح الواو واللام، وقد قدّمنا الفرق بين القراءتين، والجملة مستأنفة لبيان قول اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله.

وفي قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ التفات[٦] من الغَيبة إلى الخطاب، وفيه ردّ لهذه المقالة الشنعاء، والإدّ كما قال الجوهري[٧]: الداهية والأمر الفظيع، وكذلك الأدّة، وجمع الأدّة أدد. يقال: أدّت فلاناً الداهيةُ تؤدّه أدّاء بالفتح.

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ١٨٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٠٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ٥١٧).
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٣/ ٣٤٦)، و«التبيان» (٢/ ٨٨٢).
(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٣٠٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ٥١٧)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٣/ ٣٤٦)، و«روح المعاني» (١٦/ ١٨٧).
(٤) انظر: «النشر» (٢/ ٣١٩)، «جامع البيان» (١٥/ ٦١٩)، و«التيسير» (ص١٥٠).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة. وقد تقدم ذكره. وهما قراءتان متواترتان كما عزاهما المؤلف.
(٦) «روح المعاني» (١٦/ ١٨٨)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٨٢).
(٧) في «الصحاح» (٢/ ٤٤٠).

وقرأ أبو عبد الرحمٰن السلمي (أدّاً) بفتح الهمزة[١]، وقرأ الجمهور[٢] بالكسر، وقرأ ابن عباس[٣] وأبو العالية (آدّاً) مثل مادّاً، وهي مأخوذة من الثِقَل، يقال: أدّه الحمل يؤوده: إذا أثقلَه.

قال الواحدي[٤]: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾؛ أي: عظيماً في قول الجميع، ومعنى الآية: قلتم قولاً عظيماً؛ وقيل: الإدّ العجب، والإدّة الشدّة، والمعنى متقارب والتركيب يدور على الشدّة والثِقَل ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ قرأ نافع، والكسائي، وحفص، ويحيى بن وثّاب (يكاد) بالتحتية[٥].

وقرأ الباقون[٦] بالفوقية. وقرأ نافع وابن كثير وحفص (يتفطّرن) بالتاء الفوقية[٧]، وقرأ حمزة وابن عامر وأبو عَمْرو وأبو بكر والمفضّل (يَنْفِطِرن) بالتحتية[٨] من الانفطار، واختار هذه القراءة أبو عُبيد[٩] لقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الإنفطار: ١]. وقوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨].

وقرأ ابن مسعود (يتصدّعن)[١٠] والانفطار والتفطر التشقق ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾؛ أي: وتكاد أن تنشق الأرض، وكرر الفعل للتأكيد لأن تتفطرن وتنشق معناهما واحد ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ﴾؛ أي: تسقط وتنهدم، وانتصاب ﴿هَدًّا﴾ على أنه مصدر مؤكد لأن الخرور في معناه، أو هو مصدر لفعل مقدّر؛ أي: وتنهد هدّاً، أو على الحال؛ أي: مهدودة، أو على أنه مفعول له؛ أي: لأنها تنهد.

---

(١) «المحتسب» (٢/٤٦)، و«القراءات الشاذة» (ص٨٦). قراءة الجمهور متواترة، وغيرها شاذ.
(٢) «البحر المحيط» (٧/٣٠٠)، و«روح المعاني» (١٦/١٨٨)، و«جامع البيان» (١٥/٦٣٦).
(٣) «البحر المحيط» (٧/٣٠٠)، و«جامع البيان» (١٥/٦٣٦)، و«التيسير» (ص١٥٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/٥٢١).
(٤) في «الوسيط» (٣/١٩٦).
(٥) «البحر المحيط» (٧/٣٠٠)، و«التيسير» (ص١٥٠)، و«النشر» (٢/٣١٩). الصواب أن نافع والكسائي قرأ بالتحتيه من كلمة (يكاد) وباقي العشرة بالفوقية.
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) «البحر المحيط» (٧/٣٠١)، و«روح المعاني» (١٦/١٩٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/٥٢١). ومعهم الكسائي، وهي أيضاً بتشديد الطاء (يتفطّرن).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة. الصواب (يَنْفِطرن) بالنون بعد الياء.
(٩) في «الغريبين» (٥/١٤٥٩).
(١٠) «القرآت الشاذة» (ص٨٦).

قال الهروي[(١)]: يقال: هدّني الأمر وهدّ ركني؛ أي: كسرني وبلغ مني.

قال الجوهري[(٢)]: هدّ البناء يَهُدّه هَدّاً: كسَره وضَعْضَعه، وهدّته المصيبة: أوهنت ركنَه، وانهدّ الجبل؛ أي: انكسر والهدّةُ: صوتُ وَقْع الحائط، كما قال ابن الأعرابي[(٣)]، ومحل ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ الجرّ[(٤)] بدلاً مِنْ الضمير في «منه».

وقال الفراء[(٥)]: في محل نصب بمعنى: لأن دعوا.

وقال الكسائي[(٦)]: هو في محل خفض بتقدير الخافض، وقيل: في محل رفع على أنه فاعل هدّاً. والدعاء بمعنى: التسمية؛ أي: سَمّوا للرحمٰن ولداً، أو بمعنى النسبة؛ أي: نسبوا له ولداً ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾؛ أي: لا يصلح له ولا يليق به لاستحالة ذلك عليه لأن الولد يقتضي الجنسية والحدوث.

والجملة في محل نصب[(٧)] على الحال؛ أي: قالوا اتخذ الرحمٰن ولداً، أو أن دعوا للرحمٰن ولداً، والحال أنَّه ما يليق به سبحانه ذلك ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ما كل من في السمٰوات والأرض ﴿إِلَّآ﴾ وهو ﴿ءَاتِى﴾ الله يوم القيامة مقرّاً بالعبودية خاضعاً ذليلاً كما قال: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]؛ أي: صاغرين.

والمعنى: أن الخلق كلهم عبيدُه، فكيف يكون واحد منهم ولداً له؟ وقرئ (آتٍ)[(٨)] على الأصل ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾؛ أي: حصرهم، وعلم عددهم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾؛ أي: عدّ أشخاصهم بعد أن حصرهم فلا يخفى عليه أحد منهم ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾؛ أي: كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة فرداً لا ناصر له ولا مال معه كما قال سبحانه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: ٨٨].

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٩)] في قوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ قال: أعواناً.

---

(١) في «الغريبين» (٦/ ١٩١٦). (٢) في «الصحاح» (٢/ ٥٥٥).
(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (٥/ ٣٥٢).
(٤) «الفريد» (٣/ ٤٢٠)، و«التبيان» (٢/ ٨٨٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٠٢).
(٥) في «معاني القرآن» (٢/ ١٧٣). (٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٥٢١).
(٧) «البحر المحيط» (٧/ ٣٠٢)، و«التبيان» (٢/ ٨٨٣)، و«الفريد» (٣/ ٤٢٠).
(٨) وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦٢٤)، عن ابن عباس بسند صحيح.

وأخرج عبد بن حميد[١] عنه ﴿ضِدًّا﴾ قال: حَسْرةً.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[٢] عنه أيضاً قال: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ تُغويهم إغواءً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عنه أيضاً ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ قال: تحرّض المشركين على محمد وأصحابه.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[٤] في الآية قال: تُزْعجهم إزعاجاً إلى معاصي الله.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس[٥] ﴿وَفْدًا﴾ قال: رُكْباناً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر عن أبي هريرة[٦] ﴿وَفْدًا﴾ قال: على الإبل.

وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث أبي هريرة[٧] قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشر النّاسُ يوم القيامة على ثلاث طرائق: راغبين وراهبين واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تَقيل معهم حيثُ قالوا، وتَبيتُ معهم حيث باتوا».

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّاً.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس[٨] ﴿وِرْدًا﴾ قال: عِطاشاً.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٧).

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٧).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٦).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦٢٧) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦٣٠)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٣١٧) تعليقاً.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦٢٩ ـ ٦٣٠)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١١٩) بسند ضعيف؛ لإبهام الراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه البخاري رقم (٦٥٢٢)، ومسلم رقم (٢٨٦١)، والنسائي رقم (٢٠٨٤).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦٣١)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٣١٧) بسند صحيح.

وأخرج ابن المنذر(١) عن أبي هريرة مثلَه.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس(٢) في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا﴾ قال: شهادةُ أن لا إلٰه إلا الله، وتَبرأ من الحول والقوّة، ولا ترجو إلا الله.

وأخرج ابن مردويه(٣) عنه في الآية قال: مَنْ مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

وأخرج ابنُ أبي شيبة، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن مسعود(٤) أنه قرأ ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا﴾ قال: إنّ الله يقول يوم القيامة: مَنْ كان له عندي عهد فليقم، فلا يقوم إلا مَنْ قال هذا في الدنيا، قولوا: اللَّهُمَّ فاطر السمٰوات والأرض عالمَ الغيب والشهادة إنّي أعهد إليك في الحياة الدنيا أَنَّك إنْ تكلني إلى عملي تقربني من الشرّ وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلَّا برحمتك، فاجعله لي عندك عهداً تؤديه إليّ يوم القيامة إنّك لا تخلف الميعاد.

وأخرج ابن مردويه(٥) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أدخل على مؤمن سروراً فقد سرّني، ومَنْ سرّني فقد اتخذ عند الرحمٰن عهداً، ومن اتخذ عند الرحمٰن عهداً فلا تمسّه النار، إن الله لا يخلف الميعاد».

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة(٦)، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جاءنا بالصلوات الخمس يوم القيامة قد حافظ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها لم ينقص منها شيئاً جاء وله عند الله عهد أنْ لا يعذّبه، ومَنْ جاء قد انتقص منهم شيئاً فليس له عند الله عهد، إنْ شاء رحمه وإن شاء عذّبه».

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤١).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦٣٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٢٠٦) بسند صحيح.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٢).
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٢).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٢).
(٦) أخرجه الطبراني رقم (٤٠١٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٩٢) لم يروه عن محمد بن عمرو إلا عيسى بن واقد. قلت: ولم أجد من ذكره.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ قال: قولاً عظيماً، وفي قوله: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾ قال: إن الشرك فَرِغتْ منه السمٰوات والأرض والجبال وجميعُ الخلائق إلَّا الثقلين وكادت تزول منه لعظمة الله سبحانه، وكما لا ينفع مع الشرك إحسانُ المشرك، كذلك نرجو أَنْ يغفر الله ذنوب الموحّدين، وفي قوله: ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ قال: هَدْماً.

وأخرج ابن المبارك، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وأحمد في «الزهد»، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظَمة»، والطبراني، والبيهقي في «الشعب» من طريق عون عن ابن مسعود[٢] [٣/٢٢٥] قال: إنّ الجبل لينادي الجبل باسمه: يا فلان هل مرّ بك اليوم أحد ذكر الله؟ فإذا قال: نعم استبشر. قال عون: أفيسمعْنَ الزورَ إذا قيل ولا يسمعْنَ الخير؟ هنّ للخير أسمعُ، وقرأ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ الآيات.

[البشرى للمؤمنين المتقين]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)﴾.

ذكر سبحانه من أحوال المؤمنين بعض ما خصهم به بعد ذكره لقبائح الكافرين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾؛ أي: حُبّاً في قلوب عباده، يجعله لهم من دون أن يطلبوه بالأسباب التي توجب ذلك؛ كما يقذف في قلوب أعدائهم الرعب، والسين في (سيجعل) للدلالة على أن ذلك لم يكن من قبل وأنه مجعول من بعد نزول الآية.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦٣٥، ٦٣٧، ٦٣٩) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٣٣٣)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٠٥)، وأبو الشيخ في «العظَمة» رقم (١١٨٥)، والطبراني رقم (٨٥٤٢)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٥٣٧، ٥٣٨، ٦٩١).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٩): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وقرئ (ودّاً) بكسر الواو[١]، والجمهور من السبعة وغيرهم على الضم[٢]. ثم ذكر سبحانه تعظيم القرآن خصوصاً هذه السورة لاشتمالها على التوحيد والنبوّة، وبيان حال المعاندين فقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾؛ أي: يسرنا القرآن بإنزالنا له على لغتك، وفصّلناه وسهلنّاه، والباء بمعنى على، والفاء لتعليل كلام ينساق إليه النظم كأنه قيل: بلغ هذا المنزل أو بشر به أو أنذر ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ الآية.

ثم علّل ما ذكره من التيسير فقال: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: المتلبسين بالتقوى، المتصفين بها ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ اللدّ جمع الألد، وهو الشديد الخصومة. ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]. قال الشاعر:

أبيتُ نجياً للهمومِ كأنني ... أخاصمُ أقواماً ذوي جدلٍ لُدّاً

وقال أبو عبيدة[٣]: الألدّ الذي لا يقبل الحقَّ ويدّعي الباطل؛ وقيل: اللُّدُّ: الصُم؛ وقيل: الظلمة.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾؛ أي: من أمة وجماعة من الناس، وفي هذا وعد لرسول الله ﷺ بهلاك الكافرين ووعيد لهم ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ هذه الجملة مقرّرة لمضمون ما قبلها؛ أي: هل تَشْعر بأحد منهم أو تراه ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ الركز: الصوت الخفي، ومِنْه ركز الرمح إذا غيّبَ طرفَه في الأرض. قال طَرفة[٤]:

وصادفتُها سَمْع التوجُّس للسُّرى ... لركزٍ خَفِيٍّ أو لصوتٍ مفنّدٍ

وقال ذو الرمة[٥]:

إذا توجّسَ رِكزاً مُقفرٌ ندسٍ ... بنبأةِ الصوتِ ما في سمعهِ كذبُ

أي: في استماعه كذب؛ بل هو صادق الاستماع، والندس: الحاذق، والنبأة: الصوت الخفي. وقال اليزيدي[٦] وأبو عبيد[٧]: الركز: ما لا يفهم من صوت أو حركة.

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٣٠٥)، و«القراءات الشاذة» (ص٨٦)، و«حاشية الجمل» (٣/ ٨٠). قراءة ضم الواو من كلمة (وداً) هي المتواترة، والكسر قراءة شاذة.
(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٣٠٥)، و«تحفة الأقران» (ص١٩١).
(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٣).
(٤) انظر: «ديوان طرفة» (ص٢٧).
(٥) انظر: «ديوانه» (١/ ٨٩).
(٦) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٣٩١).
(٧) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٥٢٩).

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، عن عبد الرحمٰن[(١)] بن عوف أنّه لما هاجر إلى المدينة وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة منهم: شيبة بن ربيعة، وعتبةُ بن ربيعة، وأُمية بن خلف، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية، قال ابن كثير[(٢)]: وهو خطأ، فإنّ السورة مكية بكمالها لم ينزل شيء منها بعد الهجرة، ولم يصح سند ذلك.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس[(٣)] قال: نزلت في علي بن أبي طالب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ قال: محبة في قلوب المؤمنين.

وأخرج ابنُ مردويه، والديلمي عن البراء[(٤)] قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: «قل اللَّهُمَّ اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي عندك ودّاً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة»، فأنزل الله الآية في عليّ.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير عن ابن عباس[(٥)] ﴿وُدًّا﴾ قال: محبةٌ في الناس في الدنيا.

وأخرج الحكيم الترمذي، وابن مردويه عن عليّ[(٦)] قال: «سألتُ رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ ما هو؟ قال: المحبة الصادقة في صدور المؤمنين».

وثبت في «الصحيحين» وغيرهما من حديث أبي هريرة[(٧)]، أن رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦٤٤) بسند ضعيف.
وقال ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦): وقد روى ابن جرير أثراً أن هذه الآية نزلت في هجرة عبد الرحمٰن بن عوف، وهو خطأ، فإن هذه السورة بتمامها مكية، لم ينزل منها شيء بعد الهجرة، ولم يصح سند ذلك. والله أعلم.

(٢) في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦).

(٣) أخرجه الطبراني رقم (١٢٦٥٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٦)، «وفيه بشر بن عمارة وهو ضعيف».

(٤) أخرجه الديلمي رقم (١٩٣٢).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦٤٢)، من طريق مجاهد، به.

(٦) أخرجه الحكيم الترمذي (٢/ ٢٢٦).

(٧) أخرجه البخاري رقم (٣٢٠٩، ٦٠٤٠، ٧٤٨٥)، ومسلم رقم (١٥٧/ ٢٦٣٧)، والترمذي رقم =

قال: «إذا أحبّ اللهُ عبداً نادى جبريل: إنِّي قد أحببتُ فلاناً فأحبَّه، فينادي في السماء، ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل إني قد أبغضت فلاناً، فينادي في أهل السماء، ثم ينزل له البغضاء في الأرض».

والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ قال: فُجّاراً.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحسن(٢) قال: صُمّاً.

وأخرج ابن أبي حاتم(٣) عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ قال: هل ترى منهم من أحد.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٤) في قوله: ﴿رِكْزًۢا﴾ قال: صوتاً.

= (٣١٦١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٤٢٦، ١٠٤٠).

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦٤٥) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ٦٤٦) بسندين يقوي أحدهما الآخر.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٧).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٧).

سورة طه

هي مكية[١] وآياتها مائة وخمس وثلاثون آية.

قال القرطبي[٢]: مكية في قول الجميع.

وأخرج النحاس، وابن مردويه، عن ابن عباس[٣] قال: نزلت سورة طه بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج الدارمي، وابن خزيمة في «التوحيد»، والعقيلي في «الضعفاء»، والطبراني في «الأوسط»، وابن عديّ، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة[٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى قرأ «طه» و«يسٓ» قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بألفي عام، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طُوبى لأمة ينزل عليها هذا، وطوبى لأجوافٍ تحمل هذا، وطُوبى لألسنة تكلّمت بهذا».

قال ابن خزيمة[٦] بعد إخراجه: حديث غريب، وفيه نكارة، وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما، يعني: إبراهيم بن مهاجر بن سمار وشيخه عمر بن حفص بن ذكوان وهما من رجال إسناده.

وأخرج ابن مردويه[٧] عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «أُعْطِيتُ السورة

---

(١) انظر: «الإتقان» (١/ ٩٣ ـ ٩٤).
(٢) في «تفسيره» (١٤/ ٥).
(٣) أخرجه النحاس في «ناسخه» (ص٥٥٥).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٨).
(٥) أخرجه الدارمي (٢/ ٤٥٦)، وابن خزيمة رقم (٢٣٦)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ٦٦)، والطبراني رقم (٤٨٧٦)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٢١٨)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٥٠) بسند ضعيف جدّاً.
قال ابن كير في «تفسيره» (٩/ ٣٠٩): هذا حديث غريب، وفيه نكارة، وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما.
وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٢٤٨): منكر.
(٦) في «التوحيد» (٢٣٦).
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٨).

التي ذكرت فيها الأنعام من الذكر الأول، وأعطيت سورة «طه» و«الطواسين» من ألواح موسى، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصّل نافلةً».

وأخرج ابن مردويه[١]، عن أبي أُمامة، عن النبيّ ﷺ قال: «كلُّ قرآن يوضع عن أهل الجنة فلا يقرءون منه شيئاً إلا سورة «طه» ويّس، فإنهم يقرءون بهما في الجنة».

وأخرج الدارقطني في «سننه»[٢] عن أنس بن مالك، فذكر قصة عمر بن الخطاب مع أخته وخبّاب وقراءتهما «طه»، وكان ذلك بسبب إسلام عمر، والقصة مشهورة في كتب السير[٣].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[بيان وظيفة الرسول ﷺ وحدود تكاليفه]:

﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾.

[حديث موسى وما يتجلى فيه من رعاية الله وهداه لمن اصطفاه]:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

قوله: ﴿طه﴾ قرأ بإمالة[٤] الهاء وفتح الطاء أبو عَمْرو وابن أبي إسحاق،

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٤٨).

(٢) أخرجه الدارقطني في «السنن» (٤٤١). (٣) «السيرة النبوية» (١/٣٤٣ ـ ٣٤٥).

(٤) «البحر المحيط» (٧/٣٠٩)، و«التيسير» (ص١٥٠)، و«النشر» (٢/٦٨، ٧٠)، و«الكشف =

وأمالهما[١] جميعاً أبو بكر، وحمزة، والكسائي، والأعمش. وقرأهما أبو جعفر وشيبة ونافع بين اللفظين، واختار هذه القراءة أبو عُبيد[٢].

وقرأ الباقون[٣] بالتفخيم.

قال الثعلبي[٤]: وهي كلُّها لغاتٌ صحيحةٌ فصيحة.

وقال النّحاس[٥]: لا وجه للإمالة عند أكثر أهل العربية لعلتين:

الأولى: أنّه ليس ها هنا ياء ولا كسرة حتى تكون الإمالة

والعلة الثانية: أن الطاء من موانع الإمالة.

وقد اختلف أهل العلم في معنى هذه الكلمة على أقوال:

الأوّل: أنها من المتشابه الذي لا يُفْهم المراد به.

والثاني: أنها بمعنى: يا رجل في لغة عُكْل، وفي لغة عكّ. قال الكلبي[٦]: لو قلتَ لرجلٍ من عَكّ: يا رجل لم يجب حتى تقول: طه، وأنشد ابن جرير[٧] في ذلك:

دعوْتُ بطه في القتالِ فلمْ يُجِبْ ... فخفْتُ عليه أن يكونَ موائلا

ويروى مزايلاً؛ وقيل: إنّها في لغة عكّ بمعنى: يا حبيبي. وقال قُطْرب[٨]: هي كذلك في لغة طيّ؛ أي: بمعنى: يا رجل، وكذا قال الحسن[٩]

= عن وجوه القراءات» (٢/ ١٨٧)، و«زاد المسير» (٥/ ٢٦٩).

(١) انظر: المصادر المتقدمة. في كتاب تخريج القراءات في «فتح القدير» ما نصُّه: الصواب هو: قرأ الكوفيون عدا حفصٍ عن عاصم بإمالة الطاء والهاء، وقرأ أبو عمرو الأزرق عن ورش عن نافع في وجهٍ بإمالة الهاء، والوجّه الثاني للأزرق بين اللفظين؛ أي: بالتقليل وهو الوجه الأول عن قالون. وفتحهما الباقون وهو الوجه الثاني عن قالون. ا.هـ.

(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٣٠٩)، و«التيسير» (ص١٥٠)، و«زاد المسير» (٥/ ٢٦٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٨٧).

(٣) انظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٠٩).

(٤) في «الكشف والبيان» (٦/ ٢٣٦).

(٥) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٢).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٨).

(٧) في «جامع البيان» (١٦/ ٨)، ونسبه لمتمم ابن نويرة. وانظر: «ديوانه» (ص١٣١).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٨).

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٧) وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٥) بسند صحيح.

وعكرمة[١]؛ وقيل: هي كذلك في اللغة السريانية، حكاه المهدوي[٢].

وحكى ابن جرير[٣] أنها كذلك في اللغة النبطية، وبه قال السُديّ[٤] وسعيد بن جبير.

وحكى الثعلبي[٥] عن عكرمة أَنَّها كذلك في لغة الحبشة.

ورواه[٥] عن عكرمة، ولا مانع من أَنْ تكون هذه الكلمة موضوعة لذلك المعنى في تلك اللغات كلها إذا صح النقل.

القول الثالث: أنها اسم من أسماء[٦] الله سبحانه.

والقول الرابع: أنها اسم[٧] للنبيّ ﷺ.

القول الخامس: أنها اسم[٨] للسورة.

القول السادس: أنها حروفٌ مقطّعة[٩] يدل كل واحد منها على معنى. ثم اختلفوا في هذه المعاني التي تدل عليها هذه الحروف [٣/٢٢٦] على أقوال كلها متكلّفة مُتعسّفة.

القول السابع: أن معناها: طُوبى لمن اهتدى[١٠].

القول الثامن: أن معناها: طإ[١١] الأرضَ يا مُحّمد. قال ابن الأنباري[١٢]: وذلك أنّ النبي ﷺ كان يتحمل مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورم ويحتاج إلى التروّح، فقيل له: طإِ الأرض؛ أي: لا تتعب حتى تحتاج إلى التروّح. وحكى القاضي عياض في «الشفاء»[١٣] عَنْ الربيع[١٤] بن أنس قال: كان النبيّ ﷺ إذا صلى

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٦) بسند ضعيف.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/٩).

(٣) في «جامع البيان» (١٦/٥).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/٩).

(٥) في «الكشف والبيان» (٦/٢٣٦).

(٦) «النكت والعيون» (٣/٣٩٣)، و«جامع البيان» (١٦/٦) وليس كذلك؛ لأن أسماء الله تعالى توقيفية، ولم يرد حديث يحتج به على أن (طه) اسم من أسماء الله.

(٧) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١١/٦٣).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/٩).

(٩) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/٣٩٣).

(١٠) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/٣٩٣).

(١١) «النكت والعيون» (٣/٣٩٣).

(١٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/٣٩٣).

(١٣) في «الشفاء» (١/١٠٧).

(١٤) بسند ضعيف لإرساله.

قام على رجلٍ ورفع الأخرى، فأنزل الله ﴿طه﴾ يعني: طإِ الأرضَ يا مُحّمد، وحكي عن الحسن البصري(١) أنه قرأ «طَهْ» على وزن دَعْ أمرٌ بالوطء، والأصل طأ فقلبت الهمزة هاء.

وقد حكى الواحدي(٢) عن أكثر المفسرين أنّ هذه الكلمة معناها: يا رجل، يريد النبيَّ ﷺ قال: وهو قول الحسن، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحّاك، وقتادة، ومجاهد، وابن عباس في رواية عطاء والكلبي غير أن بعضهم يقول: هي بلسان الحبشة والنبطية والسريانية، ويقول الكلبي: هي بلغة عَكّ.

قال ابن الأنباري(٣): ولغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى؛ لأن الله سبحانه لم يُخاطب نبيّه بلسان غير قريش. انتهى.

وإذا تقرّر أَنَّها لهذا المعنى في لغة من لغات العرب كانت ظاهرة المعنى واضحة الدلالة خارجة عن فواتح السور التي قدّمنا بيان كونها من المتشابه في فاتحة سورة البقرة، وهكذا إذا كانت لهذا المعنى في لغة من لغات العجم واستعملتها العرب في كلامها في ذلك المعنى كسائر الكلمات العجمية التي استعملتها العرب الموجودة في الكتاب العزيز، فإنّها صارت بذلك الاستعمال من لغة العرب، وجملة ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ مستأنفة مسوقة لتسلية رسول الله ﷺ عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب، والشقاء يجيء في معنى التعب.

قال ابن كيسان(٤): وأصل الشقاء في اللّغة(٥): العناء والتعب، ومنه قول الشاعر(٦):

ذو العقل يشقى في النعيمِ بعقلِه وأخو الجهالةِ في الشقاوة يَنْعَمُ

والمعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم،

(١) وهي قراءة شاذة.
«القراءات الشاذة» (ص٨٧).
(٢) في «الوسيط» (٣/ ١٩٩).
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٩٩).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٢).
(٥) «الصحاح» (٦/ ٢٣٩٤)، و«تهذيب اللغة» (٩/ ٢٠٩).
(٦) هو المتنبي: انظر: «ديوانه» (٤/ ٢٥١).

وتحسّرك على أن يؤمنوا، فهو كقوله سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف: ٦].

قال النحاس[1]: بعض النحويين يقول: هذه اللام في «لتشقى» لام النفي، وبعضُهم يقول: لام الجحود.

وقال ابن كيسان[2]: هي لام الخفض، وهذا التفسير للآية هو على قول من قال: إنّ طه كسائر فواتح السور التي ذُكرتْ تعديداً لأسماء الحروف، وإنْ جُعلت اسماً للسورة كان قوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ خبراً عنها، وهي في موضع المبتدأ[3]، وأمَّا على قول من قال: إن معناها: يا رجل، أو بمعنى الأمر بوطء الأرضَ فتكون الجملة مستأنفة لصرفه ﷺ عما كان عليه من المبالغة في العبادة، وانتصاب ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ على أنَّه مفعول له لأنزلنا كقولك: ما ضربتك للتأديب إلا إشفاقاً عليك.

وقال الزجّاج[4]: هو بدل من لتشقى؛ أي: ما أنزلناه إلا تذكرةً. وأنكره أبو علي الفارسي[5] من جهة أن التذكرة ليست بشقاء، قال: وإنما هو منصوب على المصدرية؛ أي: أنزلناه لتذكر به تذكرةً، أو على المفعول من أجله؛ أي: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى به، ما أنزلناه إلا للتذكرة، وانتصاب ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ على المصدرية؛ أي: أنزلناه تنزيلاً؛ وقيل: بدل من قوله: ﴿تَذْكِرَةً﴾؛ وقيل: هو منصوب على المدح، وقيل: منصوب بيخشى؛ أي: يخشى تنزيلاً من الله على أنه مفعول به، وقيل: منصوب على الحال بتأوله باسم الفاعل.

وقرأ أبو حيوة الشامي[6] (تنزيلٌ) بالرفع[7] على معنى هذا تنزيل؛ وممن خلق متعلق بتنزيلاً؛ أو بمحذوف هو صفة له، وتخصيصُ خَلْقِ الأرض والسمٰوات لكونهما أعظمَ ما يشاهده العباد مِنْ مخلوقاته ﷻ، والعُلى: جمع العليا؛ أي: المرتفعة كجمع كُبْرى وصُغْرى على كُبَر وصُغَر.

---

(١) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٢).

(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٢).

(٣) «التبيان» (٢/ ٨٨٤)، و«الفريد» (٣/ ٤٢٤).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٤).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٤). وهي قراءة شاذة.

(٧) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٦) ولم ينسبه لأحد.
وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣١١) ونسبه إلى ابن أبي عبلة.

ومعنى الآية: إخبارُ العباد عَنْ كمال عظمته سبحانه وعظيم جلاله، وارتفاع ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ على أنّه خبر مبتدأ محذوف كما قال الأخفش[١]، ويجوز أن يكون مرتفعاً على المدح أو على الابتداء.

وقُرئ بالجر[٢]، قال الزجاج[٣]: على البدل ممّن، وجوز النّحاسُ أن يكون مرتفعاً على البدل من المُضْمَر في خلق، وجملة ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ في محل رفع على أنّها خبر لمبتدأ محذوف، أو على أنها خبر الرحمٰن عند مَنْ جعله مبتدأ.

قال أحمد بن يحيى: قال ثعلب: الاستواء[٤]: الإقبالُ على الشيء، وكذا قال الزجاج[٥] والفراء[٦]، وقيل: هو كنايةٌ عَنْ الملك والسلطان، والبحث في تحقيق هذا يطول، وقد تقدّم البحث عنه في الأعراف.

والذي ذهب إليه أَبو الحسن[٧] الأشعري أَنّه سبحانه مستوٍ على عرشه بغير حدّ ولا كيفَ، وإلى هذا القول سبقه الجماهير مِنْ السلف الصالح الذي يمرون الصفات كما وردت مِنْ دون تحريف ولا تأويل. ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: أنه مالكُ كلِّ شيءٍ ومُدبِّرُهُ.

﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ من الموجودات ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ الثرى في اللغة: التراب النديّ؛ أي: ما تحت التراب من شيء.

قال الواحدي[٨]: والمفسرون يقولون: إنه سبحانه أراد الثرى الذي تحت الصخرة التي عليها الثور الذي تحت الأرض ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله سبحانه ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ الجهر بالقول: هو رفع الصوت به والسرّ ما حدّث به الإنسان غيره وأسرّه إليه، والأخفى من السرّ: هو ما حدّث به الإنسان نفسه وأخطره بباله.

والمعنى: إنْ تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم أنه غنيّ عن ذلك، فإنه يعلم السرّ وما هو أخفى من السرّ، فلا حاجة لك إلى الجهر بالقول، وفي هذا معنى النهي عن

---

(١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٢٨ ـ ٦٢٩).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص٨٧).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٥٠).
(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٢٣).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٥٠).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٥).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٥).
(٨) في «الوسيط» (٣/ ٢٠١).

الجهر كقوله سبحانه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقيل: السرُّ ما أسرّ الإنسان(١) في نفسه، والأخفى منه هو ما خفي على ابن آدم مما هو فاعله وهو لا يعلُمه، وقيل: السرّ ما أضمره(٢) الإنسان في نفسه، والأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحدٌ، وقيل: السرّ سرّ الخلائق، والأخفى منه سرّ الله ﷻ، وأنكر ذلك ابن جرير(٣) وقال: إنّ الأخفى ما ليس في سرّ الإنسان وسيكون في نفسه.

ثم ذكر أن الموصوف بالعبادة على الوجه المذكور هو الله سبحانه المنزّه عن الشريك، المُستحق لتسميته بالأسماء الحسنى فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فالله خبر مبتدأ(٤) محذوف؛ أي: الموصوف بهذه الصفات الكمالية: الله، وجملة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مستأنفة لبيان اختصاص الإلهية به سبحانه؛ أي: لا إله في الوجود إلَّا هو، وهكذا جملة ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مبينة لاستحقاقه تعالى للأسماء الحسنى، وهي التسعة والتسعون التي ورد بها الحديث(٥) الصحيح.

وقد تقدم بيانها في قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] من سورة الأعراف، الحُسْنى تأنيث الأحسن، والأسماء مبتدأ وخبرها الحسنى، ويجوز أَنْ يكون الله مبتدأ وخبره الجملة التي بعده، ويجوز أن يكون بدلاً من الضمير في يعلم. ثم قرّر سبحانه أمر التوحيد بذكر قصة موسى المشتملة على القدرة الباهرة، والخبر الغريب، فقال: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ الاستفهام(٦) للتقرير.

ومعناه: أليس قد أتاك حديث موسى؟ وقيل: معناه: قد أتاك حديث موسى، وقال الكلبي(٧): لم يكن قد أتاه حديث موسى إذْ ذاك. وفي سياق هذه القصة تسلية للنبيّ ﷺ لما يلاقيه من مشاق أحكام النبوّة، وتحمّل أثقالها ومقاساة خطوبها، وأن ذلك شأن الأنبياء قبله.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٣)، عن ابن عباس بسند صحيح.
(٢) انظر: «جامع البيان» (١٦/ ١٥). (٣) في «جامع البيان» (١٦/ ١٦ ـ ١٧).
(٤) «الفريد» (٣/ ٤٢٦)، و«روح المعاني» (١٦/ ٢٤٥).
(٥) وقد تقدم.
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٧ ـ ١٨)، و«روح المعاني» (١٦/ ٢٤٦)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٥٩٥).
(٧) «الوسيط» للواحدي (٣/ ٢٠١).

والمراد بالحديث: القصة الواقعة لموسى. و﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ ظرف للحديث؛ وقيل: العامل فيه مُقّدر؛ أي: اذكرْ؛ وقيل: يُقدر مؤخراً؛ أي: حين رأى ناراً كان كيتَ وكيتَ، وكانت رؤيته للنار في ليلة مُظْلمةٍ لمّا خرج مسافراً إلى أُمِّه بعد استئذانه لشعيب ﴿فَـ﴾لما رآها ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ والمراد بالأهل هنا: امرأته، والجمع[١] لظاهر لفظ الأهل أو للتفخيم؛ وقيل: المراد بهم: المرأة والولد والخادم[٢]، ومعنى امكثوا: أقيموا مكانَكم، وعبَّر بالمكث دون الإقامة؛ لأنَّ الإقامة تقتضي الدوام، والمكث ليس كذلك. وقرأ حمزة (لأهلهُ) بضم الهاء[٣]، وكذا في القَصَص.

قال النّحاس[٤]: وهذا على لغة مَنْ قال: مررتُ بهو يا رجل فجاء به على الأصل وهو جائز إلَّا أن حمزة خالف أصله في هذين الموضعين خاصة.

﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾؛ أي: أبصرتُ، يقال: آنست الصوتَ سمعتُه، وآنست الرجل أبصرتُه؛ وقيل: الإيناس الإبصار البيّن؛ وقيل: الإيناس مختص بإبصار ما يُؤنِس، والجملة تعليلٌ للأمر بالمُكْث، ولما كان [٣/٢٢٧] الإتيان بالقبَس، ووجود الهدى متوقعين بُني الأمر على الرجاء فقال: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾؛ أي: أجيئكم من النّار بقبَس، والقبَس[٥]: شعلة مِنْ النار، وكذا المقباس، يقال: قبستُ منه ناراً أقبس قبساً فأقبسني؛ أي: أعطاني وكذا اقتبستُ.

قال اليزيدي[٦]: أقبستُ الرجل علماً وقبَستُه ناراً، فإن كنتَ طلبتها له قلتَ: أقبستُه. وقال الكسائي: أقبستُه ناراً وعلماً سواء، قال: وقبسته أيضاً فيهما. ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾؛ أي: هادياً يهديني إلى الطريق ويدلني عليها.

قال الفراء[٧]: أراد هادياً، فذكره بلفظ المصدر، أو عبّر بالمصدر لقصد المبالغة على حذف المضاف؛ أي: ذا هُدى، وكلمة «أو»: في الموضعين لمنع الخلوّ دون

---

(١) «روح المعاني» (١٦/٢٤٨)، و«تفسير أبي السعود» (٤/٥٩٦).
(٢) انظر: «روح المعاني» (١٦/٢٤٨)، و«تفسير أبي السعود» (٤/٥٩٦).
(٣) «النشر» (١/٣١٢ ـ ٣١٣)، و«التيسير» (ص١٥٠)، و«روح المعاني» (١٦/٢٤٨)، و«البحر المحيط» (٧/٣١٥). قراءة حمزة في الوصل ـ بضم الهاء، والباقون بالكسر.
(٤) في «إعراب القرآن» (٣/٣٣).
(٥) «الصحاح» (٣/٩٦٠)، و«تهذيب اللغة» (٨/٤١٩).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/١٩).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٢/١٧٥).

الجمع، وحرف الاستعلاء للدلالة على أن أهل النار مستعلون على أقرب مكان إليها.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ﴾؛ أي: فلما أتى النارَ التي آنسها ﴿نُودِىَ﴾ مِنْ الشجرة، كما هو مصرّح بذلك في سورة القَصص؛ أي: من جهتها، ومن ناحيتها ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾؛ أي: نودي، فقيل: يا موسى.

وقرأ أبو عمرو، وابن كثير، وأبو جعفر، وابن محيصن، وحميد، واليزيدي (أَنِّي) بفتح الهمزة[١]. وقرأ الباقون[٢] بكسرها؛ أي: بأني. ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أمره الله سبحانه بخلع نعليه؛ لأنّ ذلك أبلغ في التواضع، وأقرب إلى التشريف والتكريم وحسن التأدب؛ وقيل: إنهما كانا من جلد حمار[٣] غير مدبوغ، وقيل: معنى الخلع للنعلين: تفريغ القلب من الأهل والمال، وهو مِنْ بدع التفاسير.

ثم علل سبحانه الأمر بالخلع فقال: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ المقدّس: المُطّهر، والقُدْس: الطهارة، والأرض المُقدّسة: المُطّهرة، سُمّيت بذلك لأن الله أخرج منها الكافرين وعمَرها بالمؤمنين، و﴿طُوًى﴾ اسم للوادي.

قال الجوهري[٤]: وطوى اسم موضع بالشام، يكسر طاؤه ويضم، يصرف ولا يصرف، فمن صرفه جعله اسم وادٍ ومكان وجعله نكرةً، ومَنْ لم يصرفه جعله بلدة، وبقعة وجعله معرفة، وقرأ عكرمة (طِوى) بكسر[٥] الطاء.

وقرأ الباقون بضمها[٦]؛ وقيل: إنّ طوى كثَنِيَ من الطيّ مصدر لنودي، أو للمقدّس؛ أي: نودي نداءين، أو قُدّس مرةً بعد أخرى. ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ قرأ أهل المدينة، وأهل مكة، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، والكسائي (وأنا اخترتك) بالإفراد[٧].

---

(١) «البحر المحيط» (٧/٣١٦)، و«التيسير» (ص١٥٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/٢٠)، و«روح المعاني» (١٦/٢٥٩).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/٣٩٦) عن كعب، وعكرمة، وقتادة.
(٤) في «الصحاح» (٦/٢٤١٦).
(٥) «البحر المحيط» (٧/٣١٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/٢٥). وهي قراءة شاذة.
(٦) «البحر المحيط» (٧/٣١٦)، و«جامع البيان» (١٦/١١١)، و«التيسير» (ص١٥٠)، و«النشر» (٢/٣١٩).
(٧) «البحر المحيط» (٧/٣١٧)، و«روح المعاني» (١٦/٢٥٩)، و«جامع البيان» (١٦/١١٢)، و«التبيان» (٢/٨٨٦).

وقرأ حمزة (وأنَّا اخترناك) بالجمع[١].

قال النحاس[٢]: والقراءة الأولى أولى من جهتين:

إحداهما: أنها أشبه بالخط.

والثانية: أنها أولى بنسق الكلام لقوله: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾.

ومعنى اخترتك: اصطفيتُك للنبوّة والرسالة.

والفاء في قوله: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها، (وما) موصولة أو مَصْدرية[٣]؛ أي: فاستمع للذي يوحى إليك، أو للوحي، وجملة ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ بدل من (ما) في ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾.

ثم أمره سبحانه بالعبادة فقال: ﴿فَٱعْبُدْنِي﴾ والفاء هنا كالفاء التي قبلها لأن اختصاص الإلٰهية به سبحانه مُوجِب لتخصيصه بالعبادة ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ خصّ الصلاةَ بالذكر مع كونها داخلة تحت الأمر بالعبادة، لكونها أشرفَ طاعةٍ، وأفضلَ عبادةٍ، وعلَّل الأمر بإقامة الصلاة بقوله: ﴿لِذِكْرِيٓ﴾؛ أي: لتذْكرَني فإن الذكر الكامل[٤] لا يتحقّق إلا في ضمن العبادة والصلاة، أو المعنى: لتذكرني فيهما لاشتمالهما على الأذكار، أو المعنى: أقم الصلاة متى ذكرتَ أنَّ عليك صلاة.

وقيل: المعنى: لأذكرك بالمدح في عليين، فالمصدر على هذا يحتمل الإضافة إلى الفاعل أو إلى المفعول، وجملة ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ تعليل لما قبلها مِنْ الأمر؛ أي: إنّ الساعةَ التي هي وقتُ الحساب والعقاب آتية، فاعمل الخير من عبادة الله والصلاة.

ومعنى ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ مُخْتَلف فيه. قال الواحدي[٥]: قال أكثر المفسرين: أخفيها من نفسي، وهو قول سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة.

وقال المبرِّد[٦] وقطرب[٧]: هذا على عادة مخاطبة العرب يقولون إذا بالغوا في

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٤).
(٣) «الفريد» (٣/ ٤٢٩).
(٤) «المحرر الوجيز» (١١/ ٦٧)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٩٧).
(٥) في «الوسيط» (٣/ ٢٠٣).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٠٣).
(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٠٣).

كتمان الشيء: كتمتُه حتى من نفسي؛ أي: لم أُطْلع عليه أحداً؛ ومعنى الآية: أن الله بالغ في إخفاء الساعة، فذكره بأبلغ ما تعرفه العرب.

وقد روي عن سعيد بن جبير أنه قرأ (أَخْفِيها) بفتح الهمزة[١] ومعناه: أظهرها، وكذا روى أبو عُبيد، عَنْ الكسائي، عَنْ محمد بن سهل، عن وفاء بن إياس، عن سعيد بن جبير.

قال النّحاس[٢]: وليس لهذه الرواية طريق غير هذا.

قال القرطبي[٣]: وكذا رواه ابن الأنباري في كتاب «الردّ» قال: حدّثني أبي، حدّثنا محمد بن الجهم، حدثنا الفراء، حدثنا الكسائي فذكره.

قال النحاس[٤]: وأجود من هذا الإسناد ما رواه يحيى القطان، عن الثوري، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير أنه قرأ (أُخْفيها) بضم الهمزة.

قال ابن الأنباري[٥]: قال الفراء[٦]: ومعنى قراءة الفتح: أكاد أُظهرها، من خَفيتُ الشيء: إذا أظهرتَه أخفيه.

قال القرطبي[٧]: وقد قال بعض اللُّغويين: يجوز أن يكون ﴿أُخْفِيهَا﴾ بضم الألف معناه: أُظْهرها؛ لأنه يقال: خفيت الشيء وأخفيته من حروف الأضداد يقع على الستر والإظهار. قال أبو عُبيدة[٨]: خَفيتُ وأخفيت بمعنى واحد.

قال النحاس[٩]: وهذا حسن، وقد أنشد الفراء[١٠] وسيبويه[١١] ما يدل على أن معنى أخفاه: أظهره، وذلك قول امرئ القيس[١٢]:

فإنْ تكتموا الداءَ لا نُخْفِه وإنْ تبعثوا الحربَ لا نقعدِ

(١) «القراءات الشاذة» (ص٨٧)، و«المحتسب» (٢/ ٤٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٢٠).
(٢) «جامع البيان» (١٦/ ١١٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٦)، و«روح المعاني» (١٦/ ٢٦٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٢٠)، و«التبيان» (٢/ ٨٨٧).
(٣) في «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٥).
(٤) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٥).
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٥).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٦).
(٧) في «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٦).
(٨) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٦).
(٩) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٥).
(١٠) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٦).
(١١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٥).
(١٢) انظر: «ديوانه» (ص١٨٦).

أي: وإن تكتموا الداء لا نُظْهره. وقد حكى أبو عبيدة[١] عن أبي الخطاب أنه بضم النون من نُخْفه.

وقال: امرؤ القيس[٢]:

خَفَاهُن من أنفاقِهن كأنما ... خُطاهن وَدْقٌ من عشي مُجَلِّبِ

أي: أظهرهن. وقد زيف النحاس[٣] هذا القول وقال: ليس المعنى على أظهرها، ولا سيما وأَخْفيها[٤] قراءة شاذة، فكيف تُردّ القراءة الصحيحة الشائعة.

وقال ابن الأنباري[٥]: في الآية تفسير آخر، وهو أن الكلام ينقطع على (أكاد)، وبعده مُضْمَر؛ أي: أكاد آتي بها، ووقع الابتداء بأُخْفيها لتجزي كل نفس بما تسعى، ومثله قول عمير بن ضابئ البُرجمي:

هَمَمْتُ ولم أفعلْ وكِدْتُ وليتني ... تركتُ على عثمانَ تبكي حَلائلُه

أي: وكدتُ أفعل، واختار هذا النحاس[٦].

وقال أبو عليّ[٧] الفارسي: هو مِنْ باب السّلْب وليس من الأضداد، ومعنى أُخْفيها: أزيل عنها خفاءها، وهو سترها، ومن هذا قولهم أشكيته؛ أي: أزلت شكواه. وحكى أبو حاتم[٨] عن الأخفش أن ﴿أَكَادُ﴾ زائدة للتأكيد، قال: ومثله ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠]. ومثله قول الشاعر[٩]:

سريعٌ إلى الهيجاءِ شاكٍ سلاحَه ... فما إنْ يكادَ قِرنُه يتنَفّسُ

قال[١٠]: والمعنى: أكاد أُخفيها؛ أي: أقارب ذلك، لأنّك إذا قلت: كاد زيد يقوم جاز أن يكون قام وأن يكون لم يقم، ودلّ على أنه قد أخفاها بدلالة غير هذه الآية على هذا، وقوله: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ متعلق بآتية، أو بأُخْفيها، و«ما» مصدرية[١١]؛ أي: لتجزى كل نفس بسعيها، والسعي وإن كان ظاهراً في الأفعال،

---

(١) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٦ - ١٧).
(٢) انظر: «ديوانه» (ص٥١).
(٣) في «إعراب القرآن» (٣/ ٥٣).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص٨٧)، و«المحتسب» (٢/ ٤٧).
(٥) في «الأضداد» (ص٩٦ - ٩٧).
(٦) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٥).
(٧) ذكره ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٤٧)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٢٠).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٨).
(٩) هو لزيد الخيل الطائي. انظر: «ديوانه» (ص٧٤).
(١٠) النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٦).
(١١) «الفريد» (٣/ ٤٣١)، و«التبيان» (٢/ ٨٨٧).

فهو هنا يعمّ الأفعالَ والتروكَ، للقطع بأن تارك ما يجب عليه معاقب بتركه مأخوذ به ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾؛ أي: لا يصرفنّك عَنْ الإيمان بالساعة، والتصديق بها، أو عن ذكرها ومراقبتها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ مِنْ الكفرة، وهذا النهي وإن كان للكافر بحسب الظاهر، فهو في الحقيقة نهي له ﷺ عن الانصداد، أو عن إظهار اللين للكافرين فهو من باب: لا أرينك ها هنا، كما هو معروف.

وقيل: الضمير في ﴿عَنْهَا﴾ للصلاة وهو بعيد. وقوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ معطوف على ما قبله؛ أي: مَنْ لا يؤمن، ومَنْ اتبع هواه؛ أي: هوى نفسه بالانهماك في اللذّات الحسية الفانية ﴿فَتَرْدَىٰ﴾؛ أي: فتهلك لأن انصدادك عنها بصدّ الكافرين لك مستلزم للهلاك ومستتبع له.

وقد أخرج ابنُ المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب»، وابن عساكر عن ابن عباس[١]، أن النبيّ ﷺ: «أوّل ما نزل عليه الوحي كان يقوم على صدر قدميه إذا صلّى، فأنزل الله: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾».

وأخرج ابنُ جرير، وابن مردويه عنه[٢] قال: قالوا: لقد شقي هذا الرجل بربه، فأنزل الله هذه الآية.

وأخرج ابنُ عساكر[٣] عنه أيضاً قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يربط نفسَه بحبل لئلا ينام، فأنزل الله هذه الآية».

وأخرج البزار[٤] عن عليّ قال: «كان النبيّ ﷺ يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾» وحسّن السيوطي[٥] إسناده.

وأخرج ابن مردويه[٦] عنه نحوه بأطول منه.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٩).
وأخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (١٤٩٧)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤/ ١٤٤).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤/ ١٤٣).

(٤) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٩٢٦).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٦): «فيه يزيد بن بلال، قال البخاري: فيه نظر، وكيسان أبو عمرو وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين، وبقية جاله رجال الصحيح».

(٥) في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٩).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٠).

وأخرج ابن مردويه[١] عن ابن عباس قال: إنّ رسول الله ﷺ ربما قرأ القرآن إذا صلّى، فقام على رِجْل واحدةٍ، فأنزل الله: ﴿طه﴾ برجليك فما أنزلنا عليك القرآن لتشقى.

وأخرج ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عنه[٢] في قوله: ﴿طه﴾ قال: يا رجل.

وأخرج الحارث بن أبي أسامة، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] قال: ﴿طه﴾ بالنبطية. أي: طأ يا رجلُ.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عنه[٤] أيضاً قال: هو كقولك: اقعدْ.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عنه[٤] قال [٣/٢٢٨]: ﴿طه﴾ بالنبطية: يا رجل.

وأخرج ابن جرير عنه[٥] قال: ﴿طه﴾ يا رجل بالسريانية.

وأخرج الحاكم[٦] عنه أيضاً قال: ﴿طه﴾ هو كقولك: يا محمد بلسان الحبش.

وفي هذه الروايات عن ابن عباس اختلاف وتدافع.

وأخرج ابن مردويه[٧] عن أبي الطفيل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لي عند ربي عشرة أسماء، قال أبو الطفيل: حفظتُ منها ثمانية: محمد، وأحمد، وأبو القاسم، والفاتح، والخاتم، والماحي، والعاقب، والحاشر». وزعم سيف أن أبا جعفر قال له الاسمان الباقيان: طه ويسٓ.

وأخرج البيهقي[٨] في «الدلائل» عن ابن عباس في قوله: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٠).
• وأخرجه الطبراني رقم (١٢٢٤٩).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٦): «فيه محمد بن السائب وهو متروك».
(٢) أخرجه الحارث بن أبي أسامة رقم (٧١٧ ـ بغية).
(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٠).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥) من طريق الحسين بن واقد، به.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦) بسند حسن.
(٦) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٨).
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥١).
(٨) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٥٨، ١٥٩)

﴿عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ قال: يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، وكان يقوم الليل على رجليه، فهي لغة لعكّ إنْ قلت لعكي: يا رجل لم يلتفت، وإذا قلت: طه التفت إليك.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[(١)] قال: ﴿طه﴾ قَسَمٌ أقسم الله به، وهو مِنْ أسمائه.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٢)] عن قتادة في قوله: ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ قال: الثرى كل شيء مُبْتَل.

وأخرج أبو يعلى[(٣)] عَنْ جابر: «أن النبيّ ﷺ سئل: ما تحت هذه الأرض؟ قال: الماء، قيل: فما تحت الماء؟ قال: ظُلْمة، قيل: فما تحت الظلمة؟ قال: الهواء قيل: فما تحت الهواء؟ قال: الثرى قيل: فما تحت الثرى؟ قال: انقطع علم المخلوقين عند علم الخالق».

وأخرج ابن مردويه[(٤)] عنه نحوه بأطول منه.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[(٥)] في قوله: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ قال: السرّ ما أسرّه ابن آدم في نفسه وأخفى ما خفي عن ابن آدم ممّا هو فاعله قبل أن يعمله، فإنه يعلم ذلك كله فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد، وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة، وهو كقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

وأخرج الحاكم[(٦)] وصححه عنه في الآية قال: السرّ ما علمته أنت، وأخفى ما قذف الله في قلبك مما لم تعلمه.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥١).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٢).
(٣) أخرجه ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٣١٢) وقال: هذا حديث غريب جدّاً، وسياق عجيب، تفرد به القاسم بن عبد الرحمٰن هذا، وقد قال فيه يحيى بن معين: ليس يساوي شيئاً، وضعفه أبو حاتم الرازي، وقال ابن عدي: لا يعرف.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٢).
(٥) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٣) بسند صحيح.
(٦) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧٨، ٣٧٩).

وأخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وأبو الشيخ في «العظمة»، والبيهقي بلفظ[١]: يعلم ما تسرّ في نفسك ويعلم ما تعمل غداً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عن ابن عباس في قوله: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ يقول: من يدلّ على الطريق.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن عليّ[٣] في قوله: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قال: كانتا مِنْ جلد حمار ميت فقيل له: اخلعهما.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٤] ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ قال: المبارك ﴿طُوًى﴾ قال: اسم الوادي.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عنه ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ يعني: الأرض المقدسة، وذلك أنه مرّ بواديها ليلاً فطوى يقال: طويت وادي كذا وكذا.

وأخرج ابن جرير[٦] عنه أيضاً في قوله: ﴿طُوًى﴾ قال: طإ الوادي.

وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث أنس[٧]، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها، فإن الله قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾».

وأخرج الترمذي، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه من حديث أبي هريرة[٨] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نسي صلاة

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٧٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٢٣٨) بسند ضعيف.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٤).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٤) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٦) بسند صحيح.
(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٨).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٧) من طريق العوفي عن ابن عباس بسند ضعيف.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٩) من طريق عكرمة، به.
(٧) أخرجه البخاري رقم (٥٩٧)، ومسلم رقم (٦٨٤)، وأبو داود رقم (٤٤٢).
(٨) أخرجه الترمذي رقم (٣١٦٣)، وابن ماجه رقم (٦٩٧)، وابن حبان رقم (٢٠٦٩). والحديث أخرجه مسلم رقم (٦٨٠).

فليصلها إذا ذكرها، فإن الله قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾». وكان ابن شهاب يقرؤها (للذكرى)[١].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ قال: لا أظهر عليها أحداً غيري.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] قال: ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ من نفسي.

﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ٢٣ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٢٤ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥﴾.

قوله: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ قال الزّجاج[٤] والفرّاء[٥]: إن ﴿تِلۡكَ﴾ اسم ناقص وصلت ﴿بِيَمِينِكَ﴾؛ أي: ما التي بيمينك؟ وروي عن الفراء[٦] أنه قال: تلك بمعنى هذه، ولو قال ما ذلك لجاز؛ أي: ما ذلك الشيء؟ وبالأوّل قال الكوفيون.

---

(١) وهي قراءة شاذة.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٨).
وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦/ ٣٤) عن ابن عباس، بسند صحيح.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٦٣).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٥) بسند ضعيف، من طريق عطاء بن السائب، به.

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٥٣).

(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٧).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٧).

قال الزجاج[١]: ومعنى سؤال موسى عمّا في يده من العصا: التنبيه له عليها لتقع المعجزة بها بعد التثبيت فيها والتأمل لها.

قال الفراء[٢]: ومقصود السؤال تقرير الأمر حتى يقول موسى: هي عصاي لتثبيت الحجة عليه بعدما اعترف، وإلَّا فقد علم الله ما هي في الأزل، ومحل «ما» الرفع[٣] على الابتداء، و﴿تِلْكَ﴾ خبرُه، و﴿بِيَمِينِكَ﴾ في محلِّ نصب[٤] على الحال إن كانت (تلك) اسم إشارة على ما هو ظاهر اللفظ، وإن كانت اسماً موصولاً كان بيمينك صلة للموصول.

[وظيفة العصا في يد موسى]:

﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ﴾ قرأ ابنُ أبي إسحاق (عَصَيّ)[٥] على لغة هُذيل.

وقرأ الحسن (عَصَايِ) بكسر الياء[٦] لالتقاء الساكنين ﴿أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾؛ أي: أتحامل عليها في المَشْي وأعتمدها عند الإعياء والوقوف ومنه الاتكاء ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ هَشَّ بالعصا يَهُشّ هَشّاً: إذا خَبَط بها الشجر ليسقط منه الوَرَق. قال الشاعر:

أَهُشَّ بالعصا على أغنامي ... من ناعمِ الأوراكِ والسَّنام[٧]

وقرأ النخعي أهسُّ بالسين[٨] المهملة، وهو زجر الغنم، وكذا قرأ عكرمة[٨]، وقيل: هما لغتان لمعنى واحد ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾؛ أي: حوائج، واحدها مأرَبة ومأرِبة ومأرُبة مثلث الراء، كذا قال ابن الأعرابي[٩] وقُطْرب[١٠]، ذكر تفصيل منافع العصا، ثم عقَّبه بالإجمال.

---

(١) في «معاني القرآن» (٣/ ٣٥٤).

(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٧) وليس فيه ما ذكره المصنف. بل انظره في «إعراب القرآن» للزجاج (٣/ ٣٥٤) بنحوه.

(٣) «الفريد» (٣/ ٤٣١)، و«التبيان» (٢/ ٨٨٧)، و«روح المعاني» (١٦/ ٢٦٨).

(٤) «التبيان» (٢/ ٨٨٨)، و«الفريد» (٣/ ٤٣١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٢١).

(٥) وقرأ بها الجحدري؛ أي: بقلب الألف ياءً وإدغامها في ياء المتكلم. «القراءات الشاذة» (ص٨٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٢١).

(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٣٢١)، و«المحتسب» (٢/ ٤٨ ـ ٤٩)، و«التيسير» (ص١٣٤). وقراءة الحسن وقبله ابن أبي إسحاق «شاذتان».

(٧) «جامع البيان» (١٦/ ٤٣)، و«مجاز القرآن» (٢/ ١٧).

(٨) «المحتسب» (٢/ ٥٠)، و«القراءات الشاذة» (ص٨٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٢١). وهي قراءة شاذة.

(٩)(١٠) انظر: «تهذيب اللغة» (١٥/ ٢٥٥).

وقد تعرّض قومٌ لتعداد منافع العصا فذكروا من ذلك أشياء:

منها قول بعض العرب[(١)]: عصاي أركُزها لصلاتي، وأُعِدّها لِعداتي، وأسوق بها دابتي، وأقوى بها على سفري، وأعتمدُ بها في مشيتي، ليتسع خطوي، وأَثِبُ بها النهرَ، وتُؤمنُني العَثْر، وأُلقي عليها كِسائي، فتقيني الحرّ، وتُدفيني من القرّ، وتدني إليّ ما بعد مني، وهي تحمل سفرتي، وعِلَاقة إداوتي، أعصي بها عند الضِّراب، وأقرع بها الأبواب، وأقي بها عَقور الكلاب، وتنوب عن الرُّمح في الطعان، وعن السيف عند منازلة الأقران، ورثتُها عن أبي وأُورثها بعدي بنيّ، انتهى.

وقد وقفتُ على مصُنّف في مجلد لطيف في منافع العصا لبعض المتأخرين، وذكر فيه أخباراً وأشعاراً وفوائد لطيفة ونكتاً رشيقة.

وقد جمع الله سبحانه لموسى في عصاه من البراهين العظام، والآياتِ الجسام ما أَمِن به من كيد السحرة، ومعرّة المعاندين، واتخذها سليمان لخطبته وموعظته وطول صلاته، وكان ابنُ مسعود[(٢)] صاحب عصا النبيّ ﷺ وعَنَزته، وكان يخطب بالقضيب، وكذلك الخلفاء مِنْ بعده، وكان عادة العرب العَرْباء أخذَ العصا والاعتمادَ عليها عند الكلام، وفي المحافل والخُطَب. ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ هذه جملة مستأنفة جواب سؤال مُقدّر، أمره سبحانه بإلقائها ليريه ما جعل له فيها من المعجزة الظاهرة ﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾ موسى على الأرض ﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ وذلك بقلب الله سبحانه لأوصافها وأعراضها حتى صارت حيةً تسعى؛ أي: تمشي بسرعة وخفّة.

قيل: كانت عصا ذات شعبتين فصار الشعبتان فماً وباقيها جسم حية تنتقل من مكان إلى مكان، وتلتقم الحجارة مع عِظَم جُرْمها وفظاعة منظرها، فلما رآها كذلك خاف وفزع وولّى مدبراً ولم يعقّب، فعند ذلك ﴿قَالَ﴾ سبحانه ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ قال الأخفش[(٣)] والزجاج[(٤)]: التقدير إلى سيرتها، مثل ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

قال[(٤)]: ويجوز أن يكون مصدراً؛ لأن معنى سنعيدها سنسِّيرها، ويجوز أن

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٤ ـ ٤٥).
(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٥٣).
(٣) في «معاني القرآن» (٢/ ٦٢٩).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٧).

يكون المصدر بمعنى اسم الفاعل؛ أي: سائرة، أو بمعنى اسم المفعول؛ أي: مُسيَّرة. والمعنى: سنُعيدها بعد أخذك لها إلى حالتها الأولى التي هي العصوية. قيل: إنِّه لما قيل له: ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ بلغ من عدم الخوف إلى أَنْ كان يُدخل يده في فمها ويأخذ بلحيها.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ قال الفراء[1] والزجاج[2]: جناح الإنسان عَضُده.

وقال قطرب[3]: جناح الإنسان جَنْبُه. وعبّر عن الجنب بالجناح لأنه في محل الجناح؛ وقيل: إلى بمعنى مع؛ أي: مع جناحك، وجواب الأمر ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾؛ أي: تخرج يدك حال كونها بيضاء.

ومحل ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [٣/٢٢٩] النصب[4] على الحال؛ أي: كائنةً من غير سوء، والسُوء: العيب، كني به عن البَرَص؛ أي: تخرج بيضاء ساطعاً نورها تضيء بالليل والنهار كضوء الشمس مِنْ غير بَرَصٍ، وانتصاب ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ على الحال[5] أيضاً؛ أي: معجزة أخرى غير العصا.

وقال الأخفش[6]: إن (آية) منتصبة على أنها بدل من بيضاء. قال النحاس[7]: وهو قول حسن.

وقال الزجاج[8]: المعنى: آتيناك أو نؤتيك آيةً أخرى لأنه لما قال: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ دلّ على أنه قد آتاه آية أخرى، ثم علّل سبحانه ذلك بقوله: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ قيل: وَالْتقدير: فعلنا ذلك لنريك، و﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ متعلّق بمحذوف وقع حالاً، و﴿ٱلْكُبْرَى﴾ معناها العُظْمى، وهو صفة لموصوف محذوف.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٨).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٥٥).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٩).
(٤) «التبيان» (٢/ ٨٨٩)، و«الفريد» (٣/ ٤٣٣)، و«روح المعاني» (١٦/ ٢٧٩).
(٥) «الفريد» (٣/ ٤٣٤)، و«روح المعاني» (١٦/ ٢٨٠)، و«إعراب القرآن» (٣/ ٣٧).
(٦) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٢٩).
(٧) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٧).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٥٥).

والتقدير: لنريك من آياتنا الآية الكُبْرى؛ أي: لنريك بهاتين الآيتين يعني: اليد والعصا بعض آياتنا الكُبْرى، فلا يلزم أن تكون اليد هي الآية الكبرى وحدها حتى تكون أعظم من العصا، فيرد على ذلك أنه لم يكن في اليد إلَّا تغير اللون فقط بخلاف العصا، فإنّ فيها مع تغير اللون[1] الزيادة في الحجم، وخلق الحياة والقدرة على الأمور الخارقة.

ثم صرّح سبحانه بالغَرَض المقصود من هذه المعجزات فقال: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ وخصّه بالذكر لأن قومه تبع له، ثم علّل ذلك بقوله ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ أي: عصى وتكبرّ وكفَر وتجبّر وتجاوز الحدّ.

[انشراح الصدر يحول مشقة التكليف إلى متعة ويحيل عناءه لذة]:

وجملة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر كأنه قيل: فماذا قال؟

ومعنى شرح الصدر: توسيعه، تضرّع عليه السلام إلى ربِّه وأظهر عجزه بقوله: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ [الشعراء: ١٣]، ومعنى تيسير الأمر: تسهيله.

﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ يعني: العُجْمة التي كانت فيه من الجَمْرة التي ألقاها في فيهِ وهو طفل؛ أي: أطلق عن لساني العُقدة التي فيه، قيل: أذهب الله سبحانه تلك العقدة جميعها بدليل قوله: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦].

وقيل: لم تذهب كلها لأنَّه لم يسأل حلّ عُقْدة لسانه بالكلية؛ بل سأل حلّ عقدة تمنع الإفهام بدليل قوله: ﴿مِّن لِّسَانِى﴾؛ أي: كائنة مِنْ عقد لساني، ويؤيد ذلك قوله: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤].

وقوله حكاية عن فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]، وجواب الأمر قوله: ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾؛ أي: يفهموا كلامي، والفقه في كلام العرب الفهمُ، ثم خص به علم الشريعة والعالم به فقيه، قاله الجوهري[2].

﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى﴾ الوزير: الموازر كالأكيل المواكل لأنّه يحمل عَنْ السلطان وزره؛ أي: ثِقْله.

(١) «روح المعاني» (١٦/ ٢٨١).

(٢) في «الصحاح» (٢/ ٨٤٥).

قال الزجاج(١): واشتقاقه في اللغة من الوَزَر، وهو الجَبَل الذي يُعْتَصم به لينجى من الهلكة، والوزير: الذي يعتمد المَلِكُ على رأيه في الأمور ويلتجئ إليه.

وقال الأصمعي(٢): هو مشتق مِنْ الموازرة، وهي المعاونة، وانتصاب وزيراً وهارون على أنهما مفعولا اجْعلْ؛ وقيل مفعولاه: لي وزيراً، ويكون هارون عطف بيان للوزير، والأوّل أظهر، ويكون (لي) متعلقاً بمحذوف؛ أي: كائناً لي، و﴿مِّنْ أَهْلِى﴾ صفة لوزيراً، و﴿أَخِى﴾ بدل من ﴿هَٰرُونَ﴾.

قرأ الجمهور (اشْدد) بهمزة وصل(٣)، و (أَشْركه) بهمزة(٣) قطع كلاهما على صيغة الدعاء؛ أي: يا ربِّ أحْكِمْ به قوّتي، واجْعله شريكي في أمر الرسالة، والأَزْرُ القوة، يقال: آزره؛ أي: قوّاه، وقيل: الظهر؛ أي: اشدد به ظهري.

وقرأ ابن عامر، ويحيى بن الحارث، وأبو حيوة، والحسن، وعبد الله بن أبي إسحاق (أَشدد) بهمزة قطع (وأُشْركه) بضم الهمزة(٤)؛ أي: أشدد أنا به أزري وأشركه أنا في أمري.

قال النحاس(٥): جعلوا الفعلين في موضع جزم جواباً لقوله: ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ هذا التسبيح والذكر هما الغاية من الدعاء المتقدّم، والمراد: التسبيح هنا باللسان، وقيل: المراد به: الصلاة، وانتصاب (كثيراً) في الموضعين على أنّه نعت مصدر(٦) محذوف، أو لزمان محذوف.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ البصير المُبْصِر والبصير العالِم بخفيات الأمور، وهو المراد هنا؛ أي: إنّك كنت بنا عالماً في صغرنا فأحسنت إلينا فأحسن إلينا أيضاً كذلك الآن.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٥٦).
(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٢٨).
(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٣٢٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٥٥)، و«التيسير» (ص١٥٤)، و«جامع البيان» (١٦/ ٥٦).
(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٣٢٩)، و«جامع البيان» (١٦/ ٥٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٩٧)، و«النشر» (٢/ ٣٢٠).
(٥) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٨).
(٦) «الفريد» (٣/ ٤٣٦)، و«التبيان» (٢/ ٨٩٠)، و«روح المعاني» (١٦/ ٢٩٢).

وقد أخرج ابن أبي حاتم[(١)] عن ابن عباس في عصا موسى، قال: أعطاه مَلَكٌ من الملائكة إذ توجّه إلى مدين فكانت تُضيء له بالليل، ويَضرِبُ بها الأرض فتخرج له النباتُ، ويَهُشّ بها على غنمه ورقَ الشجر.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة[(٢)] في قوله: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ قال: أضربُ بها الشجرَ فيتساقط منه الورقُ على غنمي، وقد روي نحو هذا عَنْ جماعة من السلف.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم في قوله: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ﴾ قال[(٣)]: حوائج.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[(٤)] نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٥)] عن السُديّ نحوه.

وأخرج أيضاً[(٦)] عن قتادة قال: كانت تُضيء له بالليل، وكانت عصا آدم عليه السلام.

وأخرَج أيضاً[(٧)] عنْ ابن عباس في قوله: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ قال: ولم تكنْ قبل ذلك حَيّة فمرّت بشجرة فأكلتْها، ومرّت بصخرة فابتلعتها، فجعل موسى يسمع وقْعَ الصخرة في جوفها فولّى مُدبراً فنودي أَنْ يا موسى خذها، فلم يأخذها، ثم نودي الثانيةَ: أَنْ خذها ولا تَخَفْ، فقيل له في الثالثة: إنّك من الآمنين فأخَذَها.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[(٨)] ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ قال: حالتها الأولى.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٤٧) بسند ضعيف، قتادة لم يسمع من ابن عباس. وقال ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٣٢٠): والظاهر: أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه الصلاة والسلام صيرورتها ثعباناً، فما كان يفر منها هارباً، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية.

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٦٤).

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٦٤).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٦٤).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٠).

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٠).

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٠ رقم ١٣٤١٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٧) بسند ضعيف؛ لضعف حفص بن جُميع.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٨) عن ابن عباس بسند صحيح.

وأخرجا[١] عنه أيضاً ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ قال: من غير برص.

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِى﴾ قال: كان أكبر من موسى.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عنه في قوله: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ قال: نُبِّئَ هارونُ ساعتَئذٍ حين نُبِّئَ موسى.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ۝٣٧ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۝٤٢ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾.

لما سأل موسى ربَّه سبحانه أن يشرح صدره وييسر له أمره، ويُحْلِلْ عُقدةً من لسانه، ويجعل له وزيراً من أهله أخبره الله سبحانه بأنّه قد أجاب ذلك الدعاء، فقال: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: أُعْطيتَ ما سألتَه، والسؤال المسؤول؛ أي: المطلوب كقولك: خبر بمعنى: مخبور، وزيادة قوله ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ لتشريفه بالخطاب مع رعاية الفواصل، وجملة ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ كلام مستأنَفٌ لتقوية قلب[٤] موسى بتذكيره نعمَ الله عليه، والمنّ: الإحسان والإفضال.

= وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢١).

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٠) عن ابن عباس بسند ضعيف؛ لضعف يزيد بن أبي زياد.
«تقريب التهذيب» رقم (٧٧٦٨).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٥) بسند ضعيف من طريق ابن جريج عن ابن عباس.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٢).

(٤) «روح المعاني» (١٦/ ٢٩٤)، و«جامع البيان» (١٦/ ٥٦ ـ ٥٧).

[تحقيق معنى الإيحاء إلى أم موسى]:

والمعنى: ولقد أحسنّا إليك مرّة أخرى قبل هذه المرّة، وهي حفظُ الله سبحانه له من شرّ الأعداء كما بيّنه سبحانه ها هنا، وأُخْرى تأنيث آخَر بمعنى غير ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾؛ أي: مننّا ذلك الوقت وهو وقت الإيحاء، فإذْ: ظرف للإيحاء.

والمراد بالإيحاء إليها: إما مجرّد الإلهام لها أو في النوم بأن أراها ذلك أو على لسان نبيّ أو على لسان مَلَكٍ، لا على طريق النبوّة كالوحي إلى مريم أو بإخبار الأنبياء المتقدمين بذلك وانتهى الخبر إليها.

والمراد بـ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾: ما سيأتي من الأمر لها، أبهمه أوّلاً وفسّره ثانياً تفخيماً لشأنه.

وجملة ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ مفسِّرة لأن الوحي فيه معنى القول، أو مصدرية على تقدير بأنْ اقذفيه، والقذف ها هنا الطَرْحُ؛ أي: اطرحيه في التابوت وقد مرّ تفسير التابوت في البقرة في قصّة طالوت ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾؛ أي: اطرحيه في البحر، واليم: البحرُ أو النهر الكبير.

قال الفرّاء[(١)]: هذا أمر وفيه المُجازاة؛ أي: اقذفيه يُلْقِهِ اليمُّ بالساحل، والأمر للبحر مبني على تنزيله منزلة مَنْ يفهم ويُميّز، لما كان إلقاؤه إياه بالساحل أمراً واجب الوقوع.

والساحل: هو شط البحر، سُمّي ساحلاً لأن الماء سَحَلَه قاله ابنُ دريد[(٢)]، والمراد هنا: ما يلي الساحل من البحر لا نفس الساحل، والضمائر[(٣)] هذه كلها لموسى لا للتابوت، وإنْ كان قد أُلقي معه لكن المقصود هو موسى مع كون الضمائر قبل هذا وبعده له.

وجملة ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ جواب الأمر[(٤)] بالإلقاء.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٩).

(٢) في «جمهرة اللغة» (٢/ ١٥٥).

(٣) «روح المعاني» (١٦/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٤) «روح المعاني» (١٦/ ٢٩٨)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٠٧).

والمراد بالعدوّ: فرعون، فإنّ أمّ موسى لما ألقته في البحر وهو النيل المعروف، وكان يخرج منه نهر إلى دار فرعون فساقه الله في ذلك النهر إلى داره، فأخذ التابوت فوجد موسى فيه؛ وقيل: إنّ البحر ألقاه بالساحل فنظره فرعون [٢٣٠/ ٣] فأمر مَنْ يأخذه.

وقيل: وجدته ابنةُ فرعون، والأوّل أولى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾؛ أي: ألقى الله على موسى محبةً كائنة منه تعالى في قلوب عباده لا يراه أحد إلا أحبّه؛ وقيل: جعل عليه مَسْحةً من جمال لا يراه أحد من الناس إلا أحبه.

وقال ابن جرير(١): المعنى: وألقيت عليك رحمتي؛ وقيل: كلمة (مِن) متعلقة بـ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾، فيكون المعنى: ألقيت مني عليك محبة؛ أي: أحببتك، ومن أحبه الله أحبّه الناس.

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾؛ أي: ولتربى وتُغذَّى بمرأى مني، يقال: صنع الرجل جاريته: إذا ربّاها، وصنع(٢) فرسه: إذا داوم على عَلَفه والقيام عليه، وتفسير ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ بمرأى مني صحيح.

قال النحاس(٣): وذلك معروف في اللغة، ولكن لا يكون في هذا تخصيص لموسى، فإن جميع الأشياء بمرآى من الله.

وقال أبو عبيدة(٤) وابن الأنباري(٥): إنّ المعنى: لتُغْذى على محبتي وإرادتي، تقول: أتخذ الأشياء على عيني؛ أي: على محبتي.

قال ابن الأنباري(٦): العين في هذه الآية يُقصد بها قصد الإرادة والاختيار، مِنْ قول العرب: غدا فلان على عيني؛ أي: على المحبّة مني. قيل: واللام متعلقة بمحذوف؛ أي: فعلت ذلك لِتُصنع؛ وقيل: متعلقة بألقيت، وقيل: متعلقة بما بعده؛ أي: ولِتصنعَ على عيني قدّرنا مشي أختك.

---

(١) في «جامع البيان» (١٦/ ٥٨ ـ ٥٩). (٢) «الصحاح» (٣/ ١٢٤٤).
(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٩). (٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٩).
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٠٦).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٠٦).

وقرأ ابن القَعْقاع[١] (ولْتُصْنعْ) بإسكان اللّام على الأمر، وقرأ أبو نُهَيك[٢] بفتح التاء. والمعنى: ولتكون حركتك وتصرّفك بمشيئتي، وعلى عينٍ منِّي ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ ظرف لألقيت، أو لتصنع، ويجوز أَنْ يكون بدلاً[٣] من ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ﴾ وأخته اسمها مريم ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ وذلك أَنَّها خرجت متعرّفة لخبره فوجدت فرعون وامرأته آسية يطلبان له مُرْضعةً، فقالت لهما هذا القول؛ أي: هل أدلكم على مَنْ يضّمه إلى نفسه ويربيه؟ فقالا لها: ومَنْ هو؟ قالت: أمي، فقالا: هل لها لبن؟ قالت: نعم لبن أخي هارون، وكان هارون أكبر مِنْ موسى بسنة، وقيل: بأكثر، فجاءت الأم فقبل ثديها، وكان لا يقبل ثدي مرضعة غيرها، وهذا هو معنى ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ وفي مصحف أُبيّ (فرددناك)[٤]، والفاء فصيحة[٥] ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ قرأ ابن عامر في رواية عبد الحميد عنه (كي تَقِرَّ) بكسر القاف[٦]، وقرأ الباقون[٧] بفتحها.

قال الجوهري[٨]: قررتُ به عيناً قُرّة وقُرورا، ورجل قَرير العين، وقد قرّت عينُه تَقَرِّ وتقِرّ، نقيض سَخُنَتْ، والمراد بقرّة العين: السرور برجوع ولدها إليها بعد أن طرحته في البحر، وعظم عليها فراقه.

﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾؛ أي: لا يحصل لها ما يُكدّر ذلك السرور مِنْ الحُزْن بسبب من الأسباب، ولو أراد الحزن بالسبب الذي قرّت عينها بزواله لقدّم نفي الحزن على قرّة العين، فيحمل هذا النفي للحزن على ما يحصل بسبب يطرأ بعد ذلك، ويمكن أن يقال: إن الواو لما كانت لمطلق الجمع كان هذا الحمل غير متعين.

وقيل: المعنى: ولا تحزن أنت يا موسى بفقد إشفاقها، وهو تعسّفُ.

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٣٣٢)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٠٢)، و«النشر» (٢/ ٣٢٠). قراءة أبي جعفر بن القعقاع بإسكان اللّام والعين (لْتصنعْ) وقرأ باقي العشرة بكسر اللّام وفتح العين، وهما متواترتان، وقراءة أبي نهيك شاذة.

(٢) «المحتسب» (٢/ ٥١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٣٢)، و«جامع البيان» (١٦/ ٦٠).

(٣) «التبيان» (٢/ ٨٩١)، و«الفريد» (٣/ ٤٣٧).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٦٠). وهي قراءة شاذة.

(٥) «روح المعاني» (١٦/ ٣٠٣)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٠٨).

(٦) وهي غير المتواترة عنه. وهي شاذة، لأن طريق عبد الحميد عنه متروكة. «البحر المحيط» (٧/ ٣٣٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٦٠).

(٧) «البحر المحيط» (٧/ ٣٣٢)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٠٣).

(٨) في «الصحاح» (٢/ ٧٩٠).

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ المراد بالنفس هنا: نفسُ القِبْطّي الذي وكزه موسى فقضى عليه، وكان قتله له خطأ ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾؛ أي: الغمّ الحاصل معك مِنْ قتله خوفاً مِنْ العقوبة الأُخْروية أو الدنيوية أو منهما جميعاً؛ وقيل: الغمّ هو: القتلُ بلغة قريش، وما أبعدَ هذا. ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ الفتنة تكون بمعنى المحْنة، وبمعنى الأمر الشاقّ، وكلُّ ما يبتلى به الإنسان، والفتون يجوز أن يكون مصدراً[١] كالثُّبور والشُّكور والكُفور؛ أي: ابتليناك ابتلاءً، واختبرناك اختباراً، ويجوز أَنْ يكونَ جمعُ فتنةٍ على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحُجُوز في حُجْزة وبُدُور في بَدْرة؛ أي: خَلّصناك مرّة بعد مرّة مما وقعت فيه مِنْ المحن التي سبق ذكرها قبل أَنْ يصطفيه الله لرسالته.

ولعلَّ المقصود بذكر تنجيته من الغمّ الحاصل له بذلك السبب وتنجيته من المحن هو: الامتنان عليه بصنع الله سبحانه له، وتقوية قلبه عند ملاقاة ما سيقع له من ذلك مع فرعون وبني إسرائيل ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾.

قال الفرّاء[٢]: تقدير الكلام وفتنّاك فتوناً، فخرجتَ إلى أهل مَدْين فلبثتَ سنين ومثل هذا الحذف كثير في التنزيل، وكذا في كلام العرب فإنّهم يحذفون كثيراً من الكلام إذا كان المعنى معروفاً، ومَدْين: هي بلد شُعيب، وكانت على ثماني مراحل من مصر، هرب إليها موسى فأقام بها عشر سنين، وهي أتمّ الأجلين.

وقيل: أقام عند شعيب ثمان وعشرين سنة[٣] منها عشر مهر امرأته ابنة شعيب، ومنها ثماني عشرة سنة بقي فيها عنده حتّى ولد له، والفاء في ﴿فَلَبِثْتَ﴾ تدل على أَنَّ المراد بالمحن المذكورة: هي ما كان قبل لبثه في أهل مدين ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: في وقت سَبق في قضائي وقَدَري[٤] أَنْ أكلمك وأجعلك نبيّاً، أو على مقدار مِنْ الزمان يُوحى فيه إلى الأنبياء، وهو رأس أربعين سنة، أو على موعد[٥] قد عرفته بإخبار شعيب لك به. قال الشاعر[٦]:

نال الخلافةَ إذ كانت له قَدَراً ... كما أتى رَبّه موسى على قدرِ

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ٣٠٦).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠).
(٣) «روح المعاني» (١٦/ ٣٠٧)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٢١٨).
(٤) «الوسيط» للواحدي (٣/ ٢٠٧)، و«روح المعاني» (١١/ ٣٠٨)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٢١٨).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) هو لجرير. انظر: «ديوانه» (١/ ٤١٦).

وكلمة (ثُمّ) المفيدة للتراخي[(١)] للدلالة على أنّ مجيئه ﷺ كان بعد مدّة، وذلك بسبب ما وقع له مِنْ ضلال الطريق وتفرّق غنمه ونحو ذلك ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ الاصطناع: اتخاذ الصنعة، وهي الخير تُسديه إلى إنسان، والمعنى: اصطنعتُك لوحيي ورسالتي لتتصرّف على إرادتي.

قال الزجاج[(٢)]: تأويله: اخترتُك لإقامة حُجّتي، وجعلتُك بيني وبين خَلْقي، وصرت بالتبليغ عنّي بالمنزلة التي أكون أنا بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم. قيل: وهو تمثيلٌ لما خوّله الله سبحانه مِنْ الكرامة العُظْمى بتقريب الملك لبعض خواصه.

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾؛ أي: وليذهب أخوك، وهو كلام مستأنف مسوق[(٣)] لبيان ما هو المقصود مِنْ الاصطناع ومعنى ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ بمعجزاتي التي جعلتها لك آية، وهي التسع الآيات ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾؛ أي: لا تَضْعُفا ولا تَفْتُرا، يقال: وَنَى يني[(٤)] ونْياً: إذا ضَعُف. قال الشاعر[(٥)]:

فما وَنَى مُحمدٌ مُذْ أنْ غفَر له الإلٰهُ ما مضى وما غَبَرْ

وقال امرؤ القيس[(٦)]:

مِسَحٍّ إذا ما السابحاتُ على الوَنَي أثرْنَ غُباراً بالكديد المُوكَّلِ

قال الفراء[(٧)]: في ذكري وعَنْ ذكري سواء، والمعنى: لا تقصرا عن ذكري بالإحسان إليكما، والإنعام عليكما وذكر النِّعمة: شكرُها.

وقيل: معنى ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ لا تبطئا في تبليغ الرسالة، وفي قراءة ابن مسعود[(٨)] «لا تهنا في ذكري». ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ هذا أمرٌ لهما جميعاً بالذهاب، وموسى حاضر وهارون غائب[(٩)] تغليباً لموسى؛ لأنّه الأصل في أداء الرسالة، وعلل

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ٣٠٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٣٣).
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٠٧).
(٣) «روح المعاني» (١٦/ ٣٠٩)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٠٩).
(٤) انظر: «الصحاح» (٦/ ٢٥٣١)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٥٥٥).
(٥) هو: العجاج. انظر: «ديوانه» (ص٦٧). (٦) انظر: «ديوانه» (ص٢٠).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٩).
(٨) «البحر المحيط» (٧/ ٣٣٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٦٣)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ٧٧). هي قراءة شاذة، مخالفة للرسم.
(٩) «روح المعاني» (١٦/ ٣١٠)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦١٠).

الأمر بالذهاب بقوله: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ أي: جاوز الحدَّ في الكفر والتمرّد، وخص موسى وحدَه بالأمر بالذهاب فيما تقدّم، وجمعهما هنا تشريفاً لموسى بإفراده، وتأكيداً للأمر بالذهاب بالتكرير.

وقيل: إنّ في هذا دليلاً على أنه لا يكفي ذهاب أحدهما:

وقيل الأوّل: أمر لموسى بالذهاب إلى كلِّ الناس.

والثاني: أمرٌ لهما بالذهاب إلى فرعون.

ثم أمرهما سبحانه بإلانة القول له؛ لما في ذلك مِنْ التأثير في الإجابة، فإنَّ التخشين بادئ بدء يكون مِنْ أعظم أسباب النفور والتصلّب في الكفر.

والقول اللّين: هو الذي لا خشونَة فيه، يقال: لانَ الشُيء يَلينُ لِيناً، والمراد: تركهما للتعنيف كقولهما: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨].

وقيل: القول اللَّيّن هو الكنية له، وقيل: أَنْ يعداه بنعيم الدنيا إنْ أَجاب، ثم علّل الأمر بإلانة القول له بقوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾؛ أي: باشرا ذلك مباشرة مَنْ يرجو ويطمع، فالرجاء راجع إليهما كما قاله جماعة من النحْويين: سيبويه وغيرِه. وقد تقدّم تحقيقه في غير موضع.

قال الزجّاج[١]: «لعلّ» لفظة طمع وترجٍّ، فخاطبهم بما يعقلون.

وقيل: «لعلّ» ها هنا بمعنى الاستفهام.

والمعنى: فانظرا هل يتذكر أو يخشى؟؛ وقيل: بمعنى: كي. والتذكّر: النظر فيما بلّغاه مِنْ الذكر، وإمعان الفِكْر فيه حتّى يكون ذلك سبباً في الإجابة، والخشية هي: خشيةُ عقاب الله الموعود به على لسانِهما، وكلمة (أو) لمنع الخلوّ دونَ الجمع.

وقد أخرج ابنُ أبي حاتم[٢] عن السديّ في قوله: ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ قال: هو النِّيل.

وأخرج عبدُ بن حُميد، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] في قوله:

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٥٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٨) بسند حسن.

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٦٧)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٢).

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ قال: كان كل مَنْ رآه أُلقيتْ عليه منه مَحبتُه.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن سَلمة بن كُهيل[1] قال: حبّبتُك إلى عبادي.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم [٣/٢٣١] عن أبي عمران الجَوني[2] في قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ قال: تربّى بعين الله.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[3] في الآية قال: لتُغذّى على عيني.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج[4] في الآية قال: يقول: أنت بعيني إذْ جعلتكَ أمُك في التابوت، ثم في البحر، وإذ تمشي أختُك.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والخطيب عن ابن عمر[5]: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خَطأً يقول الله سبحانه: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ قال: مِنْ قتل النفس ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ قال: أخلَصْناك إخلاصاً».

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[6] في قوله: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ قال: ابتلَيناك ابتلاءً.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٦٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٥٨)، عن سلمة بن كهيل وابن أبي شيبة (١١/٥٣٢) بسند حسن.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٦٨).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/١٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٥٩) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٦٨)، وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٦٠) عن ابن جريج.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٦٨).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٦٣)، ومسلم في «صحيحه» رقم (٥/٢٩٠٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٥٣٤٨)، والخطيب في «تاريخه» (١٢/٤٩٢). وهو حديث صحيح.

(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٦٩).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٦٤) عن ابن عباس بسند ضعيف.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[١] قال: اختبرناك اختباراً.

وقد أخرج عبدُ بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] أثراً طويلاً في تفسير الآية، فمن أحبَّ استيفاء ذلك فلينظره في كتاب التفسير مِنْ سنن النسائي.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ قال: لميقاتٍ.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٤] وقتادة ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ قال: موعد.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٥] ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ قال: لا تُبْطئا.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦] عن عليّ في قوله: ﴿فَقُولَا لَيِّنًا﴾ قال: كَنِّه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس[٧] قال: كَنِّياه.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٨] في قوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ قال: هل يتذكَّر.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٦٩).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٣٢٦)، وأبو يعلى رقم (٢٦١٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦٤ ـ ٦٩)، وفي «التاريخ» (١/ ٣٩٢، ٣٩٦، ٣٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٧ ـ ٢٥٦٨).
قال ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٣٣٧) وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس ﷺ مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره. والله أعلم.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٧١) بسند ضعيف.

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٧٩).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٧٢) عن مجاهد بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٧٣) بسند صحيح.

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٣).

(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٠).

(٨) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٧٥) عن ابن عباس بسند صحيح.

[دعوة موسى لفرعون ومحاجته له]:

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨) قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى (٥٢) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥) وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ (٥٦)﴾.

[موسى عليه السلام والمبارزة مع السحرة]:

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى (٥٩)﴾.

قرأ الجمهور ﴿أَن يَفْرُطَ﴾ بفتح الياء[١] وضم الراء، ومعنى ذلك: أننا نخاف أن يَعْجَل ويُبادر بعقوبتنا، يقال: فَرَط مِنْه أمر؛ أي: بَدَر، ومنه الفارطُ، وهو الذي يتقدّم القومَ إلى الماء؛ أي: يُعذِّبنا عذابَ الفارط في الذنب، وهو المتقدّم فيه، كذا قال المبرِّد[٢]، وقال أيضاً: فَرَط منه أمر وأفرَط: أسرفَ، وفرّط: ترك.

وقرأ ابن محيصن (يُفْرَط) بضم الياء[٣] وفتح الراء؛ أي: يحمله حامل على التسرّع إلينا.

وقرأت طائفة[٤] بضم الياء وكسر الراء، ومنهم: ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة مِنْ الإفراط؛ أي: يشتطّ في أذيتنا. قال الراجز:

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٣٣٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٦٧)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣١٤).
(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٠٥).
(٣) «المحتسب» (٢/ ٥٢)، و«القراءات الشاذة» (ص٨٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٣٨).
(٤) «البحر المحيط» (٢/ ٥٢)، و«القراءات الشاذة» (ص٨٧).

قـد أفـرطَ الـعِـلـجُ عـلـيـنـا وَعَـجـل[(١)]

ومعنى ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ قد تقدّم قريباً. وجملة ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر، نَهيٌ لهما عَنْ الخوف الذي حصل معهما من فرعون.

ثم علّل ذلك بقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾[(٢)]؛ أي: بالنّصر لهما، والمعونة على فرعون، ومعنى ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ إدراك[(٣)] ما يجري بينهما وبينه بحيث لا يخفى عليه سبحانه منه خافيةٌ، وليس بغافل عنهما.

ثم أمرهما بإتيانه الذي هو عبارة عن الوصول إليه بعد أمرهما بالذهاب إليه فلا تكرار ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ أرسلَنا إليك ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: خلّ عنهم وأطلقهم من الأسْر ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ بالبقاء على ما كانوا عليه، وقد كانوا عند فرعون في عذاب شديد: يَذْبحُ أبناءهم، ويستحيي نساءهم، ويكلفهم من العمل ما لا يطيقونه، ثم أمرهما سبحانه أن يقولا لفرعون: ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ قيل:

---

(١) انظر: «جامع البيان» (١٦/ ٧٦)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٢٠).

(٢) يعتقد أهل الحق أهل السُّنَّة والجماعة أنّ الله معنا على الحقيقة، وأنَّه فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، وهذه المعية ثابتة بالكتاب والسُّنَّة.
الدليل من الكتاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾.
ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].
ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة: ٧].
الدليل من الحديث: ما أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٠٦)، ومسلم رقم (٥٤٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة، فلا يبصق قبل وجهه، فإن الله مثيل وجهه».
ومنها: ما أخرجه البخاري رقم (٧٤٠٥)، ومسلم رقم (٢٦٧٥) في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني...**»، وقال ابن تيمية في «الواسطية»: (ص١٩٣): «... وكل هذا الكلام الذي ذكر: الله فوق العرش وأنه معنا حقٌّ على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة».

(٣) السَّمع: صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسُّنَّة، والسميع من أسمائه.
فأهل السُّنَّة والجماعة يقولون: إنَّ سميع بسمع يليق بجلاله وعظمته كما أنّه بصير ببصر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال أبو الحسن الأشعري في «رسالة أهل الثغر» (ص٢٢٥): «وأجمعوا على أنّه ﷻ يسمع ويرى».
وانظر: «علاقة الإثبات والتفويض» (ص٥١) لرضا نعسان معطي.
• والرؤية: صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ كالبصر والنظر بالكتاب والسُّنَّة.
وانظر ذلك مفصلاً في «الحجة» (١/ ١٨١ ـ للأصبهاني).

هي العصا واليد؛ وقيل: إن فرعون قال لهما: وما هي؟ فأدخل موسى يده في جيب قميصه، ثم أخرجها لها شُعاع كشعاع الشمس، فعجب فرعون من ذلك، ولم يُرِهِ موسى العصا إلّا يوم الزينة ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾؛ أي: السلامة.

قال الزجاج[١]: أي: مَنْ اتبع الهدى سَلِمَ من سخط الله ﷻ ومِنْ عذابه، وليس بتحية.

قال[٢]: والدليل على ذلك أنه ليس بابتداء لقاءٍ ولا خطاب.

قال الفراء[٣]: السلام على مَنْ اتبع الهدى، ولمن اتبع الهدى سواء ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ﴾ من جهة الله سبحانه ﴿أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ المراد بالعذاب: الهلاكُ والدمار في الدنيا، والخلودُ في النار، والمراد بالتكذيب: التكذيب بآيات الله وبرسله، والتولّي: الإعراض عن قبولها والإيمان بها.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: قال فرعون لهما: فمَنْ ربكما؟ فأضاف الربّ إليهما ولم يضفه إلى نفسه؛ لعدم تصديقه لهما ولجحده للربوبية، وخص موسى بالنداء لكونه الأصل في الرسالة؛ وقيل: لمطابقة رؤوس الآي ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾؛ أي: قال موسى مُجيباً له، و(ربُّنا) مبتدأ[٤]، وخبرُه ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾، ويجوز أن يكون ﴿رَبُّنَآ﴾ خبر مبتدأ محذوف، وما بعده صفته.

قرأ الجمهور[٥] (خَلْقه) بسكون اللام، وروى زائدة عن الأعمش أنه قرأ (خلَقه) بفتح اللام[٦] على أنّه فعل، وهي قراءة ابن أبي إسحاق، ورواها نصير عن الكسائي.

فعلى القراءة الأولى يكون (خَلْقه) ثاني مفعولي أعطى[٧]. والمعنى: أعطى كل شيء صورته وشكلَه الذي يطابق المنفعة المنوطة به المطابقة له كاليد للبطش،

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٥٨). (٢) أي: الزجاج في المصدر المتقدم (٣/ ٣٥٨).

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٠).

(٤) «التبيان» (٢/ ٨٩٢)، و«الفريد» (٣/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٣٤٠)، و«التبيان» (٢/ ٨٩٢)، و«زاد المسير» (٥/ ٢٩١)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٢٤).

(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٣٤٠)، و«القراءات الشاذة» (ص٨٧)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٢٦). قراءة العشرة بإسكان اللّام، أما الفتح فشاذة.

(٧) «الفريد» (٣/ ٤٤٠)، و«التبيان» (٢/ ٨٩٢).

والرجْل للمشي واللِّسان للنطق، والعين للنظر، والأذن للسمع، كذا قال الضحاك[١] وغيره.

وقال الحسن وقتادة[٢]: أعطى كلَّ شيء صلاحَه وهداه لما يصلحه.

وقال مجاهد[٣]: المعنى: لم يخلق خلق الإنسان في خلق البهائم، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان، ولكن خلق كل شيء فقدّره تقديراً، ومنه قول الشاعر:

ولـه في كـلِّ شـيءٍ خِـلْـقـةٌ وكـذاك الـلّـهُ مـا شـاءَ فـعـل[٤]

وقال الفراء[٥]: المعنى: خَلَقَ للرجل المرأة، ولكلِ ذَكَر ما يوافقه من الإناث.

ويجوز أن يكون (خَلْقه) على القراءة الأولى هو المفعول الأوّل لأعطى؛ أي: أعطى خَلْقه كلَّ شيء يحتاجون إليه، ويرتفقون به.

ومعنى ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾: أنّه سبحانه هداهم إلى طُرق الانتفاع بما أعطاهم فانتفعوا بكل شيء فيما خُلق له.

وأمَّا على القراءة الآخرة، فيكون الفعلُ صفةً للمضاف أو للمضاف إليه؛ أي: أعطى كلَّ شيء خلقه الله سبحانه ولم يخله من عطائه، وعلى هذه القراءة يكون المفعول الثاني محذوفاً؛ أي: أعطى كلَّ شيء خَلَقه ما يحتاج إليه، فيوافق معناها معنى القراءة الأولى.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ لما سمع فرعون ما احتجّ به موسى في ضمن هذا الكلام على إثبات الربوبية كما لا يخفى من أن الخلق والهداية ثابتان بلا خلاف، ولا بدّ لهما من خالق وهادٍ، وذلك الخالق والهادي هو الله سبحانه لا ربّ غيره.

قال فرعون: فما بالُ القرون الأولى؟ فإنّها لم تقرّ[٦] بالربّ الذي تدعو إليه يا موسى؛ بل عَبدتْ الأوثانَ ونحوها مِنْ المخلوقات، ومعنى البال: الحال والشان؛

---

(١) «معالم التنزيل» (٣/ ٢٢٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٨١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٧) عن قتادة بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٨١) بسند صحيح.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٧١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٠٦).

(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨١).

(٦) «جامع البيان» (١٦/ ٨٢ ـ ٨٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٧٢).

أي: ما حالهم وما شأنهم؟ وقيل: إنَّ سؤال فرعون عن القرون الأولى مغالطة لموسى لمّا خاف أَنْ يظهر لقومه أنَّه قد قهره بالحجة؛ أي: ما حال القرون الماضية، وماذا جرى عليهم من الحوادث؟ فأجابه موسى، فـ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾؛ أي: إنّ هذا الذي سألت عنه ليس ممّا نحن بصدده؛ بل هو من علم الغيب الذي استأثر الله به لا تعلمه أنت ولا أنا.

وعلى التفسير الأوّل يكون معنى ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾: أنَّ علم هؤلاء الذين عبدوا الأوثان ونحوها محفوظ عند الله في كتابه سيجازيهم عليها، ومعنى كونها في كتاب: أَنَّها مُثْبتة في اللّوح المحفوظ(١).

قال الزجاج(٢): المعنى: أن أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها، والتقدير: علم أعمالها عند ربي في كتاب.

وقد اختلف في معنى ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ على أقوال:

الأوّل: أنه ابتداء كلام تنزيهٌ لله تعالى عن هاتين الصفتين(٣).

وقد تمّ الكلام عند قوله (في كتاب) كذا قال الزجاج(٤). قال: ومعنى ﴿لَّا يَضِلُّ﴾: لا يَهلِك من قوله: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]. ﴿وَلَا يَنسَى﴾ شيئاً من الأشياء، فقد نزّهه عَنْ الهلاك والنسيان.

القول الثاني: أن معنى ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ لا يُخْطئ(٥).

القول الثالث: أن معناه: لا يَغْيب. قال ابن الأعرابي(٦): أصل الضلال الغيبوبة.

القول الرابع: أن المعنى: لا يحتاج إلى كتاب، ولا يضلّ عنه علم شيء من الأشياء، ولا ينسى ما علمه منها، [٣/٢٣٢] حكي هذا عن الزجاج(٧) أيضاً.

---

(١) «معالم التنزيل» (٣/ ٢٢٠)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٢٩).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٥٩).
(٣) «المحرر الوجيز» (١١/ ٧٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٧٦).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٥٩).
(٥) «جامع البيان» (١٦/ ٨٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٧٧)، و«النكت والعيون» (٣/ ٤٠٧).
(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (١١/ ٤٦٥).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٥٩).

قال النحاس[١]: وهو أشبهها بالمعنى. ولا يخفى أنَّه كقول ابن الأعرابي.

القول الخامس: أن هاتين الجُملتين صفة للكتاب، والمعنى: أن الكتاب غير ذاهب عن الله ولا هو ناسٍ له. ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ الموصول في محل رفع[٢] على أنه صفة لربي متضمنة لزيادة البيان، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أو في محل نصب[٣] على المدح.

قرأ الكوفيون[٤] (مَهْداً) على أنه مصدر لفعل مقدّر؛ أي: مهّدها مَهْداً، أو على تقدير مضاف محذوف؛ أي: ذات مَهْدٍ، وهو اسم لما يُمْهَد كالفراش لما يُفْرَش.

وقرأ الباقون[٥] (مِهَاداً) واختار هذه القراءة أبو عُبيد وأبو حاتم قالا: لاتفاقهم على قراءة ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [النبأ: ٦].

قال النحاس[٦]: والجمع أولى من المصدر؛ لأنّ هذا الموضع ليس وضع المصدر إلا على حذف المضاف. قيل: يجوز أن يكون مهاداً مفرداً كالفراش، ويجوز أن يكون جمعاً، ومعنى المهاد: الفراش فالمهاد جمع المهد؛ أي: جعل كل موضع منها مَهْداً لكل واحد منكم.

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ السَلْكُ: إدخال الشيء في الشيء. والمعنى: أدخل في الأرض لأجلكم طُرقاً تسلكونها وسهّلها لكم.

وفي الآية الأخرى ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ١٠]. ثم قال سبحانه ممتناً على عباده ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ هو ماء المطر، قيل: إلى هنا انتهى كلام موسى، وما بعده هو ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ من كلام الله سبحانه؛ وقيل: هو من الكلام المحكيّ عن موسى معطوف على أنزل، وإنما التفت إلى التكلم للتنبيه[٧] إلى ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة.

---

(١) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤١).
(٢) «روح المعاني» (١٦/ ٣٣٢)، و«التبيان» (٢/ ٨٩٢)، و«الفريد» (٣/ ٤٤١).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٣٤٣)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٣٥)، و«التيسير» (ص١٥١)، و«النشر» (٢/ ٣٢٠).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤١)، وفي «معاني القرآن» له (٣/ ٣٥٩).
(٧) «روح المعاني» (١٦/ ٣٣٦)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦١٢).

ونُوقش بأنَّ هذا خلاف الظاهر مع استلزامه فوت الالتفات لعدم اتحاد المتكلِّم، ويجاب عنه: بأنّ الكلام كله محكيّ عن واحد هو موسى، والحاكي للجميع هو الله سبحانه والمعنى: فأخرجنا بذلك الماء بسبب الحَرْث والمعالجة أزواجاً؛ أي: ضروباً وأشباهاً من أصناف النبات المختلفة. وقوله: ﴿مِّن نَّبَاتٍ﴾ صفة لأزواجاً، أو بيان له، وكذا شتّى صفة أخرى له؛ أي: مُتفرّقة جَمْع شتيت.

وقال الأخفش[(١)]: التقدير: أزواجاً شتى مِنْ نبات.

قال[(٢)]: وقد يكون النبات شتّى، فيجوز أن يكون ﴿شَتَّىٰ﴾ نعتاً لأزواجاً، ويجوز أن يكون نعتاً للنبات، يقال: أمرٌ شَتّ؛ أي: متفرّق، وشتّ الأمر شَتاً وشَتاتاً تفرّق واشتتّ مثلَه، والشتيت المتفرّق، قال رؤبة[(٣)]:

جاءَت معاً واطَّرَقتْ شَتِيتا[(٤)]

وجملة ﴿كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ﴾ في محل نصب[(٥)] على الحال بتقدير القول؛ أي: قائلين لهم ذلك، والأمرُ للإباحة، يقال: رعت الماشيةُ الكلأ ورعاها صاحبها رعايةً؛ أي: أسامها وسرّحها يجيء لازماً ومتعدّياً.

والإشارة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ إلى ما تقدّم ذكره في هذه الآيات، والنُّهى: العقولُ جمع نُهْية، وخص ذوي النهى لأنّهم الذين يُنْتَهى إلى رأيهم.

وقيل: لأنَّهم ينهون النفسَ عن القبائح، وهذا كله من موسى احتجاج على فرعون في إثبات الصانع جواباً لقوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ والضمير في ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ وما بعده راجع إلى الأرض المذكورة سابقاً.

قال الزجاج[(٦)] وغيره: يعني: أن آدم خُلق مِنْ الأرض وأولاده منه؛ وقيل:

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٧٩). (٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٧٩).

(٣) انظر: «ديوان رؤبة» (ص١٧١).

(٤) وعجز البيت:

وهي نُثيرُ السَّاطعَ السختيتَا

• **السختيت**: الشديد. والشاعر يصف به إبلاً؛ أي: جاءت مجتمعة، فلما صدرت تفرَّقت متشتتة.

(٥) «الفريد» (٣/ ٤٤٢)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٣٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٤٤).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٥٩).

المعنى: أنّ كل نطفة مخلوقة من التراب في ضمن خلق آدم؛ لأنّ كل فرد من أفراد البشر له حظ مِنْ خلقه ﴿وَفِيهَا﴾؛ أي: في الأرض ﴿نُعِيدُكُمْ﴾ بعد الموت فَتُدفنون فيها وتتفرّق أجزاؤكم حتى تصير من جنس الأرض، وجاء بفي دون إلى للدلالة على الاستقرار.

﴿وَمِنْهَا﴾؛ أي: من الأرض ﴿نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾؛ أي: بالبعث والنشور وتأليف الأجسام وردّ الأرواح إليها على ما كانت عليه قبل الموت، والتارة كالمرّة ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾؛ أي: أرينا فرعونَ، وعرفناه آياتّنا كلها، والمراد بالآيات هي: الآياتُ التسع المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]. على أن الإضافة للعهد.

وقيل: المراد: جميع الآيات[1] التي جاء بها موسى، والتي جاء بها غيره من الأنبياء، وأنّ موسى قد كان عرّفه جميع معجزاته ومعجزات سائر الأنبياء، والأوّل أولى.

وقيل: المراد بالآيات: حجج الله سبحانه الدالة على توحيده. ﴿فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾؛ أي: كذّب فرعونُ موسى، وأبى عليه أَنْ يجيبه إلى الإيمان، وهذا يدل على أن كفر فرعون كفرُ[2] عنادٍ لأنه رأى الآيات وكذّب بها كما في قوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

وجملة ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر، كأنَّه قيل: فماذا قال فرعون بعد هذا؟ والهمزة للإنكار[3] لما جاء به موسى من الآيات؛ أي: جئت يا موسى لتُوهم النّاس بأنك نبيّ يجب عليهم اتباعك، والإيمان بما جئت به، حتى تتوصل بذلك الإيهام الذي هو شعبة من السحر إلى أن تغلب على أرضنا وتخرجنا منها؟

وإنما ذكر الملعون الإخراج من الأرض لتنفير قومه عن إجابة موسى، فإنه إذا وقع في أذهانهم وتقرّر في أفهامهم أنَّ عاقبة إجابتهم لموسى الخروج مِنْ ديارهم

(١) «النكت والعيون» (٣/ ٤٠٨)، و«جامع البيان» (١٦/ ٨٧ ـ ٨٨).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٨٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤١).
(٣) «روح المعاني» (١٦/ ٣٥٦)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦١٧).

وأوطانهم كانوا غير قابلين لكلامه، ولا ناظرين في معجزاته، ولا ملتفتين إلى ما يدعو إليه من الخير. ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ الفاء لترتيب[(١)] ما بعدها على ما قبلها واللّام هي الموطئة للقَسَم؛ أي: واللهِ لنعارضنّك بمثل ما جئت به من السحر، حتى يتبين للناس أن الذي جئت به سحرٌ يقدر على مثله الساحر. ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ هو مصدر؛ أي: وعْداً؛ وقيل: اسم مكان؛ أي: اجعل لنا يوماً معلوماً، أو مكاناً معلوماً لا نُخْلفه[(٢)].

قال القشيري[(٣)]: والأظهر أنّه مصدر، ولهذا قال: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾؛ أي: لا نخلف ذلك الوعد، والإخلاف: أَنْ تعد شيئاً ولا تُنْجزه.

قال الجوهري[(٤)]: الميعاد: المواعدة والوقت والموضع، وكذلك الموعد. وقرأ أبو جعفر بن القعقاع وشيبة والأعرج ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ بالجزم[(٥)] على أنه جواب لقوله: (اجعلْ). وقرأ الباقون بالرفع[(٦)] على أنه صفة لموعدٍ؛ أي: لا نخلف ذلك الوعد ﴿نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ وفوّض تعيين الموعد إلى موسى إظهاراً لكمال اقتداره على الإتيان بمثل ما أتى به موسى.

وانتصاب[(٧)] ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ بفعل مقدّر يدل عليه المصدر، أو على أنَّه بدل من موعد.

قرأ ابنُ عامر وعاصم وحمزة (سُوى) بضم السين[(٨)]، وقرأ الباقون بكسرها[(٩)] وهما لغتان. واختار أبو عبيد[(١٠)]، وأبو حاتم كسر السين؛ لأنها اللغة العالية الفصيحة.

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ٣٥٧).
(٢) «الفريد» (٣/ ٤٤٣)، و«التبيان» (٢/ ٨٩٣).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٨٣)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٤٥).
(٤) في «الصحاح» (٢/ ٥٥١).
(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٣٤٦)، و«النشر» (٢/ ٣٢٠)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٥٧).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان.
(٧) «التبيان» (٢/ ٨٩٣)، و«الفريد» (٣/ ١٤٣)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٥٨).
(٨) «جامع البيان» (٦/ ٨٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٤٧)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٥٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٨٣). ومع مَنْ يقرأ بضم السين «يعقوب» و«خلَف».
(٩) انظر: المصادر المتقدمة.
(١٠) ذكره عنهما النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٢).

والمراد: مكاناً مستوياً، وقيل: مكاناً مَنْصَفاً عدلاً بيننا وبينك.

قال سيبويه[١]: يقال: سِوًى وسُوًى؛ أي: عَدْل، يعني: عدلاً بين المكانين. قال زهير[٢]:

أرونا خطةً لا ضيمَ فيها يسوِّي بيننا فيها السواءُ

قال أبو عبيدة[٣] والقتيبي[٤]: معناه: مكاناً وسطاً بين الفريقين، وأنشد أبو عُبيدة[٥] لموسى بن جابر[٦] الحنفي:

وإنّ أبانا كان حلَّ ببلدةٍ سِوًى بين قيسٍ قيسِ عيلان والفِزْرِ

والفزر: سعد بن زيد مناة.

ثم واعده موسى بوقت معلوم فـ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ قال مجاهد[٧]، وقتادة[٨]، ومقاتل[٩]، والسُديّ[١٠]: كان ذلك يوم عيد يتزينون فيه.

وقال سعيد بن جبير[١١]: كان ذلك يوم عاشوراء، وقال الضحاك: يوم السبت[١١]؛ وقيل: يوم النيروز[١٢]؛ وقيل: يوم كسر الخليج[١٣].

وقرأ الحسن والأعمش، وعيسى الثقفي، والسلمي، وهبيرة عن حفص (يومَ الزينة) بالنصب[١٤]، ورويت هذه القراءة عن أبي عَمْرو؛ أي: في ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ إنجاز موعدنا.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٨٣).
(٢) انظر: «ديوان زهير» (ص٨٤).
(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠).
(٤) في «تفسير غريب القرآن» (ص٢٧٩).
(٥) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠).
(٦) شاعر نصراني جاهلي، يلقب: أزيرق اليمامة، و«معجم الشعراء» (ص٢٨٥)، و«خزانة الأدب» (١/ ٣٠٢).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٩١) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٩٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٧) بسند صحيح.
(٩) انظر: «زاد المسير» (٥/ ٢٩٤).
(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٩٢) بسند حسن.
(١١) انظر: «زاد المسير» (٥/ ٢٩٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٨٥).
(١٢) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص١٨٨).
(١٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١١/ ٨٣).
(١٤) «المحتسب» (٢/ ٥٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٤٧)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٦٣). قراءة العشرة ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ برفع كلمة يوم ورواية النصب عن أبي عمرو وحفص شاذة.

وقرأ الباقون بالرفع[١] على أَنَّه خبر موعدكم، وإنما جعل الميعاد زماناً بعد أن طلب منه فرعون أن يكون مكاناً سُوى؛ لأن يوم الزينة يدلّ على مكان مشهور يجتمع فيه الناس ذلك اليوم، أو على تقدير مضاف محذوف؛ أي: موعدكم مكان يوم الزينة ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ معطوف على ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ فيكون في محل رفع، أو على ﴿ٱلزِّينَةِ﴾ فيكون في محل جرّ، يعني: ضحى ذلك اليوم، والمراد بالناس: أهل مصر.

والمعنى: يُحْشرون إلى العيد وقت الضحى، وينظرون في أمر موسى وفرعون.

قال الفراء[٢]: المعنى: إذا رأيت الناس يحشرون من كل ناحية [٣/٢٣٣] ضحى، فذلك الموعد.

قال[٣]: وجرت عادتُهم بحشر الناس في ذلك اليوم. والضحى قال الجوهري[٤]: ضَحْوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى، وهو حين تشرق الشمس، وخص الضحى؛ لأنه أوّل النهار، فإذا امتدّ الأمر بينهما كان في النهار متسع.

وقرأ ابن مسعود والجحدري (وأَنْ يَحْشُر) على البناء[٥] للفاعل؛ أي: وأن يحشر اللهُ النّاسَ ضحى.

وروي عَنْ الجحدري أنه قرأ (وأن نَحْشُر) بالنون[٦] وقرأ بعض القرّاء بالتاء[٧] الفوقية؛ أي: وأن تحشر أنت يا فرعون.

وقرأ الباقون بالتحتية[٨] على البناء للمفعول.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[٩] عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ قال: يعجل ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ قال: يعتدي.

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٣٤٧)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٦٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٨٥).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٣). (٣) قاله الفراء في المصدر المتقدم.
(٤) في «الصحاح» (٦/ ٢٤٠٦).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص٨٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٤٨)، و«المحتسب» (٢/ ٥٤)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٦٤). وهي قراءة شاذة.
(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٣٤٨)، و«القراءات الشاذة» (ص٨٨)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٦٤). وهي قراءة شاذة.
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.
(٨) «البحر المحيط» (٧/ ٣٤٨)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٦٤)، و«زاد المسير» (٥/ ٢٩٤)، و«التبيان» (٢/ ٨٩٤). وهي قراءة العشرة.
(٩) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٤).

وأخرج ابن المنذر[١] عن ابن جريج في قوله: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ قال: أسمع ما يقول وأرى ما يجاوبكما به، فأوحي إليكما فتجاوبانه.

وأخرج ابنُ أبي شيبة، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود[٢] قال: لما بعث الله موسى إلى فرعون قال: ربّ أي شيء أقول؟ قال: قل أهيا شراهيا.

قال الأعشى: تفسير ذلك الحيّ قبل كلِّ شيء، والحيّ بعد كل شيء. وجوّد السيوطي[٣] إسناده، وسبقه إلى تجويد إسناده ابن كثير[٤] في «تفسيره».

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ قال: كذّب بكتاب الله، وتولّى عن طاعة الله.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[٥]، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ قال: خلق لكل شيء زوجه ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ قال: هداه لمَنْكحه ومَطْعمه ومَشْربه ومَسْكنه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٧] في قوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ قال: لا يُخْطئ.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٨] في قوله: ﴿نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ قال: مختلف.

وفي قوله[٩]: ﴿لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾ قال: لأولي التُّقى.

وأخرج ابن المنذر[١٠] عنه ﴿لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾ قال: لأولي الحِجَا والعقل.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٧٧) عن ابن جريج بسند ضعيف.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٣٩٦) بسند ضعيف، أبو عُبيدة لم يسمع من عبد الله ﷺ.
(٣) في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٠). (٤) في «تفسيره» (٩/ ٣٤١).
(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٧٨) عن قتادة بسند صحيح.
(٦) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٣٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٧٩ ـ ٨٠) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٨٣) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٨٦) بسند صحيح.
(٩) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٦).
(١٠) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٣).

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن عطاء الخراساني[١] قال: إن المَلَكَ ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يُدفن فيه، فَيذُرّه على النطفة، فيُخلَق من التراب ومن النطفة، وذلك قوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾.

وأخرج أحمد، والحاكم عن أبي أُمامة[٢] قال: لما وضُعت أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ في القبر قال رسول الله ﷺ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾، «بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله». وفي حديث في السنن: «أنه أخذ قبضة مِنْ التراب فألقاها في القبر وقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾، ثم أخرى وقال: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، ثم أخرى وقال: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ قال: يوم عاشوراء.

وأخرج ابن المنذر[٤] عن ابن عمرو نحوه.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾.

قوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾؛ أي: انصرف من ذلك المقام ليهيئ ما يحتاج إليه مما

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٤).
(٢) أخرجه أحمد رقم (٢٢١٨٧)، والحاكم (٢/ ٣٧٩) بسند ضعيف جداً.
(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٤).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٤).

تواعدا عليه؛ وقيل: معنى تولّى: أعرض عَنْ الحق، والأوّل أولى ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾؛ أي: جمع ما يكيد به مِنْ سحره وحيلته، والمراد: أَنَّه جمع السحرة، قيل: كانوا اثنين وسبعين[(١)]، وقيل: أربعمائة؛ وقيل: اثنا عشر ألفاً.

وقيل: أربعةَ عشر ألفاً، وقال ابنُ المنكدر: كانوا ثمانين ألفاً. ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾؛ أي: أتى الموعد الذي تواعدا إليه مع جمعه الذي جمعه، وجملة ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ مستأنفة جواب سؤال مُقدّر ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ دعا عليهم بالويل، ونهاهم عن افتراء الكذب.

قال الزجّاج[(٢)]: هو منصوبٌ بمحذوف.

والتقدير: ألزمهم الله ويلاً. قال[(٣)]: ويجوز أن يكون نداء كقوله: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يٓس: ٥٢]. ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ﴾ السَحْت[(٤)]: الاستئصال، يقال: سحتَ وأسحتَ بمعنى، وأصله استقصاء الشَّعَر.

وقرأ الكوفيون إلا شعبة (فيُسْحِتَكم) بضم[(٥)] حرف المضارعة من أَسْحتَ، وهي لغة بني تميم، وقرأ الباقون بفتحه[(٦)] من سَحتَ، وهي لغة الحجاز وانتصابه على أنَّه جواب للنهي ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾؛ أي: خَسِرَ وهَلَك.

والمعنى: قد خَسِرَ من افترى على الله أيّ كذبٍ كان ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: السحرة لما سمعوا كلام موسى تناظروا وتشاوروا وتجاذبوا أطراف الكلام في ذلك ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾؛ أي: من موسى، وكانت نجواهم هي قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ وقيل: إنّهم تناجوا فيما بينهم فقالوا: إن كان ما جاء به موسى سحراً فسنغلبه، وإنْ كان من عند الله فسيكون له أمر؛ وقيل: الذي أسرّوه: أنه إذا غلبهم اتبعوه قاله الفرّاء[(٧)] والزجاج[(٨)]؛ وقيل: الذي أسرّوه: أنهم لما سمعوا قول موسى:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٨٧)، و«الوسيط للواحدي» (٣/ ٢١١).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٦١).
(٣) أي: الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٦٠).
(٤) «تهذيب اللغة» (٤/ ٢٨٤)، و«الصحاح» (١/ ٢٥٢).
(٥) «التيسير» (ص١٥١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٤٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٨٨)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٦٥).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٤).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٦١).

ويلكم لا تفتروا على الله، قالوا: ما هذا بقول ساحر. والنّجوى: المناجاة يكون اسماً ومصدراً.

قرأ أبو عَمْرو «إنّ هٰذين لساحران» بتشديد[1] الحرف الداخل على الجملة وبالياء في اسم الإشارة على إعمال إنّ عملها المعروف، وهو نصب الاسم ورفع الخبر، ورويت هذه القراءة عن عثمان، وعائشة وغيرهما من الصحابة، وبها قرأ الحسن، وسعيد بن جبير، والنخعي وغيرهم من التابعين، وبها قرأ عاصم الجَحْدري، وعيسى بن عُمر كما حكاه النحاس[2]، وهذه القراءة موافقة للإعراب الظاهر مخالفة لرسم المصحف فإنّه مكتوب بالألف.

وقرأ الزُهري، والخليل بن أحمد، والمفضّل، وأبان، وابن محيصن، وابن كثير، وعاصم في رواية حفص عنه (إنْ هذان) بتخفيف[3] إنْ على أنها نافية، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف وللإعراب، وقرأ ابنُ كثير مثل قراءتهم إلا أنه يشدّد النون[4] من هذانِّ.

وقرأ المدنيون والكوفيون وابنُ عامر (إنّ هذان) بتشديد[5] إنّ وبالألف، فوافقوا الرسم وخالفوا الإعراب الظاهر.

وقد تكلّم جماعة مِنْ أهل العلم في توجيه قراءة المدنيين والكوفيين وابن عامر، وقد استوفى ذكر ذلك ابن الأنباري[6] والنحاس[7]، فقيل: إنها لغة بني الحارث بن كعب، وخثعم وكنانة يجعلون رفع المثنى ونصبه وجره بالألف، ومنه قول الشاعر[8]:

فأطرق إطراقَ الشُّجاع ولو يرى   مساغاً لِنَاباه الشجاعُ لصمّمَا

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٣٤٩)، و«التيسير» (ص١٥١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٨٩).
(٢) في «إعراب القرآن» للنحاس (٤٣١٣).   (٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «التيسير» (ص١٥١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٥٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٨٩).
(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٣٥٠)، و«النشر» (٢/ ٣٢١)، و«التيسير» (ص١٥١)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٦٧). هي أربع قراءات متواترة ومع المدنيين قرأ يعقوب بتشديد (إنَّ) والألف وبقية القراءات كما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى.
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٩٠).   (٧) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٤ ـ ٤٦).
(٨) للضبعي «الأصمعيات» (ص٢٤٦)، و«الشعر والشعراء» (١/ ١٨٠).

وقول الآخر[١]:

تـزوّدَ مـنـا بـيـن أذنـاه ضَـرْبـةً[٢]

وقول الآخر[٣]:

إنَّ أبــاهــا وأبــا أبــاهــا   قـد بـلـغـا فـي الـمـجـدِ غـايـتـاهـا

ومما يؤيد هذا تصريح سيبويه، والأخفش، وأبي زيد، والكسائي، والفراء[٤]: إن هذه القراءة على لغة بني الحارث بن كعب.

وحكى أبو عبيدة[٥] عن أبي الخطّاب أنها لغة بني كنانة، وحكى غيره أنها لغة خَثْعم[٦]. وقيل: إن «إنّ» بمعنى «نَعْم» ها هنا كما حكاه الكسائي عن عاصم، وكذا حكاه سيبويه[٧].

قال النحاس[٨]: رأيت الزجاج[٩] والأخفش يذهبان إليه، فيكون التقدير: نعم هذان لساحران، ومنه قول الشاعر[١٠]:

لـيـت شـعـري هـل لـلـمـحـبِّ شِـفـاءٌ   مِـنْ جَـوى حُـبِّـهـنّ إنّ الـلـقـاءُ

أي: نعم اللقاء.

قال الزجاج[١١]: والمعنى في الآية: أن هذا لهما ساحران، ثم حذف المبتدأ وهو هما.

وأنكره أبو علي الفارسي[١٢] وأبو الفتح بن جنّي[١٣]؛ وقيل: إن الألف في هذا مُشبهة بالألف في يفعلان فلم تُغيّر؛ وقيل: إن الهاء مقدّرة؛ أي: إنه هذان لساحران حكاه الزجاج[١١] عن قدماء النحويين، وكذا حكاه ابن الأنباري[١٤].

---

(١) نسبه القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٩١) لرجل من بني أسد.
وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٤).

(٢) وعجز البيت:
دعـتـه إلـى هـابـي الـتُّـرابِ عـقـيـم

(٣) هو لأبي النجم العجلي. انظر: «ديوانه» (ص٢٢٧).

(٤) «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٤).

(٥) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢١).

(٦) قاله قطرب: كما في «تفسير الرازي» (٢٢/ ٧٥).

(٧) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٦ - ٤٧).

(٨) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٦ - ٤٧).

(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٦٢).

(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٩٤).

(١١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٦٣).

(١٢) في «الحجة» (٥/ ٢٣٠).

(١٣) في «سر صناعة الإعراب» (١/ ٣٨٠).

(١٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٩٥).

وقال ابنُ كيسان[(١)]: إنه لما كان يقال هذا بالألف في الرفع والنصب والجرّ على حال واحدة، وكانت التثنية لا تغير الواحد أُجريت التثنية مجرى الواحد فثبت الألف في الرفع والنصب والجر، فهذه أقوال تتضمن توجيه هذه القراءة توجه تَصحُّ به وتخرج به عن الخطأ، وبذلك يندفع ما روي عن عثمان وعائشة أنه غلط من الكاتب للمصحف[(٢)].

﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ وهي أرض مصر ﴿بِسِحْرِهِمَا﴾ الذي أظهراه ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ قال الكسائي: بطريقتكم: بسُنَّتكم، [٣/٢٣٤] والمُثْلى: نعت كقولك: امرأة كُبْرى، تقول العرب: فلان على الطريقة المُثْلى، يعنون على الهدى المستقيم[(٣)].

قال الفرّاء[(٤)]: العرب تقول: هؤلاءِ طريقة قومهم، وطرائق قومهم لأشرافهم، والمُثْلى، تأنيث الأمْثل، وهو الأفْضل، يقال: فلان أمثل قومه؛ أي: أفضلهم، وهم الأماثل.

والمعنى: أنهما إنْ يغلبا بسحرهما مال إليهما السادةُ والأشرافُ منكم، أو يذهبا بمذهبكم الذي هو أمثل المذاهب ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ﴾ الإجماع: الإحْكام، والعزم على الشيء قاله الفراء[(٥)]. تقول: أجمعتُ على الخروج مثل أزمعتُ.

وقال الزجاج[(٦)]: معناه: ليكن عزمُكم كلكم كالكيد مُجْمعاً عليه، وقد اتفق القرّاء على قطع الهمزة في أجمعوا إلا أبا عمرو[(٧)]، فإنّه قرأ بوصلها وفتح الميم من الجمع.

قال النحاس[(٨)]: وفيما حكي لي عن محمد بن يزيد المبرِّد أنه قال: يجب على أبي عمرو أَنْ يقرأ بخلاف هذه القراءة، وهي القراءة التي عليها أكثر الناس.

﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾؛ أي: مصطفين مجتمعين ليكون أنظمَ لأمورهم، وأشد لهيبتهم، وهذا قول جمهور المفسرين[(٩)].

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٦). (٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٧).
(٣) «جامع البيان» (١٦/ ١٠٢ ـ ١٠٤)، و«النكت والعيون» (٣/ ٤١٢).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٥). (٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٥).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٦٥).
(٧) «التيسير» (ص١٥٢)، و«النشر» (٢/ ٣٢١). وهي قراءة متواترة.
(٨) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٧).
(٩) «جامع البيان» (١٦/ ١٠٤ ـ ١٠٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٥١)، و«النشر» (٢/ ٣٢١).

وقال أبو عبيدة[١]: الصف: موضع المجمع، ويسمى المُصلَّى: الصف.

قال الزجاج[٢]: وعلى هذا معناه: ثم ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم، يقال: أتيت الصف بمعنى: أتيت المُصلّى، فعلى التفسير الأول يكون انتصاب ﴿صَفًّا﴾ على الحال، وعلى تفسير أبي عبيدة يكون انتصابه على المفعولية.

قال الزجاج[٣]: يجوز أن يكون المعنى: ثم ائتوا والناس مُصطفّون، فيكون على هذا مصدراً في موضع الحال، ولذلك لم يُجْمع، وقرئ بكسر الهمزة[٤] بعدها ياء، ومن ترك الهمزة أبدل منها ألفاً.

﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾؛ أي: مَنْ غلبَ، يقال: استعلى عليه: إذا غلبه، وهذا كله من قول السحرة بعضهم لبعض؛ وقيل: من قول فرعون لهم.

وجملة ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ مستأنفة جواباً لسؤال مُقدّر، كأنه قيل: فماذا فعلوا بعدما قالوا فيما بينهم ما قالوا؟ فقيل: قالوا: يا موسى إما أن تلقي، (وإن) مع ما في حيزها في محل نصب[٥] بفعل مضمر؛ أي: اختر إلقاءك أولاً أو إلقاءنا، ويجوز أن تكون في محل رفع على أنها وما بعدها خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر إلقاؤك، أو إلقاؤنا، ومفعول تلقي محذوف، والتقدير: إما أن تلقي ما تلقيه أوّلاً ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ﴾ نحن ﴿أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ ما يلقيه، أو أوّل من يفعل الإلقاء[٦].

والمراد: إلقاء العصيّ على الأرض، وكانت السحرة معهم عصيّ، وكان موسى قد ألقى عصاه يوم دخل على فرعون، فلما أراد السحرة معارضته قالوا له هذا القول، فـ﴿قَالَ﴾ لهم موسى: ﴿بَلْ أَلْقُوا۟ۖ﴾ أمرهم بالإلقاء أوّلاً لتكون معجزته أظهر إذا ألقوا هم ما معهم ثم يلقي هو عصاه فتبتلع ذلك، وإظهاراً لعدم المبالاة بسحرهم ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ في الكلام حذف.

والتقدير: فألقوا فإذا حبالهم، والفاء فصيحة، وإذا للمفاجأة[٧] أو ظرفية.

---

(١) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٣).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٦٥).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٦٥).
(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٣٥١)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٧٧).
(٥) انظر: «التبيان» (٢/ ٨٨٧)، و«الفريد» (٣/ ٤٤٦).
(٦) «روح المعاني» (١٦/ ٣٧٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٩٩).
(٧) «البحر المحيط» (٧/ ٣٥٤)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٨٠)، و«الفريد» (٣/ ٤٤٦).

والمعنى: فألقوا ففاجأ موسى وقت أن ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ سعي حبالهم وعصيهم، وقرأ الحسن (عُصيهم) بضم العين[١] وهي لغة بني تميم، وقرأ الباقون بكسرها[٢] اتباعاً لكسرة الصاد.

وقرأ ابن عباس، وابن ذكوان، وروح، عن يعقوب (تُخيَّل) بالمثناة[٣]؛ لأن العصيّ والحبال مؤنثة، وذلك أنهم لطخوها بالزئبق، فلما أصابها حرّ الشمس ارتعشت واهتزّت.

وقرئ (نُخيل) بالنون[٤] على أن الله سبحانه هو المُخيِّل لذلك، وقرئ (يَخيّلُ) بالياء التحتية[٥] مبنيّاً للفاعل على أن المخيل هو الكيد، وقيل: المخيل هو أنها تسعى، فأن في موضع رفع؛ أي: يخيل إليه سعيُها، ذكر معناه الزجاج[٦].

وقال الفراء[٧]: إنها في موضع نصب؛ أي: بأنّها ثم حذف الباء.

قال الزجاج[٨]: ومن قرأ بالتاء يعني: الفوقية جعل أنّ في موضع نصب؛ أي: تخيل إليه ذات سعي. قال: ويجوز أن يكون في موضع رفع بدلاً من الضمير في تخيل، وهو عائد على الحبال والعِصيّ، والبدل فيه بدل اشتمال، يقال: خيل إليه إذا شبه له وأدخل عليه التُهْمة والشبهة ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾؛ أي: أحسّ.

وقيل: وجد؛ وقيل: أضمر؛ وقيل: خاف، وذلك لما يعرض من الطباع البشرية عند مشاهدة ما يخشى منه؛ وقيل: خاف أَنْ يفتتن الناسُ قبل أن يُلْقي عصاه؛ وقيل: إنّ سبب خوفه هو أن سحرهم كان من جنس ما أراهم في العصا،

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٣٥٤)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٨٠)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ٨٥ ـ ٨٦)، و«النشر» (٢/ ٣٢١).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. قرأ ذكوان وروح (تُخيَل) بالفوقية والبناء للمفعول، وقرأ باقي العشرة (يُخيل) بالتحتية والبناء للمفعول وهما قراءتان متواترتان، وأمّا (نُخيل) و(يخيل) مبنياً للفاعل فشاذتان.

(٣) «التبيان» (٢/ ٨٩٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٥٤).

(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٣٥٥)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٨٣).

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٣٥٥)، و«التيسير» (ص١٥٣)، و«جامع البيان» (١٦/ ١١٠)، و«النشر» (٢/ ٣٢١).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٦٦).

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٦).

(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٦٦).

فخاف أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا، فأذهب الله سبحانه ما حصل معه من الخوف بما بشّره به بقوله: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: المُسْتعلي عليهم بالظَفَر والغلبة، والجملة تعليل للنهي عن الخوف ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ يعني: العصا، وإنما أبهمها تعظيماً[١] وتفخيماً، وجزم ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟﴾ على أنه جواب الأمر، قُرئ بتشديد القاف[٢]، والأصل: تتلقف فحذف إحدى التاءين، وقرئ «تلِقف» بكسر اللام [٣]من لقفه إذا ابتلعه بسرعة، وقرئ (تلقفُ) بالرفع[٤] على تقدير فإنها تتلقف، ومعنى ﴿مَا صَنَعُوٓا۟﴾ الذي صنعوه من الحبال والعصيّ.

قال الزجاج[٥]: القراءة بالجزم جواب الأمر، ويجوز الرفع على معنى الحال. كأنه قال: ألقها متلقفةً، وجملة ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ تعليل لقوله: ﴿تَلْقَفْ﴾، وارتفاع كيدُ على أنَّه خبر[٦] لإن، وهي قراءة الكوفيين[٧] إلا عاصماً. وقرأ هؤلاء ﴿سِحْرٌ﴾ بكسر السين[٨] وسكون الحاء، وإضافة الكيد إلى السحر على الاتساع من غير تقدير، أو بتقدير ذي سحر.

وقرأ الباقون[٩] (كيد ساحر) ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾؛ أي: لا يفلح جنس الساحر حيث أتى وأين توجه، وهذا من تمام التعليل ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾؛ أي:

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ٣٨٥)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٢٢).
(٢) «النشر» (٢/ ٣٢١)، و«التيسير» (ص١١٢، ١١٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٥٦).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة، قرأ حفص عن عاصم (تلْقَفْ) بسكون اللاّم وفتح القاف مجزوماً، وقرأ ابن دكوان (تلَقَّفُ) بفتح اللّام وفتح القاف المشدَّدة ورفع الفاء، وقرأ الباقي مثل قراءة ابن زكوان، لكن مع جزم الفعل أي: تسكين الفاء، والبزيّ يُشدّد التاء وصلاً. وأما القراءة بكسر اللّام فشاذة «النشر» (٢/ ٢٤١).
(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٣٥٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٠١)، و«التيسير» (ص١٥٢)، و«زاد المسير» (٥/ ٣٠٦).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٦٧).
(٦) «جامع البيان» (١٦/ ١١١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٥٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٠٢).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.
(٨) «جامع البيان» (١٦/ ١١١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٥١)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٨٨)، و«النشر» (٢/ ٣٢١). قرأ الكوفيون الأعاصم (سِحْر) بكسر السين وسكون الحاء وقرأ الباقون ومعهم عاصم (كيد ساحر) على وزن فاعل، والعشرة يقرءون (كيدُ) بالرفع.
(٩) انظر: المصادر المتقدمة.

فألقي ذلك الأمر الذي شاهدوه من موسى والعصا السحرةَ سجداً لله تعالى، وقد مرّ تحقيق هذا في سورة الأعراف.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ إنما قدّم هارون على موسى في حكاية كلامهم رعاية لفواصل الآية وعناية بتوافق رؤوسها.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ قال: يهلككم.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة(٢) ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ قال: يستأصلكم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن أبي صالح(٣) قال: فيذبحكم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عليّ(٤) ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ قال: يصرفا وجوه الناس إليهما.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(٥) في الآية قال: يقول: أمثلكم، وهم بنو إسرائيل.

وأخرج عبد بن حميد، وعبد الرزاق في قوله: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ ما يأفكون، عن قتادة(٦) قال: ألقاها موسى فتحوّلت حية تأكل حبالهم وما صنعوا.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن عكرمة(٧) أن سحرة فرعون كانوا تسعمائة، فقالوا لفرعون: إنْ يكن هذان ساحران فإنا نغلبهما فإنه لا أسحر منا، وإن كانا من ربّ العالمين فإنه لا طاقة لنا بربّ العالمين، فلما كان من أمرهم أن خرّوا سجداً أراهم الله في سجودهم منازلهم التي إليها يصيرون فعندها ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [طه: ٧٢] إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣].

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٨٦).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٩٤) عن ابن عباس بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٩٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٨) عن قتادة بسند صحيح.

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٢١٧).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٢١٧).

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٢١٨).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٠٢) عن ابن عباس بسند صحيح. وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٩) بسند صحيح.

(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧).

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم
مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا
جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ (٧٢) إِنَّآ ءَامَنَّا
بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ (٧٣) إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ
ٱلْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ (٧٦)﴾.

قوله: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ يقال: آمن له وآمن به، فمن الأوّل قوله: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، ومن الثاني، قوله في الأعراف: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣]. وقيل: إنّ الفعل هنا متضمّن معنى الاتباع. وقرئ على الاستفهام[١] التوبيخي؛ أي: كيف آمنتم به من غير إذنٍ منّي لكم بذلك؟ ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾؛ أي: إن موسى لكبيركم؛ أي: أسحركم وأعلاكم [٣/٢٣٥] درجة في صناعة السحر، أو معلّمكم وأستاذكم كما يدلّ عليه قوله: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ قال الكسائي: الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه قال: جئت من عند كبيري.

وقال محمد بن إسحاق[٢]: إنه لعظيم السحر.

قال الواحدي[٣]: والكبير في اللغة: الرئيس، ولهذا يقال للمعلم: الكبير.

أراد فرعون بهذا القول أنْ يُدخل الشبهة[٤] على الناس حتى لا يؤمنوا، وإلا فقد علم أنّهم لم يتعلموا من موسى، ولا كان رئيساً لهم، ولا بينه وبينهم مواصلة ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾؛ أي: واللهِ لأفعلنّ بكم ذلك، والتقطيع للأيدي والأرجل من خلاف هو: قطعُ اليد اليمنى والرجل اليسرى، و«مِنْ» للابتداء ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾؛ أي: على جذوعها كقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور: ٣٨]؛

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ٣٩٠)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٢٣)، و«مجمع البيان» (١٦/ ١٢٣)، قرأ بالإخبار عَنْ ورش وقنبل في وجه عنه، وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب وباقي العشرة بالاستفهام.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢١٤). (٣) في «الوسيط» (٣/ ٢١٤).

(٤) «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٤٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٠٣).

أي: عليه، ومنه قول سُويد بن أبي كاهل[(١)]:

هُمُ صلبوا العبديَّ في جذعِ نخلةٍ   فلا عطَستْ شيبانُ إلا بأجْدَعا

وإنما آثر كلمة ﴿فِي﴾ للدلالة على استقرارهم عليها كاستقرار المظروف في الظرف ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ أراد لتعلمنّ هل أنا أشدُّ عذاباً لكم أم موسى؟ ومعنى أبقى: أدْوم، وهو يريد بكلامه هذا الاستهزاء[(٢)] بموسى؛ لأنّ موسى لم يكن من التعذيب في شيء، ويمكن أن يريد العذاب الذي توعدهم به موسى إن لم يؤمنوا.

وقيل: أراد بموسى ربّ موسى على حذف المضاف. ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: لن نختارك على ما جاءنا به موسى من البينات الواضحة من عند الله سبحانه كاليد والعصا، وقيل: إنهم أرادوا بالبينات ما رأوه في سجودهم من المنازل المعدّة لهم في الجنة.

﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ معطوف على ما جاءنا؛ أي: لن نختارك على ما جاءنا به موسى من البينات، وعلى الذي فطرنا؛ أي: خلقنا، وقيل: هو قَسَمٌ؛ أي: والله الذي فطرنا لن نؤثرك، أو لا نؤثرك، وهذان الوجهان في تفسير الآية ذكرهما الفرّاء[(٣)] والزجاج[(٤)] ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ هذا جواب منهم لفرعون لما قال لهم: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾ [الأعراف: ١٢٤] إلخ.

والمعنى: فاصنع ما أنت صانع، واحكمْ ما أنت حاكم، والتقدير: ما أنت صانعُه. ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾؛ أي: إنما سلطانُك علينا ونفوذ أمرك فينا في هذه الدنيا ولا سبيل لك علينا فيما بعدها، فاسم الإشارة في محل نصب[(٥)] على الظرفية أو على المفعولية و«ما» كافة[(٦)]، وأجاز الفراء[(٧)] الرفع على أن تجعل ما

---

(١) ذكره الشجري في «أماليه» (٢/ ٦٠٦).

(٢) قال الألوسي في «روح المعاني» (١٦/ ٣٩١): للدلالة على إبقائهم عليها زماناً مديداً، وتشبيهاً لاستمرارهم عليها باستقرار الظرف في المظروف المشتمل عليه.
وانظر: «تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٢٤).

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٧).   (٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٦٨).

(٥) «التبيان» (٢/ ٨٩٧)، و«الفريد» (٣/ ٤٤٩)، و«روح المعاني» (١٦/ ٣٩٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٥٩).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٧).

بمعنى الذي؛ أي: أن الذي تقضيه هذه الحياة الدنيا فقضاؤُك وحكمُك منحصرٌ في ذلك ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ التي سَلَفت منّا من الكفر وغيره ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ معطوف على خطايانا؛ أي: ويغفر لنا الذي أكرهتنا عليه من عمل السحر في معارضة موسى، فما في محل نصب[١] على المفعولية.

وقيل: هي نافية، قال النحاس[٢]: والأوّل أولى. قيل: ويجوز أن يكون في محل رفع بالابتداء والخبر مقدّر؛ أي: وما أكرهتنا عليه من السحر موضوع عنا ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾؛ أي: خير منك ثواباً، وأبقى منك عقاباً، وهذا جواب قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ المجرم هو: المُتَلبّس بالكفر والمعاصي، ومعنى لا يموت فيها ولا يحيى: أنه لا يموت فيستريح[٣] ولا يحيى حياة تنفعه.

قال المبرِّد: لا يموت ميتة مريحة، ولا يحيا حياة ممتعة، فهو يألم كما يألم الحي ويبلغ به حال الموت في المكروه إلّا أنه لا يبطل فيها عن إحساس الألم، والعرب تقول: فلان لا حيّ ولا ميت، إذا كان غير منتفع بحياته، وأنشد ابن الأنباري[٤] في مثل هذا:

ألا مَنْ لنفسٍ لا تموت فينقضي ... شقاها ولا تحيا حياة لها طَعْمُ

وهذه الآية من جملة ما حكاه الله سبحانه من قول السحرة؛ وقيل: هو ابتداء كلام، والضمير[٥] في «إنه» على هذا الوجه للشأن ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: ومَنْ يأت ربه مصدّقاً به قد عمل الصالحات؛ أي: الطاعات، والموصوف محذوف.

والتقدير: الأعمال الصالحات، وجملة ﴿قَدْ عَمِلَ﴾ في محل نصب على الحال وهكذا ﴿مُؤْمِنًا﴾ منتصب على الحال، والإشارة بـ «أُوْلئكَ» إلى (مَنْ) باعتبار معناه

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٣٥٩)، و«التبيان» (٢/ ٨٩٧)، و«الفريد» (٣/ ٤٤٩)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٧٣).

(٢) في «إعراب القرآن» (٣/ ٥٠).

(٣) «الوسيط» للواحدي (٣/ ٢١٥).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤١٥)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢١٥).

(٥) «روح المعاني» (١٦/ ٣٩٦)، و«التبيان» (٢/ ٨٩٨)، و«الفريد» (٣/ ٤٥٠).

﴿لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾؛ أي: المنازل الرفيعة التي قَصُرتْ دونها الصفات ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بيان للدرجات أو بدل منها، والعَدْنُ: الإقامة وقد تقدّم بيانه.

وجملة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ حال[1] من الجنات؛ لأنها مضافة إلى عدن، وعدن علَمٌ للإقامة كما سبق، وانتصاب ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ على الحال من ضمير الجماعة في لهم؛ أي: ماكثين دائمين، ﴿وَ﴾ الإشارة بـ﴿ذلك﴾ إلى ما تقدّم لهم من الأجر، وهو مبتدأ، و﴿جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ خبره؛ أي: جزاء مَنْ تطهر مِنْ الكفر والمعاصي الموجبة للنار.

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس[2] في قوله: ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ﴾ قال: أخذ فرعون أربعين غلاماً من بني إسرائيل، فأمر أن يُعلَّموا السحر بالفَرَما، قال: علموهم تعليماً لا يغلبهم أحد في الأرض.

قال ابن عباس: فهم من الذين آمنوا بموسى، وهم الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ﴾.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي[3] في قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ قال: خير منك إن أُطِيعَ وأبقى منك عذاباً إنْ عُصِيَ.

وأخرج أحمد، ومسلم، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي سعيد[4] أن رسول الله ﷺ خطب فأتى على هذه الآية ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «أمَّا أهلها الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يَحْيون، وأمَّا الذين ليسوا بأهلها فإنّ النار تُميتهم إماتةً، ثم يقوم الشفعاء فيشفعون، فيؤتى بهم ضَبَائر على نهر يقال له: الحياةُ أو الحيوان، فينبتُون كما ينبت الغثاء في حَميل السيْل».

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ٣٩٦).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٨).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١١٨) بسند حسن من طريق نعيم بن حمَّاد، به.

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٥).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١١٨ ـ ١١٩) بسند ضعيف، فيه الحسين وهو ابن داود وهو ضعيف. وفيه أبو معشر وهو السندي. وهو ضعيف أيضاً.

(٤) أخرجه أحمد رقم (١١٠٧٧)، ومسلم رقم (١٨٥).

وأخرج أبو داود، وابن مردويه عن أبي سعيد[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الدرجات العلى ليراهم مَنْ تحتهم كما ترون الكوكب الدُّريّ في أُفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنْعَما».

وفي «الصحيحين»[٢] بلفظ: «إن أهل عليين ليرون مَنْ فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء».

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا
وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا
هَدَىٰ (٧٩) يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰ (٨٠) كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ
غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ (٨١) وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ (٨٢) وَمَآ أَعْجَلَكَ
عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا
قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ
يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ
فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى (٨٦) قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا
فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ
فَنَسِىَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ
هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى (٩٠) قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ
عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١)﴾.

هذا شروعٌ في إنجاء بني إسرائيل وإهلاك عدوّهم، وقد تقدّم في «البقرة»، وفي «الأعراف»، وفي «يونس»، واللّام في (لقد) هي الموطئة للقَسَم، وفي ذلك من التأكيد ما لا يخفى.

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٣٩٨٧) وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٢٥٦)، ومسلم رقم (١٠، ١١/٢٨٣١).

و﴿أَنْ﴾ في ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ إما المفسِّرة؛ لأنَّ في الوحي معنى «القول»، أو مصدرية؛ أي: بأن أسر؛ أي: أسر بهم من مصر.

وقد تقدّم هذا مستوفى.

﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾؛ أي: اجعلْ لهم طريقاً، ومعنى يبساً: يابساً وصف به الفاعل مبالغة، وذلك أن الله تعالى أيبس لهم تلك الطريق حتى لم يكن فيها ماء ولا طين. وقُرئ (يبْسا)[1] بسكون الباء على أنه مخفف مِنْ يَبَسَا المحرك، أو وجمع يابس كصَحْب في صاحب.

وجملة ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا﴾ في محل نصب[2] على الحال؛ أي: آمنا من أنْ يدرككم العدوّ، أو صفة أخرى لطريق، والدَرَك: اللحاق بهم من فرعون وجنوده.

وقرأ حمزة (لا تَخَفْ)[3] على أنه جواب الأمر، والتقدير: إنْ تضربْ لا تَخَفْ، ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ على هذه القراءة مستأنف؛ أي: ولا أنت تخشى من فرعون أو من البحر.

وقرأ الجمهور (لا تَخَاف)[4] وهي أرجح لعدم الجزم في تخشى، ويجوز أن تكون هذه الجملة على قراءة الجمهور صفة أخرى لطريق؛ أي: لا تخاف منه ولا تخشى منه.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ أتبع هنا مطاوع تَبَع، يقال: أتبعتهم [٢/٢٣٦] إذا تبعتهم، وذلك إذا سبقوك فلحقتهم، فالمعنى: تَبَعَهم فرعون ومعه جنودُه، وقيل: الباء زائدة والأصل اتبعهم جنوده؛ أي: أمرهم أن يتبعوا موسى وقومه، وقرئ (فاتبَّعهم) بالتشديد[5]؛ أي: لحقهم بجنوده وهو معهم كما يقال: ركب الأمير

(١) «القراءات الشاذة» (ص٨٨)، و«البحر المحيط» (٧/٣٢٦). ورويت عن الحسن، وهي قراءة شاذة.

(٢) «روح المعاني» (١٦/٤٠٢)، و«الفريد» (٣/٤٥٢)، و«التبيان» (٢/٨٩٨ ـ ٨٩٩).

(٣) «البحر المحيط» (٧/٣٦٢)، و«روح المعاني» (١٦/٤٠٢)، و«النشر» (٢/٣٢١)، و«التيسير» (ص١٥٢).

(٤) «البحر المحيط» (٧/٣٦٢)، و«جامع البيان» (١٦/١٢٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/١٠٢)، و«التيسير» (ص١٥٢)، و«زاد المسير» (٥/٢١٠)، و«روح المعاني» (١٦/٤٠٢).

(٥) «البحر المحيط» (٧/٣٦٣)، و«زاد المسير» (٥/٣١٠)، و«حاشية الشهاب» (٦/٢١٨). وهي قراءة شاذة.

بسيفه؛ أي: معه سيفه، ومحل (بجنوده) النصب[(١)] على الحال؛ أي: سابقاً جنوده معه ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾؛ أي: علاهم وأصابهم ما علاهم وأصابهم، والتكرير للتعظيم[(٢)] والتهويل كما في قوله: ﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ ـ ٢]. وقيل: غشيهم ما سمعت قصته.

وقال ابن الأنباري[(٣)]: غشيهم البعضُ الذي غشيهم؛ لأنّه لم يغشهم كل ماء البحر؛ بل الذي غشيهم بعضه. فهذه العبارة للدلالة على أن الذي غرقهم بعض الماء، والأوّل أولى لما يدل عليه مِنْ التهويل والتعظيم.

وقرئ «فغشّاهم من اليمّ ما غشّاهم»؛ أي: غطّاهم ما غطاهم ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾؛ أي: أضلهم عن الرشد، وما هداهم إلى طريق النجاة؛ لأنه قدّر أن موسى ومَنْ معه لا يفوتونه؛ لكونهم بين يديه يمشون في طريق يابسة، وبين أيديهم البحر، وفي قوله: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ تأكيد لإضلاله؛ لأن المُضِل قد يرشد من يضله في بعض الأمور ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ ذكر سبحانه ما أنعم به على بني إسرائيل بعد إنجائهم.

والتقدير: قلنا لهم بعد إنجائهم[(٤)]: يا بني إسرائيل، ويجوز أن يكون خطاباً لليهود المعاصرين لنبيِّنا ﷺ؛ لأنّ النعمة على الآباء معدودة من النعم على الأبناء، والمراد بعدوّهم هُنا: فرعون وجنوده، وذلك بإغراقه وإغراق قومه في البحر بمرأى مِنْ بني إسرائيل ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ انتصاب[(٥)] ﴿جَانِبَ﴾ على أنه مفعول به، لا على الظرفية؛ لأنّه مكان معين غير مبهم، وإنما تنتصب الأمكنة على الظرفية إذا كانت مبهمةً. قال مكي[(٦)]: وهذا أصل لا خلاف فيه.

قال النحاس[(٧)]: والمعنى: أمرنا موسى أن يأمركم بالخروج معه لنكلِّمه

---

(١) «التبيان» (٢/ ٨٩٩)، و«الفريد» (٣/ ٤٥٣).
(٢) «روح المعاني» (١٦/ ٤٠٤)، و«تفسيره أبي السعود» (٤/ ٦٢٧).
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢١٦).
(٤) «روح المعاني» (١٦/ ٤٠٦).
(٥) «الفريد» (٣/ ٤٥٤)، و«التبيان» (٢/ ٥٩٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٦٤).
(٦) انظر: «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٧٥).
(٧) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٥١).

بحضرتكم فتسمعوا الكلام، وقيل: وُعِد موسى بعد إغراق فرعون أن يأتي جانب الطور، فالوعد كان لموسى، وإنما خوطبوا به لأنّ الوعد كان لأجلهم.

وقرأ أبو عَمْرو وأبو جعفر ويعقوب: (ووعدناكم) بغير ألف[١]، واختاره أبو عبيد[٢]؛ لأنّ الوعد إنما هو من الله لموسى خاصةً والمواعدة لا تكون إلا من اثنين، وقد قدّمنا في البقرة هذا المعنى، و﴿ٱلْأَيْمَنَ﴾ منصوب[٣] على أنه صفة للجانب، والمراد: يمين الشخص؛ لأنّ الجَبل ليس له يمين ولا شمال، فإذا قيل: خذ عن يمين الجبل بمعناه: عَنْ يمينك من الجبل.

وقُرئ بجرّ[٤] الأيمن على أنّه صفة للمضاف إليه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ قد تقدّم تفسير المنّ بالترنجبين والسلوى بالسّماني وأوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه، وإنزال ذلك عليهم كان في التيه ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾؛ أي: وقلنا لهم: كلوا والمراد بالطيبات: المستلذّات؛ وقيل: الحلال على الخلاف المشهور في ذلك.

وقرأ حمزة، والكسائي، والأعمش: «قد أنجيتُكم من عدوّكم ووعدتُكم جانب الطور كلّوا من طيبات ما رزقتُكم» بتاء المتكلم[٥] في الثلاثة.

وقرأ الباقون بنون[٦] العظمة فيها.

﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ الطغيان التجاوز؛ أي: لا تتجاوزوا ما هو جائز إلى ما لا يجوز؛ وقيل: المعنى: لا تجحدوا نعمةَ الله فتكونوا طاغين؛ وقيل: لا تكفروا النعمةَ ولا تنسوا شُكْرها، وقيل: لا تعصوا المُنْعِم؛ أي: لا تحملنكم[٧] السعة والعافية على المعصية، ولا مانع مِنْ حمل الطغيان على جميع هذه المعاني فإن كل

---

(١) «التيسير» (ص٧٣)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٠٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٦٤)، و«النشر» (٢/ ٣٢٢).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١١٢).

(٣) «روح المعاني» (١٦/ ٤٠٧)، و«الفريد» (٣/ ٤٥٤)، و«التبيان» (٢/ ٥٩٩).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٩٩).

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٣٦٤)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٠٦).

(٦) «جامع البيان» (١٦/ ١٢٤)، و«التيسير» (ص١٥٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٦٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٠٣).

(٧) «النكت والعيون» (٣/ ٤١٦)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٢٥).

واحد منها يصدق عليه أنّه طغيان ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِيٓ﴾ هذا جواب النهي؛ أي: يلزمكم غضبي وينزلْ بكم، وهو مأخوذ من حلول الدَّين؛ أي: حضور وقت أدائه ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ قرأ الأعمش ويحيى بن وثّاب والكسائي (فيحُل) بضم الحاء[(١)]، وكذلك قرؤوا (يحلُل) بضم اللام الأولى، وقرأ الباقون بالكسر[(٢)] فيهما وهما لغتان.

قال الفراء[(٣)]: والكسر أحبُّ إليّ من الضم؛ لأنَّ الضم من الحلول بمعنى الوقوع، ويحِل بالكسر: يجب، وجاء التفسير بالوجوب لا بالوقوع، وذكر نحو هذا أبو عبيدة[(٤)] وغيره.

ومعنى ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ فقد هلَكَ.

قال الزجّاج[(٥)]: ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾؛ أي: صار إلى الهاوية، وهي قَعْر النّار من هَوَى يَهوي هَوِيّاً؛ أي: سقط مِنْ عُلوٍ إلى سُفْل، وهوى فلان؛ أي: مات.

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ أي: لمَنْ تاب مِنْ الذنوب التي أعظمها الشرك بالله، وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعمل عملاً صالحاً مما ندب إليه الشرع وحسّنه ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾؛ أي: استقام على ذلك حتى يموت كذا قال الزجّاج[(٦)] وغيرُه؛ وقيل: لم يشكّ في إيمانه.

وقيل: أقام على السُّنَّة والجماعة، وقيل: تعلّم العلم ليهتدي به؛ وقيل: علم أن لذلك ثواباً وعلى تركه عقاباً، والأوّل أرجح مما بعده.

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ هذا حكاية لما جرى بين الله سبحانه وبين موسى عند موافاته الميقات.

قال المفسِّرون[(٧)]: وكانت المواعدة أَنْ يوافي موسى وجماعة من وجوه قومه،

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٢١)، و«التيسير» (ص١٥٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٦٤)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٢٥ ـ ١٢٦)، و«روح المعاني» (٦/ ٤٠٩).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٨).

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٥٢) عن أبي عبيد.

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٧٠).

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٧٠)، و«النكت والعيون» (٣/ ٤١٧).

(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١١٥ ـ ١١٦)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤١٢ ـ ٤١٣)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٢٩ ـ ١٣٠).

فسار موسى بهم، ثم عجل من بينهم شوقاً إلى ربه، فقال اللهُ له: ما أعجلك؟ أي: ما الذي حملك على العجلة، حتى تركت قومَك، وخرجت مِنْ بينهم؟ فأجاب موسى عَنْ ذلك: ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾؛ أي: هم بالقرب منّي، تابعون لأثرى واصلون بعدي؛ وقيل: لم يرد أَنّهم يسيرون خلفه؛ بل أراد أنهم بالقرب منه ينتظرون عوده إليهم، ثم قال مصرحاً بسبب ما سأله الله عنه فقال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾؛ أي: لترضى عني بمسارعتي إلى امتثال أمرك، أو لتزداد رضاً عني بذلك.

قال أبو حاتم[١]: قال عيسى بن عمر: بنو تميم يقولون: (أولَا) مقصورة، وأهل الحجاز يقولون (أولاءِ) ممدودة[٢].

وقرأ ابن أبي إسحاق، ونصر، ورويس عن يعقوب (على إِثْري) بكسر[٣] الهمزة وإسكان الثاء، وقرأ الباقون بفتحها[٤] وهما لغتان.

ومعنى ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ﴾: عجلت إلى الموضع الذي أمرتني بالمصير إليه لترضى عني، يقال: رجل عَجِلٌ وعَجُول وعَجْلان: بَيّنُ العَجَلة، والعَجَلةُ خلاف البُطء.

وجملةُ ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: فماذا قال الله له؟ فقيل: قال: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾؛ أي: ابتليناهم واختبرناهم وألقيناهم في فتنة ومحنة.

قال ابن الأنباري[٥]: صيّرناهم مفتونين أشقياء بعبادة العجل من بعد انطلاقك من بينهم، وهم الذين خلفهم مع هارون ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾؛ أي: دعاهم إلى الضلالة، وكان من قومٍ يعبدون البقر، فدخل في دين بني إسرائيل في الظاهر وفي قلبه ما فيه من عبادة البقَر، وكان من قبيلة[٦] تعرف بالسَّامرة، وقال لمن معه من بني إسرائيل: إنما تخلّف موسى عن الميعاد الذي بينكم وبينه لما صار معكم من الحليّ،

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١١٧)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٥٣).
(٢) «روح المعاني» (١٦/ ٤١٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧٤/ ١١٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٦٦).
(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧)، و«النشر» (٢/ ٣٢١)، و«زاد المسير» (٥/ ٣١٣)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤١٧).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢١٧).
(٦) ذكره الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٧١).

وهي حرام عليكم، وأمرَهم بإلقائها في النّار، فكان من أمر العجل ما كان ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ﴾ قيل: وكان الرجوع إلى قومه بعد ما استوفى أربعين يوماً: ذا القعدة، وعَشْر ذي الحجة.

والأسِفُ: الشديد الغضب. وقيل: الحزين، وقد مضى في الأعراف بيان هذا مستوفى.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ الاستفهام للإنكار(١) التوبيخي، والوعد الحسن: وعدهم بالجنة إذا أقاموا على طاعته، ووعدهم أن يسمعهم كلامه في التوراة على لسان موسى ليعملوا بما فيها، فيستحقوا ثواب عملهم.

وقيل: وعدهم النصر والظَفَر؛ وقيل: هو قوله: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ الآية. ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ الفاء للعطف على مقدّر؛ أي: أوعدكم ذلك، فطال عليكم الزمان فنسيتم؟!

﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: يلزمكم وينزل بكم، والغضب: العقوبة والنِّقمة، والمعنى: أم أردتم أن تفعلوا فعلاً يكون سبب حلول غضب الله عليكم.

﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [٣/٢٣٧]؛ أي: موعدكم إِيّاي، فالمصدر مضاف إلى المفعول(٢)؛ لأنّهم وعدوه أن يقيموا على طاعة الله ﷻ إلى أن يرجع إليهم من الطور، وقيل: وعدوه أنْ يأتوا على أَثَره إلى الميقات فتوقّفوا، فأجابوه، و﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ﴾ الذي وعدناك ﴿بِمَلْكِنَا﴾ بفتح الميم(٣)، وهي قراءة نافع وأبي جعفر، وعاصم، وعيسى بن عُمر.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر بكسر الميم(٤)، واختار هذه القراءة أبو عُبيد، وأبو حاتم؛ لأنها على اللغة العالية الفصيحة، وهو مصدر مَلَكتُ الشيءَ أملِكُه مِلْكاً، والمصدر مضاف(٥) إلى الفاعل والمفعول محذوف؛ أي: بملكنا أمورنا، أو

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ٤٢٠)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٣٠).
(٢) «روح المعاني» (١٦/ ٤٢١)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٣٠).
(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٣٦٩)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٢٢)، و«النشر» (٢/ ٣٢١)، و«التيسير» (ص١٥٣)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٣٣).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) «الفريد» (٣/ ٤٥٦)، «التبيان» (٢/ ٩٠٠).

بملكنا الصواب؛ بل أخطأنا ولم نملك أنفَسنا، وكنا مضطرين إلى الخطأ.

وقرأ حَمْزة، والكسائي (بمُلْكنا) بضمّ الميم[١]، والمعنى: بسُلطاننا؛ أي: لم يكن لنا مُلك فنُخلفَ موعدَك؛ وقيل: إنّ الفتحَ والكسر والضم في (بملكنا) كلها لغات في مصدر ملكتُ الشيء ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ قرأها نافع، وابنُ كثير، وابن عامر، وحفص وأبو جعفر ورويس (حُمّلنا) بضم الحاء[٢] وتشديد الميم.

وقرأ الباقون بفتح الحاء[٣] والميم مخففة، واختار هذه القراءة أبو عبيد[٤] وأبو حاتم لأنهم حَمَلوا حِلْيَةَ القوم معهم باختيارهم، وما حملوها كرهاً، فإنهم كانوا استعاروها[٥] منهم حين أرادوا الخروج مع موسى، وأوهموهم أنّهم يجتمعون في عيدٍ لهم أو وليمة، وقيل: هو ما أخذوه من آل فرعون لمَّا قذفهم البحر إلى الساحل، وسُميت أوزاراً؛ أي: آثاماً؛ لأنَّه لا يحلّ لهم أخذها، ولا تحل لهم الغنائم في شريعتهم والأوزار في الأصل: الأثقال كما صرح به أهل اللغة[٦]، والمراد بالزينة هنا: الحُليّ ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾؛ أي: طرحناها في النار طلباً للخلاص من إثمها.

وقيل: المعنى: طرحناها إلى السامريّ لتبقى لديه حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾؛ أي: فمثل ذلك القذف ألقاها السامريّ، قيل: إن السامريّ قال لهم حين استبطأ القومُ رجوع موسى: إنما احتبس[٧] عنكم لأجل ما عندكم من الحُليّ، فجمعوه ودفعوه إليه، فرمى به في النّار وصاغ لهم منه عِجْلاً، ثم ألقى عليه قبضةً من أثر الرسول وهو جبريل، فصار ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾؛ أي:

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٣٦٩)، و«التيسير» (ص١٥٣)، و«النشر» (٢/ ٣٢١)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٢٢). وقرأ مع حمزة خلف، ومع أبي عمرو بكسر الميم يعقوب.

(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٣٦٩)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٣٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٠٤)، و«زاد المسير» (٥/ ٢١٤).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٢٠).

(٥) «معالم التنزيل» (٣/ ٢٢٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٢٠)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٣٦).

(٦) «تهذيب اللغة» (١٣/ ٢٤٣)، و«الصحاح» (٢/ ٨٤٥).

(٧) «النكت والعيون» (٣/ ٤١٨).

يخور كما يخور الحيُّ من العُجول، والخوار: صوت البَقَر، وقيل: خواره كان بالريح؛ لأنه كان عمل فيه خروقاً.

فإذا دخلت الريح في جوفه خار ولم يكن فيه حياة، ﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾؛ أي: قال السامريّ ومَنْ وافقه هذه المقالة ﴿فَنَسِيَ﴾؛ أي: فضلّ موسى ولم يعلم مكان إلٰهه هذا، وذهب يطلبه في الطور، وقيل: المعنى: فنسي موسى أنْ يذكر لكم أن هذا إلٰهه وإلٰهكم.[١]

وقيل: الناسي هو السامريّ؛ أي: ترك السامريّ[٢] ما أمر به موسى من الإيمان وضلّ، كذا قال ابنُ الأعرابي[٣]. ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾؛ أي: أفلا يعتبرون ويتفكرون في أن هذا العجل لا يرجع إليهم قولاً؟ أي: لا يردّ عليهم جواباً، ولا يكلّمهم إذا كلّموه، فكيفَ يتوهمون أنه إلٰه وهو عاجز عن المكالمة؟ فأن في «أَنْ لا يرجع» هي المخفّفة[٤] مِنْ الثقيلة، وفيها ضمير مقدّر يرجع إلى العجل، ولهذا ارتفع الفعل بعدها، ومنه قول الشاعر[٥]:

في فتيةٍ (من سيوفِ)[٦] الهند قد علموا ... أَنْ هالكٌ كل مَنْ يَحْفَى ويَنْتَعلُ

أي: أنه هالك. وقُرئ بنصب[٧] الفعل على أنّها الناصبة.

وجملة ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ معطوفة على جملة ﴿أَلَّا يَرْجِعُ﴾؛ أي: أفلا يرون أنه لا يقدر على أن يدفع عنهم ضرّاً ولا يجلب إليهم نفعاً؟ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ اللّام هي الموطئة للقَسَم، والجملة مؤكّدة لما تضمنته الجملة التي قبلها من الإنكار عليهم والتوبيخ لهم؛ أي: ولقد قال لهم هارون من قبل أن يأتي موسى ويرجع إليهم ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾؛ أي: وقعتم في الفتنة بسبب العجل وابتليتم به وضللتم عَنْ طريق الحقِّ لأجله.

---

(١) «النكت والعيون» (٣/ ٤١٩)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ٢١٨).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤١٩).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٢٢).

(٤) «التبيان» (٢/ ٩٠١)، و«الفريد» (٣/ ٤٥٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٧٠).

(٥) هو: الأعشى. انظر: «ديوانه» (ص١٠٩).

(٦) كذا في المخطوط، والذي في الديوان: (كسيوف).

(٧) «البحر المحيط» (٧/ ٣٧٠)، و«التبيان» (٢/ ٩٠١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٧٣)، و«حاشية الشهاب» (٦/ ٢٢٢).

قيل: ومعنى القصر[١] المستفاد من إنما هو: أن العِجْلَ صار سبباً لفتنتهم لا لرشادهم وليس معناه: أنهم فتنُوا بالعجل لا بغيره ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾؛ أي: ربكم الرحمٰن لا العِجْل، فاتبعوني في أمري لكم بعبادة الله، ولا تتبعوا السامريّ في أمره لكم بعبادة العِجْل، وأطيعوا أمري لا أمره ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ أجابوا هارون عن قوله المتقدّم بهذا الجواب المتضمن لعصيانه، وعدم قبول ما دعاهم إليه من الخير وحذرهم عنه من الشرّ؛ أي: لن نزال مقيمين على عبادة هذا العجل، حتى يرجع إلينا موسى، فينظر: هل يقرّرنا على عبادته أو ينهانا عنها؟ فعند ذلك اعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً مِنْ المنكرين لما فعله السامريّ.

وقد أخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن محمد[٢] بن كعب في قوله: ﴿يَبَسًا﴾ قال: يابساً ليس فيه ماء ولا طين.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٣] نحوه.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٤] ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ من آل فرعون ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ من البحر غرقاً.

وأخرجا[٥] عنه أيضاً في قوله: ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ شقي. وأخرجا[٦] عنه أيضاً ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ قال: من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ قال: وحّد الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ قال: أدّى الفرائض ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ قال: لم يشكك.

وأخرج سعيد بن منصور، والفريابي عنه أيضاً[٧] ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ قال: من تاب من الذنب، وآمن من الشرك، وعمل صالحاً فيما بينه وبين ربه ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ علم أن لعمله ثواباً يجزى عليه.

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ٤٣٠)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٣٢).
(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٠).
(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٢١) عن مجاهد بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٢١) عن ابن عباس بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٢٦) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٢٧) عن ابن عباس بسند صحيح.
(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩١).

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير[١] ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ قال: ثم استقام لزم السُّنَّة والجماعة.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والبيهقي في «الشعب» من طريق عمرو بن ميمون عن رجل[٢] من أصحاب النبي ﷺ قال: «تعجَّل موسى إلى ربه، فقال الله: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ الآية، قال: فرأى في ظلّ العرش رجلاً فَعجِبَ له، فقال: مَنْ هذا يا ربّ؟ قال: لا أحدثك من هو، لكن سأخبرك بثلاث فيه: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يعقّ والديه، ولا يمشي بالنميمة».

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن عليّ[٣] قال: لما تعجّل موسى إلى ربه عَمَدَ السامريّ فجمع ما قَدَر عليه من حُليّ بني إسرائيل فضربه عجلاً، ثم ألقى القبضة في جوفه، فإذا هو عجل جسد له خوار، فقال لهم السامريّ: هذا إلٰهكم وإلٰه موسى، فقال لهم هارون: ﴿يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾، فلما أَنْ رَجعَ موسى أخذ برأس أخيه، فقال له هارون ما قال، فقال موسى للسامريّ: ما خطبُك؟ قال: ﴿فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةً مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾ [طه: ٩٦] فعمَدَ موسى إلى العجل، فوضع موسى عليه المبارد فبرَدَه بها وهو على شط نهر فما شرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد ذلك العجل إلا اصفرّ وجهه مثل الذهب، فقالوا لموسى: ما توبتنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضاً، فأخذوا السكاكين فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وابنه ولا يبالي بمن قتل حتى قُتل منهم سبعون ألفاً، فأوحى الله إلى موسى مرهم فليرفعوا أيديهم، فقد غفرتُ لمن قُتِل وتُبْتُ على مَنْ بقي، والحكايات لهذه القصة كثيرة جدّاً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عن ابن عباس في قوله: ﴿بِمَلۡكِنَا﴾ قال: بأمرنا.

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٩/ ٩١، ٩٣)، والبيهقي رقم (٦٦٢٥ـ ١١١١٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١١ رقم ٥٣٢)، والحاكم (٢/ ٣٧٩).

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٢).

وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٣٣) عن ابن عباس بسند صحيح.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة[١] ﴿بِمَلْكِنَا﴾ قال: بطاقتنا.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السديّ[٢] مثله.

وأخرج أيضاً عن الحسن[٣] قال: بسلطاننا.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ قال: فنسي موسى أن يذكر لكم أنّ هذا إلٰهه.

[قصة السامري]:

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا [٣/٢٣٨] لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾.

[وظيفة القرآن وعاقبة من يعرض عنه]:

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾.

جملة: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر، والمعنى: أن موسى لما

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٣٤) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٣٤) بسند حسن.
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٢).
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٥).

وصل إليهم أخذ بشعور رأس أخيه هارون وبلحيته وقال: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ من اتباعي واللحوق بي عند أن وقعوا في هذه الضلالة ودخلوا في الفتنة؟

وقيل: معنى ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ ما منعك من اتباعي في الإنكار[١] عليهم؛ وقيل: معناه: هلا قاتلتهم إذْ قد علمتَ أني لو كنتُ بينهم لقاتلتهم؟ وقيل: معناه: هلّا فارقتهم[٢]؟ و(لا) في ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ زائدة، وهو في محل[٣] نصب على أنه مفعول ثانٍ لمنع؛ أي: أيّ شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من اتباعي؟، والاستفهام في ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ للإنكار[٤] والتوبيخ، والفاء للعطف على مقدّر كنظائره.

والمعنى: كيف خالفتَ أمري لك بالقيام لله ومنابذة من خالف دينه، وأقمتَ بين هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلٰهاً؟ وقيل: المراد بقوله ﴿أَمْرِى﴾ هو قوله الذي حكى الله عنه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]. فلما أقام معهم، ولم يبالغ في الإنكار عليهم نسبه إلى عصيانه ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ قُرئ بالفتح والكسر للميم، وقد تقدّم الكلام على هذا في سورة الأعراف، ونسبه إلى الأمّ مع كونه أخاه لأبيه وأمه عند الجمهور استعطافاً له وترقيقاً لقلبه.

ومعنى ﴿وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ ولا بشعر رأسي؛ أي: لا تفعل هذا بي عقوبةً منك لي، فإنَّ لي عُذْراً هو ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: خشيت إنْ خرجتُ عنهم وتركتهم أنْ يتفرقوا، فتقول: إني فرقتُ جماعتهم وذلك لأن هارون لو خرج لتبعه جماعة منهم، وتخلّف مع السامريّ عند العجل آخرون، وربما أفضى ذلك إلى القتال بينهم[٥].

ومعنى ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾: ولم تعمل بوصيتي لك فيهم، إني خشيت أن تقول: فرّقت بينهم وتقول: لم تعمل بوصيتي لك فيهم وتَحفظها، ومراده

---

(١) «النكت والعيون» (٣/ ٤٢٠)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٤٥).
(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٢٩).
(٣) «التبيان» (٢/ ٩٠٨)، و«الفريد» (٣/ ٤٥٧).
(٤) «روح المعاني» (١٦/ ٤٣٣)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٣٣).
(٥) «روح المعاني» (١٦/ ٤٣٤)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٤٦)، و«الوسيط» (٣/ ٤٢١).

بوصية موسى له هو قوله: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

قال أبو عُبيدة[١]: معنى ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ ولم تنتظر عهدي وقدومي؛ لأنك أمرتني أن أكون معهم، فاعتذر هارون إلى موسى ها هنا بهذا، واعتذر إليه في الأعراف بما حكاه الله عنه هنالك حيثُ قال: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠].

ثم ترك موسى الكلام مع أخيه وخاطب السامريّ فـ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾؛ أي: ما شأنُك وما الذي حملك[٢] على ما صنعت؟ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾؛ أي: قال السامريّ مُجيباً على موسى: رأيتُ ما لم يروا، أو علمتُ بما لم يعلموا وفطنت لما لم يفطنوا له، وأراد بذلك: أنّه رأى جبريل على فرس الحياة فألقى في ذهنه أن يقبض قبضة مِنْ أثر الرسول، وأن ذلك الأثر لا يقع على جماد إلا صار حيّاً.

وقرأ حمزة، والكسائي، والأعمش، وخلف (ما لم تَبْصروا به) بالمثناة[٣] من فوق على الخطاب، وقرأ الباقون بالتحتية[٤]، وهي أولى؛ لأنه يبعد كلّ البعد أن يخاطب موسى بذلك ويدّعي لنفسه أنّه علم ما لم يعلم به موسى.

وقُرئ بضم[٥] الصاد فيهما وبكسرها في الأوّل وفتحها في الثاني، وقرأ أُبيّ بن كعب، وابن مسعود، والحسن، وقتادة (فقبصتُ قَبْصة) بالصاد[٦] المهملة فيهما.

وقرأ الباقون بالضاد[٧] المعجمة فيهما، والفرق بينهما أن القبض بالمعجمة: هو الأخذ بجميع الكف، وبالمهملة: بأطراف الأصابع، والقبضة بضم القاف: القدر المقبوض.

---

(١) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٦).

(٢) «النكت والعيون» (٣/ ٤٢١)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٤٨).

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٣٧٦)، و«النشر» (٢/ ٣٢٢)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٥٠)، و«التيسير» (ص١٥٣).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٨٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٧٦).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص٨٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٧٦)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٣٩)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٥١). وهي قراءة شاذة.

(٧) «البحر المحيط» (٧/ ٣٧٧)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٥١)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٣٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٧٤).

قال الجوهري[1]: هي ما قبضت عليه من شيء، قال: وربما جاء بالفتح، وقد قرئ (قُبضة) بضم القاف وفتحها، ومعنى الفتح: المرّة من القبض، ثم أطلقت على المقبوض وهو معنى القبضة بضم القاف.

[تحقيق معنى «مساس»]:

ومعنى ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾: من المحل الذي وقع عليه حافر فرس جبريل، ومعنى ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ فطرحتُها في الحُليّ المذابة المسبوكة على صورة العجل ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِى﴾ قال الأخفش[2]: أي: زيّنت؛ أي: ومثل ذلك التسويل سوّلت لي نفسي، وقيل: معنى سوّلت لي نفسي: حدّثتني نفسي، فلما سمع موسى منه ذلك ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾؛ أي: فاذهب من بيننا، واخرج عنّا فإن لك في الحياة؛ أي: ما دمتَ حيّاً، أو طول حياتك أن تقول: لا مساس، المساس: مأخوذٌ من المماسة[3]؛ أي: لا يمسّك أحد ولا تمسّ أحداً، لكن لا بحسب الاختيار منك؛ بل بموجب الاضطرار المُلجئ إلى ذلك؛ لأن الله سبحانه أمر موسى أن ينفي السامريّ عن قومه، وأمر بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له.

قيل: إنه لما قال له موسى ذلك هرب، فجعل يهيم في البرية مع السباع والوحش لا يجد أحداً من الناس يمسه حتى صار كمن يقول: لا مساس لبعده عن الناس وبعد الناس عنه، كما قال الشاعر:

حمّالُ راياتٍ بها قِنْعاسا حتى تقولَ الأزدُ لا مساسا[4]

قال سيبويه[5]: وهو مبني على الكسر.

قال الزجاج[6]: كُسرت السين لأنّ الكسرة من علامة التأنيث.

قال الجوهري في «الصحاح»[7]: وأمَّا قول العرب لا مَساسِ مثل قَطَامِ فإنما بني على الكسر لأنه معدول عن المصدر، وهو المسُّ.

---

(١) في «الصحاح» (٣/ ١١٠٠). وما ذكره المؤلف من قراءة (قَبْضة) بفتح القاف وضمها أم الفتح فهي قراءة العشرة، وأما الضم فقراءة شاذة.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٢٣).

(٣) انظر: «الصحاح» (٣/ ٩٧٨)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٣٢٣).

(٤) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٢٣)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٢٩).

(٥) في «الكتاب» (٤/ ١٥٢).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

(٧) «الصحاح» (٣/ ٩٧٨).

قال النحاس[(١)]: وسمعتُ عليّ بن سليمان يقول: سمعتُ محمد بن يزيد المبرِّد يقول: إذا اعتلّ الشيء مِنْ ثلاث جهات وجب أَنْ يبنى، وإذا اعتل من جهتين وجب أنْ لا ينصرف؛ لأنّه ليس بعد الصرف إلا البناء، فمساسِ دَراكِ اعتلّ من ثلاث جهات: منها أنه معدول، ومنها أنه مؤنث، ومنها أنه معرفة، فلما وجب البناء فيه وكانت الألف قبل السين ساكنة كُسرت السين لالتقاء الساكنين.

وقد رأيتُ[(٢)] أبا إسحاق ـ يعني: الزجّاج ـ ذهب إلى أن هذا القول خطأ وألزم أبا العباس إذا سُميت امرأة بفرعون أن يبنيه وهذا لا يقوله أحد.

وقد قرأ بفتح الميم[(٣)] أبو حيوة والباقون بكسرها[(٤)].

وحاصل ما قيل في معنى ﴿لَا مِسَاسَۖ﴾ ثلاثة أوجه[(٥)]:

الأوّل: أنه حرّم عليه مماسة الناس، وكان إذا ماسه أحد حُمّ الماس والممسوس، فلذلك كان يصيح إذا رأى أحداً: لا مساس.

والثاني: أن المراد منع الناس من مخالطته، واعتُرض بأن الرجل إذا صار مهجوراً فلا يقول هو: لا مساس، وإنما يقال له، وأجيب بأن المراد الحكاية؛ أي: أجعلك يا سامريّ بحيث إذا أخبرت عن حالك قلتَ: لا مساس.

والقول الثالث: أن المراد انقطاع نسله، وأن يخبر بأنه لا يتمكن من مماسة المرأة قاله أبو مسلم وهو ضعيف جدّاً.

ثم ذكر حاله في الآخرة فقال: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾؛ أي: لن يُخلفكَ الله ذلك الموعد، وهو يوم القيامة، والموعد مصدر؛ أي: إن لك وعداً لعذابك، وهو كائن لا محالة، قال الزجاج[(٦)]: أي: يكافئك الله على ما فعلت في القيامة والله لا يخلف الميعاد.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو، ويعقوب، وابن محيصن، واليزيدي، والحسن (لن

(١) في «إعراب القرآن» (٣/ ٥٥ ـ ٥٦).
(٢) أي: النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٥٥).
(٣) «المحتسب» (٢/ ٥٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٧٧). وقراءة أبي حيوة شاذة.
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٣١)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٤٤)، و«التيسير» (ص١٥٣).
(٥) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٧١).

تُخْلِفَه) بكسر اللام[1]، وله على هذه القراءة معنيان:

أحدهما: ستأتيه ولن تجده مُخلَفاً كما تقول: أحمدته؛ أي: وجدته محموداً.

والثاني: على التهديد؛ أي: لا بدّ لك من أن تصير إليه.

وقرأ ابن مسعود (لن نُخْلفه) بالنون[2]؛ أي: لن يخلفه الله. وقرأ الباقون[3] بفتح اللام، وبالفوقية مبنيّاً للمفعول، معناه: ما قدّمناه. ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ﴾ ظلت أصله ظَلِلْت فحذفت اللام الأولى تخفيفاً، والعرب تفعل ذلك كثيراً. وقرأ الأعمش بلامين[4] على الأصل.

وفي قراءة ابن مسعود (ظِلت) بكسر الظاء[5]. والمعنى: [٣/٢٣٩] انظر إلى إلٰهك الذي دُمتَ وأقمتَ على عبادته، والعاكف: الملازم.

﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ قرأ الجمهور[6] بضم النون وتشديد الراء مِنْ حرّقه يُحرّقه.

وقرأ الحسن[7] بضم النون وسكون الحاء وتخفيف الراء من أحرقه يُحرقه.

وقرأ عليّ، وابن عباس، وأبو جعفر، وابن محيصن، وأشهب، والعقيلي (لنَحْرُقنّه) بفتح النون[8] وضم الراء مخففة من حرقت الشيء أحرُقه حَرْقاً إذا بردته وحككت بعضَه ببعض؛ أي: لنبردنّه بالمبَارد، ويقال للمبرد: المِحْرَق. والقراءة الأولى أولى، ومعناها: الإحراق بالنار، وكذا معنى القراءة الثانية.

---

(١) «التيسير» (ص١٥٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٧٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٣١)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٤٥).

(٢) «المحتسب» (٢/ ٥٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٧٩)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٤٦). قراءة ابن مسعود شاذة والقراءتان الأخريان متواترتان.

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٥٣)، و«التبيان» (٢/ ٩٠٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٧٦).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٨٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٣١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٨٠).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٨٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٧٩).

(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٥٥)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٤٧)، و«النشر» (٢/ ٣٢٢)، و«زاد المسير» (٥/ ٣٠٩).

(٧) «النشر» (٢/ ٣٢٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٨٠)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٥٥).

(٨) «النشر» (٢/ ٣٢٢)، و«التبيان» (٢/ ٩٠٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٨٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٧٥). وهي ثلاثة قراءات متواترة عدا قراءة ابن مسعود (لنذبحنَّه ثم لنحرقنه) فهي شاذة مخالفة للرسم.

وقد جُمع بين هذه الثلاث القراءات بأنّه أحرق، ثم بُرد بالمبرد، وفي قراءة ابن مسعود (لنذبحنّه ثم لنحرقنه).

واللّام هي الموطئة للقسَم ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ النَّسْفُ: نفضُ الشيء لتذهبَ به الريحُ.

قرأ أبو رجاء (لَننسُفنَّه) بضم السين[1]، وقرأ الباقون بكسرها[2]، وهما لغتان.

والمِنْسَف ما يُنسف به الطعام، وهو شيء مَنْصوب الصدر، أعلاه مرتفع، والنُّسَافة ما يَسْقط منه ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا هذا العجل الذي فتنكم به السامريّ.

﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ قرأ الجمهور[3] وَسِع بكسر السين مخففة. وهو متعدّ إلى مفعول واحد، وهو كل شيء.

وانتصاب ﴿عِلْمًا﴾ على التميز[4] المُحوّل عن الفاعل؛ أي: وسِع علمُه كلَّ شيء.

وقرأ مجاهد وقتادة (وسَّع) بتشديد السين[5] وفتحها فيتعدى إلى مفعولين، ويكون انتصاب ﴿عِلْمًا﴾ على أنه المفعول الأوّل وإنْ كان متأخراً؛ لأنه في الأصل فاعل، والتقدير: وسَّع علَمه كلَّ شيء.

وقد مرّ نحو هذا في الأعراف ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ الكاف في محل نصب[6] على أنها نعت لمصدر محذوف؛ أي: كما قصصنا عليك خبر موسى كذلك نقصّ عليك ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾؛ أي: من أخبار الحوادث الماضية في الأمم الخالية لتكون تسليةً[7] لك ودلالة على صدقك، و«من» للتبعيض؛ أي: بعض أخبار ذلك ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ المراد بالذكر: القرآن، وسُمّي ذكراً لما فيه من الموجبات للتذكر والاعتبار.

وقيل: المراد بالذكر: الشرَف كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص٨٩)، و«روح المعاني» (١٦/٤٤٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٨٠). وهي قراءة شاذة.
(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٣٨٠)، و«التبيان» (٣/ ٩٠٣)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٥٦).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «التبيان» (٢/ ٩٠٣)، و«الفريد» (٣/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص٨٩)، و«المحتسب» (٢/ ٥٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٨٠ ـ ٣٨١). قراءة تشديد السين قراءة شاذة.
(٦) «روح المعاني» (١٦/ ٤٥٠)، و«الفريد» (٣/ ٤٦٢)، و«التبيان» (٢/ ٩٠٤).
(٧) «روح المعاني» (١٦/ ٤٥٠)، و«جامع البيان» (٦/ ١٥٨).

ثم توعّد سبحانه المُعْرضين على هذا الذكر، فقال: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾؛ أي: أعرض عنه فلم يؤُمن به، ولا عمل بما فيه؛ وقيل: أعرض عن الله سبحانه، فإنّ المعرض عنه يحمل يوم القيامة وزراً؛ أي: إثْماً عظيماً، وعقوبةً ثقيلة بسبب إعراضه ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ﴾؛ أي: في الوزر.

والمعنى: أنهم يقيمون في جزائه، وانتصاب[١] خالدين على الحال ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾؛ أي: بئس الحِمْل يوم القيامة، والمخصوص بالذمّ محذوف؛ أي: ساء لهم حملاً وزرُهم، واللام[٢] للبيان كما في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وقد أخرج ابن المنذر[٣] عن ابن جريج في قوله: ﴿يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ قال: أمره موسى أن يُصْلح ولا يتبّع سبيل المفسدين، فكان من إصلاحه أن ينكر العجل.

وأخرج عنه[٣] أيضاً في قوله: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ قال: لم تنتظر قولي ما أنا صانع، وقال ابن عباس[٤]: لم ترقب: لم تحفظْ قولي.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة[٥] في قوله: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ قال: عقوبةً له ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ قال: لن تَغِيبَ عنه.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ قال: أقمت ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ قال: بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ﴾ قال: لنذرينّه في البحر.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧] عنَ ابن عباس أنه كان يقرأ (لَّنَحْرُقَنَّهُ) خفيفة ويقول: إنَّ

---

(١) «التبيان» (٢/ ٩٠٤)، و«الفريد» (٣/ ٤٦٢).
(٢) «روح المعاني» (١٦/ ٤٥٢)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٣٨).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٦).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٤٦)، عن ابن جريج بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٤٧) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس بسند ضعيف.
(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٥٣) بسند صحيح.
(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٦ ـ ٥٩٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٥٤)، عن ابن عباس بسند ضعيف.
(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٣).

الذهب والفضة لا تُحّرق بالنار؛ بل تُسحْل بالمِبْرَد ثم تلقى على النار فتصير رماداً.

وأخرج ابن أبي حاتم[(١)] عنه قال: ﴿ٱلْيَمِّ﴾ البحر.

وأخرج أيضاً عن عليّ[(٢)] قال: ﴿ٱلْيَمِّ﴾ النهر.

وأخرج أيضاً عن قتادة[(٣)] في قوله: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ قال: ملأ.
وأخرج[(٤)] أيضاً عن ابن زيد في قوله: ﴿مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ قال: القرآن.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[(٥)] ﴿وِزْرًا﴾ قال: إثماً.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٦)] في قوله: ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾ يقول: بئس ما حملوا.

[من مشاهد يوم الحشر]:

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا
﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ
يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ
ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ
مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾.

الظرف وهو ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ متعلق بمقدّر هو اذْكر؛ وقيل: هو: بدل من يوم

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٣).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٥٧)، عن ابن عباس بسند صحيح.
(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٣).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٥٨)، عن قتادة بسند صحيح.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٨).
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٨).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٥٩)، عن مجاهد بسند صحيح.
(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٥٩ ـ ١٦٠)، عن ابن عباس بسند صحيح.

القيامة، والأوّل أولى. قرأ الجمهور (يُنفَخ) بضم[(١)] الياء التحتية مبنيّاً للمفعول، وقرأ أبو عمرو، وابن أبي إسحاق بالنون[(٢)] مبنيّاً للفاعل، واستدلّ أبو عمرو[(٣)] على قراءته هذه بقوله: (ونَحْشُر) فإنه بالنون.

وقرأ ابن هرمز (يَنفُخ) بالتحتية[(٤)] مبنيّاً للفاعل على أن الفاعل هو الله سبحانه أو إسرافيل.

وقرأ أبو عياض (في الصُّوَر) بفتح[(٥)] الواو جمع صورة، وقرأ الباقون[(٦)] بسكون الواو.

وقرأ طلحة بن مصرف والحسن (يُحْشَر) بالياء[(٧)] التحتية مبنيّاً للمفعول ورفع (المجرمين) وهو خلاف رسم المصحف، وقرأ الباقون بالنون، وقد سبق تفسير هذا في الأنعام.

والمراد بالمجرمين: المشركون والعُصاة المأخوذون بذنوبهم التي لم يغفرها الله لهم، والمراد بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم النفخ في الصور، وانتصاب[(٨)] (زُرْقاً) على الحال من المجرمين؛ أي: زُرق العيون، والزُرقة الخضرة في العين كعين[(٩)] السنّور، والعرب تتشاءم بزرقة العين، وقال الفراء[(١٠)]: زُرْقاً؛ أي: عُمْياً.

وقال الأزهري[(١١)]: عطاشاً، وهو قول الزجاج[(١٢)]؛ لأنَّ سواد العين يتغير

---

(١) «جامع البيان» (١٦/ ١٦٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٨٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٠٦)، و«النشر» (٢/ ٣٢٢).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «التيسير» (ص١٥٣)، و«النشر» (٢/ ٣٢٢).

(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٣٨٢)، و«زاد المسير» (٥/ ٣٢٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٣٤). قراءة ابن هرمز «شاذة».

(٥) «المحتسب» (٢/ ٥٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٨٢). القراءة بفتح الواو شاذة، وأمّا بسكون الواو فهي متواترة.

(٦) «جامع البيان» (١٦/ ١٦٠)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٥٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٣٤).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص٩٠).

(٨) «جامع البيان» (١٦/ ١٦٠)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٥٤).

(٩) «الفريد» (٣/ ٤٦٣)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٧٧)، و«التبيان» (٢/ ٩٠٤).

(١٠) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٩١).

(١١) «تهذيب اللغة» (٨/ ٤٢٨).

(١٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٧٦).

بالعطش إلى الزُّرْقة، وقيل: إنَّه كني بقوله ﴿زُرْقًا﴾ عن الطمع الكاذب إذا تعقبته الخيبة؛ وقيل: هو كناية عن شخوص البصر من شدّة الحوص، ومنه قول الشاعر[(١)]:

لقد زَرِقَتْ عيناك يا بنَ مُكَعْبرٍ[(٢)] كما كلُّ ضَبيٍّ من اللُّؤمِ أزرقُ

والقول الأوّل أولى.

والجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]. ما قيل من أن ليوم القيامة حالاتٍ[(٣)] ومواطن تختلف فيها صفاتهم ويتنوع عندها عذابهم.

وجملة ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ في محل نصب[(٤)] على الحال، أو مستأنفة لبيان ما هم فيه في ذلك اليوم، والخَفْتُ[(٥)] في اللغة: السكون، ثم قيل لمن خَفَضَ صوته: خَفَتَه.

والمعنى: يتسارَرون[(٦)]؛ أي: يقول بعضُهم لبعض سرّاً ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾؛ أي: ما لبثتم في الدنيا إلا عشرَ ليالٍ؛ وقيل: في القبور، وقيل: بين النفختين. والمعنى: أنهم يستقصرون مدة مقامهم في الدنيا، أو في القبور، أو بين النفختين لشدّة ما يرون من أهوال القيامة.

وقيل: المراد بالعشر: عشر ساعات، ثمَّ لما قالوا هذا القول قال الله سبحانه: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾؛ أي: أعدلهم قولاً، وأكملهم رأياً وأعلمهم عند نفسه ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾؛ أي: ما لبثتم إلا يوماً[(٧)] واحداً، [٣/٢٤٠] ونسبة هذا القول إلى أمثلهم، لكونه أدلّ على شدّة الهول، لا لكونه أقرب إلى الصدق.

---

(١) هو: سويد بن أبي كاهل اليشكري، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٣٢٤).
(٢) هو: محرز بن المكعبر الضَّبيّ. من شعراء المفضليات. «المفضليات» (ص٢٥١).
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) «التبيان» (٢/ ٩٠٤)، و«الفريد» (٣/ ٤٦٣).
(٥) «الصحاح» (١/ ٢٤٨)، و«تهذيب اللغة» (٧/ ٣٠٤).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٦١)، عن ابن عباس بسند صحيح.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٦١)، عن قتادة بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٦٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٨٨)، عن سعيد بن جبير.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾؛ أي: عن حال الجبال يوم القيامة، وقد كانوا سألوا النبيّ ﷺ عن ذلك، فأمره الله سبحانه أن يجيب عنهم فقال: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ قال ابن الأعرابي[١] وغيرُه: يَقْلَعُها قَلْعاً من أصولها، ثم يُصيّرها رملاً يسيل سيلاً، ثم يُصيّرُها كالصوف المنفوش تطيِّرها الرياحُ هكذا وهكذا، ثم كالهباء المنثور.

والفاء في قوله: ﴿فَقُلْ﴾ لجواب شرط مقدّر، والتقدير: إنْ سألوك فقل، أو للمسارعة إلى إلزام السائلين.

والضمير في قوله: ﴿فَيَذَرُهَا﴾ راجع إلى الجبال باعتبار مواضعها؛ أي: فيذر مواضَعها بعد نسف ما كان عليها من الجبال ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ قال ابن الأعرابي[٢]: القاع الصَفْصف: الأرض الملساء بلا نبات ولا بناء، وقال الفرّاء[٣]: القاع: مُسْتَنقع الماء، والصَّفصف: القرعاء الملساء التي لا نبات فيها.

وقال الجوهري[٤]: القاع المستوي من الأرض، والجمع أقْوعُ وأقواعٌ وقِيعان. والظاهر من لغة العرب أنَّ القاع: الموضع المنكشف، والصفصف: المستويّ الأملس، وأنشد سيبويه[٥]:

وكم دونَ بيتِك من صفصفٍ ... ودَكْداكِ رملٍ وأعَقْادِها

وانتصاب[٦] ﴿قَاعًا﴾ على أنه مفعول ثانٍ ليذر على تضمينه معنى التصيير، أو على الحال، والصفصف صفة له، ومحل ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ النصب[٧] على أنه صفة ثانية لـ﴿قَاعًا﴾، والضمير راجع إلى الجبال بذلك الاعتبار، والعوج بكسر العين التعوّج، قاله ابن الأعرابي[٨].

والأمْتُ: التلال الصغار، والأمْتُ في اللغة[٩]: المكان المرتفع، وقيل: العوج: الميل، والأمْتُ: الأثر مثل الشراك؛ وقيل: العوج: الوادي، والأمْتُ:

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٣٦).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٣٧).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٩١).
(٤) في «الصحاح» (٣/ ١٢٧٤).
(٥) في «الكتاب» (٢/ ٥٦).
(٦) «التبيان» (٢/ ٩٠٤)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٧٧)، و«الفريد» (٣/ ٤٦٤).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٣٧).
(٩) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٣٤١)، و«الصحاح» (١/ ٢٤١).

الرابية، وقيل: هما الارتفاع، وقيل: العوج: الصدوع، والأَمْتُ: الأكمة، وقيل: الأَمْتُ: الشقوق في الأرض.

وقيل: الأَمْتُ: أَنْ يغلظ في مكان ويدق في مكان. ووصف مواضع الجبال بالعِوج بكسر العين ها هنا يدفع ما يقال: إن العِوج بكسر العين في المعاني وبفتحها في الأعيان، وقد تكلّف لذلك صاحب «الكشاف»[(١)] في هذا الموضع بما عنه غني، وفي غيره سعة ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾؛ أي: يوم نَسْف الجبال يتبع الناس داعي الله إلى المحشر.

وقال الفراء[(٢)]: يعني: صوت الحشر؛ وقيل: الداعي هو إسرافيل إذا نفخ في الصور لا عوج له؛ أي: لا مَعْدل لهم عن دعائه فلا يقدرون على أن يزيغوا عنه، أو ينحرفوا منه؛ بل يسرعون إليه كذا قال أكثرُ المفسّرين[(٣)]؛ وقيل: لا عوج لدعائه ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: خضعت لهيبته؛ وقيل: ذلّت؛ وقيل: سكتت، ومنه قول الشاعر[(٤)]:

لما أتى خبرُ الزبيرِ تواضَعَتْ سورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ

﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ الهَمْسُ: الصوتُ الخفي. قال أكثر المفسرين[(٥)]: هو صوتُ نقل الأقدام إلى المَحْشر، ومنه قول الشاعر:

وهنّ يَمْشينَ بِنا هَمِيسا[(٦)]

يعني: صوتَ أخفافِ الإبل

وقال رؤبةُ[(٧)] يصف نفسَه:

---

(١) أي: الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ١٠٩ ـ ١١٠).

(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٩١).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٣٧ ـ ١٣٨)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨).

(٤) هو: جرير.
انظر: «ديوانه» (٢/ ٩١٣).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٣٩)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٦٧)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ١٠٧).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٣٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٦/ ١٦٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٢٧).

(٧) انظر: «ديوان رؤبة» (ص٦٩).

لـيـثٌ يَـدُقُّ الأسـدُ الـهـمُـوسـا ولا يـهـابُ الـفـيـلَ والـجـامـوسـا

يقال للأسد: الهموس؛ لأنّه يهمس في الظُلمة؛ أي: يَطأ وطئاً خفيّاً.

والظاهر: أنَّ المراد هنا: كلُّ صوت خفيّ سواء كان بالقدَم، أو من الفم، أو غير ذلك، ويؤيده قراءة أُبيّ بن كعب[١] (فلا ينطقون إلا هَمْساً).

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾؛ أي: يوم يقع ما ذُكر لا تنفع الشفاعة من شافع كائناً مَنْ كان ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؛ أي: إلّا شفاعة مَنْ أذن له الرحمٰن أن يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾؛ أي: رضي قوله في الشفاعة أو رضي لأجله قول الشافع.

والمعنى: إنما تنفع الشفاعةُ لمن أذن له الرحمٰن في أَنْ يشفع له، وكان له قول يرضى، ومثل هذه الآية قوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وقوله: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧].

وقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ أي: ما بين أيديهم من أمر الساعة، وما خلفهم من أمر الدنيا، والمراد هنا: جميع الخلق؛ وقيل: المراد بهم الذين يتبعون الداعي.

وقال ابن جرير[٢]: الضمير يرجع إلى الملائكة، أعلم الله مَنْ يعبدها أنها لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾؛ أي: بالله سبحانه، لا تحيط علومُهم بذاته، ولا بصفاته، ولا بمعلوماته؛ وقيل: الضمير راجع إلى ما في الموضعين فإنّهم لا يعلمون جميع ذلك ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾؛ أي: ذلّت وخضعت، قاله ابن الأعرابي[٣].

قال الزجاج[٤]: معنى (عَنَتْ) في اللغة: خَضَعتْ، يقال: عنى يعنو عنواً إذا خَضع. ومنه قيل للأسير: عانٍ، ومنه قول أمية بن أبي الصلت[٥]:

مـلـيـكٌ عـلـى عـرش الـسـمـاءِ مُـهـيـمـنٌ لـعـزّتـهِ تَـعـنـو الـوجـوهُ وتَـسْـجـدُ

وقيل: هو من العناء، بمعنى التعب ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾؛ أي: خسر

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٣٨٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٤٠)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٦٣). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٢) في «جامع البيان» (١٦/ ١٧١).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٤١).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٧٧).

(٥) انظر: «ديوانه» (ص٣٩).

مَنْ حمل شيئاً من الظلم؛ وقيل: هو الشرك ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: الأعمال الصالحة ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله؛ لأنَّ العمل لا يُقْبل من غير إيمان؛ بل هو شرط في القبول ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ يصاب به مِنْ نقص ثواب في الآخرة ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ الهضم[١]: النقصُ والكسر، يقال: هضمتُ لك من حقي؛ أي: حططته وتركته، وهذا يَهضِمُ الطعام؛ أي: يَنْقُص ثِقَلَه، وامرأة هَضِيم[٢] الكشح؛ أي: ضامرةُ البطن.

وقرأ ابنُ كثير، ومجاهد (لا يَخَفْ) بالجزم[٣] جواباً لقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وقرأ الباقون[٤] (يخافُ) على الخبر.

وقد أخرج ابنُ أبي حاتم[٥] عن ابن عباس أن رجلاً أتاه، فقال: رأيت قوله: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ وأخرى عُمياً قال: إن يوم القيامة فيه حالات يكونون في حال زرقاً، وفي حال عمياً.

وأخرج ابن المنذر، وابنُ أبي حاتم عنه[٦] في قوله: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ قال: يتسَارُّون.

وأخرج ابنُ أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير[٧] في قوله: ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ قال: أوفاهم عقلاً، وفي لفظ قال: أعلمهم في نفسِه.

وأخرج ابن المنذر[٨]، وابن جريج قال: قالت قريش: كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ الآية.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٩] في قوله: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا

---

(١) «تهذيب اللغة» (٦/ ١٠٤)، و«الصحاح» (٥/ ٢٠٥٩).
(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (٦/ ١٠٤)، و«الصحاح» (٥/ ٢٠٥٩).
(٣) «التيسير» (ص١٥٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٤٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٨٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٠٧).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٤).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٦١)، عن ابن عباس بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١١٢)، عن سعيد بن جبير بسند ضعيف.
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٢٣٩)، ط. عالم الكتب.
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٦٣)، عن ابن عباس بسند صحيح.

﴿صَفْصَفًا﴾ قال: لا نباتَ فيه ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ قال: وادياً ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ قال: رابية.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة[(١)] أنه سئل عن قوله: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ قال: كان ابن عباس يقول: هي الأرض الملْساء التي ليس فيها رابية مرتفعة ولا انخفاض.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٢)] عن ابن عباس ﴿عِوَجًا﴾ قال: ميلاً ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ قال: الأمْتُ: الأثر مثل الشِّراك.

وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القُرظي[(٣)] قال: يُحْشُر الناس يوم القيامة في ظُلمة، تُطْوي السماء وتتناثر النجوم، وتذهب الشمسُ والقمر وينادي منادٍ فيتّبع الناس الصوتَ يؤمُّونه. فذلك قول الله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي صالح[(٤)] في الآية قال: لا عوج عنه.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٥)] في قوله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾ [٣/٢٤١] قال: سكتتْ ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ قال: الصوت الخفيّ.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[(٦)] عنه في قوله: ﴿إِلَّا هَمْسًا﴾ قال: صوت وطء الأقدام.

وأخرج عبد بن حميد عن الضحاك[(٧)]، وعكرمة[(٨)]، وسعيد بن جبير[(٩)]، والحسن[(١٠)] مثله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد[(١١)] قال: الصوت الخفيّ.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٦٤ - ١٦٥) بسند حسن.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٦٦)، عن ابن عباس بسند ضعيف.
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٥).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٩).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٦٨ - ١٦٩)، عن ابن عباس بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٦٨)، عن ابن عباس بسند ضعيف.
(٧) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٠) إلى عبد بن حميد.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٦٩) بسند حسن.
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٦٨) بسند ضعيف؛ لضعف عليٍّ بن عابس.
(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٦٩) بسند صحيح.
(١١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٦٩) بسند صحيح.

وأخرج ابنُ أبي حاتم عَنْ سعيد بن جبير[1] قال: سر الحديث وصوت الأقْدام.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[2] ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ قال: ذلت.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة[3] مثله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[4] قال: خَشَعتْ.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية[5] قال: خَضَعت.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[6] قال: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ الركوع والسجود.

وأخرج ابن المنذر[7] عن ابن جريج ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ قال: شِرْكاً.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة[8] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ قال: شِرْكاً ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ قال: ظلماً أن يزاد في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ قال: ينقص من حسناته.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عنه[9] قال: لا يخاف أن يُظْلم في سيئاته، ولا يهضم في حسناته.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٠).

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٧٢)، عن ابن عباس بسند صحيح.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٧٣) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٦/ ١٧٣)، عن مجاهد بسند صحيح.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠١).

(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠١).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠١).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٧٥)، عن قتادة بسند صحيح.

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٧٦)، عن ابن عباس بسند صحيح.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عنه(١) ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ قال: غصباً.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾
فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى
عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ
ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا
يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا
تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ
﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ
فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ معطوف على قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [طه: ٩٩]؛ أي: مثل ذلك الإنزال أنزلنّاه؛ أي: القرآن حال كونه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ أي: بلغة العرب ليفهموه ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ بيّنّا فيه ضروباً من الوعيد؛ تخويفاً وتهديداً، أو كرّرنا فيه بعضاً منه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: كي يخافوا الله؛ فيتجنبوا معاصيه ويحذروا عقابه ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾؛ أي: اعتباراً(٢) واتعاظاً، وقيل: وَرَعاً؛ وقيل: شَرَفاً(٣)، وقيل: طاعةً وعبادة؛ لأن الذكر يطلق عليها.

وقرأ الحسنُ (أو نحدث) بالنون(٤).

[علَّم نبيَّه كيف يتلقى القرآن]:

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ لمّا بيّن للعباد عظيم نعمته عليهم بإنزال القرآن، نزّه

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٧٤٣٦).
(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٤٢٨).
(٣) انظر: «جامع البيان» (١٦/ ١٧٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٤٤).
(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٣٨٦)، و«زاد المسير» (٥/ ٣٢٥).
وقرأ الحسن: «أو نحدث» بسكون الثاء. «المحتسب» (٢/ ٥٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٨٦).
قراءة الحسن: «أو نحدث» بالنون، وروى عنه برفع الثاء، وجزمها، وهي قراءة شاذة.

نفسه عن مماثلة مخلوقاته في شيء من الأشياء؛ أي: جلّ الله عن إلحاد الملحدين وعما يقول المشركون في صفاته فإنه الملِكُ الذي بيده الثواب والعقاب وأنَّه الحقُّ؛ أي: ذو الحق ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾؛ أي: يتمّ إليك وحيُه.

قال المفسِّرون[١]: كان النبي ﷺ يبادر جبريلَ فيقرأ قبل أن يَفْرُغ جبريل من الوحي؛ حرصاً منه على ما كان ينزل عليه منه؛ فنهاه الله عن ذلك، ومثله قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]. على ما يأتي إن شاء الله؛ وقيل: المعنى: ولا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان[٢] تأويله، وقرأ ابن مسعود، ويعقوب، والحسن، والأعمش (من قبل أن نقضي) بالنون[٣] ونصب (وحيَه).

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾؛ أي: سلْ ربَّك زيادةَ العلم بكتابه. ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ اللام هي الموطئة للقَسَم، والجملة مستأنفة مقرّرة لما قبلها من تصريف الوعيد؛ أي: لقد أمرناه ووصيناه، والمعهود محذوف، وهو ما سيأتي من نهيه عن الأكل من الشجرة، ومعنى ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل هذا الزمان ﴿فَنَسِىَ﴾ قرأ الأعمش بإسكان الياء[٤].

والمراد بالنسيان هنا: تركُ العمل بما وقع به العهد إليه فيه، وبه قال أكثر[٥] المفسرين.

وقيل: النسيان على حقيقته، وأَنَّه نسي ما عهد الله به إليه وينتهي عنه، وكان آدم مأخوذاً بالنسيان في ذلك الوقت، وإنْ كان النسيان مرفوعاً عن هذه الأمة،

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ٤٧١ ـ ٤٧٢)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٧٩ ـ ١٨٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٤٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٨٠) بسند صحيح، عن مجاهد قال: «لا تتلُه على أحدٍ حتى نبيِّنه لك».

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٩٠)، و«النشر» (٢/ ٣٢٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٨٨). والقراءتان متواترتان بالنون (نَقضي) وبالياء (يُقضىٰ).

(٤) «المحتسب» (٢/ ٥٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٤٦).

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٣٨٩)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٨١ ـ ١٨٢)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٧٤). قراءة الأعمش شاذة.

والمراد من الآية: تسلية النبيّ ﷺ على القول الأوّل؛ أي: أن طاعة بني آدم للشيطان أمرٌ قديم، وأن هؤلاء المعاصرين له إنْ نقضوا العهد فقد نقض أبوهم آدم، كذا قال ابن جرير[١] والقشيري[٢]، واعترضه ابنُ عطية قائلاً بأن كون آدم مماثلاً للكفار الجاحدين بالله ليس بشيء.

وقرئ (فنُسّي) بضم النون[٣] وتشديد السين مكسورة مبنيّاً للمفعول؛ أي: فَنسّاه إبليسُ. ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ العَزْمُ في اللغة[٤]: توطين النفس على الفعل والتصميم عليه، والمضيّ على المعتقد في أيّ شيء كان.

وقد كان آدم عليه السلام قد وطَّن نفسَه على أن لا يأكل من الشجرة، وصمّم على ذلك، فلما وسوس إليه إبليس لانت عريكتُه، وفتر عزمُه وأدركه ضعف البشر؛ وقيل: العزم: الصبر؛ أي: لم نجد له صبراً عن أكل الشجرة. قال النحاس: وهو كذلك في اللّغة[٤]، يقال: لفلان عزم؛ أي: صبر وثبات على التحفظ عن المعاصي حتى يسلم منها، ومنه ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقيل: المعنى: ولم نجدْ له عزماً على الذنب، وبه قال ابن كيسان[٥]، وقيل: ولم نجد له رأياً معزوماً عليه، وبه قال ابن قتيبة[٦].

ثم شرع سبحانه في كيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه، والعامل في[٧] (إذ) مُقدّر؛ أي: ﴿وَ﴾ اذكر إذْ ﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾ وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود ذكر ما فيه من الحوادث للمبالغة؛ لأنّه إذا وقع الأمر بذكر الوقت كان ذكر ما فيه من الحوادث لازماً بطريق الأولى، وقد تقدم تفسير هذه القصة في البقرة مستوفى.

ومعنى ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ فتتعب في تحصيل ما لا بُدّ منه في المعاش كالحرث

---

(١) «جامع البيان» (١٦/ ١٨١).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٤٦).
(٣) انظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٨٩)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٠). وهي قراءة شاذة.
(٤) «تهذيب اللغة» (٢/ ١٥٢)، و«الصحاح» (٥/ ١٩٨٥).
(٥) انظر: «الوسيط» (٣/ ٢٢٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٤٧).
(٦) في «تفسير غريب القرآن» (ص٢٨٣).
(٧) «روح المعاني» (١٦/ ٤٧٦)، و«الفريد» (٣/ ٤٦٧).

والزرع، ولم يقل فتشقيا[(١)]؛ لأنّ الكلام من أوّل القصة مع آدم وحده، ثم علّل ما يوجبه ذلك النهي بما فيه الراحة الكاملة عن التعب والاهتمام فقال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾؛ أي: في الجنّة.

والمعنى: أن لك فيها تمتعاً بأنواع المعايش، وتنعماً بأصناف النِّعم من المآكل الشهية والملابس البهية، فإنّه لما نفى عنه الجوع والعُريّ أفاد ثبوت الشّبع والاكتساء له، وهكذا قوله: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ فإنّ نفي الظمأ يستلزم حصول الريّ، ووجودَ المسكن الذي يدفع عنه مشقة الضحو يقال: ضحي الرجل يَضْحى ضَحْواً: إذا برز للشمس فأصابه حرّها.

فذكر سبحانه ها هنا أنه قد كفاه الاشتغال بأمر المعاش وتعب الكدّ في تحصيله، ولا ريب أنّ أصول المتاعب في الدنيا هي تحصيل الشِّبع والريّ والكسوة والكنّ، وما عدا هذه ففضلات يمكن البقاء بدونها، وهو إعلامٌ من الله سبحانه لآدم أنه إنْ أطاعه فله في الجنة هذا كله، وإنْ ضيع وصيته ولم يحفظ عهده أخرجه من الجنة إلى الدنيا، فيحلّ به التعبُ والنصبُ بما يدفع الجوع والعري والظمأ والضحو، فالمراد بالشقاء: شقاء الدنيا، كما قاله كثير مِنْ المفسرين[(٢)] لا شقاء الأخرى.

قال الفراء[(٣)]: هو أن يأكل مِنْ كدّ يديه، وقرأ أبو عَمْرو والكوفيون إلا عاصماً (وأنّك لتظمأ) بفتح أن[(٤)]، وقرأ الباقون بكسرها[(٥)] على العطف على (إنّ لك) ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ قد تقدّم تفسيره في الأعراف في قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٠]؛ أي: أنهى إليه وسوسته.

وجملة ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ﴾ إلى آخره إمَّا بدل من وسوس، أو مستأنفة بتقدير سؤال كأنَّه قيل: فماذا قال له في وسوسته؟ و﴿شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ هي الشجرة التي مَنْ أكل منها

(١) «روح المعاني» (١٤/ ٤٧٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٩٠)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٨٦).
(٢) «جامع البيان» (١٦/ ١٨٧)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٧٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٤٩).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٩٣).
(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٣٩٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٠٧)، و«التيسير» (ص١٥٣)، و«التبيان» (٢/ ٩٠٦).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان، وصواب العزو: قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم بكسر الهمزة وقرأ باقي العشرة بفتح الهمزة. «النشر» (٢/ ٣٢٢).

لم يمت أصلاً ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾؛ أي: لا يزول ولا ينقضي ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ قد تقدّم تفسير هذا وما بعده في الأعراف.

قال الفرّاء[(١)]: ومعنى طفقا في العربية: أَقبلا، وقيل: جَعلا يُلْصقان عليهما من ورق التين. ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾؛ أي: عصاه بالأكل من الشجرة فغوى فضلّ عَنْ الصواب أو عن مطلوبه، وهو الخلود بأكل تلك الشجرة؛ وقيل: فَسَد عليه عيشُه بنزوله إلى الدنيا وقيل: جهل موضع رشده؛ وقيل: بَشِم من كثرة الأكل.

قال ابن قتيبة[(٢)]: أكل آدم من الشجرة التي نُهي عنها باستزلال إبليس وخدائعه إياه، والقسم له بالله إنّه له لمن الناصحين حتى دلّاه بغرور، ولم يكن ذنبه عن اعتقاد متقدّم ونية صحيحة، فنحن نقول: عصى آدم ربه فغوى. انتهى.

قال القاضي أَبو بكر ابن العربي[(٣)]: لا يجوز لأحدٍ أن يخبر اليوم بذلك عن آدم.

قلتُ: لا مانع من هذا [٣/٢٤٢] بعد أَنْ أخبرنَا الله في كتابه بأنّه عصاه، وكما يقال: حسناتُ الأبرار سيئات المقربين، وممّا قلته[(٤)] في هذا المعنى:

عصى أبو العالَمِ وهو الذي ... مِنْ طينةٍ صوّرَه اللّهُ
وأسجدَ الأملاكَ مِنْ أجله ... وصيّر الجنّةَ مأواهُ
أغواه إبليسُ فمن ذا أنا المسـ ... ـكينُ إنْ إبليسَ أغواهُ

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ﴾؛ أي: اصطفاه وقرّبه. قال ابن فورك[(٥)]: كانت المعصية من آدم قبل النبوّة بدليل ما في هذه الآية، فإنّه ذكر الاجتباء والهداية بعد ذكر المعصية، وإذا كانت المعصية قبل النبوّة فجائزٌ عليهم الذنوب وجهاً واحداً ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾؛ أي: تاب عليه من معصيته، وهداه إلى الثبات[(٦)] على التوبة.

قيل: وكانت توبة الله عليه قبل أَنْ يتوب هو وحواء بقولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وقد مرّ وجه تخصيص آدم بالذكر دون حواء.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٩٤).
(٢) في «تأويل مشكل القرآن» (ص٣١٢).
(٣) في «أحكام القرآن» (٣/ ١٢٤٩).
(٤) انظر: «ديوان الشوكاني» (ص٣٥٩).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٥٥ ـ ١٥٦).
(٦) «روح المعاني» (١٦/ ٤٨٧).

وقد أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[١] في قوله: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾؛ أي: القرآن ﴿ذِكْرًا﴾ قال: جدّاً وورعاً.

وأخرج ابنُ مردويه[٢] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ﴾ يقول: لا تعجل حتى نبيِّنه لك.

وأخرج الفريابي، وابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن الحسن[٣] قال: لطم رجل امرأته، فجاءت إلى النبيّ ﷺ تطلب قَصاصاً، فجعل النبيّ ﷺ بينهما القصاص، فأنزل الله ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ﴾ الآية، فوقف النبيّ ﷺ حتى نزلت ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ الآية [النساء: ٣٤].

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٤] في قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ﴾ الآية قال: لا تُتله على أحد حتى نتمه لك.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حُميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن منده في «التوحيد»، والطبراني في «الصغير» وصحّحه، عن ابن عباس[٥] قال: إنما سُمّي الإنسان؛ لأنّه عُهد إليه فنسي.

وأخرج عبد الغني، وابن سعد عن ابن عباس ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ﴾ أن لا تقرب الشجرة ﴿فَنَسِيَ﴾ فترك عهدي[٦] ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ قال[٧]: حفظاً.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠١).
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٧٩)، عن قتادة بسند صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٢).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٢).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٦/ ٦٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٤ رقم ٥٢٤٦) بسند صحيح. لكنه مرسل.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٨١) بسند صحيح.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٨٢ ـ ١٨٣)، وابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (١٨)، والطبراني في «الصغير» (٢/ ٥٥)، والحاكم (٢/ ٣٨٠)، وابن عساكر في «تاريخه» (٧/ ٣٨٧) من طرق بسند صحيح.

(٦) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٣) إلى ابن جرير وابن منده.
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٨٢)، عن ابن عباس بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٨٤)، عن ابن عباس بسند ضعيف.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[١] أيضاً ﴿فَنَسِيَ﴾ فترك ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ يقول: لم نجعل له عَزْماً.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٢] عنه أيضاً ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ قال: لا يُصيبك فيها عَطشٌ ولا حرّ.

وأخرج أحمد، وعبد بن حُميد، وابن أبي حاتم عَنْ أبي هريرة[٣] عن النبي ﷺ قال: «إنّ في الجنة شجرةً يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وهي شجرة الخُلْد». وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «حاجّ آدم موسى قال له: أنت الذي أخرجتَ الناسَ من الجنة بذنبك وأشقيتهم بمعصيتك، قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، أتلومني على أمرٍ كتبه الله عليّ قبل أَنْ يخلقني، أو قدّره عليّ قبل أن يخلقني»، قال رسول الله ﷺ: «فحج آدمُ موسى».

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾.

قوله: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾ قد مرّ تفسيره في البقرة؛ أي: انزلا من الجنة إلى الأرض، خصهما الله سبحانه بالهبوط لأنهما أصل البشر، ثم عمّم الخطاب لهما ولذرّيتهما فقال: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ والجملة في محل نصب[٤] على الحال ويجوز أن يقال: خاطبهما في هذا وما بعده خطاب الجمع؛ لأنهما منشأ الأولاد.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٨٤)، عن ابن عباس بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٨٨) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٩٢٤٣، ٩٤١٧، ٩٦٥٠، ٩٨٣٢، ٩٨٧٠، ١٠٠٦٥، ١٠٢٥٩)، وعبد بن حميد في «المنتخب» رقم (١٤٥٧). وهو حديث صحيح.
أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٨٨١)، ومسلم رقم (٢٨٢٦).

(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٣٩٣)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨).

ومعنى ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ تعاديهم في أمر المعاش ونحوه، فيحدث بسبب ذلك القتال والخصام ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾؛ أي: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾؛ أي: عَنْ ديني، وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه، ولم يتبع هداي ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾؛ أي: فإنّ له في هذه الدنيا معيشةً ضنكاً؛ أي: عيشاً ضَيّقاً. يقال: منزل ضَنْك[1] وعيش ضَنْك، مصدر يستوي فيه الواحد وما فوقه والمذكر والمؤنث، قال عنترة[2]:

إن المنيةَ لو تُمثَّل مُثِّلتْ ... مِثلي إذا نَزلوا بضَنْكِ المنزلِ

وقرئ (ضُنْكى) بضم الضاد[3] على فُعْلى[4]. ومعنى الآية: أنَّ الله ﷻ جعل لمن اتبع هداه وتمسك بدينه أن يعيش في الدنيا عيشاً هنيّاً غير مهموم ولا مغموم، ولا مُتعب نفسه كما قال سبحانه: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

وجعل لمن لم يتبع هداه وأعرض عن دينه أَنْ يعيش عيشاً ضَيّقاً وفي تعب ونَصبٍ، ومع ما يصيبه في هذه الدنيا مِنْ المتاعب، فهو في الأخرى أشدّ تعباً وأعظم ضيقاً، وأكثر نصباً، وذلك معنى ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾؛ أي: مسلوب البصر، وقيل: المراد: العمى عن الحُجّة.

وقيل: أعمى عَنْ جهات[5] الخير، لا يهتدي إلى شيء منها، وقد قيل: إن المراد بالمعيشة الضَنْكى: عذابُ القبر، وسيأتي ما يرجّح هذا ويقوّيه ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا؟ ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثل ذلك فعلتَ أنتَ، ثم فسّره بقوله: ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾؛ أي: أعرضتَ عنها، وتركتَها، ولم تنظر فيها ﴿وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾؛ أي: مثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا تُنْسى؛ أي: تُتْرك في العمى والعذاب في النار.

---

(١) «تهذيب اللغة» (١٠/ ٤٠)، و«الصحاح» (٤/ ١٥٩٨).
(٢) انظر: «ديوانه» (ص٥٧).
(٣) عزاها في الاتحاف ص(٣٠٧) للحسن لكن بفتح الضاد وهي قراءة شاذة.
(٤) قرأ الحسن «ضَنْكَى» بألف التأنيث كسَكْرى وبالإمالة. «القراءات الشاذة» (ص٩٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٩٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٥٧).
(٥) «النكت والعيون» (٣/ ٤٣١).

قال الفرّاء[(١)]: يقال: إنّه يخرج بصيراً مِنْ قبره فيعمى في حشره ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾؛ أي: مثل ذلك الجزاء نجزيه والإسراف: الانهماك في الشهوات، وقيل: الشركُ ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾؛ بل كذّب بها ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ﴾؛ أي: أفظعُ من المعيشة الضنكى ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾؛ أي: أدْوم وأثبت؛ لأنّه لا ينقطع.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، والطبراني، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن مردويه عن ابن عباس[(٢)] قال: قال رسول الله ﷺ: «من اتّبع كتاب الله هداه الله من الضلالة في الدنيا، ووقاه سوء الحساب يومَ القيامة»، وذلك أن الله يقول: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ومحمد بن نصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب» من طرق عن ابن عباس[(٣)] قال: أجار الله تابع القرآن من أن يضلّ في الدنيا أو يَشْقى في الآخرة، ثم قرأ ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ قال: لا يضلّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، ومسدد في «مُسْنده»، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي سعيد الخدري[(٤)] مرفوعاً في قوله: ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: عذاب القبر.

ولفظ عبد الرزاق قال: يُضَيَّق عليه قبرُه حتى تختلف أضلاعُه.

ولفظ ابن أبي حاتم قال: ضمة القبر.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٩٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٧١، ٣٧٢) موقوفاً، والطبراني في «الكبير» رقم (١٢٤٣٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٤) موقوفاً، وأدرك الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٩) فيه أبو شيبة وهو ضعيف جدّاً.
وقال أيضاً: «فيه أبو شيبة وعمران بن أبي عمران وكلاهما ضعيف».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦٧)، والحاكم (٢/ ٣٨١)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٠٢٩).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢١)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٩٦ ـ ١٩٨) موقوفاً، والحاكم (٢/ ٣٨١)، والبيهقي في كتاب «عذاب القبر» رقم (٧١).

وفي إسناده ابن لهيعة، وفيه مقال معروف. وقد روي موقوفاً.

قال ابن كثير[١]: الموقوف أصح.

وأخرج البزار، وابن أبي حاتم، عن أبي هريرة[٢] عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: «المعيشةُ الضنكى أن يُسلَّط عليه تسعة وتسعون[٣] حَيّة يَنْهشون لحمه حتى تقوم الساعة».

وأخرج ابن أبي الدنيا، والحكيم الترمذي، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبّان، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي هريرة[٤] مرفوعاً نحوه بأطول منه.

قال ابن كثير[٥]: رفعه منكر جدّاً.

وأخرج ابن أبي شيبة، والبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي هريرة[٦] عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: «عذاب القبر».

قال ابن كثير[٧] بعد إخراجه: إسناد جيد.

وأخرج هنّاد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني، والبيهقي عن ابن مسعود[٨] في قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: عذاب القبر.

ومجموع ما ذكرنا هنا يُرجّح تفسير المعيشة الضنكى بعذاب القبر.

وأخرج ابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي في كتاب «عذاب القبر» عن

---

(١) في «تفسيره» (٩/ ٣٧٨).

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٢٣٣ ـ كشف). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٧): وفيه من لم أعرفه.

(٣) كذا في تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٩)، والذي في مسند البزار: «سبعة وسبعون حية».

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي (٢/ ١٠١)، وأبو يعلى رقم (٦٦٤٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ١٩٨، ١٩٩)، وابن حبان رقم (٣١٢٢)، والبيهقي في «عذاب القبر» رقم (٨٠).

(٥) في «تفسيره» (٩/ ٣٧٨).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٨٣)، والحاكم (١/ ٣٨١) موقوفاً، والبيهقي في كتاب «عذاب القبر» رقم (٧٠).

(٧) في «تفسيره» (٩/ ٣٧٩).

(٨) أخرجه هنّاد رقم (٣٥٢)، والطبراني رقم (٩١٤٣)، والبيهقي في كتاب «عذاب القبر» رقم (٧٥).

ابن مسعود[١] أنه فسر المعيشة الضنكى بالشقاء.

وأخرج هنّاد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة[٢] في قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ قال: عَمِيَ عليه كلُّ شيءٍ إلا جهنّم، وفي لفظ: لا يبصر إلا النار.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عن سفيان في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ قال: من أشرك بالله [٣/٢٤٣].

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾.

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الاستفهام للتقريع[٤] والتوبيخ، والفاء للعطف على مقدّر، كما مرّ غير مرّة، والجملة مستأنفة لتقرير ما قبلها[٥] وفاعل (يهد) هو الجملة المذكورة بعدها، والمفعول محذوف، وأنكر البصريون مثل هذا لأن الجُمل لا تقع فاعلاً، وجوّزه غيرهم.

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٠٨)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٩).
(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٠٩).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٠)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٤١).
(٤) «روح المعاني» (١٦/ ٤٩٧)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٤٧).
(٥) «روح المعاني» (١٦/ ٤٩٥)، و«التبيان» (٢/ ٩٠٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٧٨)، و«الفريد» (٣/ ٤٧٠).

قال القفّال[(١)]: جعل كثرة ما أهلك من القرون مبيناً لهم.

قال النحاس[(٢)]: وهذا خطأ لأن «كم» استفهام، فلا يعمل فيها ما قبلها.

وقال الزجّاج[(٣)]: المعنى: أو لم يهد لهم الأمر بإهلاكنا مَنْ أهلكناه، وحقيقته تدل على الهدى، فالفاعل هو الهدى، وقال: ﴿كَمْ﴾ في موضع[(٤)] نصب بأهلكنا، وقيل: إنّ فاعل ﴿يَهْدِ﴾ ضمير الله أو للرسول، والجملة بعده تفسّره، ومعنى الآية على ما هو الظاهر: أفلم يتبين لأهل مكة خبر مَنْ ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ حال كون القرون ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَـٰكِنِهِمْ﴾ ويتقلّبون في ديارهم، أو حال كون هؤلاء يمشون من مساكن القرون الذين أهلكناهم عند خروجهم للتجارة، وطلب المعيشة، فيرون بلاد الأمم الماضية، والقرون الخالية خاويةً خاربة من أصحاب الحِجْر وثمود وقُرى قوم لوط فإن ذلك مما يوجب اعتبارهم لئلا يحل بهم مثل ما حلّ بأولئك.

وقرأ ابن عباس والسُّلَمي (نهد) بالنون[(٥)]، والمعنى على هذه القراءة واضح، وجملة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ تعليل للإنكار وتقرير للهداية، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى مضمون ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ إلى آخره.

والنُهى: جمع نهية، وهي العقل؛ أي: لذوي العقول التي تنهى أربابها عن القبيح ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: ولولا الكلمة السابقة، وهي وعد الله سبحانه بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الدار الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ عقاب ذنوبهم إلزاماً؛ أي: لازماً لهم، لا ينفك عنهم بحالٍ ولا يتأخر.

وقوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾، قاله الزجاج[(٦)] وغيرُه، والأجل

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (١١/ ١١٤ ـ ١١٥).
(٢) في «إعراب القرآن» له (٣/ ٦٠).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٧٩).
(٤) «التبيان» (٢/ ٩٠٧ ـ ٩٠٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٧٨)، و«الفريد» (٣/ ٤٧٠).
(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٣٩٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٥٩)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٣/ ٣٧٩). وهي قراءة شاذة.
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٧٩).

المُسمّى هو: يوم القيامة، أو يوم بدر[١]، واللِّزام مصدر لازِم، قيل: ويجوز عطف ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ على الضمير[٢] المستتر في كان العائد إلى الأخذ العاجل المفهوم من السياق؛ تنزيلاً للفصل بالخبر منزلة التأكيد؛ أي: لكان الأخذ العاجل ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لازمين لهم كما كانا لازمين لعادٍ وثمود، وفيه تعّسفٌ ظاهر.

ثم لمّا بيَّن الله سبحانه أنّه لا يهلكهم بعذاب الاستئصال أمره بالصبر[٣] فقال: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ مِنْ أنّك ساحرٌ كذّاب، ونحو ذلك من مطاعنهم الباطلة، والمعنى: لا تحتفل بهم، فإنّ لعذابهم وقتاً مضروباً لا يتقدّم ولا يتأخر.

وقيل: هذا منسوخ[٤] بآية القتال. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ أي: مُتلبِّساً بحمده، قال أكثر المفسرين[٥]: والمراد: الصلوات الخمس كما يفيده قوله: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ فإنه إشارة إلى صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ فإنه إشارة إلى صلاة العصر ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾ العَتَمة، والمراد بالآناء: الساعات، وهي جمع إني بالكسر والقَصْر، وهو الساعة.

ومعنى ﴿فَسَبِّحْ﴾؛ أي: فَصلّ ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: المغرب والظهر؛ لأن الظهر في آخر طرف النهار الأول، وأوّل طرف النهار الآخر؛ وقيل: إنّ الإشارة إلى صلاة الظهر هي بقوله: ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾؛ لأنها هي وصلاة العصر قبل غروب الشمس؛ وقيل: المراد بالآية: صلاة التطوّع[٦]، ولو قيل ليس في الآية إشارة إلى الصلاة؛ بل المراد التسبيح في هذه الأوقات؛ أي: قول القائل: سبحان الله، لم يكن ذلك بعيداً مِنْ الصواب.

والتسبيح وإنْ كان يطلق على الصلاة ولكنَّه مجاز، والحقيقة أولى إلا لقرينة تصرف ذلك إلى المعنى المجازي.

---

(١) «الفريد» (٣/ ٤٧٠)، و«التبيان» (٢/ ٩٠٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٧٨).
(٢) «روح المعاني» (١٦/ ٤٩٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٦٠).
(٣) «الكشاف» (٤/ ١١٨).
(٤) «الناسخ والمنسوخ» (ص٤٠ ـ ابن الجوزي)، و«جامع البيان» (١٦/ ٢٠٩).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٦١)، و«جامع البيان» (١٦/ ٢٠٩ ـ ٢١٠)، و«روح المعاني» (١٦/ ٤٩٩).
(٦) «النكت والعيون» (٣/ ٤٣٢).

وجملة ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ متعلِّقة بقوله: ﴿فَسَبِّحْ﴾؛ أي: سبّحْ في هذه الأوقات رجاء أَنْ تنال عند الله سبحانه ما ترضى به نفسك، هذا على قراءة الجمهور[١]، وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم (تُرْضَى) بضم التاء[٢] مبنياً للمفعول؛ أي: يرتضيك ربُّك ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ قد تقدّم تفسير هذه الآية في الحجر.

والمعنى: لا تُطل نظَر عينيك، و﴿أَزْوَٰجًا﴾ مفعول ﴿مَتَّعْنَا﴾، و﴿زَهْرَةَ﴾ منصوبة على الحال، أو بفعل محذوف؛ أي: جعلنا أو أعطينا، ذكر معنى هذا الزجاج؛ وقيل: هي بدل من الهاء في (به) باعتبار محلِّه، وهو النصب لا باعتبار لفظه، فإنه مجرور كما تقول: مررتُ به أخاك.

ورجّح الفرّاء[٣] النصب على الحال، ويجوز أن تكون بدلاً، ويجوز أن تكون منتصبة على المصدر مثل صبغةَ الله ووعدَ الله و﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ زينتها وبهجتها بالنبات وغيره.

وقرأ عيسى بن عمر (زَهَرة) بفتح الهاء[٤]، وهي نَور النبات، واللام في ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ فيه متعلق بمتعنا؛ أي: لنجعل ذلك فتنةً لهم[٥] وضلالةً، ابتلاءً منا لهم كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ [الكهف: ٧].

وقيل: لنعذبنهم؛ وقيل: لنُشدِّد عليهم في التكليف.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾؛ أي: ثواب الله، وما ادّخر لصالح عباده في الآخرة خير مما رزقهم في الدنيا على كل حال، وأيضاً فإنّ ذلك لا ينقطع، وهذا ينقطع، وهو معنى ﴿وَأَبْقَىٰ﴾، وقيل: المراد بهذا الرزق ما يفتح الله[٦] على المؤمنين من الغنائم ونحوها.

والأوّل أولى؛ لأنَّ الخيرية[٧] المحققّة، والدوام الذي لا ينقطع إنما يتحققان

---

(١) «التيسير» (ص١٥٣)، و«جامع البيان» (١٦/ ٢١٢)، و«روح المعاني» (١٦/ ٥٠٤)، و«النشر» (٢/ ٣٢٢).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. (٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٩٦).

(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٤٠٠)، و«النشر» (٢/ ٣٢٢)، و«روح المعاني» (١٦/ ٥٠٦). والقراءة بفتح الهاء، قراءة متواترة، وبها قرأ يعقوب وبقية العشرة بسكون الهاء.

(٥) «الوسيط» للواحدي (٣/ ٢٢٧)، و«النكت والعيون» (٣/ ٤٣٣).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٦٤).

(٧) «روح المعاني» (١٦/ ٥٠٧)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٢٤٩).

في الرزق الأُخْروي لا الدنيوي، وإنْ كان حلالاً طيباً ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ أمره الله سبحانه بأنْ يأمر أهله بالصلاة، والمراد بهم: أهل بيته، وقيل: جميع[1] أمته ولم يذكر ها هنا الأمر من الله له بالصلاة،؛ بل قصر الأمر على أهله، إمّا لكون إقامته لها أمراً معلوماً، أو لكون أمره بها قد تقدّم في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ إلى آخر الآية، أو لكون أمره بالأمر لأهله أمراً له، ولهذا قال: ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾؛ أي: اصبر على الصلاة، ولا تشتغل عنها بشيء من أمور الدنيا.

﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾؛ أي: لا نسألك أَنْ ترزق نفسَك ولا أهلك، وتشتغل بذلك عن الصلاة ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ ونرزقهم ولا نكلّفك ذلك ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: العاقبة المحمودة، وهي الجنّة لأهل التقوى على حذف المضاف كما قال الأخفش[2]، وفيه دليل على أَنَّ التقوى هي ملاكُ الأمر، وعليها تدور دوائر الخير.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾؛ أي: قال كفار مكة[3]: هلّا يأتينا محمد بآية من آيات ربِّه كما كان يأتي بها مَنْ قبله من الأنبياء؟ وذلك كالناقة والعصا، أو هلاّ يأتينا بآية مِنْ الآيات التي قد اقترحناها عليه؟ فأجاب الله ﷻ عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ يريد بالصحف الأولى: التوراة[4] والإنجيل والزبور وسائر الكتب المنّزلة، وفيها التصريح بنبوّته والتبشير به، وذلك يكفي، فإن هذه الكتب المنزلة هم معترفون بصدقها وصحتها، وفيها ما يدفع إنكارهم لنبوّته، ويَبْطل تعنتاتهم وتعسفاتهم.

وقيل: المعنى: أو لَمْ يأتهم إهلاكُنا[5] للأمم الذين كفروا واقترحوا الآيات، فما يؤمنهم إنْ أتتهم الآيات التي اقترحوها أن يكون حالهم كحالهم؟

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٦٤)، و«روح المعاني» (١٦/ ٥٠٧)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ١١٧).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٢٨).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٦٥)، و«جامع البيان» (١٦/ ٢١٨).

(٤) «روح المعاني» (١٦/ ٥١٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٦٦)، و«جامع البيان» (١٦/ ٢١٨).

(٥) «جامع البيان» (١٦/ ٢١٨).

وقيل: المراد: أو لم تأتهم آية هي أمّ الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني: القرآن، فإنّه برهان لما في سائر الكتب المنزلة.

وقرأ أبو جعفر، [٣/٢٤٤] وشيبة، ونافع، وأبو عَمْرو، ويعقوب، وابن أبي إسحاق، وحفص (أو لم تأتهم) بالتاء[١] الفوقية.

وقرأ الباقون بالتحتية[٢]؛ لأن معنى البينة: البيان والبرهان، فَذكّروا الفعل اعتباراً بمعنى البينة، واختار[٣] هذه القراءة أبو عبيد، وأبو حاتم. قال الكسائي[٤]: ويجوز بينةٌ بالتنوين.

قال النحاس[٥]: إذا نوّنت بينة ورفعت جعلت (ما) بدلاً منها، وإذا نصبت فعلى الحال. والمعنى: أو لم يأتهم ما في الصحف الأولى مُبيناً، وهذا على ما يقتضيه الجواز النحوي وإنْ لم تقع القراءة به.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾؛ أي: مِنْ قبل بعثة محمد ﷺ أو من قبل إتيان البينة لنزول القرآن ﴿لَقَالُوا۟﴾ يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾؛ أي: هلّا أرسلت إلينا رسولاً إلى الدنيا ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ التي يأتي بها الرسول ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بالعذاب في الدنيا ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ بدخول النار، وقُرئ[٦] (نُذَلّ ونُخْزَى) على البناء للمفعول، وقد قطع الله معذرة هؤلاء الكفرة بإرسال الرسول إليهم قبل إهلاكهم، ولهذا حكى الله عنهم أنهم ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الملك: ٩].

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟﴾؛ أي: قُلْ لهم يا مُحمد: كل واحد منا ومنكم مُتربِّص؛ أي: مُنْتظِر لما يؤول إليه الأمر فتربّصوا أنتم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عَنْ قريب ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ﴾؛ أي: فستعلمون بالنصر والعاقبة مَنْ هو مِنْ أصحاب الصراط المستقيم ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ مِنْ الضلالة ونزع عن الغواية، و«مِنْ» في الموضعين في محل

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٤٠١)، و«النشر» (٢/ ٣٢٢)، و«التيسير» (ص١٥٣).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٠٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٦٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٠١).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٦٦).

(٥) في «إعراب القرآن» له (٣/ ٦١).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص٩١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٠٢). وهما قراءتان شاذتان.

رفع[١] بالابتداء.

قال النحاس[٢]: والفرّاء[٣] يذهب إلى أنَّ معنى ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾: مَنْ لم يضلّ، وإلى أن معنى ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: مَنْ ضلّ ثم اهتدى؛ وقيل: «من» في الموضعين في محل نصب، وكذا قال الفراء[٤]. وحكي عن الزجاج[٥] أنه قال: هذا خطأ لأن الاستفهام لا يَعمل فيه ما قبله.

وقرأ أَبو رافع[٦] (فسوف تعلمون). وقرأ يحيى بن يَعْمر، وعاصم الجحدري (السُوءَى) على فعُلْى[٧]، وردت هذه القراءة بأنّ تأنيث الصراط شاذ؛ وقيل: هي بمعنى الوسط والعدل. اهـ.

وقد أخرج ابن أبي حاتم، وابن المنذر، عن ابن عباس[٨] في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾: (ألم نُبيّن) لهم ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ نحو عاد وثمود ومن أُهلك من الأمم وفي قوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ يقول: هذا من مقاديم الكلام، يقول: لولا كلمةٌ وأجل مسمى لكان لزاماً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٩] عن السديّ نحوه.

وأخرج ابن المنذر[١٠] عن مجاهد قال: الأجل المُسمّى الكلمة التي سبقت من ربِّك.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١١]. ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ قال: موتاً.

وأخرج الفريابي، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم

---

(١) «روح المعاني» (١٦/ ٥١٤)، و«الفريد» (٣/ ٤٧٤)، و«التبيان» (٢/ ٩١٠).
(٢) في «إعراب القرآن» (٣/ ٦٢).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٩٧).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٩٧).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٢/ ٣٨١).
(٦) وهي قراءة شاذة. «الكشاف» (٤/ ١٢٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٦٨).
(٧) «روح المعاني» (١٦/ ٥١٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٠٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٦٩). وهي قراءة شاذة.
(٨) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١١).
(٩) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١١).
(١٠) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١١).
(١١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٠٨) بسند صحيح.

عنه[١] في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ الآية قال: هي الصلاة المكتوبة.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه، وابن عساكر عن جرير[٢] عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ قال: قبل طلوع الشمس: صلاة الصبح، وقبل غروبها: صلاةُ العصر.

وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث جرير[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضَامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، وقرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾».

وفي «صحيح مسلم»، و«سنن أبي داود»، والنسائي عن عمارة بن رؤبة[٤] سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لن يلج النارَ أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها».

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن راهويه، والبزار، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والخرائطي، وأبو نعيم عن أبي رافع[٥] قال: «أضاف النبيّ ﷺ ضيفاً»، ولم يكن عند النبيّ ﷺ ما يصلحه، فأرسلني إلى

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢١)، وابن المنذر في «الأوسط» (٢/ ٣٢٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢١٠) بسند صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٧٠١٤)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤١/ ٢٤٨).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٧، ١١٢): «فيه سعيد العطار وهو ضعيف».
وقال أيضاً: «فيه داود بن الزبرقان». وهو متروك.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥١)، ومسلم رقم (٢١١/ ٦٣٣)، وأبو داود رقم (٤٧٢٩)، والترمذي رقم (٢٥٥١)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٧٧٦٢)، وابن ماجه رقم (١٧٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢١٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» رقم (١١/ ٢٣٨)، وابن حبان رقم (٧٤٤٢، ٧٤٤٣).

(٤) أخرجه مسلم رقم (٢١٣، ٢١٤/ ٦٣٤)، وأبو داود رقم (٤٢٧)، والنسائي رقم (٤٧٠)، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٨٦)، والحاكم (١/ ٢٠، ١٩٩) و(٣/ ٦٢٨). وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة كما في «المطالب العالية» رقم (١٦٠١، ٤٠٤٥)، وابن راهويه كما في «المطالب العالية» رقم (١٦٠٠، ١٦٠٢)، والبزار في «مسنده» رقم (٣٨٦٣)، وأبو يعلى كما في «المطالب العالية» رقم (١٦٠٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٦٤)، وأبو نعيم في «المعرفة» (١/ ٢٤١ رقم ٨٦٥). وهو حديث صحيح.

رجل من اليهود أن بِعْنا أو سلِّفنا دقيقاً إلى هلال رجب، فقال: لا إلَّا برهنٍ، فأتيت النبيّ ﷺ فأخبرته، فقال: أما والله إنِّي لأمين في السماء أمين في الأرض، ولئن أسلفني أو باعني لأدّيتُ إليه، اذهب بدرعي الحديد، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾؛ كأنَّه يعزيه عن الدنيا.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد[(١)] أنّ رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم ما يَفْتح الله لكم من زهرة الدنيا، قالوا: وما زهرةُ الدنيا يا رسول الله؟ قال: بركاتُ الأرض».

وأخرج ابن مردويه، وابن عساكر، وابن النجار، عن أبي سعيد الخدريّ[(٢)] قال: لما نزلت ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ كان النبيّ ﷺ يجيء إلى باب عليّ صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول: الصلاة رَحِمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن أبي الحمراء نحوَه.

وأخرج أحمد في «الزهد»، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الشعب» عن ثابت[(٤)]، قال: «كان النبي ﷺ إذا أصابت أهلَه خَصاصةٌ نادى أهله: يا أهلاه صَلُّوا صَلُّوا»، قال ثابت: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة.

وأخرج أبو عبيد[(٥)]، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، والطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الشعب» بإسناد.

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٤٢).
وأخرجه ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٣٨٤) بسند صحيح.
وقد أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٢٢/ ١٠٥٢).

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٢/ ١٣٦).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٣).

(٤) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٠)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٣١٨٥)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٩/ ٣٨٥) بسند ضعيف لإرساله. ثابت هو: ابن أسلم البناني وهو تابعي.

(٥) أخرجه الطبراني رقم (٨٨٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٧٦)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٣١٨٠، ٩٧٠٥) بسند صحيح.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٧): «رجاله ثقات».

قال السيوطي[١]: صحيح عن عبد الله بن سَلَام قال: كان النبيّ ﷺ إذا نزلت بأهله شدّة أو ضيق أمرهم بالصلاة، وقرأ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية.

❁ ❁ ❁

(١) في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٣).

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

وهي مكية قال القرطبي(١): في قول الجميع وهي مائة واثنتا عشرة آية.

وأخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود(٢) قال: بنو إسرائيل والكهف ومريم والأنبياء هنّ من العتاق الأول، وهنّ من تِلادي.

وأخرج ابن مردويه، وأبو نعيم في «الحِلْية» عَنْ عامر بن ربيعة(٣) أنه نزل به رجل من العرب، فأكرم عامرٌ مثواه، وكلّم فيه رسولَ الله ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت رسولَ الله ﷺ وادياً ما في العرب وادٍ أفضل منه، وقد أردتُ أن أقطعَ لك منه قطعةً تكون لك ولعقِبك مِنْ بعدك، فقال عامر: لا حاجة لي في قطعتك، نزلت اليومَ سورةٌ أذهلتنا عَنْ الدنيا ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩﴾.

---

(١) في «تفسيره» (١٤/ ١٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٧٣٩)، وابن الضريس في «فضائله» رقم (٢١٠).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٢٥/ ٣٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٧٩) بسند ضعيف؛ لضعف عبد الرحمٰن بن أسلم.

يقال: قَرُب الشيء واقترب وقد اقترب الحساب؛ أي: قَرُب الوقت الذي يُحاسبون فيه.

قال الزجّاج[1]: المعنى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ وقتُ (حِسَابِهُمْ)؛ أي: القيامة، كما في قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]. واللّام في ﴿لِلنَّاسِ﴾ متعلقة بالفعل، وتقديمها هي ومجرورها على الفاعل لإدخال[2] الروعة، ومعنى اقتراب وقتُ الحساب: دنّوه منهم؛ لأنّه في كل ساعة أقرب إليهم من الساعة التي قبلها؛ وقيل: لأنّ كل ما هو آتٍ قريبٌ، وموت كل إنسان قيام ساعته، والقيامة أيضاً قريبة بالإضافة إلى ما مضى من الزمان، فما بقي من الدنيا أقل مما مضى.

والمراد بالنَّاس: العموم؛ وقيل[3]: المشركون مطلقاً؛ وقيل: [٣/٢٤٥] كفار مكة، وعلى هذا الوجه قيل: المراد بالحساب: عذابهم يوم بدر.

وجملة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ في محل نصب[4] على الحال؛ أي: هم في غفلة بالدنيا معرضون عن الآخرة، غير متأهبين بما يجب عليهم من الإيمان بالله، والقيام بفرائضه، والانزجار عن مناهيه.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ «من» لابتداء الغاية.

وقد استدلّ بوصف الذكر لكونه مُحْدَثاً على أَنَّ القرآن مُحْدَث؛ لأن الذكر هنا هو القرآن.

وأجيب بأنَّه لا نزاع في حدوث المركّب من الأصوات والحروف؛ لأنه متجدّد في النزول. فالمعنى: مُحدث تنزيله، وإنما النزاع في الكلام النفسي.

[الكلام على خلق القرآن حدوثه وقدمه]:

وهذه المسألة، أعني: قِدَم القرآن وحدوثه، قد ابتُلي بها كثيرٌ من أهل العلم والفضل في الدولة المأمونية والمعتصمية والواثقية، وجرى للإمام أحمد بن حنبل ما جرى من الضرب الشديد والحبس الطويل، وضُرب بسببها عُنق محمد بن نصر

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٨٣).

(٢) «تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٥٣)، و«روح المعاني» (١٧/ ٦).

(٣) «النكت والعيون» (٣/ ٤٣٥)، و«روح المعاني» (١٧/ ٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٧١).

(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٤١٣)، و«التبيان» (٢/ ٩١١)، و«الفريد» (٣/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦).

الخزاعي، وصارت فتنةً عظيمةً في ذلك الوقت وما بعده، والقصةُ أشهر من أن تُذْكر، ومن أحبّ الوقوف على حقيقتها طالع ترجمة الإمام أحمد بن حنبل في كتاب «النبلاء»[١] لمؤرخ الإسلام الذهبي.

ولقد أصاب أئمة السُّنَّة بامتناعهم من الإجابة إلى القول بخلق القرآن وحدوثه، وحفظ الله بهم أُمَة نبيّه عن الابتداع، ولكنَّهم رحمهم الله جاوزوا ذلك إلى الجزم بِقدمه ولم يقتصروا على ذلك حتى كفَّروا مَنْ قال بالحدوث؛ بل جاوزوا ذلك إلى تكفير من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ بل جاوزوا ذلك إلى تكفير مَنْ وقَفَ، وليتهم لم يجاوزوا حدّ الوقف وإرجاع العِلْم إلى علَّام الغيوب، فإنَّه لم يُسمع مِنْ السلف الصالح مِنْ الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم إلى وقت قيام المحنة، وظهور القول في هذه المسألة شيء من الكلام، ولا نقل عنهم كلمة في ذلك، فكان الامتناع من الإجابة إلى ما دعوا إليه، والتمسك بأذيال الوقف، وإرجاع علم ذلك إلى عالمه هو الطريقة المثلى، وفيه السلامة والخلوص مِنْ تكفير طوائف من عباد الله، والأمر لله سبحانه.

وقولُه: ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ استثناء مفرّغ في محل[٢] نصب على الحال، وجملة ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ في محل نصب[٣] على الحال أيضاً من فاعل استمعوه، و﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ حال أيضاً، والمعنى: ما يأتيهم من ذكر مِنْ ربهم مُحْدَث في حال من الأحوال إلا في الاستماع مع اللعب والاستهزاء ولهوة القلوب.

وقُرِئ (لاهيةٌ) بالرفع[٤] كما قُرِئ (مُحْدَثٌ) بالرفع[٥] ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ النّجوى: اسم مِنْ التناجي، والتناجي لا يكون إلا سرّاً، فمعنى إسرار النجوى: المبالغة في الإخفاء.

وقد اختلف في محل الموصول على أقوال.

---

(١) في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٧ رقم ٧٨)، ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) «روح المعاني» (١٦/ ١٦)، و«التبيان» (٢/ ٩١١)، و«الفريد» (٣/ ٤٧٦).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٤١٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٦)، و«القراءات الشاذة» (ص٩١).
وقد قرأ بها ابن أبي عبلة وعيسى.

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٤١٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٦). والرفع في كلمة «لاهيةٌ» وفي كلمة «محدثٌ» قراءتان شاذتان.

فقيل: إنه في محل رفع بدل من الواو في أسرّوا، قاله المبرِّد[١] وغيره.

وقيل: هو في محل رفع على الذمّ.

وقيل: هو فاعل لفعل محذوف، والتقدير: يقول الذين ظلموا، واختار هذا النحاس[٢].

وقيل: في محل نصب بتقدير أعني.

وقيل: في محل خفض على أنه بدل من الناس ذكر ذلك المبرد[٣].

وقيل: هو في محل رفع على أنَّه فاعل أسرّوا على لغة مَنْ يجوّز الجمع بين فاعلين؛ كقولهم: أكلوني البراغيثُ، ذكر ذلك الأخفش[٤]، ومثله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]. ومنه قول الشاعر[٥]:

فـاهـتـديْـنَ الـنِّـبـالُ لـلأغـراض[٦]

وقول الآخر[٧]:

ولــكــنْ دِيَــافــيٌّ أبــوه وأمُّــه   بـحورانَ يـعصـرْنَ الـسـلـيطَ أقـاربُـه

وقال الكسائي[٨]: فيه تقديمٌ وتأخير؛ أي: والذين ظلموا أسرّوا النجوى. قال أبو عُبيدة[٩]: أسرّوا هنا مِنْ الأضداد: يحتمل أن يكون بمعنى: أخفوا كلامهم، ويحتمل أن يكون بمعنى: أظهروه وأعلنوه.

﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ هذه الجملة بتقدير القول قبلها؛ أي: قالوا هل هذا الرسول إلا بشر مثلكم لا يتميز عنكم بشيء؟ ويجوز أن تكون هذه الجملة بدلاً من ﴿ٱلنَّجْوَى﴾، وهلْ بمعنى النفي؛ أي: وأسرّوا هذا الحديث.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٢٩). (٢) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٦٣).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٢٣٨)، و«الوسيط» (٣/ ٢٢٩).

(٤) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٣٢).

(٥) هو: أبو تمام.
انظر: «ديوانه» (٢/ ٣١٣).

(٦) وصدر البيت:

بـك عـاد الـنِّـضـالُ دون الـمـسـاعـي

(٧) هو: الفرزدق. انظر: «ديوانه» (١/ ٤٦).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٤/ ١٧٥).

(٩) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٤).

والهمزة في ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ للإنكار[١]، والفاء للعطف على مقدّر كنظائره.

وجملة ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ في محل نصب[٢] على الحال.

والمعنى: إذا كان بشراً مثلكم، وكان الذي جاء به سحراً، فكيف تجيبونه[٣] إليه وتتبعونه؟ فأطلع الله نبيّه ﷺ على ما تناجوا به، وأمره الله سبحانه أَنْ يجيب عليهم فقال: ﴿قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: لا يخفى عليه شيء مما يقال فيهما، وفي مصاحف أهل الكوفة (قال ربي)[٤]؛ أي: قال محمد: ربّي يعلم القولَ، فهو عالم بما تناجيتم به. قيل: القراءة الأولى أولى؛ لأنّهم أسرّوا هذا القول، فأطلع الله رسولَه ﷺ على ذلك وأمره أن يقول لهم هذا.

قال النّحاس[٥]: والقراءتان صحيحتان، وهما بمنزلة آيتين ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لكل ما يُسمْع ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بكل معلوم، فيدخل في ذلك ما أسرّوا دخولاً أوّليّاً ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ قال الزجاج[٦]: أي: قالوا الذي تأتي به أضغاث أحلام.

قال القتيبي[٧]: أضغاث الأحلام: الرؤيا الكاذبة.

وقال اليزيدي[٨]: الأضغاث: ما لم يكن له تأويل، وهذا إضراب من جهة الله سبحانه حكاية لما وقع منهم، وانتقال من حكاية قولهم السابق إلى حكاية هذا القول.

ثم حكى سبحانه إضرابَهم عَنْ قولهم: أَضْغاث أحلام، قال: ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾؛ أي: بَلْ قالوا: افتراه مِنْ تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٧٥)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٠)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٥٤).

(٢) «الفريد» (٣/ ٤٧٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٠).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٧٥)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٢٤).

(٤) وهي قراءة حفص وحمزة والكسائي والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى، وأيوب، وخلف، وابن معدان، وابن جبير الأنطائي وابن جرير. «التيسير» (ص١٥٤)، و«جامع البيان» (١٦/ ١٢٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٠٩)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢١).

(٥) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٦٥).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٨٤).

(٧) القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٧٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٣٧).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٧٦).

ثم حكى سبحانه عنهم أنهم أضربوا عن هذا وقالوا: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ وما أتى به من جنس الشعر، وفي هذا الاضطراب منهم، والتلوّن والتردّد أعظم دليل على أنهم جاهلون بحقيقة ما جاء به، لا يدرون ما هو ولا يعرفون كنهه؟

أو كانوا قد علموا أنّه حقٌ، وأنه من عند الله، ولكن أرادوا أن يدفعوه بالصدر ويرموه بكل حَجَر ومَدَرٍ، وهذا شأن مَنْ غلبته الحجة وقهره البرهان.

ثم بعد هذا كله، قالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ وهذا جواب شرط محذوف؛ أي: إن لم يكن كما قلنا فليأتنا بآية ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾؛ أي: كما أُرسل موسى بالعصا وغيرها، وصالح بالناقة.

ومحل الكاف[(١)] الجرّ صفة لآية، ويجوز أَنْ يكون نعت مصدرٍ[(١)] محذوف، وكان سؤالهم هذا سؤال تعنّت؛ لأن الله سبحانه قد أعطاهم من الآيات ما يكفي، ولو علم الله سبحانه أنَّهم يؤمنون إذا أعطاهم ما يقترحوه لأعطاهم ذلك، كما قال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

قال الزجاج[(٢)]: اقترحوا الآيات التي لا يقع معها إمهال، فقال الله مجيباً لهم: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾؛ أي: قبل مشركي مكة ومعنى ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾: من أهل قرية، ووصف القرية بقوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾؛ أي: أهلكنا أهلَها، أو أهلكناها بإهلاك أهلِها، وفيه بيان أَنَّ سُنَّة الله في الأمم السالفة أن المقترحين إذا أعطوا ما اقترحوه، ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذابُ الاستئصال لا محالة، و«من» في ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ مزيدة للتأكيد.

والمعنى: ما آمنت قرية من القرى التي أهلكناها بسبب[(٣)] اقتراحهم قبل هؤلاء، فكيف نعطيهم ما يقترحون، وهم أسوة من قبلهم؟ والهمزة في ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ للتقريع والتوبيخ.

والمعنى: أي: إنْ لم تؤمن أمةٌ مِنْ الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوا؟

---

(١) «روح المعاني» (١٧/ ٢٤)، و«الفريد» (٣/ ٤٧٨).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٨٤).

(٣) «روح المعاني» (١٦/ ٢٦)، و«جامع البيان» (١٦/ ٢٢٧).

فكيف يؤمن هؤلاء لو أعطوا ما اقترحوا؟ ثم أجاب سبحانه عن قولهم: هل هذا إلا بشر مثلكم؟ بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾؛ أي: لم نرسل قبلك إلى الأمم السابقة إلا رجالاً من البشر، ولم نُرسل إليهم ملائكةً، كما قال سبحانه: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٥].

وجملة ﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ مستأنفة لبيان كيفية الإرسال، ويجوز أن تكون صفة لرجالاً؛ أي: مُتصفين بصفة الإيحاء إليهم.

قرأ حفص، وحمزة، والكسائي (نُوحي) بالنون[(١)]، وقرأ الباقون بالياء[(٢)] التحتية. ثم أمرهم الله بأنْ يسألوا أهل الذكر إن كانوا يجهلون هذا فقال: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ وأهل الذكر هم أهل الكتابين: اليهود والنصارى.

ومعنى ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾: إنْ كنتم لا تعلمون أنّ رسل الله مِنْ البشر، كذا قال أكثر المفسرين[(٣)].

[تخطئة المصنف مَنْ ذهب بالآية إلى جواز التقليد]:

وقد كان اليهود والنصارى لا يجهلون ذلك ولا ينكرونه، وتقدير الكلام: إنْ كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا أهل الذكر. وقد استُدل بالآية على أن التقليد جائز وهو خطأ، ولو سلم لكان المعنى سؤالهم عَنْ النصوص من الكتاب والسُّنَّة، لا عن الرأي البحت، وليس التقليد إلا قبول قول الغير دون حجته.

وقد أوضحنا هذا في رسالة بسيطة سميناها: «القول المفيد[(٤)] في حكم التقليد» [٣/٢٤٦].

ثم لمّا فرغ سبحانه من الجواب عن شبهتهم أكد كون الرسل من جنس البشر

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٤١١)، و«التيسير» (ص١٣٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٤ ـ ١٥)، و«روح المعاني» (١٦/ ٢٧).
• والذي في «البحر»: «قرأ طلحة وحَفْص». وهو الصواب، إنّما قرأ حفص وحمزة والكسائي (نوحي) بالنون في الآية (٢٥) من هذه السورة.

(٢) انظر: المصادر في التعليقة المتقدمة.

(٣) «جامع البيان» (١٦/ ٢٢٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٧٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤١١)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٢٣٩).

(٤) طبع عدة طبعات، وهو مطبوع ضمن «الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني» (٥/ ٢١٦١ ـ ٢٢٥٢).

فقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾؛ أي: أن الرسل أسوة لسائر أفراد بني آدم في حكم[1] الطبيعة يأكلون كما يأكلون، ويشربون كما يشربون، والجسد جسم الإنسان.

قال الزجّاج[2]: هو واحد، يعني: الجسد ينبئ عَنْ جماعة؛ أي: وما جعلناهم ذوي أجساد[3] لا يأكلون الطعام فجملة لا يأكلون الطعام صفة لجسدٍ؛ أي: وما جعلناهم جسداً مُستغنياً عَنْ الأكل؛ بل هو محتاج إلى ذلك ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾؛ بل يموتون كما يموت غيرهم من البشر، وقد كانوا يعتقدون أنَّ الرسل لا يموتون، فأجاب الله عليهم بهذا، وجملة ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ معطوفة على جملة يدلّ عليها السياق.

والتقدير: أوحينا إليهم ما أوحينا، ثم صدقناهم الوعد؛ أي: أَنجزنا[4] وعدَهم الذي وعدناهم بإنجائهم وإهلاك مَنْ كذّبهم، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾ مِنْ عبادنا المؤمنين.

والمراد: إنجاؤهم مِنْ العذاب وإهلاك مَنْ كفر بالعذاب الدنيوي، والمراد بـ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المجاوزون للحدّ في الكفر والمعاصي، وهم المشركون.

وقد أخرج النسائي[5] عن أبي سعيد، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ قال: «في الدنيا».

وأخرج ابن مردويه[6] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في الآية قال: «من أمر الدنيا».

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة[7] في قوله: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٤١١)، و«روح المعاني» (١٦/ ٢٨).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٨٥).
(٣) «النكت والعيون» (٣/ ٤٣٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤١١ ـ ٤١٢).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٨٠).
(٥) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٣٣١) و(١١٣٣٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) من طرق بسند صحيح.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٦).
(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٦)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٣٤٤٤).

أَحۡلَٰمِۭ﴾؛ أي: فِعْل الأحلام إنما هي رُؤيا رآها ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾ كل هذا قد كان مِنْه ﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ كما جاء عيسى وموسى بالبينات والرسلُ ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ﴾؛ أي: أنّ الرسل كانوا إذا جاءوا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا لم يُنْظَروا.

وأخرج ابنُ جرير(١) عن قتادة قال: قال أهلُ مكة للنبيّ ﷺ: إذا كان ما تقوله حقّاً، ويسرّك أنْ نؤمن فحوّل لنا الصفا ذهباً، فأتاه جبريل فقال: إنْ شئتَ كان الذي سألك قومُك، ولكنّه إنْ كان، ثُمَّ لم يؤمنوا لم يُنْظَروا، وإنْ شئتَ استأنيت بقومك، قال: «بل أستأني بقومي»، فأنزل الله ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم﴾ الآية.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٢) في قوله: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ يقول: لم نجعلهم جسداً ليس يأكلون الطعام، إنما جعلناهم جسداً يأكلون الطعام.

[معجزة القرآن معجزة مفتوحة للأجيال]:

﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ
ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرۡكُضُواْ
وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا
زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا
لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى
ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ
عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ
ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ
هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ
أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/٦٣٦) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦١٧).

نبَّه عباده على عظيم نعمته عليهم بقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا﴾ يعني: القرآن ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ صفة لكتابٍ، والمراد بالذكر هنا: الشرَف؛ أي: فيه شرفكم كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

وقيل: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾؛ أي: ذكر أمر دينِكم، وأحكام شرعكم وما تصيرون إليه مِنْ ثواب أو عقاب، وقيل: فيه حديثُكم. قاله مجاهد[١].

وقيل: مكارم أخلاقكم ومحاسن[٢] أعمالكم.

وقيل: فيه العمل بما فيه حياتكم، قاله سهل[٣] بن عبد الله.

وقيل: فيه موعظتكُم.

والاستفهام في ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ للتوبيخ[٤] والتقريع؛ أي: أفلا تعقلون أن الأمر كذلك، أو لا تعقلون شيئاً من الأشياء التي من جملتها ما ذُكر؟ ثم أوعدهم وحذّرهم ما جرى على الأمم المكذّبة، فقال: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ «كم» في محل نصب[٥] على أَنَّها مفعول قَصْمنا، وهي الخبرية المفيدة للتكثير، والقَصْم[٦]: كسرُ الشيء ودقّه، يقال: قصمتُ ظهر فلان: إذا كسرتَه، واقتصمت سِنّه: إذا انكسرتْ.

والمعنى هنا: الإهلاك والعذاب، وأما الفَصْم[٧] بالفاء فهو الصدع في الشيء من غير بينونة.

وجملة ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ في محل جرّ[٨] صفة لقرية، وفي الكلام مضاف محذوف؛ أي: وكم قصمنا من أهل قرية كانوا ظالمين؛ أي: كافرين بالله مكذبين بآياته.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٣٢) بسند صحيح.
(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٣٩) عن سفيان.
(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٣٩).
(٤) «روح المعاني» (١٧/ ٣٢)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٥٩).
(٥) «الفريد» (٣/ ٤٧٩)، و«التبيان» (٢/ ٩١٣)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٢ ـ ٣٣).
(٦) «تهذيب اللغة» (٨/ ٣٨٥)، و«الصحاح» (٥/ ٢٠١٣).
(٧) «الصحاح» (٥/ ٢٠٠٢)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٢١٣).
(٨) «الفريد» (٣/ ٤٧٩)، و«التبيان» (٢/ ٩١٣)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٣).

والظلم في الأصل: وضعُ الشيء في غير موضعه، وهم وضعوا الكفرَ في موضع الإيمان. ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾؛ أي: أوجدنا وأحدثنا بعد إهلاك أهلها قوماً ليسوا منهم. ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾؛ أي: أدركوا أو رأوا عذابنا.

وقال الأخفش(١): خافوا وتوقّعوا، أو البأس: العذاب الشديد ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ الركْضُ: الفرار والهرب والانهزام، وأصله مِنْ ركض(٢) الرجلُ الدابة برجليه، يُقال: رَكضَ الفرسُ: إذا كدّه بساقيه، ثم كثر حتى قيل: ركض الفرس: إذا عدا، ومِنْه ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [صٓ: ٤٢] والمعنى: أنّهم يهربون منها راكضين دوابهم، فقيل لهم: ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾؛ أي: لا تهربوا. قيل: إنّ الملائكة نادتهم بذلك عند فرارهم.

وقيل: إنّ القائل لهم ذلك هم مَنْ هنالك من المؤمنين استهزاءً بهم وسُخريةً منهم ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾؛ أي: إلى نِعمكم التي كانت سببَ بَطَرِكم وكفركم، والـمُترَفُ: المنعّم، يقال: أُترِفَ فلان؛ أي: وُسِّع عليه في معاشه ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾؛ أي: وارجعوا إلى مساكنكم(٣) التي كُنْتم تسكنونها وتفتخرون بها ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾؛ أي: تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المُهمّات، وهذا على طريقة التهكم بهم والتوبيخ(٤) لهم.

وقيل: المعنى: لعلّكم تُسألون عما نزل بكم من العقوبة فَتَخْبرون به؛ وقيل: لعلّكم تُسألون أن تؤمنوا كما كنتم تسألون ذلك قبل نزول العذاب بكم.

قال المفسِّرون(٥) وأهلُ الأخبار: إنّ المراد بهذه الآية: أهل حضور من اليمن، وكان الله سبحانه قد بعث إليهم نبيّاً اسمه شُعيب بن مَهْدم، وقبره بجبل من

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٨٢).
(٢) «تهذيب اللغة» (١٠/ ٣٧)، و«الصحاح» (٣/ ١٠٧٩ ـ ١٠٨٠).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٣٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٢)، عن قتادة بسند صحيح.
(٤) «روح المعاني» (١٧/ ٣٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٨٣).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٨١ ـ ١٨٢).

جبال اليمن يقال له: ضِين وبينه وبين حضور نحو بريد، قالوا: وليس هو شعيباً صاحب مدين.

قلتُ: وآثار القبر بجبل ضين موجودة، والعامة مِنْ أهل تلك الناحية يزعمون أنّه قبر قُدْم بن قَادم.

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾؛ أي: قالوا لما قالت لهم الملائكة ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾: يا ويلنا؛ أي: بإهلاكنا إنّا كنا ظالمين لأنفسنا مستوجبين العذاب بما قدّمنا، فاعترفوا على أنفسهم بالظلم الموجب للعذاب ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾؛ أي: ما زالت هذه الكلمة دعواهم؛ أي: دعوتهم، والكلمة هي قولهم: ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾؛ أي: يدعون بها ويردّدونها ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾؛ أي: بالسيوف[1] كما يُحصد الزرع بالمِنْجَل، والحصيد هنا بمعنى: المَحْصود.

ومعنى ﴿خَٰمِدِينَ﴾: أنهم ميتون، مِنْ خمدت النار: إذا طَفِئَتْ، فشبّه خمود الحياة بخمود النار، كما يقال لمن مات[2]: قد طَفِئَ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾؛ أي: لَمْ نخلقهما عبثاً ولا باطلاً؛ بَلْ للتنبيه على أنَّ لهما خالقاً قادراً يجب امتثال أمره، وفيه إشارةٌ إجماليةٌ إلى تكوين العالم.

والمراد بما بينهما سائر المخلوقات الكائنة بين السماء والأرض على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ اللّهو: ما يتلهى به، قيل: اللهو: الزوجة[3] والولد[4]؛ وقيل: الزوجة فقط؛ وقيل: الولد فقط[5].

قال الجوهري[6]: قد يُكنّى باللهو عن الجماع، ويدل على ما قاله قول امرئ القيس[7]:

ألا زعمت بسباسةُ اليوم أنني كبُرْتُ وألَّا يحسن اللهو أمثالي

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

(٢) «النكت والعيون» (٣/ ٤٤٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٨٣).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٣٩)، عن قتادة قال: «واللهو بلغةِ أهل اليمن» بسند صحيح.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٤٠) عَنْ الحسن.

(٥) انظر: «الوسيط» (٣/ ٢٣٢)، و«زاد المسير» (٥/ ٣٤٣).

(٦) في «الصّحاح» (٦/ ٢٤٨٧).

(٧) انظر: «ديوانه» (ص٢٨).

ومنه قول الآخر[١]:

وفيهنّ مَلْهى للصديقِ ومَنْظرٌ[٢]

والجملة مستأنفة لتقرير مضمون ما قبلها، وجواب (لو) قوله: ﴿لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾؛ أي: مِنْ عندنا ومِنْ جهة قُدرتنا لا مِنْ عندكم.

قال المفسِّرون[٣]: أي: مِنْ الحور العين، وفي هذا ردٌّ على من قال بإضافة الصاحبة والولد إلى الله، تعالى عَنْ ذلك علوّاً كبيراً، وقيل: أراد الردّ على من قال: الأصنام أو الملائكة بنات الله [٣/٢٤٧].

وقال ابن قتيبة[٤]: الآية ردٌّ على النصارى ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ قال الواحدي[٥]: قال المفسرون: ما كنّا فاعلين.

قال الفراء[٦]، والمبرِّد[٧]، والزجاج[٨]: يجوز أَنْ تكون (إن) للنفي كما ذكره المفسرون؛ أي: ما فعلنا ذلك ولم نتخذ صاحبةً ولا ولداً؛ ويجوز أن تكون للشرط؛ أي: إنْ كنّا ممّن يفعل ذلك لاتخذناه مِنْ لدنّا.

قال الفرّاء[٩]: وهذا أشبه الوجهين بمذهب العربية ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ هذا إضرابٌ عَنْ اتخاذ اللّهو؛ أي: دع ذلك الذي قالوا فإنه كذب وباطل؛ بل شأننا أن نرمي بالحق على الباطل ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾؛ أي: يَقْهره، وأصل الدَّمْغ[١٠] شجُّ الرأس حتى يبلغ الدماغ، ومنه الدامِغة.

---

(١) هو: زُهير بن أبي سلمى.
(٢) وعجز البيت:

أنيقٌ لعَيْنِ الناظرِ المتوسِّمِ

(٣) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (١٧/ ٤١).
(٤) في «تأويل مشكل القرآن» (ص١٢٤).
(٥) في «الوسيط» (٣/ ٢٣٣).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٠).
(٧) انظر: «الوسيط» (٣/ ٢٣٣)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ١٢٨).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٨٧).
(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٠).
(١٠) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٨٧).

قال الزجّاج[(١)]: المعنى: نُذْهبه ذهاب الصغار والإذلال، وذلك أن أصله إصابة الدماغ بالضرب. قيل: أراد بالحق: الحُجة، وبالباطل[(٢)]: شبههم، وقيل: الحق: المواعظ، والباطل: المعاصي، وقيل: الباطل: الشيطان.

وقيل: كذُبهم، ووصفهُم اللهَ سبحانه بغير صفاته ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ﴾؛ أي: زائل ذاهبٌ؛ وقيل: هالك تالف، والمعنى متقارب، و«إذا» هي[(٣)] الفجائية ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾؛ أي: العذاب في الآخرة بسبب وصفكم لله بما لا يجوز عليه؛ وقيل: الويل وادٍ في جهنَّم، وهو وعيد لقريش بأنّ لهم من العذاب مثل الذي لأولئك، و«من» هي التعليلية[(٤)] ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ عبيداً ومِلْكاً، وهو خالقهم ورازقُهم ومالكهم، فكيف يجوز أن يكون له بعض مخلوقاته شريكاً يُعبد كما يعبد، وهذه الجملة مقرِّرة لما قبلها.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ يعني: الملائكة، وفيه ردٌّ على القائلين بأن الملائكة بنات الله، وفي التعبير عنهم بكونهم ﴿عِندَهُۥ﴾ إشارة إلى تشريفهم وكرامتهم، وأنهم بمنزلة المقربين عند الملوك، ثم وصفهم بقوله: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾؛ أي: لا يتعاظمون ولا يأنَفون عَنْ عبادة الله سبحانه والتذلل له ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾؛ أي: لا يُعْيُون، مأخوذ من الحسير[(٥)]، وهو البعيرُ المنقطع بالإعياء والتعب، يقال: حَسَر البعيرُ يَحِسُر حُسوراً: أعيا وَكلّ، واستَحْسر وتَحَسَّر: مِثْلُه، وحَسرتُه أنا حَسْراً، يتعدى ولا يتعدى.

قال أبو زيد[(٦)]: لا يَكِلّون.

وقال ابنُ الأعرابي[(٧)]: لا يفشلون.

---

(١) «الصحاح» (٤/ ١٣١٨)، و«تهذيب اللغة» (٨/ ٨٠).
(٢) «النكت والعيون» (٣/ ٤٤٠ ـ ٤٤١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٨٦).
(٣) «روح المعاني» (١٧/ ٤٣).
(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٤١٦ ـ ٤١٧).
(٥) «تهذيب اللغة» (٤/ ٢٨٦)، و«الصحاح» (٢/ ٦٢٩).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٨٧).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٨٧).

قال الزجّاج[(١)]: معنى الآية: أنَّ هؤلاء الذين ذكرتم أنهم أولادُ الله عباد الله لا يأنفون عَنْ عبادته ولا يتعظّمون عنها كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقيل: المعنى: لا ينقطعون عَنْ عبادته، وهذه المعاني متقاربة ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾؛ أي: ينزّهون اللهَ سبحانه دائماً لا يَضْعفون عن ذلك ولا يسأمون؛ وقيل: يُصَلّون الليل والنهار.

قال الزجّاج[(٢)]: مجرى التسبيح منهم كمجرى النَفَس منّا لا يشغلنا عن النَفَس شيء، فكذلك تَسبيحهم دائمٌ، وهذه الجملة إما مستأنفَة جواب سؤال مقدّر، أو في محل نصب[(٣)] على الحال ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾.

قال المفضّل[(٤)]: مقصود هذا الاستفهام الجحد؛ أي: لم يتخذوا آلهةً تقدر على الإحياء، و«أم» هي المنقطعة[(٥)]، والهمزة لإنكار[(٦)] الوقوع.

قال المبرِّد[(٧)]: إنّ (أم) هنا بمعنى (هل)؛ أي: هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهةً من الأرض يُحيون الموتى؟ ولا تكون «أم» هنا بمعنى (بَلْ)؛ لأن ذلك يوجب لهم إنشاء الموتى إلَّا أن تقدّر «أم» مع الاستفهام، فتكون «أم» المنقطعة، فيصح المعنى.

و﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق باتخذوا، أو بمحذوف هو صفة لآلهة، ومعنى ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾: هم يَبْعثون الموتى، والجملة صفة لآلهة، وهذه الجملة هي التي يدور عليها الإنكار والتجهيل، لا نفس الاتخاذ، فإنَّه واقع منهم لا محالة.

والمعنى: بل اتخذوا آلهةً من الأرض هم خاصة ـ مع حقارتهم ـ يُنْشِرون الموتى، وليس الأمر كذلك، فإنّ ما اتخذوها آلهة بمعزل عن ذلك.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٨٨).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨).
(٣) «الفريد» (٣/ ٤٨١)، و«التبيان» (٢/ ٩١٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤١٧).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٨٨).
(٥) «الفريد» (٣/ ٤٨١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤١٧)، و«الكشاف» (٤/ ١٣٤ ـ ١٣٥).
(٦) «روح المعاني» (١٧/ ٤٧)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٦٢).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٨٨).

قرأ الجمهور (يُنْشِرون) بضم الياء[١] وكسر الشين مِنْ أنشرَه؛ أي: أحياه، وقرأ الحسن بفتح الياء[٢]؛ أي: يَحيون ولا يَموتونَ، ثم إنَّه سبحانه أقام البرهان على بطلان تعدّد الآلهة، فقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾؛ أي: لو كان في السمٰوات والأرض آلهةٌ معبودون غير الله لفسدتا؛ أي: لبطلتا، يعني: السمٰوات والأرض بما فيهما مِنْ المخلوقات.

قال الكسائي[٣]، وسيبويه[٤]، والأخفش[٥]، والزجّاج[٦]، وجمهور النحاة[٧]: إنْ «إلَّا» هنا ليست للاستثناء؛ بل بمعنى: (غير) صفة لآلهة، ولذلك ارتفع الاسم الذي بعدها وظهر فيه إعراب (غير) التي جاءت «إلا» بمعناها، ومنه قول الشاعر:

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوه ... لعمرُ أبيك إلا الفرقدان[٨]

وقال الفرّاء[٩]: إن «إلّا» هنا بمعنى: سوى، والمعنى: لو كان فيهما آلهة سوى الله لفسدتَا، ووجه الفساد: أَنّ كون مع الله إلٰهاً آخر يستلزم أَنْ يكون كل واحد منهما قادراً على الاستبداد بالتصّرف، فيقع عند ذلك التنازع والاختلاف ويحدث بسببه الفساد. اهـ.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الفاء لترتيب[١٠] ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان؛ أي: تنزّه ﷻ عما لا يليق به من ثبوت الشريك له، وفيه إرشاد للعباد أَنْ ينزّهوا الربّ سبحانه عما لا يليق به ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ هذه الجملة مستأنفة مبينة أَنَّه سبحانه لقوّة سلطانه وعظيم جلاله لا يسأله أحد[١١] مِنْ خلقه عن

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٤١٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ١٨٨)، و«زاد المسير» (٥/ ٣٤٥).
(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٤١٨)، و«القراءات الشاذة» (ص٩١)، و«روح المعاني» (١٧/ ٤٨). وهي قراءة شاذة، وروى عنه بضم الشين.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٨٩). (٤) في «الكتاب» (٢/ ٣٣٤).
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٣٣).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٨٨).
(٧) «مغني اللبيب» (ص٩٩)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٢/ ٢٩٦).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٨٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٦٧).
(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٠).
(١٠) «روح المعاني» (١٧/ ٥٩)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٦٣).
(١١) «النكت والعيون» (٣/ ٤٤٢)، و«جامع البيان» (١٦/ ٢٤٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ٥٩ ـ ٦٠).

شيء مِنْ قضائه وقدره ﴿وَهُمْ﴾؛ أي: العباد ﴿يُسْـَٔلُونَ﴾ عما يفعلون؛ أي: يسألهم الله عن ذلك لأنّهم عبيده.

وقيل: إنّ المعنى: أنَّه سبحانه لا يؤاخذ على[1] أفعاله وهم يؤاخذون. قيل: والمراد بذلك: أنَّه سبحانه بيَّن لعباده أن مَنْ يسأل عن أعماله كالمسيح والملائكة لا يصلح لأنَّ يكون إلٰهاً ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ﴾؛ أي: بلْ اتخذوا، وفيه إضراب وانتقال من إظهار بطلان[2] كونها آلهة بالبرهان السابق إلى إظهار بطلان اتخاذها آلهة، مع توبيخهم بطلب البرهان منهم، ولهذا قال: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ﴾ على دعوى أنَّها آلهة، أو على جواز اتخاذ آلهة سوى الله، ولا سبيل لهم إلى شيء من ذلك، لا من عقل ولا نقل؛ لأن دليل العقل قد مرّ بيانه.

وأما دليل النقل فقد أشار إليه بقوله: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِىۗ﴾؛ أي: هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد، المتضّمن للبرهان القاطع، ذكُر أمتي وذكر الأمم السالفة، وقد أقمته عليكم، وأوضحته لكم، فأقيموا أنتم برهانكم.

وقيل: المعنى: هذا القرآنُ وهذه الكتب التي أُنزلت قبلي فانظروا: هل في واحد منها أنَّ الله أمر باتخاذ إلٰه سواه؟

قال الزجّاج[3]: قيل لهم: هاتوا برهانكم بأنَّ رسولاً من الرسل أنبأ أمته بأن لهم إلٰهاً غير الله، فهل في ذكر مَنْ معي وذكر مَنْ قبلي إلَّا توحيد الله؟

وقيل: معنى الكلام الوعيد والتهديد؛ أي: افعلوا ما شئتم فعن قريب ينكشف الغطاء. وحكى أبو حاتم: أن يحيى بن يَعْمُر وطلحة بن مُصرِّف قرأا: (هذا ذكرٌ مِن معي وذكرٌ مِن قبلي) بالتنوين[4] وكسر الميم، وزعم أنه لا وجه لهذه القراءة.

وقال الزجاج[5] في توجيه هذه القراءة: إن المعنى: هذا ذكرٌ مما أنزل إليّ ومما هو معي وذكر من قبلي.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «روح المعاني» (١٧/ ٦١ ـ ٦٢)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٦٣).

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٨٨).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٩١)، و«المحتسب» (٢/ ٦١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٢١). وهي قراءة شاذة.

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩).

وقيل: ذكر كائنٌ من قبلي؛ أي: جئتُ بما جاءت به الأنبياء من قبلي. ثم لما توجهت الحُجّة عليهم ذمّهم بالجهل بمواضع الحق فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ وهذا إضراب من جهته سبحانه، وانتقال من تبكيتهم بمطالبتهم بالبرهان إلى بيان أنه لا يؤثّر فيهم إقامة البرهان؛ لكونهم جاهلين للحق لا يميزون بينه وبين الباطل.

وقرأ ابن محيصن، والحسن (الحقُّ) بالرفع[١] على معنى هذا الحق، أو هو الحق.

وجملة ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ تعليلٌ لما قبله مِنْ كون أكثرهم لا يعلمون؛ أي: فهم لأجل هذا الجهل المستولي على أكثرهم مُعرضون عَنْ قبول الحق مستمرّون على الإعراض عن التوحيد واتباع الرسول، فلا يتأمّلون حُجة، ولا يتدبرون في برهان، ولا يتفكرون في دليل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ﴾ قرأ حفص، وحمزة، والكسائي ﴿نُوحِىٓ﴾ بالنون[٢]، وقرأ الباقون بالياء[٣]؛ أي: يُوحَي إليه ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ وفي هذا تقرير لأمر التوحيد وتأكيد لما تقدّم من قوله: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ وختم الآية بالأمر لعباده بعبادته، فقال: ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾ فقد اتضح لكم دليل العقل، ودليل النقل وقامت عليكم حجة الله.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ قال: شَرَفكم.

وأخرج ابنُ أبي شيبة، وعبدُ بن حُميدٍ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحسن[٥] في الآية قال: فيه حديثُكم. وفي رواية عنه، قال: فيه دِيُنكم.

وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس[٦] قال: بعث الله نبيّاً من حِمْيَر يقال له: شُعيب، فوثب إليه عبد فضربه بعصا، فسار إليهم بُختنّصر فقاتلتهم فقتلهم حتى لم يبق منهم شيء، وفيهم أنزل الله ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ إلى قوله: ﴿خَٰمِدِينَ﴾ [٣/٢٤٨].

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص٩١)، و«المحتسب» (٢/ ٦١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٢١). وهي قراءة شاذة، وروى لابن محيض أنه قرأها بالنصب كبقية العشرة، وهو الوجه الثاني له في قراءة هذه الكلمة.

(٢) «التيسير» (ص١٥٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٢٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٩٢).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (١٦١٦).

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٧).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٧ ـ ٦١٨).

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن الكلبي[١] في قوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ قال: هي حضور بني أَزْد.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ قال: ارجعوا إلى دوركم وأموالكم.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عن مجاهد في قوله: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ قال: هم أهل حضور كانوا قتلوا نبيَّهم، فأرسل الله عليهم بُخْتَنصّر فقتلهم، وفي قوله: ﴿جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ قال: بالسيف ضرب الملائكة وجوههم حتى رجعوا إلى مساكنهم.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن وهب[٤]، قال: حدّثني رجل من الجزريين قال: كان باليمن قريتان، يقال لإحداهما: حضور وللأخرى: قلابة، فبطروا وأترفوا حتى ما كانوا يغلقون أبوابهم، فلما أترفوا بعث الله إليهم نبيّاً فدعاهم فقتلوه، فألقى الله في قلب بُخْتنصّر أن يغزوهم، فجهز لهم جيشاً، فقاتلوهم فهزموا جيشه فرجعوا منهزمين إليه، فجهز إليهم جيشاً آخر أكثف مِنْ الأوّل، فهزموهم أيضاً، فلما رأى بختنصر ذلك غزاهم هو بنفسه، فقاتلوهم فهزمهم حتى خرجوا منها يركضون، فسمعوا منادياً يقول: ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ فرجعوا، فسمعوا صوتاً منادياً يقول: يا لثارات النبيّ فقُتِلوا بالسيف، فهي التي قال الله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿خَٰمِدِينَ﴾

قلتُ: وقُرى حضور معروفة الآن بينها وبين مدينة صنعاء نحو بريد في جهة الغرب مِنْها.

وأخرج ابنُ المنذر[٥] عن ابن عباس في قوله: ﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ قال: كخمود النار إذا طُفئت.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة[٦] في قوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ قال: اللهو: الولد.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٢).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٨).

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٤٧).

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٤٧).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٩).

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٤٧)، وعزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٩).

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن الحسن[(١)] في قوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ قال: النساء.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٢)] في قوله: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ يقول: لا يَرْجعون.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[(٣)] في قوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ قال: بعباده ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ قال: عن أعمالهم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك[(٤)] نحوه.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر عن ابن عباس[(٥)] قال: ما في الأرض قوم أبغض إليّ من القدرية، وما ذاك إلا أنَّهم لا يعلمون قدرة الله، قال الله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.

[ذكر بعض صفات الملائكة]:

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٠).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٤٨).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٤٢)، عن ابن عباس بسند صحيح.

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٢).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٤٧)، عن قتادة بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٢).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، عن الضحاك بسند ضعيف.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٢).

مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ﴾ هؤلاء القائلون هم خزاعة، فإنهم قالوا: الملائكة بنات الله؛ وقيل: هم اليهود، ويصح حمل(١) الآية على كل مَنْ جعل لله ولداً.

وقد قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله. وقالت طائفة من العرب: الملائكة بنات الله.

ثم نزّه ﷻ نفسه، فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾؛ أي: تنزيهاً له عن ذلك، وهو مقول على ألسنة العباد. ثم أضرب عن قولهم وأبطله فقال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾؛ أي: ليسوا كما قالوا؛ بل هم عبادٌ لله سبحانه مُكْرمون بكرامته لهم، مقرّبون عنده.

وقرئ (مُكَرَّمون) بالتشديد(٢)، وأجاز الزجاج(٣) والفراء(٤) نصب عباد على معنى: بل اتخذ عباداً، ثم وصفهم بصفة أخرى فقال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾؛ أي: لا يقولون شيئاً حتى يقولَه أو يأمرهم به. كذا قال ابن قتيبة(٥) وغيره، وفي هذا دليل على كمال طاعتهم وانقيادهم.

وقرئ (لا يَسْبُقونه) بضم(٦) الباء من سبقته أسبقه ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هم العاملون بما يأمرهم الله به، التابعون له المطيعون لربهم ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ هذه الجملة تعليل لما قبلها؛ أي: يعلم ما عملوا وما هم

---

(١) «جامع البيان» (١٦/ ٢٥٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٩٢).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٩١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٢٢).

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٨٩).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠١).

(٥) في «تفسير غريب القرآن» (ص٢٨٥).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص٩١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٢٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ٦٨). القراءة المتواترة بكسر الباء أمّا ضمها فشاذة.

عاملون، أو يعلم ما بين أيديهم وهو الآخرة، وما خلفهم وهو الدنيا، ووجه التعليل: أنّهم إذا علموا بأنه عالم بما قدّموا وأخّروا، لم يعملوا عملاً ولم يقولوا قولاً إلا بأمره ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾؛ أي: يشفع الشافعون له، وهو مَنْ رضي عنه.

وقيل: هم أهل لا إلٰه إلا الله، وقد ثبت في «الصحيح» أنّ الملائكة يشفعون في الدار الآخرة ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾؛ أي: من خشيتهم منه، فالمصدر مضاف إلى المفعول، والخشية[١]: الخوف مع التعظيم، والإشفاق: الخوف مع التوقع والحذر؛ أي: لا يأمنون مكر الله ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾؛ أي: مَنْ يقل من الملائكة إني إلٰه من دون الله.

قال المفسِّرون[٢]: عني بهذا: إبليس؛ لأنَّه لم يقل أحد من الملائكة إني إلٰه إلا إبليس؛ وقيل: الإشارة إلى جميع الملائكة[٣] ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: فذلك القائل على سبيل الفرض والتقدير: نجزيه جهنّم بسبب هذا القول الذي قاله، كما نجزي غيره مِنْ المجرمين ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الظالمين، أو مثل ما جعلنا جزاء هذا القائل جهنّم، فكذلك نجزي الظالمين الواضعين الإلٰهية والعبادة في غير موضعها، والمراد بالظالمين: المُشْركون.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ الهمزة للإنكار[٤]، والواو للعطف على مقدّر، والرؤية هي القلبية؛ أي: ألم يتفكروا أو لمْ يعلموا؟ ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ قال الأخفش[٥]: إنما قال: ﴿كَانَتَا﴾ لأنهما صنفان؛ أي: جماعتا السمٰوات والأرضين كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١].

وقال الزجّاج[٦]: إنما قال: ﴿كَانَتَا﴾؛ لأنه يُعبّر عن السمٰوات بلفظ الواحد؛ لأن السمٰوات كانت سماءً واحدةً، وكذلك الأرَضُون، والرَّتْق: السدُّ ضدّ الفَتْق،

---

(١) «روح المعاني» (١٧/ ٦٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٩٣).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٩٤)، و«جامع البيان» (١٦/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤)، و«روح المعاني» (١٧/ ٧٠).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٩٤).

(٤) «روح المعاني» (١٧/ ٧١).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٩٥).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٩٠).

يقال: رتقتُ[١] الفَتْق أرتقُه فارْتَتقَ؛ أي: الْتأم، ومنه الَّرتقاء للمنضمّة الفَرْج، يعني: أنهما كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين ففصَل الله بينهما.

وقال: ﴿رَتْقًا﴾ ولم يقل رتقين؛ لأنَّه مصدر[٢]، والتقدير: كانتا ذواتي رَتْقٍ، ومعنى ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾: ففصلناهما؛ أي: فصلنا بعضَهما من بعض، فرفعنا السماء، وأبقينا الأرض مكانَها ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾؛ أي: أحيينا بالماء الذي نُنزله مِنْ السماء كلَّ شيء، فيشمل الحيوان والنبات.

والمعنى: أن الماء سببُ حياة كلِّ شيءٍ؛ وقيل: المراد بالماء هنا: النطفة، وبه قال أكثر المفسِّرين[٣]، وهذا احتجاج على المشركين بقدرة الله سبحانه، وبديع صنعه، وقد تقدم تفسير هذه الآية.

والهمزة في ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ للإنكار عليهم، حيثُ لم يؤمنوا مع وجود ما يقتضيه مِنْ الآيات الربانية. ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾؛ أي: جبالاً ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ المَيْدُ التحرُّك والدوران؛ أي: لئلا تتحرّك وتدور بهم، أو كراهة ذلك، وقد تقدم تفسير ذلك في «النحل» مستوفى.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾؛ أي: في الرواسي، أو في الأرض ﴿فِجَاجًا﴾ قال أبو عبيدة: هي المسالك.

وقال الزجّاج[٤]: كل مخترق بين جبلين فهو فَج و﴿سُبُلًا﴾ تفسير للفجاج؛ لأنَّ الفَجَّ قد لا يكون طريقاً نافذاً مسلوكاً ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مصالح معاشهم، وما تدعو إليه حاجاتهم.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ عَنْ أن يقع ويسقط على الأرض؛ كقوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥].

---

(١) «تهذيب اللغة» (٩/ ٥٣ ـ ٥٤)، و«الصحاح» (٤/ ١٤٨٠)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٤١).

(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٦٩)، و«الفريد» (٣/ ٤٨٤).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٩٧)، و«النكت والعيون» (٣/ ٤٤٤)، و«جامع البيان» (١٦/ ٢٦٠).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٩٠).

وقال الفراء[(١)]: محفوظاً بالنجوم من الشيطان؛ كقوله: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧]. وقيل: محفوظاً: لا يحتاج إلى عماد؛ وقيل: المراد بالمحفوظ هنا: المرفوع[(٢)]؛ وقيل: محفوظاً: عن الشرك[(٢)] والمعاصي، وقيل: محفوظاً: عن الهَدْم والنقض[(٣)].

﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ أضاف الآيات إلى السماء؛ لأنها مجعولة فيها، وذلك كالشمس والقمر ونحوهما، ومعنى الإعراض [٣/٢٤٩]: أنهم لا يتدبّرون فيها، ولا يتفكرون فيما توجبه من الإيمان.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ هذا تذكيرٌ لهم بنعمة أخرى مما أنعم به عليهم، وذلك بأنّه خلق لهم الليل ليسكنوا فيه، والنهار ليتصرفوا فيه في معايشهم، وخلق الشمس والقمر؛ أي: جعل الشمس آية النهار، والقمر آية الليل، ليعلموا عدد الشهور والحساب كما تقدّم بيانه في «سبحان».

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾؛ أي: كلّ واحد من الشمس[(٤)] والقمر والنجوم في فلك يسبحون؛ أي: يَجْرون في وسط الفَلَك، ويَسيرون بسرعةٍ كالسابح في الماء، والجمع في الفعل باعتبار المطالع.

قال سيبويه[(٥)]: إنّه لما أخبر عنهنّ بفعل مَنْ يعقل، وجعلهنّ في الطاعة بمنزلة مَنْ يعقل، جعل الضمير عنهنّ ضمير العقلاء، ولم يقل يسبحن أو تسبح، وكذا قال الفراء[(٦)].

وقال الكسائي[(٧)]: إنما قال: ﴿يَسْبَحُونَ﴾؛ لأنّه رأس آية، والفلك: واحد أفلاك النجوم، وأصل الكلمة مِنْ الدوران، ومنه فلَكَ المَغْزل لاستدارتها ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾؛ أي: دوام البقاء في الدنيا ﴿أَفَإِن مِّتَّ﴾ بأجلك المحتوم ﴿فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾؛ أي: أفهم الخالدون؟

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠١).
(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٤٥)، عن مجاهد.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٩٩).
(٤) «النكت والعيون» (٣/ ٤٤٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٠٠)، و«روح المعاني» (١٧/ ٨٣).
(٥) في «الكتاب» (٢/ ٤٧).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠١).
(٧) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٩٦).

قال الفراء[١]: جاء بالفاء لتدل على الشرط؛ لأنَّه جواب قولهم: سيموت. قال: ويجوز حذف الفاء وإضمارها، والمعنى: إنْ متّ فهم يموتون أيضاً، فلا شماتة في الموت.

وقرئ (مِتُ) بكسر الميم[٢] وضمها لغتان: وكان سبب نزول هذه الآية قول المشركين فيما حكاه الله عنهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: ذائقة مفارقة جسدها، فلا يبقى أحد من ذوات الأنفس المخلوقة كائناً ما كان ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾؛ أي: نختبركم بالشدّة والرخاء، لننظرَ كيفَ شكرُكم وصبرُكم؟.

والمراد: أنه سبحانه يعاملهم معاملة مَنْ يبلوهم، و﴿فِتْنَةً﴾ مصدر[٣] لنبلوكم من غير لفظه ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ لا إلى غيرنا فنجازيكم بأعمالكم إنْ خيراً فخير، وإن شراً فشرّ.

وقد أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة[٤] قال: قالت اليهود: إن الله ﷻ صاهر الجنَّ فكانت بنيهم الملائكة، فقال الله تكذيباً لهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾؛ أي: الملائكة ليس كما قالوا؛ بل عباد أكرمهم بعبادته ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ يُثْني عليهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾ قال: لا تشفع الملائكة يوم القيامة ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ قال: لأهل التوحيد.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٥] في قوله: ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ قال: لأهل التوحيد لمن رَضِيَ عنه.

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن[٦] في الآية قال: قول: لا إله إلا الله.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٢).

(٢) انظر: «التيسير» (ص٩١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٢٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٠٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ٩٣). قرأ نافع والكوفيون عدا أبا بكر بكسر الميم، وقرأ الباقون بالضم.

(٣) «الفريد» (٣/ ٤٨٧)، و«التبيان» (٢/ ٩١٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٢٨).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١)، عن قتادة بسند صحيح.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٤).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٤).

ابن عباس(١) في الآية قال: الذين ارتضاهم لشهادة أن لا إلٰه إلا الله.

وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في «البعث» عن جابر(٢) أن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ قال: «إنّ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الأسماء و الصفات» عن ابن عباس(٣) في قوله: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ قال: فُتِقَت السماء بالغيث، وفُتِقت الأرضُ بالنبات.

وأخرج ابن أبي حاتم(٤) عنه ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ قال: لا يخرج منهما شيء، وذكر مثل ما تقدم.

وأخرجه ابنُ المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم في «الحلية» عنه(٥) أيضاً من طريق أخرى.

وأخرج ابن جرير(٦) عنه ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ قال: ملتصقتين.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عَنْ أبي العالية(٧) في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ قال: نطفة الرجل.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس(٨) ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ قال: بين الجبال.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٩) في قوله: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾ قال: دَوَران ﴿يَسْبَحُونَ﴾ قال: يَجْرُون.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٥٢)، والبيهقي في «البعث والنشور» رقم (٢) بسند صحيح.
(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨٢)، والبيهقي في «البعث» رقم (١). وهو حديث صحيح.
(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٩) بسند ضعيف.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٥).
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٥).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٥٥) بسند صحيح.
(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٧).
وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٢٦).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٦٢) بسند ضعيف، ابن جريج لم يسمع من ابن عباس.
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٤١)، وابن المنذر كما في «فتح الباري» (٨/ ٤٣٦) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة» عنه[١] ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ قال: فَلَك كفلكة المِغْزَل ﴿يَسْبَحُونَ﴾ قال: يدورون في أبواب السماء. كما تدور الفَلَكة في المِغْزل.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٢] أيضاً قال: هو فَلَكُ السماء.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي عن عائشة[٣] قال: دخل أبو بكر على النبيّ ﷺ وقد مات فقبّله وقال: وانبياه واخليلاه واصفياه، ثم تلا: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ الآية، وقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ قال: نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسّقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدُى والضلالة.

[من مواقف المشركين مع النبيّ]:

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٤٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٦٥٤) بسند حسن.

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٦٥) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٩).
وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٧/ ٢١٣ ـ ٢١٥).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٦٩)، واللالكائي في «الاعتقاد» رقم (١٠٠٧) بسند صحيح.

هُم عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

قوله: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني: المستهزئين[1] من المشركين ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾؛ أي: ما يتخذونك إلَّا مهزوءاً بك، والهزؤ السخرية، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

والمعنى: ما يفعلون بك إلا اتخذوك هزؤاً ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ هو على تقدير القول؛ أي: يقولون: أَهذا الذي؟ فعلى هذا هو جواب (إذا)، ويكون قوله: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ اعتراضاً بين الشرط وجوابه، ومعنى يذكرها: يعيبها.

قال الزجاج[2]: يقال: فلان يذكر الناس؛ أي: يغتابهم، ويذكرهم بالعيوب، وفلان يذكر الله؛ أي: يصفه بالتعظيم ويُثْني عليه، وإنما يحذف مع الذكر ما عقل معناه، وعلى ما قالوا لا يكون الذكر في كلام العرب العيب، وحيثُ يراد به العيب يحذف منه السوء، قيل: ومِنْ هذا قول عنترة:

لا تـذكـري مُـهْـري ومـا أطـعـمـتُـه   فيكونُ جِلدُك مثلَ جِلدِ الأجربِ[3]

أي: لا تعيبي مُهْري.

وجملة ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ في محل نصب[4] على الحال؛ أي: وهم بالقرآن كافرون، أو هم بذكر الرحمٰن الذي خلقهم كافرون.

(١) «جامع البيان» (١٦/ ٢٧٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٠٣).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٩٢).
(٣) قيل: لعنترة، وقيل: مخرز بن لَوْدان.
«خزانة الأدب» (٦/ ١٩٠).
• معناه: أنّه يقول لزوجته: «لا تلوميني في إيثار فرسي فأبغضك وأهجر مضجعك وأتحاماك كما يتحامى الأجرب من الإبل». وقيل: «معناه: أضربك فيبقى أثر الضرب عليك كالجرب». ذكره البغدادي.
(٤) «روح المعاني» (١٧/ ١٠٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٣٠).

والمعنى: أَنَّهم يعيبون على النبيّ ﷺ أن يذكر آلهتهم التي لا تضرّ ولا تنفع بالسوء، والحال أنهم بذكر الله سبحانه بما يليق به من التوحيد، أو القرآن كافرون، فهم أحق بالعيب لهم والإنكار عليهم، فالضمير الأوّل مبتدأ خبره ﴿كَٰفِرُونَ﴾، و﴿بِذِكۡرِ﴾ متعلق بالخبر، والضمير الثاني تأكيد. ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾؛ أي: جُعل لفرط استعجاله كأنّه مخلوق من العَجَل.

قال الفراء[(١)]: كأنّه يقول: بُنْيته وخلْقته من العجلة وعلى العجلة.

وقال الزجاج[(٢)]: خُوطبت العرب بما تعقل، والعرب تقول للذي يكثر منه الشيء: خُلقت منه كما تقول: أنت من لعب، وخلقت من لعب، تريد المبالغة في وصفه بذلك. ويدل على هذا المعنى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾ [الإسراء: ١١].

والمراد بالإنسان: الجنس، وقيل: المراد بالإنسان: آدم، فإنه لما خلقه الله، ونفخ فيه الروح صار الروح في رأسه، فذهب لينهض قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه فوقع؛ فقيل: خُلق الإنسان من عجل، كذا قال عكرمة[(٣)] وسعيد بن جبير[(١)]، والسديّ[(٤)]، والكلبي[(١)]، ومجاهد[(٥)].

وقال أبو عبيدة[(٦)] وكثير من أهل المعاني: العجل: الطين بلغة حِمْيرَ. وأنشدوا:

والنخلُ تنبتُ بين الماءِ والعَجَلِ[(٧)]

وقيل: إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث[(٨)]، وهو القائل: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٢). (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٩٢).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٢٤٤)، و«الوسيط» (٣/ ٢٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٠٤).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٧١) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٧٢) بسند صحيح.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٠٤).

(٧) وصدره:

والنبعُ في الصخرة الصمَّاء مَنْبَتُه

انظر: «تهذيب اللغة» (١/ ٣٦٩)، و«النكت والعيون» (٣/ ٤٤٧).

(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٠٤)، و«زاد المسير» (٥/ ٣٥١)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ٢٣٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٠١).

كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]. وقيل: نزلت في قريش لأنهم استعجلوا العذاب.

وقال الأخفش(١): معنى خُلق الإنسان من عَجَلٍ: أنه قيل له: كن فكان؛ وقيل: إنّ هذه الآية من المقلوب(٢)؛ أي: خلق العجل من الإنسان وقد حكي هذا عن أبي عبيدة والنحاس، والقول الأوّل أولى.

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾؛ أي: سأريكم نقماتي منكم بعذاب النار ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾؛ أي: لا تستعجلوني بالإتيان به، فإنه نازل بكم لا محالة.

وقيل: المراد بالآيات: ما دلّ على صدق محمد ﷺ مِنْ المعجزات(٣) وما جعله الله له مِنْ العاقبة المحمودة، والأوّل أولى، ويدل عليه قولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: متى حصول هذا الوعد(٤)، الذي تعدنا به من العذاب؟ قالوا ذلك على جهة الاستهزاء [٣/٢٥٠] والسخرية.

وقيل: المراد بالوعد هنا: القيامة، ومعنى ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إن كنتم يا معشر المسلمين(٥) صادقين في وعدكم، والخطاب للنبيّ ﷺ وللمؤمنين الذين يتلون الآيات القرآنية المُنْذِرة بمجيء الساعة، وقرب حضور العذاب، وجملة ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وما بعدها مقرّرة لما قبلها؛ أي: لو عرفوا ذلك الوقت، وجواب لو محذوف.

والتقدير: لو علموا الوقت الذي ﴿لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ لما استعجلوا الوعيد.

وقال الزجاج(٦): في تقدير الجواب: لعلموا صدق الوعد؛ وقيل: لو علموه ما أقاموا على الكفر.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٠٥)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٣٥).
(٢) «جامع البيان» (١٦/٢٧٣)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٠١ ـ ١٠٢)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ١٣٧).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٠٥)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٠١)، و«جامع البيان» (١٦/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٠٦).
(٥) «الوسيط» للواحدي (٣/ ٢٣٨)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ١٣٧).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣).

وقال الكسائي[١]: هو تنبيهٌ على تحقيق وقوع الساعة؛ أي: لو علموه علم يقين لعلموا أن الساعة آتية، ويدلّ عليه قوله: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾ وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى: القدّام والخَلْف لكونهما أشهر الجوانب في استلزام الإحاطة بها للإحاطة بالكلّ بحيث لا يقدرون على دفعها من جانب من جوانبهم، ومحل ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ النصب[٢] على أنه مفعول العلم، وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه، ومعنى ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: ولا ينصرهم أحد من العباد فيدفع ذلك عنهم، وجملة ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾ معطوفة على ﴿يَكُفُّونَ﴾؛ أي: لا يكفّونها؛ بل تأتيهم العِدة أو النار أو الساعة بغتة؛ أي: فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾.

قال الجوهري[٣]: بَهَتَه بَهْتاً أخذه بَغْتاً.

وقال الفراء[٤] ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾؛ أي: تحيّرهم؛ وقيل: فتفجؤهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾؛ أي: صَرْفها[٥] عن وجوههم ولا عن ظهورهم فالضمير راجع إلى النار.

وقيل: راجع إلى الوعد بتأويله بالعِدة؛ وقيل: راجع إلى الحين بتأويله بالساعة ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾؛ أي: يُمْهلَون ويؤخّرون لتوبة واعتذار.

وجملة ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ مسوقة لتسلية رسول الله ﷺ وتعزيته، كأنه قال: إنْ استهزأ بك هؤلاء فقد فُعل ذلك بمن قبلك مِنْ الرسل على كثرة عددهم وخطر شأنهم ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم﴾؛ أي: أحاط ودار بسبب ذلك بالذين سخروا من أولئك الرسل وهزئوا بهم ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ «ما» موصولة أو مصدرية؛ أي: فأحاط بهم الأمر الذي كانوا يستهزئون به، أو فأحاط بهم استهزاؤهم؛ أي: جزاؤه على وضع السبب موضع المسبّب، أو نفس الاستهزاء، إن أريد به العذاب الأخروي ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: يحرسُكم ويحفظكم والكِلاءة: الحِراسة والحِفْظ، يقال: كلأه الله كِلأة بالكسر؛ أي: حفظه

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٠٦).
(٢) «التبيان» (٢/ ٩١٨)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٠٣ ـ ١٠٤).
(٣) في «الصحاح» (١/ ٢٤٤).
(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٣٨) دون نسبة.
وذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٠٦) عن الفراء.
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٠٦)، و«جامع البيان» (١٦/ ٢٧٧).

وحرسَه. قال ابن هَرْمة[١]:

إنَّ سُلَيمى واللّهُ يكلؤُهَا ضنَّت بشيءٍ ما كان يَرْزَؤُها

أي: قل يا مُحمد لأولئك المستهزئين بطريق التقريع[٢] والتوبيخ: مَنْ يحرسكم ويحفظكم بالليل والنهار مِنْ بأس الرحمٰن وعذابه الذي تستحقون حلوله بكم، ونزوله عليكم؟ وقال الزجاج: معناه مَنْ يحفظكم من بأس الرحمٰن؟

وقال الفراء[٣]: المعنى: مَنْ يحفظكم مما يريد الرحمٰن إنزاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة؟

وحكى الكسائي[٤] والفراء[٥]: مَنْ يَكْلَوْكُمْ بفتح اللام وإسكان الواو ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي: عَنْ ذكره سبحانه فلا يذكرونه ولا يخطرونه ببالهم؛ بل يُعْرضون عنه، أو عَنْ القرآن، أو عن مواعظ الله، أو عن معرفته ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ﴾ «أم» هي المنقطعة التي بمعنى بَلْ، والهمزة للإضراب والانتقال عن الكلام السابق المشتمل على بيان جهلهم بحفظه سبحانه إياهم إلى توبيخهم وتقريعهم باعتمادهم على مَنْ هو عاجز عن نفع نفسه، والدفع عنها.

والمعنى: بل لهم آلهة تمنعهم مِنْ عذابنا؛ وقيل: فيه تقديم[٦] وتأخير، والتقدير: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم؟ ثم وصف آلهتهم هذه التي زعموا أنها تنصرهم بما يدلّ على الضعف والعجز فقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾؛ أي: هم عاجزون عن نصر أنفسهم فكيف يستطيعون أن ينصروا غيرهم؟! ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾؛ أي: ولا هم يُجارون[٧] مِنْ عذابنا.

قال ابن قتيبة[٨]: أي: لا يُجيرهم منّا أحد؛ لأن المُجير صاحب الجار، والعرب تقول: صحبك الله؛ أي: حفظك وأجارَك، ومنه قول الشاعر:

---

(١) انظر: «ديوانه» (ص٥٥).
(٢) «روح المعاني» (١٧/١٠٦)، و«تفسير أبي السعود» (٤/٦٧١).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/٢٠٤).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/٧١).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/٢٠٤).
(٦) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (١٧/١٠٧)، وابن حبان في «البحر المحيط» (٧/٤٣٣).
(٧) «جامع البيان» (١٦/٢٧٨).
(٨) في «تفسير غريب الحديث» (ص٢٨٦).

ينادي بأعلى صوتهِ متعوّذا ليصحبَ منّا والرماحُ دواني[(١)]

تقول العرب[(٢)]: أنا لك جارٌ وصاحب مِنْ فلان؛ أي: مُجير منه.

قال المازني[(٣)]: هو من أصحبت الرجل: إذا منعتَه.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[(٤)] عَنْ السديّ قال: «مرّ النبيّ ﷺ على أبي سفيان وأبي جهلٍ وهما يتحدَّثان، فلما رآه أبو جهل ضَحِك وقال لأبي سفيانَ: هذا نبيّ بني عبد منافٍ، فغضب أَبو سفيان فقال: ما تَنْكرون أَنْ يكون لبني عبد منافٍ نبيّ؟ فسمعها النبيّ ﷺ، فرجع إلى أبي جهلٍ فوقع به وخوَّفه وقال: ما أراك مُنْتهياً حتى يصِيبك ما أصاب عمَّك، وقال لأبي سفيان: أما إنك لم تَقُل ما قُلتَ إلا حَمِيّة»، فنزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾. قلتُ: ينظر من الذي روى عنه السُديّ؟

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن عكرمة[(٥)] قال: لما نُفخ في آدم الروح مارّ في رأسه فعَطَس فقال: الحمد لله، فقالت الملائكة: يرحمُك الله، فذهب لينهض قبل أن تمور في رجليه فوقع، فقال الله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾.

وقد أخرج نحو هذا ابن جرير، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير[(٦)].

وأخرج نحوه أيضاً ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة» عن مجاهد[(٧)]، وكذا أخرج ابن المنذر عن ابن جريج[(٨)].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٠٩)، وفيه: ليُصحب منها.
(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (١١/ ١٧٥).
(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (١١/ ١٣٩)، و«النكت والعيون» (٣/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩).
(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٥٢ ـ ٢٤٥٣).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٧١) عن السدي بسند حسن.
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٣٠).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٧١) من طريق أشعث، به.
(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ١١٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٠٢٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٧٢) بسند صحيح.
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٣٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٧٢) من طريق ابن جريج، عن مجاهد.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾ قال: يحرسُكم، وفي قوله[٢]: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ قال: لا يُنْصَرون.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ قال: لا يُجارون.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر عنه[٤] في الآية: قال لا يُمْنَعون.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

لمّا أبطل كون الأصنام نافعةً، أضرب عن ذلك منتقلاً إلى بيان أن ما هم فيه من الخير والتمتع بالحياة العاجلة هو من الله، لا من مانع يمنعهم من الهلاك، ولا من ناصر ينصرهم على أسباب[٥] التمتع فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾؛

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٧٨) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٨٠) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٨٠) بسند ضعيف.
(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٣٢).
(٥) «جامع البيان» (١٦/ ٢٨١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٠٩)، و«النكت والعيون» (٣/ ٤٤٩).

يعني: أهل مكة متّعهم الله بما أنعم عليهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ﴾ فاغترّوا بذلك وظنوا أنهم لا يزالون كذلك، فرد سبحانه عليهم قائلاً: ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ﴾؛ أي: أفلا ينظرون فيرون؟ ﴿أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ﴾؛ أي: أرض الكفر ننقصها بالظهور[١] عليها من أطرافها فنفتحها بلداً بعد بلد، وأرضاً بعد أرض.

وقيل: ننقصها بالقَتْل[٢] والسبي، وقد مضى في «الرعد» الكلام على هذا مُستوفى، والاستفهام في قوله: ﴿أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ للإنكار[٣]، والفاء للعطف على مقدّر كنظائره؛ أي: كيف يكونون غالبين بعد نقصنا لأرضهم من أطرافها؟ وفي هذا إشارة إلى أنّ الغالبين[٤] هم المسلمون. ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ﴾؛ أي: أخوّفكم وأحذّركم بالقرآن، وذلك شأني وما أمرني الله به.

وقوله: ﴿وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ إما من تتمة الكلام الذي أمر النبي ﷺ أن يقوله لهم، أو من جهة الله تعالى.

والمعنى: أن من أصمّ الله سمَعه، وختم على قلبه، وجعل على بصره غشاوةً لا يسمع الدعاءَ.

قرأ أبو عبد الرحمٰن السُّلَمي ومحمد بن السَّمَيفع (ولا يُسمَع) بضم الياء[٥] وفتح الميم على ما لم يُسم فاعلُه.

وقرأ ابنُ عامر، وأبو حيوة، ويحيى بن الحارث بالتاء الفوقية[٦] مضمومة

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٠٩)، و«النكت والعيون» (٣/ ٤٤٩)، و«جامع البيان» (١٦/ ٢٨١ ـ ٢٨٢).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٤٩)، وأبو الليث في «تفسيره» (٢/ ٣٦٨) عن الكلبي.

(٣) «روح المعاني» (١٧/ ١١٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٣٤)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٢٧٣).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٩١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٣٤)، و«روح المعاني» (١٧/ ١١١).

(٦) «التيسير» (ص١٥٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٣٤)، و«روح المعاني» (١٧/ ١١١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢١٠). قراءة السلمي وابن السميفع شاذة، أمّا القراءتان (تُسْمِع) بضم =

وكسر الميم؛ أي: إنّك يا محمد لا تُسْمِع هؤلاء. قال أبو علي الفارسي[١]: ولو كان كما قال ابن عامر لكان إذا ما تنذرهم فيحسن نظم الكلام، فأما ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ فحسن أن يتبع قراءة العامة، وقرأ الباقون بفتح الياء[٢] وفتح الميم ورفع الصم على أنّه الفاعل. ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ [٣/٢٥١] المراد بالنفحة: القليل، مأخوذ من نَفْح المسك قاله ابن كيسان[٣]، ومنه قول الشاعر:

وعَـمْـرةُ مـن سَـرَوات الـنِّـسا ءِ تَـنْـفَـحُ بـالـمـسـكِ أردانُـهـا

وقال المبرِّد: النفحة: الدفعة من الشيء التي دون معظمه، يقال: نفحه نفحة بالسيف إذا ضربه ضربة خفيفة؛ وقيل: هي النصيب، وقيل: هي الطَرَفُ. والمعنى متقارِب؛ أي: ولئن مسّهم أقلّ شيء من العذاب ﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾؛ أي: ليدعونّ على أنفسهم بالويل والهلاك، ويعترفون عليها بالظلم ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الموازين جمع ميزان، وهو يدل على أن هناك موازين، ويمكن أن يراد ميزان واحد، عبّر عنه بلفظ الجمع.

وقد ورد في السُّنَّة في صفة الميزان ما فيه كفاية، وقد مضى في الأعراف، وفي الكهف في هذا ما يُغْني عن الإعادة. والقسط: صفة للموازين.

قال الزجاج[٤]: قسط مصدر يوصف به، تقول: ميزانٌ قِسْطٌ، وموازينُ قِسْطٌ. والمعنى: ذوات قسطٍ، والقِسْطُ: العدل.

وقرئ (القِصْط)[٥] بالصاد والطاء.

= التاء الفوقية وكسر الميم ونصب (الصمّ) على أنه مفعول به فهي لابن عامر، وقرأ الباقون بفتح الياء وفتح الميم ورفع (الضمُّ) على أنّه فاعل، فهما قراءتان متواترتان.

(١) في «الحجة» (٥/ ٢٥٥).

(٢) «النشر» (٢/ ٣٢٣)، و«التيسير» (ص١٥٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٣٤).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢١١)، و«روح المعاني» (١٧/ ١١٢).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٩٤).

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٤٣٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢١٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ١١٣). وهي قراءة شاذة.

ومعنى ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: لأهل يوم القيامة؛ وقيل: اللّام بمعنى: في؛ أي: في يوم القيامة ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا يُنْقص من إحسان مُحسنٍ ولا يزاد في إساءة مُسيء ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ قرأ نافع وشيبة وأبو جعفر برفع[١] مثقال على أن كان تامة؛ أي: إنْ وقع أو وجد مثقالُ حبة.

وقرأ الباقون بنصب[٢] المثقال على تقدير: وإنْ كان العملُ المدلول عليه بوضع الموازين مثقالَ حبةٍ، كذا قال الزجاج[٣].

وقال أبو عليّ الفارسي[٤]: وإنْ كان الظلامة مثقال حبة.

قال الواحدي[٥]: وهذا أحسن لتقدّم قوله: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾، ومثقال الشيء ميزانُه؛ أي: وإن كان في غاية الخفّة والحقارة، فإن حبّة الخردل مَثَلٌ في الصِغَر ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ قرأ الجمهور[٦] بالقصر؛ أي: أحضرناها وجئنا بها للمجازاة عليها، و﴿بِهَا﴾ أي: بحبة الخردل.

وقرأ مجاهد وعكرمة (آتينا) بالمدّ[٧] على معنى: جازينا بها، يقال: آتى يؤاتي مؤاتاة جازى ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ أي: كفى بنا مُحْصِين، والحَسْبُ في الأصل معناه: العَدّ؛ وقيل: كفى بنا عالمين؛ لأن من حسب شيئاً علمه وحفظه؛ وقيل: كفى بنا مُجازين على ما قدّموه مِنْ خير وشرّ.

ثم شرع سبحانه في تفصيل ما أجمله سابقاً بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧]؛ فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ المراد بالفرقان هنا: التوراة؛ لأن فيها الفرق بين الحلال والحرام.

---

(١) «البحر المحيط» (٧/٤٣٦)، و«التيسير» (ص١٥٥)، و«النشر» (٢/٣٢٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/١١١).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/٣٩٤).

(٤) في «الحجة» (٥/٢٥٦).

(٥) في «الوسيط» (٣/٢٤٠).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/٢١٣)، و«البحر المحيط» (٧/٤٣٦)، و«روح المعاني» (١٧/١١٦).

(٧) «المحتسب» (٢/٩٣)، و«البحر المحيط» (٧/٤٣٦). قراءى القصرين كلمة (أتينا) متواترة وأما قراءة المدّ (آتينا) فشاذة.

وقيل: الفرقان هنا هو النصر[1] على الأعداء، كما في قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]. قال الثعلبي[2]: وهذا القول أشبه بظاهر الآية، ومعنى (وضياءً): أنّهم استضاءوا بها في ظلمات الجهل والغواية، ومعنى وذكراً: الموعظة؛ أي: أنّهم يتعظون بما فيها، وخصّ المتقين لأنّهم الذين ينتفعون بذلك، ووصفهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾؛ لأنّ هذه الخشية تلازم التقوى.

ويجوز أن يكون الموصول بدلاً[3] من المتقين أو بياناً له، ومحل بالغيب النصب على الحال؛ أي: يخشون عذابَه وهو غائب عنهم، أو هم غائبون عنه لأنهم في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

وقرأ ابن عباس وعكرمة (ضياءً) بغير[4] واو.

قال الفراء[5]: حَذْفُ الواو والمجيء بها واحد، واعترضه الزجاج[6] بأن الواو تجيء لمعنى فلا تزاد ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ أي: وهم من القيامة خائفون وجلون، والإشارة بقوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ إلى القرآن.

قال الزجاج[7]: المعنى: وهذا القرآن ذكرٌ لمن تذكّر به، وموعظة لمن اتعظ به. والمبارك: كثير البركة والخير.

وقوله: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ صفة ثانية للذكر، أو خبر بعد خبر، والاستفهام في قوله: ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ للإنكار[8] لما وقع منهم من الإنكار؛ أي: كيف تنكرون كونه مُنزلاً من عند الله مع اعترافكم بأن التوراة منزلة من عنده؟. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾؛ أي: الرُشْد اللائق به وبأمثاله من الرسل، ومعنى ﴿مِن قَبْلُ﴾: أنه أُعطى رشده قبل إيتاء موسى وهٰرون التوراة.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» عن ابن زيد.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٨٨) بنحوه، عن ابن زيد بسند صحيح.

(٢) في «تفسيره الكشف والبيان» (٦/ ٢٧٨). (٣) «التبيان» (٢/ ٩٢٠)، و«الفريد» (٣/ ٤٩٢).

(٤) «جامع البيان» (١٦/ ٢٨٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٣٦)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٢)، و«المحتسب» (٢/ ٦٤). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٥).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥).

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥).

(٨) «روح المعاني» (١٧/ ١٢١)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٧٧).

وقال الفراء[(١)]: المعنى: أعطيناه هداه من قبل النبوّة؛ أي: وفّقناه للنظر والاستدلال لمّا جنّ عليه الليل فرأى الشمس والقمر والنجم، وعلى هذا أكثر المفسرين[(٢)]، وبالأوّل قال أقلُّهم ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أنه موضع لإيتاء الرشد، وأنه يصلح لذلك.

والظرف في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ مُتعلّق بآتينا، أو بمحذوف أي: اذْكر حين قال، وأبوه هو آزر ﴿وَقَوْمِهِۦ﴾ نمروذ ومن اتبعه، والتماثيل: الأصنام، وأصل التمثال: الشيء المصنوع مشابهاً لشيء مِنْ مخلوقات الله سبحانه، يقال: مثّلتُ الشيء بالشيء: إذا جعلته مشابهاً له، واسم ذلك الممثَّل تمثال، أنكر عليهم عبادتها بقوله: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ والعكوف عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء، واللام في ﴿لَهَا﴾ للاختصاص، ولو كانت للتعدية لجيء بكلمة على؛ أي: ما هذه الأصنام التي أنتم مقيمون على عبادتها؟

[المصنف يشنع على المقلدة]:

وقيل: إنّ العكوف مُضمَّن معنى العبادة ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ أجابوه بهذا الجواب الذي هو العَصا التي يتوكأ عليها كلُّ عاجزٍ، والحبل الذي يتشبث به كلُّ غريقٍ، وهو التمسك بمجرد تقليد الآباء؛ أي: وجدنا آباءنا يعبدونها فعبدناها اقتداءً بهم، ومشياً على طريقتهم، وهكذا يُجيب هؤلاء المقلدة من أهل هذه الملة الإسلامية، فإنَّ العالم بالكتاب والسُّنَّة إذا أنكر عليهم العمل بمحض الرأي المدفوع بالدليل قالوا: هذا قد قال به إمامُنا الذي وجدنا آباءنا له مقلدين، وبرأيه آخذين.

وجوابهم هو ما أجاب به الخليل ها هنا: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: في خسران واضح ظاهر لا يخفى على أحد، ولا يلتبس على ذي عقل، فإن قوم إبراهيم عبدوا الأصنام التي لا تضرّ ولا تنفع، ولا تسمع ولا تبصر، وليس بعد هذا الضلال ضلال، ولا يساوي هذا الخسران خسران، وهؤلاء المقلدة من أهل الإسلام استبدلوا بكتاب الله وبسُنَّة رسوله كتاباً قد دُوّنت فيه اجتهادات عالم

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٦).

(٢) «جامع البيان» (١٦/ ٢٩١)، و«الوسيط» (٣/ ٢٤١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢١٦).

من علماء الإسلام زعم أنَّه لم يقف على دليل يخالفها، إما لقصورٍ منه، أو لتقصير في البحث فوجد ذلك الدليل مَنْ وجده، وأبرزه واضح المنار:

كـأنَّـه عـلَـمٌ فـي رأسِـه نـارُ[(١)]

وقال: هذا كتاب الله أو هذه سُنَّة رسوله، وأنشدهم:

دعُوا كلَّ قولٍ عند قول مُحمدٍ فما آمِنٌ في دينهِ كمخاطرِ[(٢)]

فقالوا كما قال الأوّل:

وما أنا إلَّا مِن غَزِيَةَ إنْ غَوَتْ غويْتُ وإنْ ترشُدْ غَزَيةُ أُرْشُدِ[(٣)]

وقد أحسن مَنْ قال:

يأبى الفتى إلا اتباعَ الهوى ومنهجُ الحقِّ له واضحُ[(٤)]

ثم لما سمع أولئك مقالة الخليل: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾؛ أي: أجادٌّ أنت فيما تقول أم أنتَ لاعب مازح؟ قال: مُضرباً عما بنوا عليه مقالتهم من التقليد ﴿بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾؛ أي: خلقهنّ وأبدعهنّ ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ الذي ذكرتُه لكم من كون ربكم هو ربّ السمٰوات والأرض دون ما عداه ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾؛ أي: العالِمين به المبرهنين عليه، فإنّ الشاهد على الشيء هو مَنْ كان عالماً به، مبرهناً عليه مبيناً له.

وقد أخرج أحمد، والترمذي، وابن جرير في «تهذيبه»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن عائشة[(٥)]: «أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونُني ويعصونني، وأضربُهم وأشتمهم فكيف أنا منهم؟ فقال له رسول الله ﷺ: يحسب ما خانوك، وعصوك، وكذَبُوك، وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم دونَ ذنوبهم كان فضلاً لك، وإنْ كان عقابك

---

(١) هذا عجزُ بيتٍ للخنساء الصحابية ترثي أخاها صخَراً وصدره «وإنَّ صخراً لتأتم الهداةُ به». انظر: «خزانة الأدب» (١/ ١٥١).

(٢) هذا البيت للعلّامة شرف الدين ابن المقرئ كما في «ديوانه» ص(١٣).

(٣) قائله: دريد بن الصّمة (ص٤٧).

(٤) هذا البيت هو لأَبي نُواس الشاعر العباسي وهو في «ديوانه» ص(٦١٨).

(٥) أخرجه أحمد رقم (٢٦٤٠١)، والترمذي رقم (٣١٦٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٨٥٨٦). وهو حديث صحيح.

إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا عليك ولا لك، وإنْ كان عقابُك إيّاهم فوقَ ذنوبهم اقْتُصّ لهم منك الفضلُ، فجعل الرجل يبكي ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: أَما تقرأ كتابَ الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾؟ فقال له الرجل: يا رسول الله ما أجد لي ولهم خيراً مِنْ مفارقتهم أُشهدك أنهم أحرار».

رواه أحمد هكذا: حدّثنا أبو نوح قُراد، أخبرنا ليث بن سعد عَنْ مالك بن أنس، عَنْ الزهري، عَنْ عروة، عن عائشة فذكره، وفي معناه أحاديث.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر عن ابن عباس[١] أنه كان يقرأ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ضِيَاءً﴾.

وأخرج عبد بن حميد[٢] عن أبي صالح ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ قال: التوراة.

وأخرج ابن جرير[٣] عن قتادة نحوه.

وأخرج ابن جرير[٤] عن ابن زيد قال: ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: الحقّ [٢٥٢/٣].

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[٥] ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾؛ أي: القرآن.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد[٦] في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ قال: هديناه صغيراً، وفي قوله: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ قال: الأصنام.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٣٤).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٣٤).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٨٨) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٨٨) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٩٠) بسند صحيح.

(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٣٥).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٩٠ ـ ٢٩١)، عن مجاهد بسند ضعيف، ابن جريج لم يسمع من ابن عباس.

[إنكار إبراهيم على أبيه ومن معه عبادة هذه التماثيل]:

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ أخبرهم أنه سينتقل من المحاجة باللسان إلى تغيير المنكر بالفعل ثقةً بالله سبحانه، ومحاماةً على دينه.

والكيد: المَكْر يقال: كادَه يَكيده كيداً ومَكِيدةً، والمراد هنا: الاجتهاد في كسر الأصنام قيل: إنّه عليه الصلاة والسلام قال ذلك سرّاً؛ وقيل: سمعه رجل منهم ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾؛ أي: بعد أَنْ ترجعوا من عبادتها ذاهبين منطلقين.

قال المفسّرون[1]: كان لهم عيد في كل سنة يجتمعون فيه، فقالوا لإبراهيم: لو خرجتَ معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا، فقال إبراهيم هذه المقالة. والفاء في قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ فصيحة؛ أي: فولّوا، فجعلهم جُذاذاً، الجَذّ: القطع والكسر، يقال: جذذتُ الشيء قطعتُه وكسرته، الواحد جُذاذة، والجِذاذ والجُذاذ ما كُسِر منه.

قال الجوهري[2]: قال الكسائي: ويُقال لحجارة الذهب: الجُذاذ لأنها تكسر.

---

(١) «جامع البيان» (١٦/٢٩٢ ـ ٢٩٣)، و«روح المعاني» (١٧/١٢٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٤/٢١٧ ـ ٢١٨).

(٢) في «الصحاح» (٢/٥٦١).

قرأ الكسائي، والأعمش، وابن محيصن (جِذاذاً) بكسر الجيم[١]؛ أي: كِسَراً وقِطَعاً، جمع جَذيذ: وهو الهَشيم، مثل خَفيف وخِفاف، وظَريف وظِراف. قال الشاعر:

جَـذَّذ الأصـنـامَ فـي مـحـرابِـهـا ذاك فـي الـلّـهِ الـعـلـيِّ الـمـقـتـدرْ

وقرأ الباقون بالضم[٢]، واختار هذه القراءة أبو عُبيد[٣] وأبو حاتم[٤]؛ أي: الحُطام والرقاق، فُعَال بمعنى مفعول، وهذا هو الكيد الذي وعدهم به.

وقرأ ابن عباس وأبو السمَّال (جَذاذاً) بفتح الجيم[٥] ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾؛ أي: للأصنام ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى إبراهيم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم؛ وقيل: لعلّهم إلى الصنم الكبير[٦] يرجعون فيسألونه عن الكاسر؛ لأن من شأن المعبود أن يُرجع إليه في المهمات، فإذا رجعوا إليه لم يجدوا عنده خبراً، فيعلمون حينئذٍ أنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضرراً، ولا تعلم بخير ولا شرّ، ولا تخبر عن الذي ينوبها مِنْ الأمر، وقيل: لعلّهم إلى الله[٧] يرجعون، وهو بعيد جدّاً.

﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ في الكلام[٨] حذف. والتقدير: فلمّا رجعوا مِنْ عيدهم، ورأوا ما حدث بآلهتهم قالوا هذه المقالة، والاستفهام[٩] للتوبيخ، وقيل: إنّ «مِنْ» ليست استفهامية؛ بل هي مبتدأ وخبرها ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: فاعل هذا ظالم، والأوّل أولى لقولهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾ إلخ، فإنه قال بهذا بعضُهم مجيباً للمستفهمين لهم، وهذا القائل هو الذي سمع إبراهيم يقول:

---

(١) «التيسير» (ص١٥٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٤٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢١٨)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٢٨). وهي قراءة متواترة.
(٢) «جامع البيان» (١٦/ ٢٩٤)، وهي أولى القراءتين عنده، لإجماع قراءة الأمصار عليه، وأن ما أجمعت عليه فهو الصواب. «البحر المحيط» (٧/ ٤٤٥)، و«التيسير» (ص١٥٥).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢١٨).
(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٩٦).
(٥) «المحتسب» (٢/ ٦٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢١٨).
(٦) «النكت والعيون» (٣/ ٤٥٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٣٧).
(٧) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٤/ ٦٧٩).
(٨) «روح المعاني» (١٧/ ٢٢٢)، و«الفريد» (٣/ ٤٩٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٤٦).
(٩) «الفريد» (٣/ ٤٩٤)، و«التبيان» (٢/ ٩٢١)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٧٩).

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ ومعنى ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾: يَعيبُهم، وقد سبق تحقيق مثل هذه العبارة، وجملة ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ صفة ثانية لفتى.

قال الزجاج[١]: وارتفع إبراهيم على معنى: يقال له هو إبراهيم، فهو على هذا خبر مبتدأ محذوف، وقيل: ارتفاعه على أنّه مفعول ما لم يُسمّ فاعله، وقيل: مرتفع على النداء.

ومن غرائب التدقيقات النحوية، وعجائب التوجيهات الإعرابية، أن الأعلم الشَنْتمري[٢] الأشبيلي قال: إنَّه مرتفع على الإهمال، قال ابن عطية[٣]: ذهبَ إلى رفعه بغير شيءٍ.

والفتى: هو الشاب، والفتاة: الشابة ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ القائلون هم السائلون، أمروا بعضَهم أَنْ يأتي به ظاهراً بمرأى من الناس. قيل: إنه لما بلغ الخبر نمروذَ وأشراف قومِه كرهوا أن يأخذوه بغير بيِّنة، فقالوا هذه المقالة ليكون ذلك حجةً عليه، يستحلّون بها منه ما قد عزموا على أن يفعلوه به، ومعنى ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: لعلّهم يحضرون عقابه حتى ينزجر غيرُه عن الاقتداء به في مثل هذا.

وقيل: لعلّهم يشهدون عليه بأنهم رأوه يكسر الأصنام، أو لعلهم يشهدون طعنه على أصنامهم.

وجملة ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر، وفي الكلام حذف تقديره: فجاء إبراهيم حين أتوا به فاستفهموه: هل فعل ذلك؟

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٩٦).

(٢) هو: إمام العربية، أبو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي، النحوي، الأعْلم، وهو المشقوق الشَّفة.
والشنتمري نسبة إلى شنتمريَّة. مدينة بالأندلس. ولد سنة عشر وأربع مئة.
من مصنفاته: «تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب» وهو شرح أبيات «الكتاب» لسيبويه. وله كتاب «شرح دواوين الشعراء الستة الجاهليين» وهم: امرؤ القيس، والنابغة الذبياني، وعلقة الفحل، وزهير، وطرفه. وعنترة بن شداد.
انظر: «شذرات الذهب» (٣/ ٤٠٣)، و«مرآة الجنان» (٣/ ١٥٩)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٥٥٥ رقم ٢٨٥).

(٣) في «المحرر الوجيز» (١١/ ١٤٣).

لإقامة الحجة[١] عليه في زعمهم ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾؛ أي: قال إبراهيم مُقيماً للحجة عليهم، مُبكتاً لهم: بل فعلَه كبيرُهم هذا مُشيراً إلى الصنم الذي تركه ولم يكسره ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾؛ أي: إنْ كانوا ممّن يمكنه النطق، ويقدر على الكلام، ويفهم ما يقال له، فيجيب عنه بما يطابقه، أراد عليه الصلاة والسلام أن يبيِّن لهم أن مَنْ لا يتكلم ولا يعلم ليس بمستحق للعبادة، ولا يصح في العقل أن يطلق عليه أنه إلٰه.

فأخرج الكلام مخرج التعريض[٢] لهم بما يوقعهم في الاعتراف بأن الجمادات التي عبدوها ليست بآلهة، لأنّهم إذا قالوا: إنّهم لا ينطقون، قال لهم: فكيف تعبدون مَنْ يعجز عن النطق، وَيقصر عَنْ أن يعلم بما يقع عنده في المكان الذي هو فيه؟ فهذا الكلام مِنْ باب فَرض الباطل مع الخصم حتى تُلزمه الحجة، ويعترف بالحق، فإن ذلك أقطع لشبهته وأدفع لمكابرته.

وقيل: أراد إبراهيم عليه السلام بنسبة الفعل إلى ذلك الكبير من الأصنام أنَّه فعل ذلك؛ لأنه غار وغضب[٣] مِنْ أن يعبد وتعبد الصغار معه؛ إرشاداً لهم إلى أن عبادة هذه الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تدفع لا تستحسن في العقل مع وجود خالقها وخالقهم، والأوّل أولى.

وقرأ ابن السَّميفع: (بل فعلَّه) بتشديد اللام[٤] على معنى؛ بل فلعلّ الفاعل كبيرُهم ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: رجع بعضُهم إلى بعض رجوع المنقطع عن حجته، المتفطن لصحة حجة خصمه، المراجع لعقله.

وذلك أنهم تنبهوا وفهموا عند هذه المقاولة بينهم وبين إبراهيم أن مَنْ لا يقدر على دفع المضرّة عن نفسه، ولا على الإضرار بمن فَعل به ما فعله إبراهيم بتلك الأصنام، يستحيل أَنْ يكون مستحقّاً للعبادة، ولهذا ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٢٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٣٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٤٨).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (١٧/ ١٣٥).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٩٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٢٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٣٦). وهي قراءة شاذة.

أي: قال بعضُهم لبعض: أنتم الظالمون لأنفسكم بعبادة هذه الجمادات، وليس الظالم مَنْ نسبتم الظلم إليه بقولكم: إنّه لمن الظالمين ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾؛ أي: رجَعوا إلى جهلهم وعنادهم، شبّه سبحانه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء أعلاه.

وقيل: المعنى: أنهم طأطئوا رءوسهم خجلة[١] من إبراهيم، وهو ضعيف[٢]؛ لأنه لم يقل نَكَسوا رءوسهم بفتح الكاف، وإسناد الفعل إليهم حتى يصح هذا التفسير؛ بل قال: نُكِسوا على رءوسهم، وقُرئ نَكّسوا بالتشديد، ثم قالوا بعد أن نُكسوا مخاطبين لإبراهيم: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾؛ أي: قائلين لإبراهيم: لقد علمتَ أنَّ النطق ليس مِنْ شأن هذه الأصنام.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم مبكتاً لهم وُمْزرياً عليهم: ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ من النفع ﴿وَلَا يَضُرُّكُمۡ﴾ بنوع من أنواع الضرر؟ ثم تضجر عليه السلام منهم، فقال: ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ وفي هذا تحقير لهم ولمعبوداتهم، واللّام في ﴿لَّكُمۡ﴾ لبيان المتأفف به؛ أي: لكم ولآلهتكم، والتأفف[٣]: صوتٌ يدلّ على التضجر ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾؛ أي: ليس لكم عقول تتفكرون بها، فتعلمون هذا الصنع القبيح الذي صنعتموه.

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ﴾؛ أي: قال بعضُهم لبعض لما أعيتهم[٤] الحيلةُ في دفع إبراهيم وعجزوا عَنْ مجادلته، وضاقت عليهم مسالك المناظرة: حرّقوا إبراهيم؛ انصرافاً منهم إلى طريق الظلم والغشم، وميلاً منهم إلى إظهار الغلبة بأي وجهٍ كان، وعلى أيّ أمر اتفق، ولهذا قالوا: ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾؛ أي: انصروها بالانتقام من هذا الذي فعل بها ما فعل إنْ كنتم فاعلين للنصر، وقيل: هذا القائل هو نمروذ[٥].

وقيل: رجل من الأكراد[٦] ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ في الكلام

---

(١) «الكشاف» (٤/ ١٥٣)، و«تفسير الرازي» (٢٢/ ١٨٦).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٢٦). وقراءة (نكّسوا) بالتشديد التي ذكرها المؤلف شاذة.
(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٩)، و«جامع البيان» (١٦/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤).
(٤) «روح المعاني» (١٧/ ١٣٩)، و«جامع البيان» (١٦/ ٣٠٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٢٦).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٧٢٦).
(٦) قاله: ابن عمر ومجاهد وابن جريج. «النكت والعيون» (٣/ ٤٥٣).

حذف تقديره: فأضرموا النار، وذهبوا بإبراهيم إليها، [٣/٢٥٣] فعند ذلك قلنا: يا نارُ كوني ذات بردٍ وسلام، وقيل: إن انتصاب[(١)] سلاماً على أنه مصدر لفعل محذوف؛ أي: وسلّمنا سلاماً عليه ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾؛ أي: مَكْراً ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾؛ أي: أخسر مِنْ كل خاسر، ورددنا مكرهم عليهم، فجعلنا لهم عاقبة السوء، كما جعلنا لإبراهيم عاقبة الخير.

وقد أخرج ابنُ أبي حاتم[(٢)] عن ابن مسعود قال: لما خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم مرّوا عليه، فقالوا: يا إبراهيم ألا تخرج معنا؟ قال: إني سقيم، وقد كان بالأمس، قال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ فسمعه أناس منهم. فلما خرجوا انطلق إلى أهله، فأخذ طعاماً ثم انطلق إلى آلهتهم فقرّبه إليهم، فقال: ألا تأكلون؟ فكسَّرها إلا كبيرهم. ثم ربط في يده الذي كسّر به آلهتهم، فلما رجع القوم من عيدهم دخلوا، فإذا هم بآلهتهم قد كُسِّرت، وإذا كبيرهم في يده الذي كسر الأصنام، قالوا: مَنْ فعل هذا بآلهتنا؟ فقال الذين سمعوا إبراهيم يقول: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ فجادلهم عند ذلك إبراهيم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٣)] في قوله: ﴿جُذَٰذًا﴾ قال: حُطاماً.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٤)] عنه قال: فُتاتاً.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[(٥)] أيضاً ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ قال: عظيم آلهتهم.

= • وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥)، عن مجاهد بسند ضعيف.
• وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٠٥)، عن ابن جريج بسند ضعيف.

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٤٥١)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٢)، و«الفريد» (٣/ ٤٩٦).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٣٦).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٩٤) بسند صحيح، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٥٥).

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٥٥).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٢٩٦) بسند ضعيف.

وأخرج أبو داود، والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي هريرة[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم في شيء قطُّ إلا في ثلاثٍ كلُّهنّ في الله: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] ولم يكن سقيماً، وقوله لسارة: أختي، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾».

وهذا الحديث هو في «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة بأطول من هذا.

وقد روى نحو هذا أبو يعلى[٣] من حديث أبي سعيد.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عن ابن عباس قال: لما جُمع لإبراهيم ما جمع، وألقي في النار جعل خازن المطر يقول: متى أُومر بالمطر فأرسله؟ فكان أمر الله أسرع، قال الله: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ فلم يبق في الأرض نار إلا طَفِئت.

وأخرج أحمد، وابن ماجه، وابن حبان، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم، والطبراني عن عائشة[٥]، أن رسول الله ﷺ قال: «إن إبراهيم حين أُلقيَ في النار لم تكن دابّة إلا تُطْفئ عنه النار، غير الوَزَغ فإنّه كان ينفُخ على إبراهيم، فأمر رسول الله ﷺ بقتله».

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن المنذر عن ابن عمر[٦]، قال: أوّل كلمة قالها إبراهيم حين أُلقي في النار: «حسبُنا الله ونعم الوكيل».

وأخرج ابن أبي حاتم[٧] عن السديّ في قوله: ﴿يَٰنَارُ كُونِي﴾ قال: كان جبريل هو الذي ناداها.

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٢٢١٢)، والترمذي رقم (٣١٦٦). وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٣٥٨)، ومسلم رقم (١٥٤/ ٢٣٧١).

(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» رقم (١٠٤٠) بسند ضعيف؛ لضعف علي بن زيد بن جدعان. وما تقدم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة شاهد له.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٣٨).

(٥) أخرجه أحمد رقم (٢٤٥٣٤، ٢٤٧٨٠، ٢٥٦٤٣، ٢٥٨٢٧)، وابن ماجه رقم (٣٢٣١)، وابن حبان رقم (٥٦٣١)، وأبو يعلى رقم (٤٣٥٧)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٦٩٧٣). وهو حديث صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١١/ ٥٢٢).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٣٩).

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] قال: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها.

وأخرج الفريابي، وابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن عليّ[٢] نحوه.

وأخرج ابن جرير عن معتمر بن سليمان التيمي، عن بعض أصحابه[٣] قال: جاء جبريل إلى إبراهيم وهو يوثق ليُلقى في النار. فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر عن كعب[٤] قال: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن المنهال بن عمرو[٥] قال: أخبرت أن إبراهيم أُلقي في النار، فكان فيها إمّا خمسين وإما أربعين، قال: ما كنت أياماً وليالي قطّ أطيب عيشاً إذْ كنت فيها، وددتُ أنّ عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها[٦].

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤١).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٠٦) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٥١٩)، وأحمد في «الزهد» (ص٧٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٠٧) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٠٩) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٠٧)، وابن أبي شيبة (١١/ ٥٢٠) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٠٧) من طريق جابر بن نوح، به.

(٦) والخبر من الإسرائيليات، والله أعلم..

[الإشارة إلى قصة لوط ونوحٍ عليهما السلام]:

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

قد تقدّم أن لوطاً هو ابن أخي إبراهيم، فحكى الله سبحانه ها هنا أنه نجّى إبراهيم ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين.

قال المفسِّرون[(١)]: وهي أرض الشام، وكانا بالعراق، وسمّاها سبحانه مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها، ولأنّها معادن الأنبياء، وأصل البركة: ثبوتُ الخير، ومنه بَرَكَ البعيرُ: إذا لزمَ مكانَه فلم يبرح. وقيل: الأرض المباركة مكة[(٢)]، وقيل: بيت المقدس[(٣)] لأنَّ منها بعث الله أكثر الأنبياء، وهي أيضاً كثيرة الخصب.

وقد تقدّم تفسير العالَمين.

ثم قال سبحانه ممتناً على إبراهيم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ النافلة: الزيادة، وكان إبراهيم قد سأل اللهَ سبحانه أَنْ يهب له ولداً، فوهب له إسحاق، ثم وهب لإسحاق يعقوبَ مِنْ غير دعاء، فكان ذلك نافلة؛ أي: زيادة، وقيل: المراد بالنافلة هنا: العطية قاله الزجاج[(٤)]؛ وقيل: النافلة هنا: ولد الولد؛ لأنه زيادة على الولد، وانتصاب نافلةَ على الحال.

قال الفراء[(٥)]: النافلة: يعقوب خاصة؛ لأنّه ولد الولد ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾؛ أي: وكل واحد مِنْ هؤلاء الأربعة: إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب، لا بعضهم دون بعض جعلناه صالحاً، عاملاً بطاعة الله، تاركاً لمعاصيه، وقيل: المراد بالصلاح هنا: النبوّة.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٣٠)، و«جامع البيان» (١٦/ ٣١١).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣١٤ ـ ٣١٥) عن ابن عباس بسند ضعيف.
(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٥٤).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٩٨). (٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٧).

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾؛ أي: رؤساء يُقتدى بهم في الخيرات، وأعمال الطاعات. ومعنى بأمرنا: بأمرنا لهم بذلك؛ أي: بما أنزلنا عليهم مِنْ الوحي ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾؛ أي: أَنْ يفعلوا الطاعات[1].

وقيل: المراد بالخيرات: شرائع النبوّات ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾؛ أي: كانوا لنا خاصةً دون غيرنا مطيعين، فاعلين لما نأمرهم به، تاركين ما ننهاهم عنه. ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ انتصاب[2] ﴿وَلُوطًا﴾ بفعل مضمر دلّ عليه قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾؛ أي: وآتينا لوطاً آتيناه.

وقيل: بنفس الفعل المذكور بعده، وقيل: بمحذوف هو اذْكر، والحكم: النبوّة، والعلم: المعرفة بأمر الدين، وقيل: الحكم هو فصل الخصومات بالحق، وقيل: هو الفهم.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ القرية هي: سَدُوم كما تقدّم، ومعنى تعمل الخبائث: يعمل أهلُها الخبائث، فوصفت القرية بوصف أهلها، والخبائث التي كانوا يعملونها هي: اللّواطة[3] والضُّراط[4] وخَذفُ الحصى كما سيأتي، ثم علّل سبحانه ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾؛ أي: خارجين عَنْ طاعة الله، والفُسوق: الخروج كما تقدّم ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ بإنجائنا إيّاه من القوم المذكورين.

ومعنى ﴿فِى رَحْمَتِنَآ﴾: في أهل رحمتنا؛ وقيل: في النبوّة؛ وقيل: في الإسلام، وقيل: في الجنّة.

﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين سبقت لهم منّا الحُسْنى.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾ ربَّه؛ أي: واذْكر نوحاً إذ نادى ربه ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل هؤلاء الأنبياء المذكورين ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ أي: مِنْ الغرق بالطوفان، والكَرْبُ: الغمّ الشديد، والمراد بأهله: المؤمنون منهم ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾؛ أي: نصرناه نصراً مستتبعاً للانتقام من القوم المذكورين؛ وقيل: المعنى: منعناه مِنْ القوم.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٣١).

(٢) «الفريد» (٣/ ٤٩٦)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٤٩).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٣٢). (٤) «النكت والعيون» (٣/ ٤٥٥).

وقال أبو عبيدة[١]: (من) بمعنى (على)، ثم علل سبحانه ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: لم نترك منهم أحداً؛ بل أغرقنا كبيرهم وصغيرهم بسبب إصرارهم على الذنب.

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن أُبيّ بن كعب[٢] في قوله: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ قال: الشام.

وأخرج ابن أبي شيبة[٣] عن أبي مالك نحوه.

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس[٤] قال: لوط كان ابن أخي إبراهيم.

وأخرج ابن جرير عنه[٥] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ قال: ولداً ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ قال: ابن الابن.

وأخرج ابن جرير عن قتادة[٦] نحوَه.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحكم[٧] نحوه أيضاً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٨] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ قال: أعطيناه ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ قال: عطيةً.

[داود وسليمان عليهما السلام]:

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٣٢)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٥٢).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٢).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ١٩٢). (٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٦١).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣١٥ ـ ٣١٦) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣١٦) بسند صحيح.
(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٣).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٠٦) بسند صحيح.

[أيوب عليه السلام]:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

[إسماعيل وإدريس وذو الكفل]:

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

[يونس عليه السلام]:

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [٣/٢٥٤].

قوله: ﴿وَدَاوُۥدَ﴾ معطوف على ﴿نُوحًا﴾ [الأعراف: ٥٩] ومعمول لعامله المذكور، أو المقدّر كما مرّ ﴿وَسُلَيْمَٰنَ﴾ معطوف على ﴿دَاوُۥدَ﴾، والظرف في ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾ متعلق بما عمل في (داود)؛ أي: واذْكرهما وقتَ حكمهما. والمراد مِنْ ذكرهما: ذكر خبرهما.

ومعنى ﴿فِي ٱلْحَرْثِ﴾ في شأن الحرث، قيل: كانَ زرعاً، وقيل: كَرْماً، واسم الحرث يُطلق عليهما ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ﴾؛ أي: تفرّقتْ وانتشرت فيه ﴿غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ قال ابن السكّيت(١): النَفَش بالتحريك: أن تنتشر الغنم بالليل من غير راعٍ ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾؛ أي: لحكم الحاكمين، وفيه جواز إطلاق الجمع على الاثنين، وهو مذهب طائفة مِنْ أهل العربية كالزمخشري والرضيّ، وتقدّمهما إلى القول به الفرّاء(٢)؛ وقيل: المراد: الحاكمان(٣) والمحكوم عليه.

ومعنى شاهدين: حاضرينَ، والجملة اعتراضية، وجملة ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ﴾

(١) في «إصلاح المنطق» (ص٤١).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/٢٠٨).
(٣) «روح المعاني» (١٧/١٥٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/٢٣٤).

معطوفة على ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾؛ لأنه في حكم الماضي، والضمير في ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ يعود إلى القضية المفهومة من الكلام، أو الحكومة المدلول عليها بذكر الحكم.

قال المفسِّرون[١]: دخل رجلان على داود، وعنده ابنُه سليمان: أحدهما: صاحب حرث، والآخر: صاحب غَنَم، فقال صاحب الحرث: إنّ هذا انفلتت غنمه ليلاً فوقعت في حرثي فلم تُبق منه شيئاً، فقال: لك رقابُ الغنم، فقال سليمان: أو غير ذلك، ينطلق أصحابُ الكَرْم بالغنم فيصيبون مِنْ ألبانها، ومنافعها ويقوم أصحاب الغنم على الكَرْم حتى إذا كان كليلة نفشت فيه دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم، ودفع هؤلاءِ إلى هؤلاء كَرْمهم، فقال داود: القضاء ما قضيتَ، وحكم بذلك.

قال النحاس[٢]: إنما قضى داود بالغنم لصاحب الحرث لأنّ ثمنها كانا قريباً منه، وأما في حكم سليمان فقد قيل: كانت قيمة ما نال من الغنم، وقيمة ما أفسدت الغنم سواء.

قال جماعة من العلماء: إنّ داود حكم بوحي، وحكم سليمان بوحي نسخ الله به حكم داود، فيكون التفهيم على هذا بطريق الوحي. وقال الجمهور: إن حكمهما كان باجتهاد، وكلام أهل العلم في حكم اجتهاد الأنبياء معروف، وهكذا ما ذكره أهل العلم في اختلاف المجتهدين، وهل كلُّ مجتهد مصيب، أو الحق مع واحد؟ وقد استدل المستدلون بهذه الآية على أن كلَّ مجتهد مصيب، ولا شك أنها تدل على رفع الإثم عَنْ المخطئ، وأما كون كل واحد منهما مصيباً، فلا تدلّ عليه هذه الآية ولا غيرها؛ بَلْ صرّح الحديث المتفق عليه في «الصحيحين»[٣] وغيرهما أن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر، فسماه النبيّ ﷺ مخطئاً، فكيف يقال: إنَّه مصيب لحكم الله موافق له؟ فإن حكم الله سبحانه واحد لا يختلف باختلاف المجتهدين، وإلا لزم توقف حكمه ﷻ على اجتهادات المجتهدين، واللازم باطل فالملزوم مثله.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥)، و«جامع البيان» (١٦/ ٣٢١ ـ ٣٢٢)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٧٢٥٣)، ومسلم رقم (١٧١٦)، وأحمد رقم (١٧٧٧٤) و(١٧٨١٦) من حديث عمرو بن العاص.

وأيضاً يستلزم أن تكون العين التي اختلف اجتهاد المجتهدين فيها بالحلّ والحرمة حلالاً حراماً في حكم الله سبحانه. وهذا اللازم باطل بالإجماع، فالملزوم مثله.

وأيضاً يلزم أن حكم الله سبحانه لا يزال يتجدّد عند وجود كل مجتهد له اجتهاد في تلك الحادثة، ولا ينقطع ما يريده الله سبحانه فيها إلا بانقطاع المجتهدين واللازّم باطل فالملزوم مثله. وقد أوضحنا هذه المسألة بما لا مزيد عليه في المؤلف الذي سميناه «القول المفيد في حكم[١] التقليد» وفي «أدب الطلب[٢] ومنتهى الأرب» فمن أحبّ الوقوف على تحقيق الحق فليرجع إليهما.

فإن قلتَ: فما حكم هذه الحادثة التي حكم فيها داود وسليمان في هذه الشريعة المحمدية، والملة الإسلامية؟

قلتُ: قد ثبت عن النبيّ ﷺ من حديث البراء[٣] أنَّه شرع لأمته أنَّ على أهل الماشية حفظها بالليل، وعلى أصحاب الحوائط حفظها بالنهار، وأن ما أفسدت المواشي بالليل مَضْمون على أهلها، وهذا الضمان هو مقدار الذاهب عيناً أو قيمة.

وقد ذهب جمهور[٤] العلماء إلى العمل بما تضمنه هذا الحديث.

وذهبَ أبو حنيفة[٥]، وأصحابهُ، وجماعة من الكوفيين إلى أن هذا الحكم مَنْسوخ، وأن البهائم إذا أفسدت زرعاً في ليل أو نهار أنَّه لا يلزم صاحبها شيء، وأدخلوا فسادها في عموم قول النبيّ ﷺ: «جَرْح العجماء جبار»[٦]، قياساً لجميع

---

(١) (٥/ ٢٢٣٤) ضمن «الفتح الربانّي».

(٢) ص(٨٦) بتحقيق: عبد الله السريحي.

(٣) عن حزام بن مُحَيصة أنَّ ناقة البراء بن عازب دخلت حائطاً فأفسدت فيه، فقضى نبيّ الله ﷺ أن على أهل الحوائط حِفظها بالنّهار، وأنَّ ما أفسدت المواشي بالليل ضامنٌ على أهلها.
[أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٩٥)، (٥/ ٤٣٦)، وأبو داود رقم (٣٥٦٩، ٣٥٧٠)، وابن ماجه رقم (٢٣٣٢). وهو حديث صحيح].

(٤) «المغني» (١٢/ ٥٤١ ـ ٥٤٣)، و«التمهيد» (١١/ ٨٤)، و«البيان» للعمراني (٧/ ٦١).

(٥) «بدائع الصنائع» (٧/ ١٦٨)، و«شرح معاني الآثار» (٣/ ٢٠٣).

(٦) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٩)، والبخاري رقم (٦٩١٢)، ومسلم رقم (٤٥/ ١٧١٠)، والترمذي رقم (١٣٧٧)، والنسائي (٥/ ٤٥)، وأبو داود رقم (٤٥٩٣)، وابن ماجه رقم (٢٦٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العجماء جُرحُها جُبار**».

أفعالها على جرحها. ويجاب عنه بأَنّ هذا القياس فاسد الاعتبار؛ لأنه في مقابلة النص.

ومن أهل العلم من ذهب إلى أنه يضمن ربّ الماشية ما أفسدته من غير فرق بين الليل والنهار.

ويجاب عنه بحديث البراء ومما يدل على أن هذين الحكمين من داود وسليمان كانا بوحي من الله سبحانه لا باجتهاد.

قولُه: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ فإن الله سبحانه أخبرنا بأنه أعطى كل واحد منهما هذين الأمرين، وهما إنْ كانا خاصين فصدقهما على هذه القضية التي حكاها الله سبحانه عنهما مقدّم على صدقهما على غيرها، وإن كانا عامين فهذا الفرد مِنْ الحكم والعلم، ـ وهو ما وقع من كل واحد منهما في هذه القضية ـ أحق أفراد ذلك العام بدخوله تحته ودلالته عليه، ومما يستفاد من ذلك دفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان بالتفهيم، من عدم كون حكم داود حكماً شرعياً؛ أي: وكل واحد منهما أعطيناه حُكْماً وعلماً كثيراً، لا سليمان وحدَه. ولما مدح داود وسليمان على سبيل الاشتراك، ذكر ما يختص بكلٍّ واحد منهما، فبدأ بداود فقال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ التسبيح إما حقيقة أو مجاز، وقد قال بالأوّل جماعة وهو الظاهر.

وذلك أنَّ داود كان إذا سبَّح سبحت الجبال معه؛ وقيل: إنها كانت تصلي[(١)] معه إذا صلى، وهو معنى التسبيح.

وقال بالمجاز جماعة آخرون، وحملوا التسبيح على تسبيح مَنْ رآها[(٢)] تعجباً مِنْ عظيم خلقها، وقدرة خالقها، وقيل: كانت الجبال تسير مع داود، فكان من رآها سائرة معه سبَّح ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ معطوف على الجبال، وقُرِئ بالرفع[(٣)] على أنه مبتدأ وخبره محذوف؛ أي: والطيرُ مسخراتٌ، ولا يصح العطف على الضمير في ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ لعدم التأكيد والفصل ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ يعني: ما ذكر من التفهيم، وإيتاء الحكم والتسخير ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ اللَّبوس عند العرب: السلاح كله

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٢٨)، عن قتادة بسند صحيح.

(٢) «روح المعاني» (١٧/ ١٥٨)، و«تفسير أبي السعود» في «تفسيره» (٤/ ٦٨٥).

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٤٥٦)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٥٩). وهي قراءة شاذة.

درعاً كان أو جَوشناً[(١)]، أو سيفاً، أو رُمْحاً. قال الهُذلي[(٢)]:

وعندِي لبوسُ في اللباسِ كأنه[(٣)]

إلخ، والمراد في الآية: الدروع خاصةً، وهو بمعنى: الملبوس؛ كالرَّكوب والحَلُوب، والجار والمجرور أعني لكم متعلق بعلمنا ﴿لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ﴾ قرأ الحسن، وأبو جعفر، وابن عامر، وحَفْص، وروح (لتُحصنكم) بالتاء[(٤)] الفوقية، بإرجاع الضمير إلى الصنعة، أو إلى اللّبوس بتأويل الدرع.

وقرأ شيبة، وأبو بكر، والمفضّل، وابن أبي إسحاق (لنُحصنكم) بالنون[(٥)] بإرجاع الضمير إليه سبحانه.

وقرأ الباقون بالياء[(٦)] بإرجاع الضمير إلى اللَّبوس، أو إلى داود، أو إلى الله سبحانه.

ومعنى ﴿مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ﴾: مِنْ حربكم، أو من وقع السلاح فيكم ﴿فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾ لهذه النعمة التي أنعمنا بها عليكم، والاستفهام في معنى الأمر. ثم ذكر سبحانه ما خص به سليمان. فقال: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾؛ أي: وسخرنا له الريحَ ﴿عَاصِفَةٗ﴾؛ أي: شديدةَ الهُبوب.

يقال: عَصفت الريحُ؛ أي: اشتدّت، فهي ريح عاصف وعَصُوف، وانتصاب ﴿ٱلرِّيحَ﴾ على الحال[(٧)]. وقرأ عبد الرحمٰن الأعرج، والسُّلَمي، وأبو بكر (ولسليمان الريحُ) برفع الريح[(٨)] على القطع مما قبله، ويكون مبتدأ وخبره تجري.

---

(١) **الجوشَنُ**: الدرع. «الصحاح» (٥/ ٢٠٩٢).

(٢) هو: عامر بن الحُلَيْس. أبو كبير.
انظر: «ديوان الهذليين» (٢/ ٩٨).

(٣) وعجز البيت:

رَوْقٌ بجبهةِ ذي نِعاجٍ مُجْفَلِ

(٤) «النشر» (٢/ ٣٢٤)، و«التيسير» (ص١٥٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٥٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٦٠). هي ثلاث قراءات متواترة، الأولى بالنون وهي قراءة أبي بكر ورويس، والثانية بالتاء (لتحصنكم) وهي قراءة حفص وابن عامر وأبي جعفر، والثالثة بالياء، وهي لبقية العشرة.

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٤٥٧)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٦٠).

(٧) «البحر المحيط» (٧/ ٤٥٨)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٤)، و«الفريد» (٣/ ٤٩٨).

(٨) «القراءات الشاذة» (ص٩٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٥٩)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٦١). القراءة برفع (الريح) شاذة، والمتواتر عن أبي بكر قراءة النصب كباقي العشرة.

وأما على قراءة النصب فيكون محل ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ النصب[١] أيضاً على الحالية، أو على البدلية ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرض الشام كما تقدّم ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾؛ أي: بتدبير كلّ شيء. ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ﴾؛ أي: وسخرنا من الشياطين ﴿مَن يَغُوصُونَ لَهُ﴾ في البحار ويستخرجون منها ما يطلبه منهم.

وقيل: إن «من» مبتدأ[٢] وخبره ما قبله، والغوص: النزول تحت الماء، يقال: غاصَ في الماء، والغوّاص: الذي يغوص في البحر على اللؤلؤ ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ قال الفراء[٣]: أي سوى ذلك؛ وقيل: يُراد بذلك المحاريب والتماثيل وغير ذلك مما يسخرهم فيه ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾؛ أي: لأعمالهم.

وقال الفرّاء[٤]: حافظين لهم من أن يهربوا أو يتمنعوا، أو حفظناهم من أن يخرجوا عن أمره.

قال الزجاج[٥]: كان يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا، وكان دأبهم أن يفسدوا بالليل ما عملوا بالنهار. ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ معطوف على ما قبله، والعامل فيه: إما المذكور أو المقدّر كما مرّ، والعامل في الظرف وهو ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ هو العامل في أيوب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [٣/٢٥٥]؛ أي: بأنّي مسني الضرّ. وقُرئ بكسر[٦] (إنّي).

واختلف في الضرّ الذي نزل به ماذا هو؟

فقيل: إنه قام ليصلي[٧] فلم يقدر على النهوض.

وقيل: إنه أقرّ بالعجز[٨]، فلا يكون ذلك منافياً للصبر.

وقيل: انقطع الوحي[٩] عنه أربعين يوماً.

---

(١) «التبيان» (٢/ ٩٢٤)، و«الفريد» (٣/ ٤٩٨)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٦١).
(٢) «الفريد» (٣/ ٤٩٨)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٥٩)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٦١).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٩).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٩).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٠١).
(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٤٦٠)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٦٥). والقراءة بكسر الهمزة شاذة.
(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٦٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٥٧).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٥٧).
(٩) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٦٣)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٥٨).

وقيل: إنَّ دودة[(١)] سقطت مِنْ لحمه، فأخذها وردّها في موضعها فأكلت منه، فصاح مسني الضرُّ.

وقيل[(٢)]: كانت الدود تناول بدنه فيصبر حتى تناولت دودة قلبه.

وقيل: إنّ ضرّه قول إبليس[(٣)] لزوجته: اسجدي لي، فخاف ذهاب إيمانها.

وقيل: إنّه تقذره قومه.

وقيل: أراد بالضرّ الشماتة، وقيل غير ذلك.

ولما نادى ربه متضرّعاً إليه ووصفه بغاية الرحمة فقال: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فأخبر الله سبحانه باستجابته لدعائه، فقال: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾؛ أي: شفاه الله مما كان به، وأعاضه بما ذهب عليه، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قيل: تركهم الله ﷻ له، وأعطاه مثلهم في الدنيا.

قال النحاس[(٤)]: والإسناد[(٥)] بذلك صحيح، وقد كان مات أهله جميعاً إلا امرأته، فأحياهم الله في أقلّ مِنْ طرْف البصر، وآتاه مثلهم معهم.

وقيل: كان ذلك بأن ولد له ضعف الذين أماتهم الله، فيكون معنى الآية على هذا: آتيناه مثل أهله ومثلهم معهم، وانتصاب ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ على العلة؛ أي: آتيناه ذلك لرحمتنا له ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾؛ أي: وتذكرةً لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر.

واختلف في مدّة إقامته على البلاء فقيل: سبع سنين[(٦)] وسبعة أشهر وسبعة أيام

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٥٨).
قال ابن العربي: «وهذا بعيداً جدّاً، مع أنّه يفتقر إلى نقل صحيح ولا سبيل إلى وجوده».

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٥٨).
قال ابن العربي: «وما أحسن هذا لو كان له سند ولم تكن دعوى عريضة».

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٥٨).

(٤) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٧٦).

(٥) قال مجاهد وعكرمة: قيل لأيوب ﵇: «قد آتيناك أهلك في الجنة، فإن شئت تركناهم لك في الجنَّة، فإن شئت آتيناكهم في الدنيا». قال مجاهد: «فتركهم الله ﷻ له في الجنة وأعطاه مثلهم في الدنيا». قال النحاس: «والإسناد عنهما بذلك صحيح».
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٦٧)، عن مجاهد بسند ضعيف؛ لضعف ليث بن أبي سليم.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٦٣)، عن ابن عباس، والبغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٦١)، عن كعب.

وسبع ليال؛ وقيل: ثلاثين[١] سنة، وقيل: ثماني عشرة[٢] سنة.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾؛ أي: واذْكر هؤلاء، وإدريس هو أَخْنوخ، وذا الكِفْل إلياس؛ وقيل: يُوشع بن نون.

وقيل: زكريا. والصحيح أنَّه رجل مِنْ بني إسرائيل كان لا يتورّع عَنْ شيء من المعاصي، فتاب فغفر الله له، وقيل: إن اليسع لما كَبُر[٣] قال: مَنْ يتكفل لي بكذا وكذا مِنْ خصال الخير حتى أستخلفه؟ فقال رجل: أنا، فاستخلفه وسمي ذا الكفل، وقيل: كان رجلاً يتكفّل بشأن كل إنسان إذا وقع في شيء من المهمات، وقيل غير ذلك.

وقد ذهب الجمهور[٤] إلى أنَّه ليس بنبيّ.

وقال جماعة: هو نبيّ[٥].

ثم وصف الله سبحانه هؤلاء بالصبر فقال: ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾؛ أي: كل واحد من هؤلاء من الصابرين على القيام بما كلفهم الله به: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾؛ أي: في الجنَّة، أو في النبوّة، أو في الخير على عمومه، ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾؛ أي: الكاملين في الصلاح. ﴿وَذَا النُّونِ﴾؛ أي: واذكر ذا النون، وهو يُونس بن متّى، ولُقّب ذا النون لابتلاع الحوت له، فإن النون من أسماء الحوت.

وقيل: سمي ذا النون؛ لأنَّه رأى صبيّاً مليحاً فقال: دسموا نونته[٦]، لئلا تصيبه العين.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٦٣)، عن وهب.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٥٤)، عن وهب بن منبه. قال: «لبث في ذلك البلاء ثلاثَ سنين لم يزد يوماً واحداً».

(٢) قال القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٦٣): «وأصحُّ من هذا والله أعلم: ثماني عشرة سنة، رواه ابن شهاب عن النبي ﷺ ذكره ابن المبارك.
«فتح الباري» (٦/ ٤٢١ ـ ٤٢٣).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٦٦)، و«جامع البيان» (١٦/ ٣٦٨).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٦٤)، عن الحسن.

(٦) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (٢/ ١٣٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٦٦).

وحكى ثعلب عن ابن الأعرابي[١] أن نونة الصبيّ هي النقبة التي تكون في ذقن الصبي الصغير، ومعنى دسّموا: سوّدوا. ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾؛ أي: اذكر ذا النون وقت ذهابه مغاضباً؛ أي: مُراغماً.

قال الحسن[٢]، والشعبي[٣]، وسعيد بن جبير[٤]: ذهب مغاضباً لربه، واختاره ابن جرير[٥]، والقتيبي[٦]، والمهدوي[٧]، وحكي عن ابن مسعود[٨].

قال النحاس[٩]: وربما أنكر هذا من لا يعرف اللّغة، وهو قول صحيح.

والمعنى: مغاضباً من أجل ربه، كما تقول: غضبت لك؛ أي: من أجلك. وقال الضحاك[١٠]: ذهب مغاضباً لقومه.

وحكي عن ابن عباس[١١]: وقالت فرقة منهم الأخفش[١٢]: إنما خرج مغاضباً للملك الذي كان في وقته واسمه حزقيا.

وقيل: لم يغاضب ربَّه ولا قومه ولا الملك، ولكنه مأخوذ من غضب إذا أَنِف[١٣]، وذلك أنَّه لما وعد قومه بالعذاب وخرج عنهم تابوا وكشف الله عنهم العذاب، فلما رجع وعلم أنهم لم يهلكوا أنف من ذلك فخرج عنهم، ومن استعمال الغضب في هذا المعنى قول الشاعر[١٤]:

وأغضب أن تُهْجى تميم بعامر[١٥]

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٦٦).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦، ٣٨٠) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٧٦) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٧٦) بسند ضعيف.
(٥) في «جامع البيان» (١١/ ٣٧٨).
(٦) في «تأويل مشكل القرآن» (ص٣١٤ ـ ٣١٥).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٦٦).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٦٦).
(٩) في «إعراب القرآن» (٣/ ٧٧).
(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٧٤) بسند حسن.
(١١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٦٨).
(١٢) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٣٥).
(١٣) انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص٣١٤ ـ ٣١٥).
(١٤) قيل: الفرزدق. «إصلاح المنطق» (ص٥٩).
(١٥) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (٢/ ٢٣٨)، والعسكري في «جمهرة الأمثال» (١/ ٥١٢) برواية.
أُولئك قوم إن هجوني هجوتهم   وأعبدُ أن أهجو كلباً بدارمِ =

أي: آنف ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ قرأ الجمهور (نَقْدِر) بفتح النون[١] وكسر الدال.

واختلف في معنى الآية على هذه القراءة، فقيل: معناها: أنه وقع في ظنه أن الله تعالى لا يقدر على معاقبته[٢].

وقد حكي هذا القول عن الحسن[٣] وسعيد بن جبير[٤]، وهو قول مردود[٥]، فإنَّ هذا الظنّ بالله كفر؛ ومثل ذلك لا يقع من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وذهب جمهور العلماء[٦] أن معناها: فظنّ أن لن نُضيّق عليه؛ كقوله: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الشورى: ١٢]؛ أي: يضيق، ومنه قوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧]. يقال: قَدَر وقُدِر وقَتَر وقُتِر؛ أي: ضيّق، وقيل: هو من القَدَر الذي هو القضاء والحكم؛ أي: فظنّ أن لن نقضي عليه العقوبة، قاله قتادة[٧]، ومجاهد[٨]، واختاره الفراء[٩]، والزجاج[١٠]، مأخوذ من القَدَر وهو الحُكم دون القدرة والاستطاعة.

قال أحمد بن يحيى ثعلب[١١]: هو من التقدير ليس من القدرة، يقال منه: قدّر الله لك الخير يَقْدِره قَدْراً، وأنشد ثعلب:

فليست عشياتُ اللّوى برواجعٍ ... لنا أبداً ما أبرمَ السَّلَمَ النَّضْرُ
ولا عائدٌ ذاك الزمانُ الذي مضى ... تباركْتَ ما تقدِرُ مع ذلك الشُّكر[١٢]

أي: ما تقدّره وتقضي به، ومما يؤيد ما قاله هؤلاء قراءة عمر بن عبد العزيز

= والعَبَد أصله الغضب، ثم قد تسمَّى الأنفة عَبَداً. قاله ابن قتيبة.

(١) «النشر» (٢/ ٣٢٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٦١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٧٠).

(٢) «المحرر الوجيز» (١١/ ١٦٠).

(٣) حكاه عنه الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص٤١٢).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٨٠) بسند ضعيف.

(٤) حكاه عنه المهدوي كما في «تفسير القرطبي» (١٤/ ٢٧٠).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٠).

(٦) «جامع البيان» (١٦/ ٣٨١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٧٠).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٧٩) بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٧٩) بسند صحيح.

(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٩).

(١٠) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٠٢).

(١١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٧١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٨/ ٤٤).

(١٢) البيتان من قصيدة لأبي صخر الهذلي. انظر: «التمهيد» (١٨/ ٤٤).

والزهري (فظنّ أن لن نُقَدِّر) بضم النون[١] وتشديد الدال من التقدير.

وحكى هذه القراءة الماوردي[٢] عن ابن عباس، ويؤيد ذلك أيضاً قراءة عبيد بن عُمير وقتادة والأعرج (أن لن يُقَدّر) بضم الياء[٣] والتشديد مبنيّاً للمفعول، وقرأ يعقوب، وعبد الله بن أبي إسحاق، والحسن (يُقْدَر) بضم الياء[٤] وفتح الدال مخففاً مبنيّاً للمفعول.

وقد اختلف العلماء في تأويل الحديث الصحيح[٥] في قول الرجل الذي لم يعمل خيراً قط لأهله أَنْ يحرقوه إذا مات، ثم قال: فوالله لئن قدّر الله عليّ. . . الحديث. كما اختلفوا في تأويل هذه الآية، والكلام في هذا يطول وقد ذكرنا ها هنا ما لا يحتاج معه الناظر إلى غيره.

والفاء في قوله: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ فصيحة؛ أي: كان ما كان من التقام الحوت له، فنادى في الظلمات.

والمراد بالظُلمات[٦]: ظلمةُ الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وكان نداؤه: هو قوله: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: بأن لا إلٰه إلخ، ومعنى سُبحانك: تنزيهاً لك مِنْ أن يعجزك شيء، إنّي كنت من الظالمين الذين يظلمون أنفسَهم، قال الحسن وقتادة: هذا القول من يونس اعتراف بذنبه وتوبة مِنْ خطيئته، قال ذلك وهو في بطن الحوت.

ثم أخبر الله سبحانه بأنه استجاب له فقال: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ دعاءه الذي دعانا به في ضمن اعترافه بالذنب[٧] على ألطف وجه ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ بإخراجنا له من

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٧١)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٢٦٦)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٧٥). قراءة الجمهور (نَقِدر) بفتح النون وكسر الدال مخففة، وقراءة يعقوب (يُقْدَر) بضم الياء وفتح الدال مخففًا مبنياً للمفعول، قراءتان متواترتان أما التشديد في الدال سواء مع النون أو الياء فشادتان.

(٢) في «النكت والعيون» (٣/ ٤٢٦).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٩٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٧٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٦١).

(٤) «النشر» (٢/ ٣٢٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٧٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٦١).

(٥) أخرجه أحمد رقم (٨٠٤٠)، والبخاري رقم (٣٤٨١، ٧٥٠٦)، ومسلم رقم (٥٧٥٦)، ومالك في «الموطأ» (١/ ٢٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) «جامع البيان» (١٦/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣)، و«النكت والعيون» (٣/ ٤٦٧).

(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٧٦)، و«جامع البيان» (١٦/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤).

بطن الحوت حتى قذفه إلى الساحل ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: نُخلّصهم من همّهم بما سبق مِنْ عملهم، وما أعددناه لهم من الرحمة، وهذا هو معنى الآية الأخرى، وهي قوله: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤] قرأ الجمهور[١] (نُنْجي) بنونين.

وقرأ ابن عامر (نُجّيْ) بنون واحدة[٢] وجيم مشدّدة وتسكين الياء على الفعل الماضي وإضمار المصدر، وكذلك نجّي النجاة المؤمنين كما تقول ضرّب زيداً؛ أي: ضرب الضرب زيداً، ومنه قول الشاعر:

ولو ولَدت قفيرةٌ جروَ كلبٍ لسُبّ بذلك الجروِ الكلابا[٣]

هكذا قال في توجيه هذه القراءة الفرّاء[٤]، وأبو عبيد[٥]، وثعلب[٦]، وخطأها أبو حاتم والزجاج[٧] وقالا: هي لحن؛ لأنّه نصب اسم ما لم يسمّ فاعله، وإنما يقال: نُجِّي المؤمنون.

ولأبي عبيد[٨] قول آخر، وهو أنه أدغم النون في الجيم وبه قال القتيبي[٩]. واعترضه النحاس[١٠] فقال: هذا القول لا يجوز عند أحد من النحويين لبعد مخرج النون من مخرج الجيم فلا يدغم فيها، ثم قال النحاس[١١]: لم أسمع في هذا أحسن من شيء سمعته من عليّ بن سليمان الأخفش[١٢] قال: الأصل ننجي، فحذف إحدى النونين لاجتماعهما كما يحذف إحدى التاءين لاجتماعهما نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]. والأصل: ولا تتفرّقوا.

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٤٦٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٧٦)، و«التيسير» (ص١٥٥).

(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٤٦٢)، و«النشر» (٢/ ٣٢٤)، و«التيسير» (ص١٥٥). قراءة (نُجِّيْ) بضم النون وتشديد الجيم وتسكين الياء هي قراءة متواترة وهي لابن عامر ولأبي بكر عن عاصم. وهي علة الفعل المضارع وقرأ باقي العشرة (نُنْجي) بنونين. أما (نَجيّ) على البناء للفاعل فشاذة.

(٣) البيت لجرير: «خزانة الأدب» (١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨). **وقفيرة**: اسم أم الفرزدق.
انظر: «شرح المفصل» (٧/ ٧٥)، و«الخصائص» (١/ ٣٩٧).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٠).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٧).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٧).

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٠٣).

(٨) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٧٨).

(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٧)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٦٧).

(١٠) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٧٨).

(١١) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٧٨).

(١٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٧٨).

قلت: وكذا حكىٰ الواحدي[(١)] عن أبي عليّ[(٢)] الفارسي أنه قال: إن النون الثانية تخفى مع الجيم، ولا يجوز تبيينها، فالتبس على السامع الإخفاء بالإدغام، فظن أنه إدغام، ويدلّ على هذا إسكانه الياء من نجيْ ونصب المؤمنين، ولو كان على ما لم يُسم فاعله ما سكن الياء ولوجب أَنْ يرفع المؤمنين.

قلت: ولا نسلّم قوله: إنّه لا يجوز تبيينها، فقد بُينت في قراءة الجمهور، وقرأ محمد بن السَّميفع وأبو العالية (وكذٰلك نَجّىٰ المؤمنين) على البناء[(٣)] للفاعل؛ أي: نجى الله المؤمنين.

وقد أخرج ابن جرير[(٤)] عن مرّة في قوله: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ قال: كان الحَرْث نبتاً فنفشت فيه ليلاً، فاختصموا فيه إلى داود، فقضى بالغنم لأصحاب الحَرْث. فمرّوا على سليمان فذكروا ذلك له. فقال: لا، تُدفع الغنمُ فيصيبون منها ويقوم هؤلاء على حرثهم، فإذا كان كما كان ردّوا عليهم فنزلت ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾.

وقد روي [٣/٢٥٦] هذا عن مرّة عن ابن مسعود.

وأخرج ابن جرير، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن ابن مسعود[(٥)] في قوله: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ قال: كَرْمٌ قد أنبتت عناقيده فأفسدته الغنمُ، فقضى داود بالغنم لصاحب الكَرْم، فقال سليمان: غير هذا يا نبيَّ الله قال: وما ذاك؟ قال: تَدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتَدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا عاد الكرم كما كان دفعتَ الكرم إلى صاحبه والغنم إلى صاحبها، فذلك قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن مسروق[(٦)] نحوه.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس[(٧)] نحوه، ولكنه لم يذكر الكرم.

---

(١) في «الوسيط» (٣/ ٢٥٠).
(٢) في «الحجة» (٥/ ٢٥٩).
(٣) ذكرها القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٨).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٢٠) من طريق أبي إسحاق عن مسرةَ.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٢١، ٣٢٢)، والحاكم (٢/ ٥٨٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٨).
(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٦، ٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٥٧) مرسلاً.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) بسند ضعيف.

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عنه[١] نحوه بأطول منه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[٢] أيضاً ﴿نَفَشَتْ﴾ قال: رَعَتْ.

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبو داود، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن حرام بن مُحيّصة[٣]: أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطاً فأفسدتْ فيه، فقضى رسول الله ﷺ أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار، وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضامن على أهلها.

وقد عُلل[٤] هذا الحديث، وقد بسطنا الكلام عليه في «شرح المنتقى»[٥].

وأخرج ابن مردويه من حديث عائشة[٦] نحوه، وزاد في آخره: ثم تلا هذه الآية: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ الآية.

وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث أبي هريرة[٧] قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما امرأتان معهما ابنان جاء الذئب فأخذ أحد الاثنين، فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا فدعاهما سليمان فقال: هاتوا السكين أشقّه بينهما، فقالت الصُغْرى: رحمك الله، هو ابنُها لا تشقّه، فقضى به للصغرى»، وهذا الحديث وإن لم يكن داخلاً فيما حكته الآية من حكمهما لكنّه من جملة ما وقع لهما.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٥٥٤ ـ ٥٥٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٢٣) بسند ضعيف؛ لضعف الحسين وعلي بن زيد بن جدعان.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٢٧) بسند ضعيف، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٥٧).

(٣) تقدم تخريجه. وهو حديث صحيح.
وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» رقم (١٨٤٣٧)، وأحمد رقم (٢٣٦٩١)، وأبو داود رقم (٣٥٦٩، ٣٥٧٠)، وابن ماجه رقم (٢٣٣٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٢٧).

(٤) اعُلّ بالإرسال. انظر: «التلخيص الحبير» رقم (١٨١٨).

(٥) (١١/ ٩٥ ـ ٩٦) ط. ابن الجوزي.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٧).

(٧) أخرجه البخاري رقم (٢٤٢٧، ٦٧٦٩)، ومسلم رقم (١٧٢٠)، وأحمد رقم (٨٢٨٠، ٨٤٨٠)، والنسائي رقم (٥٤١٧، ٥٤١٨، ٥٤١٩).

حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة» عن قتادة[١] في قوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ قال: يُصلّين مع داود إذا صلى ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ قال: كانت صفائح، فأوّل من سردها وحلّقها داود ﷺ.

وأخرج ابن أبي شيبة، والحاكم وصححه عن ابن عباس[٢] قال: كان سليمان يوضع له ستُمائة ألف كرسي، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه، ثم يجيء أشراف الجنّ فيجلسون مما يلي أشراف الإنس ثم يدعو الطير فتظلّهم، ثم يدعو الريح فتحملهم تسير مسيرةَ شهر في الغداة الواحدة.

وأخرج ابن عساكر، والديلمي، وابن النجار عن عقبة بن عامر[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله لأيوب: تدري ما جُرْمك عليّ حتى ابتليتك؟ قال: لا يا رب، قال: لأنك دخلت على فرعون فداهنت عنده في كلمتين».

وأخرج ابن عساكر[٤] عن ابن عباس قال: إنما كان ذنب أيوب أنه استعان به مسكين على ظالم يدرؤه فلم يُعْنه، ولم يأمر بالمعروف، ولم ينه الظالم عن ظلم المسكين فابتلاه الله، وفي إسناده جويبر.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم في «الحلية» عن عبد الله بن عبيد بن عمير[٥] قال: «كان لأيوب أخوان جاءا يوماً فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه، فقاما مِنْ بعيد، فقال أحدهما للآخر: لو كان عَلِمُ الله من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا، فجزع أيوب مِنْ قولهما جزَعاً لم يَجْزع من شيء قط مثله، فقال: اللَّهُمَّ إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة قط شبعان، وأنا أعلم مكان جائع فصدّقني فصُدّق من السماء وهما يسمعان، ثم قال: اللَّهُمَّ إن كنتَ تعلم أني لم ألبس قميصاً قط وأنا أعلم مكان عار

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٢٨، ٣٢٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (١١٦٧) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٥٣٦)، والحاكم (٢/ ٤٠٥، ٥٨٩).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١٠/ ٥٩، ٦٠)، والديلمي في «مسنده» (٣/ ١٧٤).

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١٠/ ٦٠) من طريق جويبر، عن الضحاك. وسنده ضعيف.

(٥) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٤٢)، وابن أبي شيبة (١٤/ ١٣ ـ ١٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٦٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٥٥) بسند ضعيف لإرساله. وهو من الإسرائيليات.

فصدّقني، فصُدّق من السماء وهما يسمعان ثم خرّ ساجداً وقال: اللَّهُمَّ بعزتك لا أرفع رأسي حتى تكشف عني، فما رفع رأسَه حتى كشف الله عنه».

وقد رواه ابن أبي حاتم[١] من وجه آخر مرفوعاً بنحو هذا.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٢] في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قال: قيل له: يا أيوب إن أهلك لك في الجنة، فإنْ شئت أتيناك لهم، وإن شئتَ تركناهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم، قال: لا؛ بلْ اتركهم لي في الجنة، قال: فتركوا له في الجنة وعُوّض مثلهم في الدنيا.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني عن الضحاك قال: بلغ ابن مسعود[٣] أن مروان قال في هذه الآية: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قال: أوتي أهلاً غير أهله، فقال ابن مسعود: بل أُوتي أهله بأعيانهم ومثلهم معهم.

وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والروياني، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن أنس[٤] أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريبُ والبعيد إلَّا رجلين من إخوانه كانا من أخصّ إخوانه، كانا يَغْدوان إليه ويَرُوحان، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: تَعْلَمْ واللهِ لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد، قال: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف عنه ما به، فلمّا راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر له ذلك، فقال أيوب: لا أدري ما تقول غير أنَّ الله يعلم أني أمرّ بالرجلين يتنازعان يذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفّر عنهما كراهة أن يذكر الله إلا في حق، وكان يخرج لحاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٥٩).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٦٧) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٦٦)، والطبراني رقم (٩٠٨٥) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» رقم (٣٦١٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٠٩، ١١٠)، وابن حبان في «صحيحه» رقم (٢٨٩٨)، والحاكم (٢/ ٥٨١، ٥٨٢). وهو حديث صحيح. انظر: «الصحيحة» رقم (١٧).
قال ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٤٢٩): «رفع هذا الحديث غريب جدّاً».

﴿وَشَرَابٌ﴾ [صٓ: ٤٢]، فاستبطأته فتلقته وأقبل عليها قد أذهبَ الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان، فلمّا رأته قالت: أي بارك الله فيك هلْ رأيت نبيّ الله المُبتلى، واللهِ على ذلك ما رأيتُ رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً؟ قال: فإنّي أنا هو، قال: وكان له أنْدَران: أندَر للقمح، وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض. وأفرعت الأخرى في أندر الشعير الورق حتّى فاض».

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد ابن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد(١) في قوله: ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ قال: رجل صالح غير نبيّ تكفل لنبيّ قومه أن يكفيه أمر قومهِ، ويقيمهم له ويقضي بينهم بالعدل، ففعل ذلك، فسمي ذا الكفل.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس(٢) قال: كان في بني إسرائيل قاضٍ فحضره الموت، فقال: مَنْ يقوم مقامي على أن لا يغضب؟ فقال رجل: أنا، فسمي ذا الكفل، فكان ليله جميعاً يُصلي، ثم يصبح صائماً فيقضي بين الناس، وذكر قصة.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي موسى(٣) الأشعري قال: ما كان ذو الكفل نبيّاً، ولكن كان في بني إسرائيل رجل صالح يُصلي كلّ يوم مائة صلاة فتوفي، فتكفل له ذو الكفل من بعده، فكان يصلي كل يوم مائة صلاة، فسمّي ذا الكفل.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي وحسنه، وابن المنذر، وابن حبان،

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٧١) بسند ضعيف، ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٦٢) بسند ضعيف. والخبر من الإسرائيليات، والله أعلم.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٧٣) بسند ضعيف، قتادة لم يسمع من أبي موسى الأشعري.

● وأخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٩/ ٤٣٣)، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي، حدثنا أبو الجماهم، أخبرنا سعيد بن بشير، حدثنا قتادة، عن أبي كنانة الأخنس قال: «سمعت الأشعري. . .» الحديث.

سنده ضعيف. لضعف سعيد بن بشير.

والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» من طريق سعد مولى طلحة، عن ابن عمر[(١)]، عن رسول الله ﷺ قال: «كان الكِفْلُ من بني إسرائيل لا يتورّع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل مِنْ امرأته ارتعدت وبكَتْ، فقال: ما يبكيك أكرهتُك؟ قالت: لا ولكنَّه عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلته؟ اذهبي فهي لك، وقال: والله لا أعصي الله بعدها أبداً، فمات من ليلته فأصبح مكتوب على بابه: إنَّ الله قد غفر للكفل».

وأخرجه الترمذي وحسنه، والحاكم، وابن مردويه من طريق سعد مولى طلحة[(٢)].

وأخرجه ابن مردويه من طريق نافع عن ابن عمرو[(٣)] قال فيه: ذو الكفل.

وأخرج ابن جرير، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[(٤)] في قوله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ يقول: غضب على قومه ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ يقول[(٥)]: أن لنْ نقضي عليه عقوبةً ولا بلاء فيما صنع بقومه في غضبه عليهم وفراره، قال: وعقوبته أخذ النون إياه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن ابن عباس[(٦)] في قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ قال: ظنّ أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه.

وأخرج أحمد في «الزهد»، وابن أبي الدنيا، وابن أبي حاتم، والحاكم

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٨٢، ١٨٣)، وأحمد رقم (٤٧٤٧)، والترمذي رقم (٢٤٦٩)، وابن حبان رقم (٣٨٧)، والحاكم (٤/ ٢٥٤، ٢٥٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧١٠٨، ٧١٠٩). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) انظر: التعليقة المتقدمة.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٦٥).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٧٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٠٧٧) بسند ضعيف.

(٥) وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٧٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٠٧٧) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٠٧٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٧٨، ٣٧٩) بسند صحيح.

وصحّحه عن ابن مسعود(١) ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قال: ظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر.

وأخرج أحمد، والترمذي، والنسائي، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، والبزار، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن سعد بن أبي وقاص(٢): سمعتُ رسول الله ﷺ قال: «دعوة ذي النون إذْ هو في بطن الحوت: [٣/٢٥٧] لا إلٰه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدعُ بها مُسلمٌ ربَّه في شيء قط إلا استجاب له».

وأخرج ابن جرير(٣) عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسم الله الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى، قلت: يا رسول الله، هل ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: هي ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا به، ألم تسمع قول الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فهو شرط من الله لمن دعاه».

وأخرج الحاكم(٤) من حديثه أيضاً نحوه.

وقد ثبت في «الصحيحين» وغيرهما من حديث ابن عباس(٥) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متّى».

وروي أيضاً في «الصحيح»(٦) وغيره من حديث ابن مسعود.

وروي أيضاً في «الصحيحين»(٧) من حديث أبي هريرة.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» رقم (١٣)، والحاكم (٢/ ٣٨٣).

(٢) أخرجه أحمد رقم (١٤٦٢)، والترمذي رقم (٣٥٠٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٤٩١، ١٠٤٩٢)، والحكيم الترمذي (٢/ ٢٤)، والبزار في «مسنده» رقم (١١٦٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٨٦)، والحاكم (١/ ٥٠٥)، و(٢/ ٣٨٢، ٣٨٣)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٢٠، ١٠٢٢٤). وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٨٦) بسند ضعيف؛ لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان.

(٤) أخرجه الحاكم (١/ ٥٠٥، ٥٠٦). وهو حديث ضعيف.

(٥) أخرجه البخاري رقم (٣٣٩٥، ٤٦٣٠، ٧٥٣٩)، ومسلم رقم (٢٣٧٧)، وأبو داود رقم (٤٦٦٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٩٩).

(٦) أخرجه البخاري رقم (٣٤١٢)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١١٦٧).

(٧) أخرجه البخاري رقم (٣٤١٦)، ومسلم رقم (٢٣٧٦).

[الإشارة إلى قصة زكريا ويحيى]:

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

[العقيدة واحدة والنهج واحد هو الاتجاه إلى الله دون سواه]:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾.

قوله: ﴿وَزَكَرِيَّآ﴾؛ أي: واذكر خبرَ زكريا وقت ندائه لربه قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾؛ أي: مُنْفرداً وحيداً لا ولد لي.

وقد تقدّم الكلام على هذه الآية في آل عمران ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾؛ أي: خير مَنْ يبقى بعد كلِّ مَنْ يموت، فأنت حسبي إنْ لم ترزقني ولداً؛ فإني أعلم أنك لا تضيع دينك وأنه سيقوم بذلك من عبادك من تختاره له، وترتضيه للتبليغ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾. وقد تقدّم مستوفى في سورة مريم ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾.

قال أكثر المفسّرين[1]: إنها كانت عاقراً فجعلها الله ولوداً. فهذا هو المراد بإصلاح زوجه، وقيل: كانت سيئة[2] الخُلق فجعلها الله سبحانه حَسنة الخلق، ولا مانع

(١) «جامع البيان» (١٦/ ٣٨٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٧٨).

(٢) «النكت والعيون» (٣/ ٤٦٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٧٩)، و«زاد المسير» (٥/ ٣٨٤).

من إرادة الأمرين جميعاً، وذلك بأَنْ يصلح الله سبحانه ذاتها، فتكون ولوداً بعد أن كانت عاقراً، ويصلح أَخلاقها فتكون أخلاقها مرضيةً بعد أن كانت غير مرضية.

وجملة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ للتعليل لما قبلها من إحسانه سبحانه إلى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فالضمير المذكور راجع إليهم.

وقيل: هو راجع إلى زكريا وامرأته ويحيى.

ثم وصفهم الله سبحانه بأنهم كانوا يدعونه ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾؛ أي: يتضرّعون[1] إليه في حال الرّخاء وحال الشدّة؛ وقيل: الرغبة رفع بطون[1] الأكفّ إلى السماء، والرهبة رفع ظهورها، وانتصاب ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ على المصدرية[2]؛ أي: يرغبون رغباً، ويرهبون رَهَباً، أو على العلّة؛ أي: للرّغب والرّهب، أو على الحال؛ أي: راغبين وراهبين.

وقرأ طلحة بن مُصرِّف (ويدعونا) بنون واحدة[3]، وقرأ الأعمش بضم[4] الراء فيهما وإسكان ما بعده.

وقرأ ابن وثّاب بفتح الراء[5] فيهما مع إسكان ما بعده، ورويت هذه القراءة عن أبي عَمْرو.

وقرأ الباقون بفتح الراء[6] وفتح ما بعده فيهما.

﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾؛ أي: متواضعين متضرّعين ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾؛ أي: واذْكر خبَرها، وهي مريم، فإنّها أحصنت فرجَها مِنْ الحلال والحرام ولم يمسَسْها بشر، وإنما ذكرها مع الأنبياء وإنْ لم تكن منهم لأجل ذكر عيسى، وما في ذكر قصتها من الآية الباهرة ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أضاف سبحانه الروح إليه،

---

(١) «المحرر الوجيز» (١١/ ١٦٣ ـ ١٦٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٧٩).
(٢) «الفريد» (٣/ ٥٠٠)، و«التبيان» (٢/ ٩٣٥).
(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٤٦٣)، و«زاد المسير» (٥/ ٣٨٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٨١). وهي قراءة شاذة.
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٨١)، و«جامع البيان» (١٦/ ٣٩٠). قراءة الأعمش شاذة.
(٥) «القراءات الشاذة» (ص٩٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٨٣). قراءة ابن وثاب شاذة، والرواية عن أبي عمرو شاذة، والمتواتر عنه كقراءة الجمهور بفتح الراء وفتح ما بعده فيهما أي في كلمة (رَغَبا ورَهَباً).
(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٤٦٣)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٨٣)، و«زاد المسير» (٥/ ٣٨٥)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٨٣).

وهو للمَلَك تشريفاً وتعظيماً، وهو يُريد روح عيسى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الزجّاج(١): الآية فيهما واحدة لأنّها ولدته من غير فحل.

وقيل: إن التقدير على مذهب سيبويه(٢): وجعلناها آيةً، وجعلنا ابنها آيةً كقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

والمعنى: أن الله سبحانه جعل قصتهما آيةً تامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما، وقيل: أراد بالآية الجنس الشامل، لما لكل واحد منهما مِنْ الآيات، ومعنى ﴿أَحْصَنَتْ﴾: عفّت فامتنعت مِنْ الفاحشة وغيرها.

وقيل: المراد بالفَرْج جيب القميص؛ أي: أنها طاهرة الأثواب، وقد مضى بيان مثل هذا في سورة النساء ومريم.

ثم لما ذكر سبحانه الأنبياء بيّن أنهم كلهم مجتمعون على التوحيد فقال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ والأمة الدّين كما قال ابن قتيبة، ومنه ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]؛ أي: على دِينٍ، كأنَّه قال: إن هذا دينُكم دين واحد لا خلاف بين الأمم المختلفة في التوحيد، ولا يخرج عن ذلك إلا الكفرة المشركون بالله، وقيل: المعنى: إنَّ هذه الشريعة التي بينتها لكم في كتابكم شريعة واحدة.

وقيل: المعنى: إن هذه ملتُكم ملة واحدة، وهي ملة الإسلام.

وانتصاب ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الحال(٣)؛ أي: متفقة غير مختلفة، وقُرئ (إنَّ هٰذه أمتَكم) بنصب(٤) أمتكم على البدل من اسم إنّ والخبر أمةٌ واحدة.

وقُرئ برفع(٥) (أمتُكم) ورفع (أمة) على أنَّهما خبران؛ وقيل: على إضمار مبتدأ؛ أي: هي أمةٌ واحدة.

وقرأ الجمهور(٦) برفع (أمتُكم) على أنَّه الخبر ونصب (أمةً) على الحال كما قدّمنا.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٠٤). (٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٧٩).
(٣) «الفريد» (٣/ ٥٠١)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٦٤).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص٩٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٦٤).
(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٤٦٤)، و«المحتسب» (٢/ ٦٥)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٣).
(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٤٦٤)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٨٧)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٦)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٣/ ٤٠٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٨٣). قراءة الجمهور هي المتواترة وما عداها فشاذ.

وقال الفراء[١] والزجاج[٢]: على القطع بسبب مجيء النكرة بعد تمام الكلام ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ خاصةً لا تعبدوا غيري كائناً ما كان ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: تفرّقوا فِرقاً في الدين حتى صار كالقطع المتفرّقة.

وقال الأخفش: اختلفوا فيه، وهو كالقول الأوّل. قال الأزهري[٣]: أي تفرّقوا في أمرهم، فنصب (أمرَهم) بحذف (في).

والمقصود بالآية: المشركون، ذمّهم الله بمخالفة الحق، واتخاذهم آلهة من دون الله؛ وقيل: المراد: جميع[٤] الخلق وأنهم جعلوا أمرهم في أديانهم قطعاً وتقسّموه بينهم، فهذا موحّد، وهذا يهوديّ، وهذا نصرانيّ، وهذا مجوسيّ، وهذا عابد وثن. ثم أخبر سبحانه بأنّ مرجع الجميع إليه فقال: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾؛ أي: كل واحد من هذه الفرق راجع إلينا بالبعث، لا إلى غيرنا.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾؛ أي: مَنْ يعمل بعض الأعمال الصالحة، لا كلها، إذ لا يطيق ذلك أحد ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله ورسله واليوم الآخر ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾؛ أي: لا جحودَ لعمله، ولا تضييع لجزائه، والكفر ضدّ الإيمان، والكفر أيضاً جحود النِّعمة وهو ضدّ الشكر، يقال: كفر كفوراً وكفراناً، وفي قراءة ابن مسعود (فلا كُفْرَ لسعيه).

﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾؛ أي: لسعيه حافظون، ومثله قوله سبحانه: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾، قرأ زيد بن ثابت وأهل المدينة (وحَرام)[٥] وقرأ أهل الكوفة (وَحِرْم)[٦]، وقد اختار القراءة الأولى أبو عبيد[٧] وأبو حاتم، ورويت القراءة الثانية عن عليّ وابن مسعود وابن عباس: وهما لغتان مثل حلّ وحلال.

وقرأ سعيد بن جبير (وحَرِمَ) بفتح الحاء[٨] وكسر الراء وفتح الميم. وقرأ

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٠).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٠٤).
(٣) في «تهذيب اللغة» (١/ ١٨٨).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٨٤).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٨٥)، و«جامع البيان» (١٦/ ٣٩٤)، و«النشر» (٢/ ٢٢٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١١٤).
(٦) «التيسير» (ص١٥٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٧٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٦٥).
(٧) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٥).
(٨) «المحتسب» (٢/ ٦٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٨٩).

عكرمة وأبو العالية (حَرُمَ) بضم الراء[١] وفتح الحاء والميم.

ومعنى ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: قدّرنا إهلاكها، وجملة ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ في محل رفع[٢] على أنه مبتدأ وخبره حرام، أو على أنه فاعل له سادّ مسدّ خبره.

والمعنى: وممتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء، وقيل: إن «لا» في ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾[٣] زائدة؛ أي: حرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا بعد الهلاك إلى الدنيا، واختار هذا أبو عبيدة[٤]؛ وقيل: إن لفظ حرام هنا بمعنى: الواجب؛ أي: واجب على قرية، ومنه قول الخنساء[٥]:

وإنَّ حـراماً لا أرى الـدَّهـر بـاكـيـا   على شجوه إلا بكيْتُ على صخرِ

وقيل: حرام؛ أي: مُمتنع رجوعهم إلى التوبة، على أن (لا) زائدة.

قال النحاس[٦]: والآية مشكلة ومِنْ أحسن ما قيل فيها وأجلّه ما رواه ابن عيينة، وابن علية، وهُشيم، وابن إدريس، ومحمد بن فضيل، وسليم بن حيّان، ومُعلّى، عن داود بن أبي هند، عَنْ عكرمة، عن ابن عباس في معنى الآية قال: واجب أَنّهم لا يرجعون؛ أي: لا يتوبون.

قال الزجاج[٧] وأبو علي الفارسي[٨]: إنّ في الكلام إضماراً؛ أي: وحرام على قريةٍ حكمنا باستئصالها، أو بالختم على قلوب أهلها، أن يتقبل منهم عمل لأنّهم لا يرجعون؛ أي: لا يتوبون.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ «حتى» هذه هي التي يحكى بعدها الكلام، ويأجوج ومأجوج قبيلتان مِنْ الإنس.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص٩٣)، و«المحتسب» (٢/ ٦٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٦٥)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٨٩). قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (حِرْم) بكسر الحاء وسكون الراء وقرأ الجمهور (حَرَام) بفتح الحاء والراء وألف بعدها وهما متواترتان، أما القراءة (حَرُم) و(حَرِم) على أنه فعل ماضٍ فهما قراءتان شاذتان.

(٢) «التبيان» (٢/ ٩٢٦)، و«الفريد» (٣/ ٥٠٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٩٠).

(٣) انظر: المراجع المتقدمة.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٦)، عن أبي عبيد.

(٥) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٦٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٦).

(٦) في «إعراب القرآن» (٣/ ٧٩).

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٨٧).

(٨) في «الحجة» (٥/ ٢٦١).

والمراد بفتح يأجوج ومأجوج: فتح السدّ الذي عليهم، على حذف المضاف، وقيل: إن (حتى) هذه هي التي للغاية[١].

والمعنى: أن هؤلاء المذكورين سابقاً مستمرّون على ما هم عليه إلى يوم القيامة، وهي يوم فتح سدّ يأجوج ومأجوج ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ الضمير ليأجوج ومأجوج [٣/٢٥٨] والحَدَبُ: كلّ أكمة من الأرض مرتفعة والجمع أحداب، مأخوذ مِنْ حَدَبة الظَّهْر.

ومعنى ﴿يَنسِلُونَ﴾: يسرعون؛ وقيل: يخرجون.

قال الزجاج: والنَّسَلان[٢] مشية الذئب إذا أسرع.

يقال: نَسَل فلانٌ في العدو يَنْسِل بالكسر والضم نَسْلاً ونُسولاً ونَسَلاناً؛ أي: أَنْ يأجوج ومأجوج من كلّ مرتفع من الأرض يسرعون المشي، ويتفرقون في الأرض، وقيل: الضمير في قوله: ﴿وَهُم﴾: لجميع الخلق، والمعنى: أنهم يحشرون إلى أرض الموقف وهم يسرعون من كلّ مرتفع من الأرض. وقُرئ بضم[٣] السين. حكى ذلك المهدوي[٤] عن ابن مسعود.

وحكى[٤] هذه القراءة أيضاً الثعلبي، عن مجاهد، وأبي الصهباء ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ﴾ عطف على ﴿فُتِحَتْ﴾، والمراد: ما بعد الفتح من الحساب.

وقال الفراء[٥] والكسائي[٦] وغيرهما: المراد بالوعد الحق: القيامة والواو زائدة؛ والمعنى: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحقُّ وهو القيامة، فاقترب جواب إذا، وأنشد الفراء:

فلما أجزْنا ساحةَ الحي وانتحى[٧]

(١) «الفريد» (٣/ ٥٠٤)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ١٩١).
(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٢/ ٤٢٨)، عن الليث.
(٣) «القراءات الشاذة» (ص٩٣)، و«المحتسب» (٢/ ٦٦).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٨). وهي قراءة شاذة.
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١١).
(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٨٠).
(٧) البيت لامرئ القيس. انظر: «ديوانه» (ص١٥).
وعجزه:

بنا بطنُ خِقْفٍ ذي ركام عَقَنْقَلِ

العقنقل: الكثيب العظيم المتداخل الرمل. «الصحاح» (٥/ ١٧٧٢).

أي: انتحى، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الصافات: ١٠٣ ـ ١٠٤].

وأجاز الفراء[١] أنْ يكون جواب إذا ﴿هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وقال البصريون[٢]: الجواب محذوف.

والتقدير: قالوا: يا ويلنا. وبه قال الزجاج[٣]، والضمير في ﴿فَإِذَا هِىَ﴾ للقصة، أو مُبهم يفسّره ما بعده، وإذا للمفاجأة. وقيل: إن الكلام تمّ عند قوله: ﴿هِىَ﴾.

والتقدير: فإذا هي، يعني: القيامة بارزة واقعة كأنّها آتية حاضرة، ثم ابتدأ فقال: شاخصة أبصار الذين كفروا، على تقديم الخبر[٤] على المبتدأ؛ أي: أبصار الذين كفروا شاخصة، و﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ على تقدير القول: ﴿قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾؛ أي: من هذا الذي دهمَنا مِنْ العبث والحساب ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أضربوا عن وصف أنفسهم بالغفلة؛ أي: لم نكن غافلين؛ بل كنا ظالمين لأنفسنا بالتكذيب وعدم الانقياد للرسل.

وقد أخرج الحاكم وصحّحه عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ قال: كان في لسان امرأة زكريا طول فأصلحه الله.

وروي نحو ذلك عن جماعة من التابعين.

وأخرج ابن جرير[٦] عن ابن عباس في الآية قال: وهبنا له ولدها.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[٧] قال: كانت عاقراً فجعلها الله ولوداً ووهب له منها يحيى، وفي قوله: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ قال: أذلاء.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٢).
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٨٠).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٠٥). (٤) «الفريد» (٣/ ٥٠٥)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٨).
(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٨٢)، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: طلحة ـ يعني: ابن عمرو ـ واهٍ.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٨٨) بسند ضعيف.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٨٨) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن جريج[١] في قوله: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ قال: رغباً في رحمة الله، ورهباً من عذاب الله.

وأخرج ابنُ مردويه[٢] عن جابر بن عبد الله قال: سئُل رسول الله ﷺ عن قول الله سبحانه: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ قال: «رغباً هكذا ورهباً هكذا»، وبسط كفيه، يعني: جعل ظهرهما للأرض في الرغبة وعكسه في الرهبة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم في «الحلية»، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب» عن عبد الله[٣] بن عُكَيم قال: خطبنا أبو بكر الصديق فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنّي أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ قال: إن هذا دينكم ديناً واحداً.

وأخرج ابن جرير[٥] عن مجاهد مثله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[٦] نحوه.

وأخرج ابن جرير[٧] عن ابن زيد في قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ قال: تقطعوا: اختلفوا في الدين.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠) بسند ضعيف.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٠ ـ ٦٧١).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٦٦)، والحاكم (٢/ ٣٨٣، ٣٨٤)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٠٥٩٣، ١٠٥٩٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٥) وقد صححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: عبد الرحمٰن بن إسحاق كوفي ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٩٢) بسند صحيح.
وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٦٦).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٩٢) بسند ضعيف ابن جريج لم يسمع من مجاهد.
(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٢).
وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٦٦).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٩٣) بسند صحيح.

وأخرج الفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ قال: وجَبَ إهلاكها ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قال: لا يتوبون.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حُميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس(٢) أنّه كان يقرأ: «وحَرُمَ على قرية» قال: وجب على قرية ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ كما قال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١].

وأخرج عبد بن حميد(٣) عن عكرمة وسعيد بن جبير مثله.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٤) في قوله: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ قال: شَرَفٍ ﴿يَنسِلُونَ﴾ قال: يُقْبلون.

وقد ورد في صفة يأجوج ومأجوج وفي وقت خروجهم أحاديث كثيرة لا يتعلق بذكرها ها هنا كثير فائدة.

[يردونَ جهنّم وآلهتهم المدعاة]:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ
كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا
يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ
حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ
وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ
ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ
كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٧١٣٣).
(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٢).
وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٦٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٩٥) بسند صحيح.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٢).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٠٧) بسند صحيح.

إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا
يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ
وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم
بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

بيّن سبحانه حال معبودهم يوم القيامة فقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وهذا خطاب منه سبحانه لأهل مكة، والمراد بقوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾: الأصنام التي كانوا يعبدون.

قرأ الجمهور (حَصَبُ) بالصاد[1] المهملة؛ أي: وقود جهنّم وحطبها، وكل ما أوقدت به النار أو هيجّتها به فهو حَصَبُ، كذا قال الجوهري[2].

قال أبو عُبيدة[3]: كل ما قذفته في النار فقد حصبتَها به، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤].

وقرأ عليّ بن أبي طالب، وعائشة (حَطبُ جهنم) بالطاء[4]، وقرأ ابن عباس (حضَب) بالضاد[5] المعجمة.

قال الفرّاء[6]: ذكر لنا أن الحضب في لغة أهل اليمن: الحطَب، ووجه إلقاء الأصنام في النار مع كونها جمادات لا تعقل ذلك ولا تحسّ به: التَبكيتُ لمن عبدها، وزيادة التوبيخ لهم، وتضاعف الحسرة عليهم، وقيل: إنّها تُحْمى فتُلصق بهم زيادةً في تعذيبهم.

وجملة ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ إما مستأنفة أو بدل[7] من ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾،

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٤٦٩)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٩١).
(٢) في «الصحاح» (١/ ١١٢ ـ ١١٣).
(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ٤٢).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص٩٣)، و«المحتسب» (٢/ ٦٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٦٩).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص٩٣)، و«المحتسب» (٢/ ٦٦). وهما قراءتان شاذتان.
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٢).
(٧) «التبيان» (٢/ ٩٢٨)، و«الفريد» (٣/ ٥٠٦).

والخطاب لهم ولما يعبدون تغليباً، واللّام في لها للتقوية لضعف عمل اسم الفاعل، وقيل: هي بمعنى (على)، والمراد بالورود هنا: الدخول.

قال كثير[(١)] مِنْ أهل العلم: ولا يدخل في هذه الآية عيسى وعزير والملائكة؛ لأن «ما» لمن لا يعقل، ولو أراد العموم لقال: ومَنْ يعبدون.

قال الزجاج[(٢)]: ولأنّ المخاطبين بهذه الآية مشركو مكة دون غيرهم ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾؛ أي: لو كانت هذه الأصنام آلهةً كما تزعمون ما وردوها؛ أي: ما ورد العابدون هم والمعبودون النارَ، وقيل: ما ورد العابدون فقط، لكنّهم وردوها فلم يكونوا آلهة، وفي هذا تبكيت[(٣)] لعُبّاد الأصنام، وتوبيخ شديد ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؛ أي: كلّ العابدين والمعبودين في النار خالدون لا يخرجون منها ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾؛ أي: لهؤلاء الذين وردوا النار، والزفير: صوتُ نَفَس المَغْموم.

والمراد هنا: الأنين والتنفّس الشديد، وقد تقدّم بيان هذا في هود.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: لا يسمع بعضُهم زفيرَ بعضٍ؛ لشدّة الهول؛ وقيل: لا يسمعون شيئاً؛ لأنّهم يُحشرون صمّاً كما قال سبحانه: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧] وإنما سُلِبوا السماع؛ لأن فيه بعض تروّح[(٤)] وتأنس، وقيل: لا يسمعون ما يسرهم؛ بل يسمعون ما يسوءهم، ثم لمّا بيّن سبحانه حال هؤلاء الأشقياء شرع في بيان حال السعداء فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾؛ أي: الخصلة الحُسْنى التي هي أحسن الخصال وهي السعادة.

وقيل: التوفيق، أو التبشير بالجنّة، أو نفس الجنة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ إشارة إلى الموصوفين بتلك الصفة ﴿عَنْهَا﴾؛ أي: عَنْ جهنم ﴿مُبْعَدُونَ﴾ لأنهم قد صاروا في الجنّة ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ الحسّ والحسيس: الصوت تسمعه من الشيء يمرّ قريباً منك.

---

(١) «روح المعاني» (١٧/ ٢٠٠ ـ ٢٠١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٩٠).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٠٦).
(٣) «روح المعاني» (١٧/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٩٥).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٩٣).

والمعنى: لا يَسْمعون حركة النّار وحركةَ أهلها، وهذه الجملة بدل[١] من ﴿مُبْعَدُونَ﴾، أو حال مِنْ ضميره ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾؛ أي: دائمون، وفي الجنّة ما تشتهيه الأنفس، وتلذّ به الأعين كما قال سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣١]. ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن محيصن (لا يُحْزِنهم) بضم[٢] الياء وكسر الزاي، وقرأ الباقون (لا يَحْزُنُهم) بفتح الياء[٣] وضم الزاي.

قال اليزيدي[٤]: حزَنَه لغة قريش، وأحزنه لغة تَميم، والفزع الأكبر: أهوال يوم القيامة مِنْ البعث والحساب والعقاب ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ أي: تستقبلهم على أبواب الجنة يهنئونهم ويقولون لهم [٣/٢٥٩]: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾؛ أي: توعدون به في الدنيا، وتبشرون بما فيه، هكذا قال جماعة من المفسرين[٥] إن المراد بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ إلى هنا هم كافة الموصوفين بالإيمان والعمل الصالح، لا المسيح وعزير والملائكة.

وقال أكثُر المفسرين[٦]: إنه لمّا نزل ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ الآية، أتى ابن الزِّبَعْرى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا مُحمد ألستَ تزعم أنّ عُزيراً رجل صالح، وأنّ عيسى رجل صالح، وأنّ مريم امرأة صالحة؟ قال: بلى، فقال: فإن الملائكة، وعيسى وعزيراً ومريم يُعْبدون من دون الله، فهؤلاء في النّار، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ وسيأتي بيان مَنْ أخرج هذا قريباً إن شاء الله.

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ قرأ أبو جعفر بن القعقاع، وشيبة، والأعرج، والزهري (تُطْوَىٰ) بمثناة[٧] فوقية مضمومة ورفع السماء، وقرأ مجاهد[٨] (يَطْوي) بالتحتية المفتوحة مبنياً للفاعل على معنى يطوي اللهُ السماءَ وقرأ الباقون

---

(١) «الفريد» (٣/ ٥٠٦)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٨)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٠٤).
(٢) «النشر» (٢/ ٢٤٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٨٢).
(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٤٧١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٩٥)، و«النشر» (٢/ ٢٤٤).
(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٨١)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٩٥).
(٥) «جامع البيان» (١٦/ ٤١٩)، و«الوسيط» (٣/ ٢٥٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٧١ ـ ٤٧٢).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٥٣).
(٧) «النشر» (٢/ ٣٢٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٩٦).
(٨) «البحر المحيط» (٧/ ٤٧٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٠٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٩٦). قراءة مجاهد شاذة، والقراءتان الأخريان متواترتان.

(نطوي) بنون[١] العظمة وانتصاب[٢] يوم بقوله: ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾؛ أي: نعيده يوم نطوي السماء؛ وقيل: هو بدل مِنْ الضمير المحذوف في توعدون.

والتقدير: الذي كنتم تُوعدونه يوم نَطْوي، وقيل: بقوله ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ﴾؛ وقيل: بقوله: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ﴾، وقيل: متعلق بمحذوف، وهو اذْكر، وهذا أظهر وأوضح، والطيّ ضد النشر؛ وقيل: المحو، والمراد بالسماء: الجنس، والسجل الصحيفة؛ أي: طيّاً كطيّ الطُّومار[٣].

وقيل: السّجِلُّ الصَّكُّ، وهو مشتق مِنْ المساجلة[٤] وهي المكاتبة، وأصلها من السَّجْل، وهو الدّلْو، يقال: ساجلتُ الرجل: إذا نزعتَ دلواً ونزع دلواً، ثم استُعيرت للمكاتبة والمراجعة في الكلام، ومنه قول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

مَنْ يساجِلُني يساجِلُ ماجداً   يملأ الدلوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ[٥]

وقرأ أبو زرعة بن عمرو بن جَرير ﴿السُّجُلِّ﴾ بضم السين[٦] والجيم وتشديد اللام.

وقرأ الأعمش وطلحة بفتح[٧] السين وإسكان الجيم وتخفيف اللام، والطيّ في هذه الآية يحتمل معنيين:

أحدهما: الطيّ الذي هو ضدّ النشر، ومنه قوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

والثاني: الإخفاء والتعمية والمحو؛ لأنَّ الله سبحانه يمحو ويطمس رسومها ويكدّر نجومها.

وقيل: السّجِلُّ[٨] اسمُ مَلَك، وهو الذي يطوي كُتبَ بني آدم، وقيل: هو اسم

---

(١) «جامع البيان» (١٦/ ٤٢٣)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٨)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٤).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٩٦)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٠٧)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٨).
(٣) **الطُّومار**: الصحيفة. «القاموس المحيط» (ص٥٥٤).
(٤) «الصحاح» (٥/ ١٧٢٥)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ٥٨٤)، و«مجمل اللغة» (٢/ ٤٨٧).
(٥) انظره في: «الصحاح» (٥/ ١٧٢٥)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٢٥٠).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص٩٣)، و«المحتسب» (٢/ ٦٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٠٨).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٩٨)، و«المحتسب» (٢/ ٦٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٧١).
قراءة الجمهور بكسر السين والجيم وتشديد اللاّم من كلمة (السِجِلّ) وغيرها شاذ.
(٨) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٤٧٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٩٧).

كاتب[١] لرسول الله ﷺ، والأوّل أولى.

قرأ الأعمش، وحفص، وحمزة، والكسائي، ويحيى، وخَلَفٌ ﴿لِلْكُتُبِۚ﴾ جَمْعاً[٢]، وقرأ الباقون[٣] (للكتاب) وهو متعلِّق بمحذوف حال من السجل؛ أي: كطيّ السجل كائناً للكُتب أو صفة له؛ أي: الكائن للكُتب، فإن الكُتبَ عبارة عن الصحائف وما كُتب فيها، فسجلها بعض أجزائها، وبه يتعلّق الطيّ حقيقة.

وأما على القراءة الثانية فالكتاب مصدر[٤]، واللّام للتعليل؛ أي: كما يطوي الطومار للكتابة؛ أي: ليكتبَ فيه، أو لما يكتب فيه مِنْ المعاني الكثيرة، وهذا على تقدير أَنَّ المراد بالطيّ المعنى الأوّل، وهو ضدّ النشر ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ﴾؛ أي: كما بدأناهم في بطون أُمهّاتهم وأخرجناهم إلى الأرض حفاةً عراة غُرْلاً كذلك نعيدهم يوم القيامة، فـ (أوّلَ خلقٍ) مفعول[٥] نُعيد مقدّراً يفسره نعيده المذكور، أو مفعول لبدأنا، و(ما) كافة أو موصولة، والكاف متعلقة بمحذوف؛ أي: نُعيد مثل الذي بدأناه نُعيده، وعلى هذا الوجه يكون أوّل ظرف لبدأنا، أو حال، وإنما خص أوّل الخلق بالذكر تصويراً للإيجاد عَنْ العدم، والمقصود بيان صحة الإعادة بالقياس على المبدأ لشمول الإمكان الذاتي لهما.

وقيل: معنى الآية: نهلك كلَّ نفس كما كان أوّل مرّة، وعلى هذا فالكلام متصل بقوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ وقيل: المعنى: نُغيّر السماء، ثم نعيدها مرّة أخرى بعد طيها وزوالها، والأوّل أولى، وهو مثل قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤].

ثم قال سبحانه: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ انتصاب وعداً[٦] على أنه مصدر؛ أي: وعدنا وعداً علينا إنجازُه والوفاء به، وهو البعث والإعادة.

---

(١) «جامع البيان» (١٦/ ٤٢٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٩٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٠٨).

(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٤٧٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٠٨)، و«التيسير» (ص١٥٥)، و«النشر» (٢/ ٣٢٥).

(٣) «التيسير» (ص١٥٥)، و«النشر» (٢/ ٣٢٥)، و«جامع البيان» (١٦/ ٤١٦).

(٤) «التبيان» (٢/ ٩٢٩)، و«الفريد» (٣/ ٥٠٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٠٨).

(٥) «روح المعاني» (١٧/ ٢١٤)، و«الفريد» (٣/ ٥٠٨)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٩).

(٦) «الفريد» (٣/ ٥٠٨)، و«التبيان» (٢/ ٩٣٠)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢١٥).

ثم أكّد سبحانه ذلك بقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾، قال الزجاج[١]: معنى إنا كنا فاعلين: إنّا كنا قادرين على ما نشاء، وقيل: إنّا كنا فاعلين ما وعدناكم، ومثله قوله: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٨]. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ الزَبْر في الأصل الكَتْب، يقال: زبرتُ؛ أي: كتبتُ، وعلى هذا يصح إطلاق الزّبور على التوراة[٢] والإنجيل، وعلى كتاب داود المُسمّى بالزبور، وقيل: المراد به هنا: كتاب داود، ومعنى ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾؛ أي: اللّوح المحفوظ، وقيل: هو التوراة؛ أي: والله لقد كتبنا في كتاب داود مِنْ بعد ما كتبنا في التوراة أو مِنْ بعد ما كتبنا في اللوح المحفوظ ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾.

قال الزجاج[٣]: الزبور جميع الكُتب: التوراة والإنجيل والقرآن؛ لأن الزبور والكتاب في معنى واحد، يقال: زبرتُ وكتبتُ، ويؤيد ما قاله قراءة حمزة في الزُبور بضم[٤] الزاي، فإنّه جمع زِبْر.

وقد اختلف في معنى ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ فقيل: المراد: أرض الجنّة، واستدل القائلون بهذا بقوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزمر: ٧٤]. وقيل: هي الأرض المقدّسة؛ وقيل: هي أرض الأمم الكافرة يرثها نبيّنا ﷺ وأمته بفتحها؛ وقيل: المراد بذلك: بنو إسرائيل بدليل قوله سبحانه: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧] والظاهر أن هذا تبشير لأمة محمد ﷺ بوراثة أرض الكافرين، وعليه أكثر المفسرين[٥].

وقرأ حمزة (عباديْ) بتسكين[٦] الياء، وقرأ الباقون بتحريكها[٧] ﴿إِنَّ فِى

(١) في «معاني القرآن» (٣/ ٤٠٧).
(٢) انظر: «جامع البيان» (١٦/ ٤٣١)، و«النكت والعيون» (٣/ ٤٧٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٩٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٧٣).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٠٧).
(٤) «التيسير» (ص٩٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٠١)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢١٦).
(٥) «جامع البيان» (١٦/ ٤٣٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٠١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٧٣).
(٦) «التيسير» (ص١٥٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١١٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٠٢).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان.

﴿هَٰذَا لَبَلَٰغًا﴾؛ أي: فيما جرى ذكرُه في هذه السورة مِنْ الوعظ والتنبيه ﴿لَبَلَٰغًا﴾ لكفاية، يقال: في هذا الشيء بلاغٌ، وبُلْغة وتَبلغ؛ أي: كفاية؛ وقيل: الإشارة بقوله: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ إلى القرآن ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾؛ أي: مشغولين بعبادة الله، مهتمين بها، والعبادة هي الخضوع والتذلّل، وهم أمة مُحمد ﷺ، ورأس العبادة الصلاة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: وما أرسلناك يا مُحمد بالشرائع والأحكام إلا رحمةً لجميع الناس، والاستثناء[1] مفرّغ مِنْ أعمّ الأحوال والعلل؛ أي: ما أرسلناك لعلة من العلل إلا لرحمتنا الواسعة، فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين.

قيل: ومعنى كونه رحمة للكفار: أَنّهم أمنوا به مِنْ الخسف والمسخ والاستئصال، وقيل: المراد بالعالمين المؤمنون خاصة، والأوّل أولى بدليل قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

ثم بيّن سبحانه أن أصل تلك الرحمة هو التوحيدُ والبراءة من الشرك فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ إن كانت «ما»[2] موصولة فالمعنى: أن الذي يوحى إليّ هو أنّ وصفه تعالى مقصور على الوحدانية لا يتجاوزها إلى ما يناقضها أو يضادّها.

وإن كانت «ما» كافة فالمعنى: أنَّ الوحي إليّ مقصورٌ على استئثار الله بالوحدة، ووجه ذلك: أنّ القصر أبداً يكون لما يلي (إنما)، فإنما الأولى لقصر الوصف على الشيء كقولك: إنما يقوم زيد؛ أي: ما يقوم إلّا زيد، والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك: إنما زيد قائم؛ أي: ليس به إلا صفة القيام ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ مُنْقادون مُخْلصون للعبادة ولتوحيد الله سبحانه.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾؛ أي: أعرضوا عن الإسلام ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾؛ أي: أعلمتُكم أَنا وإيّاكم حَرْب لا صلح بيننا، كائنين على سواء في الإعلام، لم أخصّ به بعضَكم دون بعضٍ؛ كقوله سبحانه: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]؛ أي: أعلمْهم أنّكَ نقضتَ العهد نقضاً سوّيت بينهم فيه.

---

(١) «روح المعاني» (١٧/ ٢١٨ ـ ٢١٩)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٦٩٨).

(٢) «التبيان» (٢/ ٩٢٩)، و«الفريد» (٣/ ٥٠٩)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٢٣).

وقال الزجّاج(١): المعنى: أعلمتُكم ما يوحى إليّ على استواء في العلم به، ولا أظهر لأحد شيئاً كتمتهُ على غيره ﴿وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾؛ أي: ما أدري أما تُوعدون به قريب حصولُه أم بعيد، وهو غلبةُ الإسلام وأهله على الكفر وأهله.

وقيل: المراد بـ﴿مَّا تُوعَدُونَ﴾: القيامة؛ وقيل: آذنتُكم بالحرب ولكن لا أدري ما يُؤذن لي في محاربتكم ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾؛ أي: يعلم سبحانه ما تجاهرون به من الكفر والطعن على الإسلام وأهله، وما تكتمونه من ذلك وتُخْفونه.

﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: ما أَدري لعلّ الإمهال فتنة لكم واختبار ليرى كيف صنعكم ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾؛ أي: وتمتيع إلى وقت مقدّر تقتضيه حكمتُه.

ثم حكى ﷻ دعاء نبيّه ﷺ بقوله: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: احكمْ بيني وبين هؤلاء المكذّبين بما هو الحق عندك ففوّضَ الأمر إليه سبحانه، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع، وابن محيصن (ربُّ) بضم الباء(٢).

قال النحاس(٣): وهذا لحن عند النحويين لا يجوز عندهم رجلُ أقبلْ حتى يقول: يا رجلُ.

وقرأ الضحاك، وطلحة، ويعقوب (أَحْكَمُ) بقطع الهمزة(٤) وفتح الكاف وضم الميم؛ أي: قال محمد: ربي أَحكمُ بالحقّ مِنْ كل حاكم.

وقرأ الجحدري (أَحْكَمَ) بصيغة الماضي(٥)؛ أي: أحكم الأمور بالحق.

وقرئ «قُلْ» بصيغة(٦) الأمر؛ أي: قل يا محمد.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/٤٠٨).

(٢) «جامع البيان» (١٦/٤٤٤)، و«النشر» (٢/٢٤٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/٣٠٤). وهي قراءة متواترة عن أبي جعفر وقراءة الجمهور بكسر الباء من كلمة (ربِّ).

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/٨٤).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٩٣)، و«المحتسب» (٢/٧١).

• ولكن القراءة المتواترة عن يعقوب ـ وهو من العشرة ـ (احْكُمْ) كقراءة الجماعة بهمزة وصل وضم الكاف على الطلب.

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٩٣)، و«البحر المحيط» (٧/٤٧٤).

(٦) «روح المعاني» (١٧/٢٢٦)، و«البحر المحيط» (٧/٤٧٤). هي قراءة حفص عن عاصم وباقي العشرة (قال) على الماضي.

قال أبو عبيدة[(١)]: الصفة هنا أُقيمت مقام الموصوف، والتقدير: ربّ احكم بحكمك الحق، وربّ في موضع[(٢)] نصب؛ لأنّه منادى مضاف إلى الضمير، وقد استجاب سبحانه دعاء نبيه ﷺ فعذبهم ببدر، ثم جعل العاقبة والغلبة [٣/٢٦٠] والنصر لعباده المؤمنين والحمد لله ربّ العالمين.

ثم قال سبحانه متمماً لتلك الحكاية، ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من الكفر والتكذيب، فربُّنا مبتدأ وخبره الرحمٰنُ؛ أي: هو كثيرُ الرحمة لعباده، والمستعان خبر آخر؛ أي: المُستعان به في الأمور التي مِنْ جملتها ما تصفونه من أن الشوكة تكون لكم، ومِنْ قولكم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣] وقولكم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ مريم: ٨٨] وكثيراً ما يستعمل الوصف في كتاب الله بمعنى الكذب كقوله: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]، وقوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٩] وقرأ المفضَّل، والسُّلَمي (على ما يصفون) بالياء التحتية[(٣)]. وقرأ الباقون[(٤)] بالفوقية على الخطاب.

وقد أخرَج الفريابي، وعبد بن حميد، وأبو داود في «ناسخه»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس[(٥)] قال: لما نزلت ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ قال المشركون: فالملائكة، وعيسى، وعُزيرٌ يُعْبَدون من دون الله، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ عيسى، وعزير، والملائكة.

وأخرج ابن مردويه، والضياء في «المختارة» عنه[(٦)] قال: جاء عبد الله بن الزِّبَعْرى إلى النبيّ ﷺ فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية ﴿إِنَّكُمْ وَمَا

---

(١) انظر: «جامع البيان» (١٦/ ٤٤٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٠٤).

(٢) «الفريد» (٣/ ٥١٠)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٢٦)، و«التبيان» (٢/ ٩٣٠).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٠٥)، و«النشر» (٢/ ٣٢٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٧٤)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٢٧). وهي رواية لابن ركوان في وجه، والوجه الآخر كباقي العشرة بالتاء.

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤١٨، ٤١٩)، و«والطبراني» رقم (١٢٧٣٩)، والحاكم (٢/ ٣٨٤، ٣٨٥) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه الضياء في «المختارة» (١٠/ ٣٠٤) بسند حسن.

تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ قال ابن الزِّبَعْرى: قد عُبدتْ الشمسُ والقمر والملائكة وعزير وعيسى ابن مريم كلٌّ هؤلاء في النار مع آلهتنا، فنزلت: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧ ـ ٥٨]. ثم نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾.

وأخرج أبو داود في «ناسخه»، وابن المنذر، والطبراني من وجه آخر عنه[١] أيضاً نحوه بأطول منه.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ قال: عيسى وعُزيرٌ والملائكة.

وأخرج ابن جرير[٣] عنه أيضاً في قوله: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قال: شجر جهنم، وفي إسناده العوفي.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[٤] من وجه آخر أن ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وقودها.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٥] أيضاً قال: هو حطب جهنم بالزنجية.

وأخرج ابن مردويه[٦] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾ قال: حيات على الصراط تقول: حس حس.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي عثمان[٧] النهدي في قوله: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾ قال: حيات على الصراط تلسعهم، فإذا لسعتهم قالوا: حَسَّ حَسَّ.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٢٧٣٩).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٦٨) بسند ضعيف؛ لضعف سعيد بن مسلمة بن عبد الملك.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤١١) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤١١) بسند ضعيف.
(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٠).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٠).
(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٦٩).
وأخرجه ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٤٤٩) من طريق حماد بن سلمة، به مرسلاً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير عن محمد بن حاطب قال: سُئل عليّ عن هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾؟ قال: هو عثمان وأصحابه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾ يقول: لا يسمع أهل الجنّة حَسيسَ النّار إذا نزلوا منزلهم من الجنة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٢) في قوله: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ قال: النفخةُ الآخرة، وفي إسناده العوفي.

وأخرج أحمد، والترمذي وحسنه عن ابن عمر(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ على كُثْبان المِسّك لا يهولهم الفزع الأكبرُ يوم القيامة: رجل أمّ قوماً وهم له راضون، ورجل كان يُؤذّن في كل يوم وليلة. وعبد أدّى حقَّ الله وحقّ مواليه».

وأخرج عبد بن حميد(٤)، عن عليّ في قوله: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ قال: مَلَكٌ. وأخرج عبد بن حميد، عن عطية مثله.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عمر(٥) قال: السجل ملك، فإذا صعد بالاستغفار قال: اكتبوها نوراً.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن عساكر، عن أبي جعفر(٦) الباقر قال: السجل: مَلَكٌ.

وأخرج أبو داود، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٢١) بسند ضعيف.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٦٩).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٢٢) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد رقم (٤٧٩٩)، والترمذي رقم (١٩٨٦، ٢٥٦٦) وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٤) أخرجه عبد بن حميد كما في «فتح الباري» (٨/ ٤٣٧).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٧٠) بسند ضعيف جداً؛ لأن فيه أبو الوفاء الأشجعي. وهو: جعفر بن ميسرة، منكر الحديث.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٩/ ٤٥٤)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤/ ٣٣٣).
قال ابن كثير في «تفسيره»: هذا أثر غريب، وبتقدير صحته إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر فهو نقله عن أهل الكتاب وفيه نكارة توجب رده.

والطبراني، وابن منده في «المعرفة»، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» وصححه، عن ابن عباس(١) قال: السجل: كاتبٌ للنبيّ ﷺ.

وأخرج ابن المنذر، وابن عدي، وابن عساكر، عن ابن عباس(٢) قال: كان لرسول الله ﷺ كاتب يُسمَّى السجل، وهو قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ﴾ قال: كما يطوي السجل الكتاب كذلك نَطْوي السماء. وأخرج ابن منده، وأبو نعيم في «المعرفة»، وابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر عن ابن عمر(٣) قال: كان للنبيّ ﷺ كاتب يقال له: السجل، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ﴾.

قال ابن كثير في «تفسيره»(٤) بعد إخراج هذا الحديث: وهذا مُنكر جدّاً من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلاً. قال: وكذلك ما تقدّم عن ابن عباس من رواية أبي داود وغيره لا يصح أيضاً.

وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه، ـ وإنْ كان في سنن أبي داود ـ منهم شيخُنا الحافظ الكبير أبو الحجّاج المِزي، وقد أفردتُ بهذا الحديث جزءاً له على حدة، ولله الحمد.

قال(٥): وقد تصدّى الإمام أبو جعفر ابن جرير(٦) للإنكار على هذا الحديث وردّه أتمّ ردّ، وقال: ولا نَعرف في الصحابة أحداً اسمه سجلّ، وكُتّاب النبيّ ﷺ كانوا معروفين، وليس فيهم أحد اسمه السجل. وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث. وأما من ذكر في أسماء الصحابة هذا فإنما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره، والله أعلم(٧).

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٢٩٣٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٣٣٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٢٤)، والطبراني رقم (١٢٧٩٠)، والبيهقي (١/ ١٢٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤/ ٣٣٢) وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢٦٦٢)، وابن عساكر (٤/ ٣٣٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «المعرفة» (٢/ ٥٥٠ رقم ٣٧٠٠)، والخطيب في «تاريخه» (٨/ ١٧٥)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤/ ٣٣٢).

(٤) في «تفسيره» (٩/ ٤٥٥).

(٥) أي: ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٤٥٥).

(٦) في «جامع البيان» (١٦/ ٤٢٥).

(٧) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٤٥٥).

قال[١]: والصحيح عن ابن عباس: أَنَّ السجلّ هو الصحيفة، قاله عليّ بن أبي طلحة[٢] والعوفي[٣] عنه. ونصّ على ذلك مجاهد[٤] وقتادة وغير واحد.

واختاره ابن جرير[٥] لأنَّه المعروف في اللغة، فعلى هذا يكون معنى الكلام: يوم نطوي السماء كطيّ السجلّ للكتاب؛ أي: على الكتاب، يعني: المكتوب كقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ٣]؛ أي: على الجبين، وله نظائر في اللغة والله أعلم.

قلتُ: أما كون هذا هو الصحيح عن ابن عباس فلا، فإن عليّ بن أبي طلحة والعوفيّ ضعيفان، فالأولى التعويل على المعنى اللُّغوي والمصير إليه.

وقد أخرج النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، عن ابن عباس[٦] قال: ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ هو الرجل، زاد ابن مردويه بلغة الحبشة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٧] في تفسير الآية قال: كطيّ الصحيفة على الكتاب.

وأخرجَ ابنُ جرير[٨]، عن ابن عباس في قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ يقول: نهلك كل شيء كما كان أوّل مرّة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٩] عنه في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ قال: القرآن ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ قال: أرض الجنة.

---

(١) أي: ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٤٥٥).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٢٥) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٢٥) بسند صحيح.
(٥) في «جامع البيان» (١٦/ ٤٢٥).
(٦) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٣٣٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٢٤)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤/ ٣٣٢)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٩/ ٤٥٤) بسند حسن.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٢٤، ٤٢٥) بسند صحيح.
وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٧٠).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٣١) بسند ضعيف.
(٩) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٧٠).

وأخرج ابنُ جرير[١] عنه أيضاً ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ قال: الكتب ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ قال: التوراة وفي إسناده العوفي.

وأخرج سعيد بن منصور[٢] عنه أيضاً، قال: الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن، والذكر: الأصل الذي نسخت منه هذه الكتب الذي في السماء، والأرض: أرض الجنة.

وأخرج الفريابي، وابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[٣] أيضاً في قوله: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ قال: أرضُ الجنّة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٤] في الآية قال: أخبر الله سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السمٰوات والأرض أن يُوِّرث أمة محمد الأرض، ويُدخلهم الجنة، وهم الصالحون، وفي قوله: ﴿لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ قال: عالمين، وفي إسناده عليّ بن أبي طلحة.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر عن أبي هريرة[٥] ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ قال: الصلوات الخمس.

وأخرج ابن مردويه، وأبو نعيم، والديلمي عن أنس[٦] قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله: ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ قال: «في الصلوات الخمس شُغلاً للعبادة».

وأخرج ابن مردويه[٧] عن ابن عباس: «أن النبيّ ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ قال: هي الصلوات الخمس في المسجد الحرام جماعة».

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[٨] في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: من

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٣٣) بسند ضعيف.
(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٥) إلى سعيد بن منصور وابن مردويه.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٣٥) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٣٥) بسند صحيح.
(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٧).
(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٤٠٤)، ط. عالم الكتب.
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٧).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٤٠)، والطبراني رقم (١٢٣٥٨) بسند ضعيف؛ لضعف سعيد بن المرزبان البقال، وهو: أبو سعد البقال.

آمن تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومَنْ لم يؤمن عُوفي مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من الخَسْف والمسخ والقذف.

وأخرج مسلم[١] عن أبي هريرة قال: «قيل: يا رسول الله ادع الله على المشركين، قال: إنِّي لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمةً».

وأخرج الطيالسي، وأحمد، والطبراني، وأبو نعيم في «الدلائل» عن أبي أُمامة[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني رحمة للعالمين وهدى للمتقين».

وأخرج أحمد، والطبراني، عن سلمان[٣]، أن رسول الله ﷺ قال: «أيما رجل مِنْ أمتي سببتُه سبةً في غضبي أو لعنته لعنة، فإنما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمةً للعالمين، فاجعلها عليه صلاة يوم القيامة».

وأخرج البيهقي في «الدلائل»، عن أبي هريرة[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة».

وقد روي معنى هذا من طرق.

وأخرج ابن أبي خيثمة، وابن عساكر، عن الربيع بن أنس[٥] قال: لما أسري بالنبيّ ﷺ رأى فلاناً، وهو بعض بني أمية على المنبر يخطب الناس، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ يقول: هذا المُلْك.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٦] ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ يقول: ما أُخبركم به من العذاب والساعة، لعلّ تأخير ذلك عنكم فتنة لكم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[٧] في قوله: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ قال: لا يحكم الله إلّا بالحق، وإنما يستعجل بذلك في الدنيا يسأل ربَّه.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٥٩٩).

(٢) أخرجه الطيالسي رقم (١٢٣٠)، وأحمد (٣٦/ ٥٥١، ٦٤٦ رقم ٢٢٢١٨، ٢٢٣٠٧)، والطبراني رقم (٧٨٠٣)، وأبو نعيم في «الدلائل» رقم (١) بسند ضعيف جدّاً.

(٣) أخرجه أحمد رقم (٢٣٧٠٦، ٢٣٧٢١)، وأبو داود رقم (٤٦٥٩)، والطبراني رقم (٦١٥٦). وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٥٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٤٩٠).

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٥٧/ ٣٤١) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٤٣) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٤٤) بسند ضعيف.

سُورَةُ الحَجِّ

[عدد آياتها]:

وهي ثمانٌ[١] وسبعون آية.

[هل السورة مكية أو مدنية]:

اختلف أهل العلم، هل هي مكية أو مدنية؟ فأخرج ابن مردويه[٢] عن ابن عباس قال: نزلت سورة الحجّ بالمدينة.

وأخرج ابن مردويه[٢] عن عبد الله بن الزبير مثلَه.

وأخرج ابن المنذر[٣] عن قتادة [٣/٢٦١] قال: نزل بالمدينة مِنْ القرآن الحجّ غير أربع آيات مكيات: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢] إلى ﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥].

وحكى القرطبي[٤] عن ابن عباس أنها مكية سوى ثلاث آيات؛ وقيل: أربع آيات إلى قوله: ﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وحُكي عَنْ النقاش أنه نزل بالمدينة منها عشر آيات.

قال القرطبي[٥] وقال الجمهور: إنّ السورة مُخْتلطة، منها مكيّ، ومنها مدني. قال: وهذا هو الصحيح.

قال الغَزْنَويُّ[٦]: وهي من أعاجيب السور نزلت ليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً، مكيّاً ومدنيّاً، سِلْميّاً وحربيّاً، ناسخاً ومنسوخاً، مُحْكماً ومتشابهاً.

[فضل سورة الحج]:

وقد ورد في فضلها ما أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم،

---

(١) «روح المعاني» (١٧/ ٢٣٠).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥).
(٤) في «تفسيره» (١٤/ ٣٠٦). (٥) في «تفسيره» (١٤/ ٣٠٦).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٠٦).

وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن عقبة بن عامر[١] قال: «قلتُ: يا رسول الله أُفُضّلت سورة الحجّ على سائر القرآن بسجدتين؟ قال: نعم، فمَنْ لم يسجدهما فلا يقرأهما».

قال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بالقويّ.

وأخرج أبو داود في «المراسيل»، والبيهقي عن خالد بن معدان[٢]، أن رسول الله ﷺ قال: «فضّلت سورةُ الحجّ على القرآن بسجدتين».

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والإسماعيلي، وابن مردويه، والبيهقي عن عمر[٣]: أنه كان يسجد سجدتين في الحجّ وقال: إن هذه السورة فضّلت على سائر القرآن بسجدتين.

وقد روي عن كثير من الصحابة أن فيها سجدتين، وبه يقول ابن المبارك[٤]، والشافعي[٥]، وأحمد[٦]، وإسحاق[٧].

وقال بعضهم: إن فيها سجدة واحدة، وهو قول سفيان الثوري.

وأخرجه ابن أبي شيبة[٨]، عن ابن عباس، وإبراهيم النخعي.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٧٣٦٤، ١٧٤١٢)، وأبو داود رقم (١٤٠٢)، والترمذي رقم (٥٧٨)، والحاكم (٢/ ٣٩٠)، والبيهقي (٢/ ٣١٧).
قال الحاكم: «هذا حديث لم نكتبه مسنداً إلا من هذا الوجه، وعبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي أحد الأئمة إنما نقم عليه اختلاطه في آخر عمره».
قال أبو الأشبال في تحقيقه للترمذي (٢/ ٤٧١): بل هو حديث صحيح.
قلت: ابن لهيعة ضعيف ورواية العبادلة (ابن وهب، وابن يزيد المقرئ، وابن المبارك) عنه أحسن حالاً من رواية غيره.
وقد روى هذا الحديث عن ابن وهب كما عند الترمذي.
والمقرئ كما عند أحمد. وقد صرح بالتحديث.
وأبو هامان حسن الحديث. «تهذيب التهذيب» (٤/ ٨١)، وخلاصة القول أن الحديث حسن.

(٢) أخرجه أبو داود في «المراسيل» (ص٩٩ رقم ٥)، والبيهقي في «المعرفة» (٣/ ٢٤٧ رقم ٤٤٤٥)، مرسلاً وقال: وهذا المرسل إذا انضم إلى رواية ابن لهيعة صار قويّاً.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ١١)، والبيهقي (٢/ ٣١٧)، والإسماعيلي كما في «تفسير ابن كثير» (١٠/ ٢٨) ويشهد له ما تقدم.

(٤) «المغني» (٢/ ٣٥٤)، «فتح الباري» (٨/ ٦١٥).

(٥) «الأوسط» لابن المنذر (٥/ ٢٦٢).

(٦) «المغني» (٢/ ٣٥٤).

(٧) انظر: «فتح الباري» (٨/ ٦١٥)، و«المغني» (٢/ ٣٥٤).

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ١٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[مشهد البعث مزلزل عنيف رهيب]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾.

لمّا انجرّ الكلام في خاتمة السورة المتقدمة إلى ذكر الإعادة وما قبلها وما بعدها، بدأ سبحانه في هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها حثّاً على التقوى التي هي أنفع زاد فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾؛ أي: احذروا عقابه بفعل ما أمركم به من الواجبات، وترك ما نهاكم عنه من المُحرِّمات، ولفظُ الناس يشمل جميع[١] المكلّفين من الموجودين ومَنْ سيوجد على ما تقرر في موضعه.

وقد قدّمنا طرفاً من تحقيق ذلك في سورة البقرة، وجملة ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ تعليل[٢] لما قبلها من الأمر بالتقوى، والزلزلة: شدّةُ الحركة، وأصلها من زلّ عَنْ الموضع؛ أي: زال عنه وتَحرّك، وزلزل اللهُ قَدَمه؛ أي: حرّكها،

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٠٧)، والألوسي في «روح المعاني» (٧/ ٢٣١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٨٠).

(٢) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٥)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٣٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٨٠).

وتكرير[١] الحرف يدل على تأكيد المعنى، وهو من إضافة المصدر إلى فاعله، وهي على هذا الزلزلة التي هي أحدُ أشراط الساعة التي تكون في الدنيا قبل يوم القيامة، هذا قول الجمهور[٢].

وقيل: إنّها تكون في النصف مِنْ شهر رمضان، ومِنْ بعدها طلوع الشمس من مغربها، وقيل: إن المصدر هنا مضاف[٣] إلى الظرف، وهو الساعة إجراء له مجرى المفعول، أو بتقدير[٤] «في» كما في قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]. وهي المذكورة[٥] في قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]. قيل: وفي التعبير عنها بالشيء إيذان بأنّ العقول قاصرة عن إدراك كنهها.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ انتصاب[٦] الظرف بما بعده، والضمير يرجع إلى الزلزلة؛ أي: وقتَ رؤيتكم لها تذهل كلُّ ذات رضاع عن رضيعها وتغفل عنه. قال قُطْرب[٧]: تذهل تشتغل، وأنشد قول الشاعر:

ضربُ يُزيلَ الهامَ عن مَقيلهِ ... ويُذهِلُ الخليلَ عَنْ خليله[٨]

وقيل: تنسى، وقيل: تلهو؛ وقيل: تسلو، وهذه معانيها[٩] متقاربة.

قال المبرّد[١٠]: إن «ما» فيما أرضعت بمعنى المصدر؛ أي: تذهل عن الإرضاع، قال: وهذا يدل على أنّ هذه الزلزلة في الدنيا، إذْ ليس بعد القيامة حمل وإرضاع، إلا أن يقال: من ماتت حاملاً فتضع حملها للهول، ومن ماتت مرضعة بعثت كذلك.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «روح المعاني» (١٧/ ٢٣٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣١٠)، و«جامع البيان» (١٦/ ٤٤٦).

(٣) «الفريد» (٣/ ٥١٣)، و«التبيان» (٢/ ٩٣١)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٣٢).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «روح المعاني» (١٧/ ٢٣٢).

(٦) «روح المعاني» (١٧/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥)، و«الفريد» (٣/ ٥١٣ ـ ٥١٤)، و«التبيان» (٢/ ٩٣١).

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣١٠).

(٨) نسبه لعبد الله بن رواحة، ابن سلام في «طبقات فحول الشعراء» (١/ ٢٢٤).

(٩) ذكرها الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٦) بالترتيب عن اليزيدي، والكلبي، والأخفش.

(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣١٠ ـ ٣١١).

ويُقال هذا مَثَلٌ كما يقال: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

وقيل: يكون مع النفخة الأولى، قال: ويحتمل أَنْ تكون الساعة عبارة عن أهوال يوم القيامة، كما في قوله: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٤].

ومعنى ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ أنها تُلقي جنينَها لغير تمام من شدّة الهول، كما أن المرضعة تترك ولدَها بغير رضاع لذلك ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ قرأ الجمهور بفتح التاء[1] والراء خطاب لكل واحدٍ؛ أي: يراهم الرائي كأنَّهم سُكَارى ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ حقيقةً، قرأ حمزة، والكسائي (سَكْرى) بغير ألف[2]، وقرأ الباقون[3] بإثباتها وهما لغتان يجمع بهما سكران، مثل كَسْلى وكُسَالى، ولما نفى سبحانه عنهم السكر أوضح السبب الذي لأجله شابهوا السكارى فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فبسبب هذه الشدة والهول العظيم طاشت عقولُهم، واضطربت أفهامهم فصاروا كالسكارى بجامع سلب كمال التمييز وصحة الإدراك. وقُرِئ (وتُرَى) بضم[4] التاء وفتح الراء مسنداً إلى المخاطب من أرأيتك؛ أي: تظنهم سكارى.

قال الفراء[5]: ولهذه القراءة وجه جيد في العربية، ثم لما أراد سبحانه أن يحتجّ على منكري البعث قدّم قبل ذلك مقدّمة تشمل أهل الجدال كلهم فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وقد تقدّم إعراب مثل هذا التركيب في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ [البقرة: ٨]. ومعنى ﴿فِى ٱللَّهِ﴾ في شأن الله وقدرته، ومحل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ النصب[6] على الحال.

والمعنى: أَنَّه يخاصم في قُدرة الله فيزعم أَنَّه غير قادر على البعث بغير علم يعلمه، ولا حجة يدلي بها ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ فيما يقوله ويتعاطاه ويحتجّ به ويجادل عنه ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾؛ أي: متمرّد على الله وهو العاتي، سُمّي بذلك لخلّوه عن كل

---

(١) «التيسير» (ص١٥٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٨٢)، و«جامع البيان» (١٦/ ٤٥٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١١٦).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان.

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٤٨٢)، و«جامع البيان» (١٦/ ٤٥٧)، و«التيسير» (ص١٥٦).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣١١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٨٢). فتح التاء والراء من كلمة (تَرىٰ) هي المتواترة، والضم في التاء شاذة.

(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٤ ـ ٢١٥). (٦) «الفريد» (٣/ ٥١٥)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٢).

خير، والمراد: إبليس وجنوده أو رؤساء الكفار الذين يدعون أشياعهم إلى الكفر(١).

وقال الواحدي(٢): قال المفسِّرون: نزلت في النضر بن الحارث، وكان كثيرَ الجدال، وكان يُنكر أنّ الله يقدر على إحياء الأموات؛ وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعُتبة بن ربيعة ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾؛ أي: كُتب على الشيطان؛ وفاعل كتب: أنَّه مَنْ تولاه، والضمير للشأن؛ أي: مَنْ اتخذه وليّاً ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾؛ أي: فشأن الشيطان أَنْ يضله عن طريق الحقّ، فقوله: (أنّه يضله) جواب الشرط إنْ جعلت مَنْ شرطية أو خبر(٣) الموصول إنْ جعلت موصولة، فقد وصف الشيطان بوصفين:

الأوّل: أنه مريد.

والثاني: ما أفاده جملة ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ إلخ، وجملة ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ معطوفة على جملة ﴿يُضِلُّهُۥ﴾؛ أي: يحمله على مباشرة ما يصير به في عذاب السعير.

ثم ذكر سبحانه ما هو المقصود من الاحتجاج على الكفار بعد فراغه من تلك المقدّمة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ قرأ الحسن (البَعَث) بفتح العين(٤) وهي لغة، وقرأ الجمهور(٥) بالسكون، وشكّهم يحتمل أن يكون في وقوعه أو في إمكانه.

والمعنى: إنْ كنتم في شكّ مِنْ الإعادة فانظروا في مبدإ خلقكم؛ أي: خلق أبيكم آدم؛ ليزول عنكم الرّيب ويرتفع الشك، وتدحض الشبهة الباطلة ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ في ضمن خلق أبيكم آدم ﴿ثُمَّ﴾ خلقناكم ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾؛ أي: من منيّ، سمي نُطفة لقلته، والنطفة: القليل مِنْ الماء.

وقد يقع على الكثير منه، والنطفة: القَطْرة، يقال: نَطَف يَنْطِفُ؛ أي: قطر، وليلة نَطوف(٦)؛ أي: دائمة القَطْر.

---

(١) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (١٧/ ٢٤٠).

(٢) في «الوسيط» (٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٣) «روح المعاني» (١٧/ ٢٤٠)، و«الفريد» (٣/ ٥١٥ ـ ٥١٦)، و«التبيان» (٢/ ٩٢٢).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٩٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٨٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤١١). قراءة الحسن البصري شاذة.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣١٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٨٤)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢١٣).

(٦) «تهذيب اللغة» (١٣/ ٣٦٥).

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ والعلقة: الدم الجامد، والعلق: الدُم العبيط؛ أي: الطريّ أو المتجمّد؛ وقيل: الشديد الحُمرة، والمراد: الدم الجامد المتكوّن من المنيّ.

﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهي القطعة مِنْ اللحم قدر ما يَمْضغ الماضغ تتكوّن من العلقة ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ بالجرّ صفة لمضغة؛ أي: مستبينة الخَلْق ظاهرة التصوير ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾؛ أي: لم يَستبن خلقُها ولا ظهر تصويرها.

قال ابن الأعرابي[1]: ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ يريد: قد بدا خلقه، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: لم تصوّر.

قال الأكثر[2]: ما أكمل خلقه بنفخ الروح فيه فهو المُخلّقة وهو الذي ولد لتمام، وما سقط كان غير مخلقة؛ أي: غير حيّ بإكمال خلقته بالروح.

قال الفراء[3]: ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾: تامّ الخلق، [٣/٢٦٢] ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: السَّقْط، ومنه قول الشاعر:

أفـي غـيـرِ الـمُـخـلّـقـةِ الـبـكـاءُ   فـأيـنَ الـحـزمُ ويـحـكَ والـحـيـاءُ[4]

واللام في ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ متعلق بخلقنا؛ أي: خلقناكم على هذا النَمط البديع لنبين لكم كمال قدرتنا بتصريفنا أطوار خلقكم. ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾.

روى أبو حاتم[5]، عن أبي زيد، عَنْ المفضّل، عن عاصم أنه قرأ بنصب نقرّ عطفاً على نبين، وقرأ الجمهور[6] (نُقرُّ) بالرفع على الاستئناف؛ أي: ونحنُ نقرّ.

قال الزجاج[7]: نقرّ بالرفع لا غير؛ لأنه ليس المعنى فعلنا ذلك لنقرّ في الأرحام ما نشاء.

ومعنى الآية: ونثبت في الأرحام ما نشاء فلا يكون سَّقْطاً ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقت الولادة، وقال: ما نشاء، ولم يقل: مَنْ نشاء؛ لأنه يرجع إلى الحمل وهو جماد قبل أن ينفخ فيه الروح.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣١٧).
(٢) انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ١٢٦١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣١٨).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٥).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣١٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٧).
(٥) انظر: «القراءات الشاذة» (ص٩٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٨٧). هي رواية شاذة عن عاصم والمتواتر عنه كالجمهور هو الرفع.
(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٤٨٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٢١).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤١٢).

وقرئ (ليبينَ)، و(يقرّ)، و(يخرجكم) بالتحتية[(١)] في الأفعال الثلاثة، وقرأ ابن وثّاب (ما نِشاء) بكسر النون[(٢)] ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾؛ أي: نخرجكم من بطون أمهاتكم طِفْلاً؛ أي: أطفالاً، وإنما أفرده إرادةً للجنس الشامل للواحد والمتعدد.

قال الزجاج[(٣)]: طِفْلاً في معنى أطفالاً، ودلّ عليه ذكر الجماعة؛ يعني: في نُخْرجكم، والعرب كثيراً ما تطلق اسم الواحد على الجماعة، ومنه قول الشاعر:

يَلْحَيْنني من حبِّها ويَلُمْنَنَي ... إنَّ العواذلَ ليس لي بأمير[(٤)]

وقال المبرد[(٥)]: هو اسم يستعمل مصدراً كالرِّضا، والعدل فيقع على الواحد والجمع، قال الله سبحانه: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾ [النور: ٣١].

قال ابن جرير[(٦)]: هو منصوب على التمييز كقوله: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء: ٤]. وفيه بُعد، والظاهر انتصابه[(٧)] على الحال بالتأويل المذكور، والطفل يُطلق على الصغير مِنْ وقت انفصاله إلى البلوغ ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ قيل: هو علة لنخرجكم معطوف على علة أخرى مناسبة له، كأنه قيل: نخرجكم لتكبروا شيئاً فشيئاً ثم لتبلغوا إلى الأشدّ، وقيل: إن (ثم)[(٨)] زائدة.

والتقدير: لتبلغوا؛ وقيل: إنّه معطوف على نبين، والأشُدّ: هو كمال العقل وكمال القوّة والتمييز، قيل: وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

وقد تقدم الكلام في هذا مستوفى في الأنعام ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ يعني: قبل بلوغ الأشدّ، وقرئ (يَتوفّى) مبنيّاً للفاعل[(٩)].

وقرأ الجمهور (يُتوفّى) مبنياً للمفعول ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾؛ أي: أخسّه وأدونه، وهو الهَرَم والخَرَفُ حتى لا يعقل، ولهذا قال سبحانه:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٢١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٨٥)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٤٧). القراءة بالياء في الأفعال الثلاثة شاذة، والمتواتر النون فيها جميعاً.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤١٢). وقراءة ابن وثّاب شاذة.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٢١).

(٤) في «المقتضب» للمبرد (١/ ١٧٣ ـ ١٧٤). (٥) في «جامع البيان» (١٦/ ٤٦٥).

(٦) «التبيان» (٢/ ٩٣٣)، و«الفريد» (٣/ ٥١٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٤٦).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة.

(٨) «البحر المحيط» (٧/ ٤٨٦)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٤)، و«حاشية الشهاب» (٦/ ٢٨٤).

(٩) «البحر المحيط» (٧/ ٤٨٦)، و«النشر» (٢/ ٣٦)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٤٨). هي قراءة شاذة.

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـًٔاۚ﴾؛ أي: شيئاً مِنْ الأشياء، أو شيئاً من العلم، والمعنى: أنّه يصير من بعد أن كان ذا علم بالأشياء وفهم لها، لا علم له ولا فهم، ومثله قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٤ ـ ٥].

وقوله: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِۖ﴾ [يس: ٦٨]. ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ هذه حُجة أخرى على البعث، فإنّه سبحانه احتج بإحياء الأرض بإنزال الماء على إحياء الأموات، والهامدة: اليابسة التي لا تَنْبُت شيئاً، قال ابن قتيبة[(١)]: أي: ميتة يابسة كالنّار إذا طَفِئت؛ وقيل: دارسة، والهُمود: الدروس، ومنه قول الأعشى[(٢)]:

قالت قتيلةُ ما لجسمكِ شاحباً   وأرى ثيابَك بالياتٍ هُمَّدَا

وقيل: هي التي ذهب عنها الندى؛ وقيل: هالكة، ومعاني هذه الأقوال متقاربة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ المراد بالماء هنا: المطر.

ومعنى: اهتزّت: تحرّكت، والاهتزاز: شدّة الحركة، يقال: هززت الشيء فاهتزّ؛ أي: حركته فتحّرك والمعنى: تحركت بالنبات؛ لأنّ النبات لا يخرج منها حتى يزيل بعضَها مِنْ بعض إزالةً حقيقة، فسماه اهتزازاً مجازاً.

وقال المبِّرد[(٣)]: المعنى: اهتزّ نباتُها فحذف المضاف، واهتزازه شدة حركته، والاهتزاز في النبات أظهر منه في الأرض، ومعنى رَبت: ارتفعت، وقيل: انتفخت. والمعنى واحد، وأصله الزيادة، يقال: ربا الشيء يَرْبو رُبُواً إذا زاد، ومنه الرِّبا والربَّوة.

وقرأ يزيد بن القعقاع وخالد بن إلياس (وَرَبَأَتْ)[(٤)]؛ أي: ارتفعت حتى صارت بمنزلة الرابية، وهو الذي يحفظ القوم على مكان مُشْرِف يقال له: رابئ ورابئة وربيئة.

﴿وَأَنۢبَتَتْ﴾؛ أي: أخرجت ﴿مِن كُلِّ زَوْجِۭ بَهِيجٖ﴾؛ أي: من كلّ صنف حسن ولون مُسْتحَسن، والبهجة: الحُسْن، وجملة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ مستأنفة، لمّا ذكر افتقار الموجودات إليه سبحانه وتسخيرها على وفق إرادته واقتداره.

---

(١) في «تفسير غريب القرآن» (ص٢٩٠).

(٢) انظر: ديوان الأعشى ميمون بن قيس (ص٢٧٧).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٤).

(٤) «النشر» (٢/ ٣٢٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٢٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٨٧). وهي قراءة متواترة وباقي القراء بحذف الهمزة (رَبَت).

قال بعد ذلك هذه المقالات، وهي إثبات أنه سبحانه الحق، وأنّه المتفرد بإحياء الموتى، وأنه قادر على كل شيء من الأشياء. والمعنى: أنّه المتفرد بهذه الأمور وأنها من شأنه لا يدّعي غيره أنه يقدر على شيء منها، فدلّ سبحانه بهذا على أنه الحق الحقيقي الغني المُطلق، وأن وجود كلِّ موجود مُستفاد منه، والحق هو: الموجود الذي لا يتغير ولا يزول، وقيل: ذو الحقّ على عباده، وقيل: الحقّ في أفعاله[١].

قال الزجّاج[٢]: (ذلك) في موضع رفع؛ أي: الأمر ما وصفه لكم وبيّن بأن الله هو الحقُّ. قال: ويجوز أَنْ يكون ذلك نصباً.

ثم أَخبر سبحانه بأنَّ ﴿ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾؛ أي: في مستقبل الزمان، قيل: لا بدّ من إضمار فعل؛ أي: ولتعلموا أَنَّ الساعة آتية ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ أي: لا شك فيها ولا تردّد، وجملة ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ خبر ثانٍ للساعة، أو في محل نصب[٣] على الحال.

ثم أخبر سبحانه عَنْ البعث فقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم إنْ خيراً فخير وإنْ شرّاً فشرّ، وأنّ ذلك كائنٌ لا محالة.

وقد أخرج سعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه من طرق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين[٤] قال: «لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ أُنزلتْ عليه هذه وهو في سفر، فقال: أتدرون أيَّ يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسولُه أعلم، قال: ذلك يومَ يقول الله لآدم ابعثْ بعثَ النار، قال: يا ربّ وما بعثُ النار؟ قال: مِنْ كل ألف تسعمائة وتسعةً وتسعين إلى النار، وواحداً إلى الجنة، فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله ﷺ: قارِبوا وسدّدوا وأبشروا، فإنّها لم تكن نبوّة قط إلا كان بين يديها جاهلية فتُؤخذ العِدّة من الجاهلية، فإن تمّتْ

---

(١) ذكر هذه الأقوال القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٦).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤١٣).

(٣) «الفريد» (٣/ ٥٦٨)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٥٠)، و«التبيان» (٢/ ٩٣٣).

(٤) أخرجه أحمد رقم (١٩٨٨٤، ١٩٩٠١، ١٩٩٠٢)، والترمذي رقم (٣١٦٨)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٣٤٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٥٠)، والحاكم (١/ ٢٨، ٢٩). وهو حديث صحيح.

وإلا كَمَلتْ من المنافقين، وما مثلُكم والأمم إلا كمثل الرّقْمة في ذراع الدابّة، أو كالشامة في جَنْب البعير، ثم قال: إنّي لأرجو أن تكونوا رُبع أهل الجنة، فكبّروا، ثم قال: إنّي لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبّروا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبّروا، قال: ولا أدري قال الثلثين أم لا».

وأخرج الترمذي وصحّحه، وابن جرير، وابن المنذر عن عمران بن حصين[١] مرفوعاً نحوه، وقال في آخره: «اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده إنّكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، ومَنْ مات من بني آدم ومن بني إبليس، فسُرّي عَنْ القوم بعض الذي يجدون قال: اعملوا وأبشروا، فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جَنْب البعير، أو كالرقمة في ذراع الدابة».

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن أنس[٢] مرفوعاً نحوه.

وأخرج البزار، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن أنس[٣] مرفوعاً نحوه أيضاً.

وفي «الصحيحين»[٤] وغيرهما عَنْ أبي سعيد الخدري قال: قال النبيّ ﷺ فذكر نحوه، وفي آخره فقال: «مِنْ يأجوج ومأجوج ألف ومنكم واحد، وهل أنتم في الأمم إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود».

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣١٦٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٤٤٩ ـ ٤٥٠). وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢/٣١)، وعبد بن حميد رقم (١١٨٥ ـ «المنتخب»)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٤٥٢، ٤٥٣)، وابن حبان في «صحيحه» رقم (٧٣٥٤)، والحاكم (١/٢٩) بسند صحيح.

(٣) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٢٣٥ ـ «كشف»)، وابن جرير في «تهذيب الآثار» (ص٣٩٦ رقم ١٦ ـ مسند ابن عباس)، والحاكم (٤/٥٦٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٦٩، ٧٠): في الصحيح بعضه، ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة».

(٤) أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣)، ومسلم رقم (٢٢٢)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٣٣٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٤٤٦)، وأحمد رقم (١١٢٨٤).

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[١] في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قال: كُتبَ على الشيطان.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٢] مثله ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ قال: اتبّعه.

وأخرج البخاري، ومسلم، وأهل السنن وغيرهم، عن ابن مسعود[٣] قال: حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إنْ أحدَكم يُجْمع خَلْقُه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مُضْغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملَكَ فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات بكَتْب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إلٰه غيره إنّ أحدَكم ليعمل بعمل أهل الجنّة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلُها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها». والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّاً.

وأخرج ابن أبي حاتم وصححه، عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ قال: المخلقة: ما كان حياً، وغير المخلقة: ما كان سّقْطاً.

وروي نحو هذا عن جماعة من التابعين.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٥] في قوله: [٣/٢٦٣] ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ قال: حسن.

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، عن معاذ بن جبل[٦] قال: من

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٥٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٢) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٦٠) بسند صحيح.
(٣) أخرجه أحمد رقم (٢٦٢٤، ٣٩٣٤)، والبخاري رقم (٣٢٠٨) و(٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم رقم (٢٦٤٣)، وأبو داود رقم (٤٧٠٨)، والترمذي رقم (٢١٣٧)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٢٤٦)، وابن ماجه رقم (٧٦)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٨٧).
(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٧٤٧٥).
(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٧٥).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٦٧) عن قتادة بسند صحيح.
(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في «الزهد» (ص١٨٠) بسند ضعيف.

علم أَنّ الله ﷻ حقٌ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور؛ دخل الجنة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝١٠ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ۝١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ۝١٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ۝١٤ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ۝١٦﴾.

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾؛ أي: في شأن الله[1]؛ كقول مَنْ قال: إن الملائكة بناتُ الله، والمسيح ابنُ الله، وعُزير ابنُ الله. قيل: نزلت في النضر بن الحارث؛ وقيل: في أبي جهل؛ وقيل: هي عامة لكل مَنْ يتصدى لإضلال الناس وإغوائهم، وعلى كل حال فالاعتبار بما يدلّ عليه اللفظ وإنْ كان السبب خاصّاً.

ومعنى اللفظ: ومِنْ الناس فريقٌ يجادل في الله، فيدخل في ذلك كل مجادل في ذات الله، أو صفاته أو شرائعه الواضحة، و﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ في محل نصب[2] على الحال؛ أي: كائناً بغير علم.

قيل: والمراد بالعلم: هو العلم الضروري، وبالهدى: هو العلم النظري الاستدلالي.

(١) «جامع البيان» (١٦/ ٤٦٨).

(٢) «التبيان» (٢/ ٩٣٤)، و«الفريد» (٣/ ٥١٨)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٥٥).

والأولى: حملُ العلم على العموم، وحمل الهدى على معناه اللُّغوي، وهو الإرشاد.

والمراد بالكتاب المنير هو: القرآن، والمنير: النيّر، البيِّن الحُجة، الواضح البرهان، وهو وإنْ دخل تحت قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فإفراده بالذكر كإفراد جبريل بالذكر بعد ذكر الملائكة، وذلك لكونه الفرد الكامل الفائق على غيره من أفراد العلم.

وأما من حمل العلم على الضروري[١] والهدى على الاستدلالي، فقد حمل الكتاب هنا على الدليل السمعي، فتكون الآية متضمنة لنفي الدليل العقلي ضرورياً كان أو استدلاليّاً، ومتضمنة لنفي الدليل النقلي بأقسامه، وما ذكرناه أولى.

قيل: والمراد بهذا المجادل في هذه الآية: هو المجادل في الآية الأولى. أعني قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣] وبذلك قال كثير[٢] من المفسرين، والتكرير[٣] للمبالغة في الذمّ كما تقول للرجل تذمه وتوبخه: أنت فعلت هذا أنتَ فعلت هذا؟ ويجوز أن يكون التكرير لكونه وصفه في كل آية بزيادة على ما وصفه به في الآية الأخرى، فكأنه قال: ومن الناس من يجادل في الله ويتبع كلّ شيطان مريد بغير علم ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ ليضل عن سبيل الله. اهـ.

وقيل: الآية الأولى في المقلّدين ـ اسم فاعل. والثانية في المقلدين ـ اسم مفعول ـ. ولا وجَه لهذا كما أنَّه لا وجه لقول مَنْ قال: إن الآية الأولى خاصة بإضلال المتبوعين لتابعيهم، والثانية عامة في كلّ إضلال وجدال، وانتصاب[٤].

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ على الحال مِنْ فاعل يجادل، والعطف: الجانب، وعطفا الرجل: جانباه مِنْ يمين وشمال، وفي تفسيره[٥] وجهان:

الأوّل: أَنّ المراد به من يَلْوي عُنقه مرحاً وتكبّراً، ذكر معناه الزجاج[٦]. قال:

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٤٨٨).

(٢) «جامع البيان» (١٤/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٨٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٥٧).

(٣) «تفسير أبي السعود» (٥/ ١٢).

(٤) «الفريد» (٣/ ٥١٩)، و«التبيان» (٢/ ٩٣٤).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٢٨).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤١٤).

وهذا يوصف به المتكبِّر. والمعنى: ومِنْ الناس من يجادل في الله متكبراً. قال المبرد: العطف ما انثنى من العنق.

والوجه الثاني: أنَّ المراد بقوله: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ الإعراض؛ أي: معرضاً عن الذكر، كذا قال الفراء[١] والمفضّل[٢] وغيرهما كقوله تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا﴾ [لقمان: ٧]. وقوله: ﴿لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ﴾ [المنافقون: ٥].

وقوله: ﴿أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٣]، واللَّام في ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بـ﴿يُجَٰدِلُ﴾؛ أي: إنّ غرضَه هو الإضلالُ عن السبيل وإن لم يعترف بذلك.

وقُرئ لَيَضِلّ بفتح الياء[٣] على أنْ تكون اللام هي لام العاقبة كأنه جعل ضلاله غاية لجداله.

وجُملة ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾ مستأنفة مبينة لما يحصل له بسبب جداله من العقوبة. والخزي: الذلُ وذلك بما يناله مِنْ العقوبة في الدنيا من العذاب المعجّل وسوءُ الذكر على ألسن الناس؛ وقيل: الخزيّ الدنيوي هو: القتلُ كما وقع في يوم بدر ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾؛ أي: عذاب النار المُحْرقة.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم مِنْ العذاب الدنيوي والأخروي، وهو مبتدأ[٤] خبره ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾. والباء للسببية؛ أي: ذلك العذاب النازل بك بسبب ما قدّمته يداك مِنْ الكفر والمعاصي، وعبّر باليد عَنْ جملة البدن لكون مباشرة المعاصي تكون بها في الغالب.

ومحل (أن) وما بعدها في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ الرفع على أنّها خبر[٥] مبتدأ محذوف؛ أي: والأمرُ أنَّه سبحانه لا يُعذب عباده بغير ذنبٍ. وقد مرّ

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٦). (٢) «النكت والعيون» (٤/ ٩).

(٣) «التيسير» (ص١٣٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٢٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٨٨)، و«النشر» (٢/ ٣٢٥). والقراءة بفتح الياء من كلمة (يَضِل) لأبي عمرو وابن كثير ورويس في وجه عنه وقرأ الباقون بضمها.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٣/ ٤١٤)، و«الفريد» (٣/ ٥١٩)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٥٦).

(٥) «تفسير أبي السعود» (٥/ ١٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٥٧)، و«الفريد» (٣/ ٥١٩).

الكلام على هذه الآية في آخر آل عمران فلا نعيده ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾ هذا بيان لشقاق أهل الشقاق.

قال الواحدي[١]: قال أكثر المفسِّرين: الحرف: الشكُّ، وأصله من حرف الشيء وهو طَرَفُهُ، مثل حَرْف الجبل والحائط، فإنّ القائم عليه غير مستقرّ والذي يعبد الله على حَرْفٍ قلقٍ في دينه، على غير ثبات وطمأنينة، كالذي هو على حرف الجبل ونحوه يضطرب اضطراباً ويضعف قيامه، فقيل للشاكّ في دينه: إنّه يعبد الله على حَرْف؛ لأنّه على غير يقين من وعده ووعيده، بخلاف المؤمن لأنّه يعبده على يقينٍ وبصيرة فلم يكن على حَرفْ، وقيل: الحرف: الشرط؛ أي: ومن الناس من يعبدِ الله على شرط، والشرط هو قوله: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾؛ أي: خير دنيوي مِنْ رخاء وعافية وخَصْب وكثرة مال.

ومعنى ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾: ثبت[٢] على دينه، واستمرّ على عبادته، أو اطمأن قلبُه بذلك الخير الذي أصابه ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: شيء يفتتن به مِنْ مكروه يصيبه في أهله أو ماله أو نفسه ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾؛ أي: ارتدّ ورجع[٣] إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر.

ثم بيّن حاله بعد انقلابه على وجهه فقال: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ﴾؛ أي: ذهبا منه وفقدهما، فلا حظّ له في الدنيا مِنْ الغنيمة والثناء الحسن، ولا في الآخرة من الأجر وما أعدّه الله للصالحين من عباده.

وقرأ مجاهد، وحُميد بن قيس الأعرج، والزُهري، وابن أَبي إسحاق (خاسراً الدنيا والآخرة) على صيغة اسم[٤] الفاعل منصوباً على الحال.

وقُرئ بالرفع[٥] على أنّه خبر مبتدأ محذوف. والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى خُسران الدنيا والآخرة وهو مبتدأ وخبره ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: الواضح الظاهر

---

(١) في «الوسيط» (٣/ ٢٦١).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٣١)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٣) «جامع البيان» (١٦/ ٤٧٢).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٣١)، و«جامع البيان» (١٦/ ٤٧٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٨٩).

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٤٨٩)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٦٠). وهما قراءتان شاذتان.

الذي لا خسران مثله ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾؛ أي: هذا الذي انقلب على وجهه، ورجع إلى الكفر يدعو مِنْ دون الله؛ أي: يعبد متجاوزاً عبادة الله إلى عبادة الأصنام ما لا يضرّه إنْ ترك عبادته، ولا ينفعه إن عبده لكون ذلك المعبود جماداً لا يقدر على ضرّ ولا نفع، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الدعاء المفهوم مِنْ الفعل وهو يدعو.

واسم الإشارة مبتدأ وخبره ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾؛ أي: عَنْ الحق والرشد مستعار من ضلال مَنْ سلك غير الطريق فصار بضلاله بعيداً عنها.

قال الفراء(١): البعيد الطويل ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ يدعو بمعنى: يقول، والجملة مقرّرة لما قبلها مِنْ كون ذلك الدعاء ضلالاً بعيداً.

والأصنام لا نفع فيها بحال من الأحوال؛ بل هي ضَررٌ بحت لمن يعبدها؛ لأنَّه دخل النار بسبب عبادتها، وإيراد صيغة التفضيل مع عدم النفع بالمرّة للمبالغة في تقبيح(٢) حال ذلك الداعي، أو ذلك مِنْ باب ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] واللّام هي: الموطئة للقَسَم، ومَنْ موصولة أو موصوفة، و﴿ضَرُّهُۥٓ﴾ مبتدأ خبره ﴿أَقْرَبُ﴾، والجملة صلة الموصول.

وجملة ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ جواب القسم(٣).

والمعنى: أنَّه يقول ذلك الكافر يوم القيامة لمعبوده الذي ضرّه أقرب من نفعه: لبئس المولى أنت ولبئس العشير، والمولى: الناصر، والعشير: الصاحب، ومثل ما في هذه الآية قول عنترة(٤):

يدعون عَنْتَر والرِّماحُ كأنّها أشطانُ بئرٍ في لَبانِ الأدهمِ

وقال الزجاج(٥): يجوز أن يكون ﴿يَدْعُواْ﴾ في موضع الحال، وفيه هاء محذوفة؛ أي: ذلك هو الضلال البعيد يدعوه، وعلى هذا يوقف على ﴿يَدْعُواْ﴾، ويكون قوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ كلاماً مستأنفاً مرفوعاً بالابتداء، وخبره لبئس المولى. قال(٥): وهذا لأن اللام لليمين والتوكيد فجعلها أوّل الكلام.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٨). (٢) «تفسير أبي السعود» (٥/ ١٤).
(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٨٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٨٩)، و«التبيان» (٢/ ٩٣٥).
(٤) انظر: «ديوان عنترة» (ص٢٩).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤١٥ ـ ٤١٦).

وقال الزجاج[١] والفرّاء[٢]: يجوز أَنْ يكون يدعو مكررة على ما قبلها على جهة تكثير هذا الفعل الذي هو الدعاء؛ أي: يدعو ما لا يضرّه ولا ينفعه يدعو، مثل ضربتُ زيداً ضربتُ.

وقال الفراء[٣]، والكسائي[٤]، والزجاج[٥]: معنى الكلام القسَم، واللام مقدّمة على موضعها، والتقدير: يدعو مَنْ لضرّه أقرب مِنْ نفعه، [٣/٢٦٤] فمن في موضع نصب بيدعو، واللام جواب القسم و﴿ضَرُّهُۥٓ﴾ مبتدأ، و﴿أَقْرَبُ﴾ خبره، ومن التصرف في اللام بالتقديم والتأخير قول الشاعر:

خالي لأنتَ ومَنْ جريرٌ خالُه ... يَنلِ العُلا ويُكْرِمِ الأخوالا[٦]

أي: لخالي أنت.

قال النحاس[٧]: وحكى لنا علي بن سليمان عَنْ محمد بن يزيد قال: في الكلام حذف، والمعنى: يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه إلٰهاً.

قال النحاس[٨]: وأحسب هذا القول غلطاً عن محمد بن يزيد، ولعل وجهه أن ما قبل اللام هذه لا يعمل فيما بعدها.

وقال الفراء[٩] أيضاً: والقفّال اللام صلة؛ أي: زائدة.

والمعنى: يدعو من ضرّه أقرب[١٠] من نفعه؛ أي: يعبده، وهكذا في قراءة عبد الله بن مسعود[١١] بحذف اللام، وتكون اللام في ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ وفي ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ على هذا موطئة للقسم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ لما فرغ من ذكر حال المشركين، ومن يعبد الله على حرف ذكر حال

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/٤١٦).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٢/٢١٧).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٢/٢١٨).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/٨٩).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/٤١٦).
(٦) ذكره البغدادي في «خزانة الأدب» (١٠/٣٢٣)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/٩٤، ٣٣٢).
(٧) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/٨٩).
(٨) في «إعراب القرآن» له (٣/٨٩).
(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٢/٢١٨).
(١٠) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/٤٩١): وهذا بعيد لأن ما كان في صلة الموصول لا يتقدم على الموصول.
(١١) «القراءات الشاذة» (ص٩٤)، و«البحر المحيط» (٧/٤٩١). وهي شاذة مخالفة للرسم.

المؤمنين في الآخرة، وأخبر أنَّهم يُدخلهم هذه الجنات المتصفة بهذه الصفة.

وقد تقدّم الكلام في جري الأنهار مِنْ تحت الجنات، وبيّنا أنه إن أريد بها الأشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها، فجريان الأنهار مِنْ تحتها ظاهر، وإن أريد بها الأرض فلا بدّ من تقدير مضاف؛ أي: من تحت أشجارها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ هذه الجملة تعليل لما قبلها؛ أي: يفعل ما يريده من الأفعال ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. فيثيب مَنْ يشاء ويعذب من يشاء.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ قال النحاس[1]: من أحسن ما قيل في هذه الآية أنّ المعنى: مَنْ كان يظن أن لن ينصر اللهُ محمداً ﷺ وأنه يتهيأ له أن يقطع النصر الذي أوتيه ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء ﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾؛ أي: ثم ليقطع النصر إن تهيأ له ﴿فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ﴾ وحيلته ﴿مَا يَغِيظُ﴾ من نصر النبيّ ﷺ.

وقيل: المعنى: مَنْ كان يظن أن لن ينصر[2] الله محمداً ﷺ حتى يظهره على الدين كلّه فليمت غيظاً، ثم فسره بقوله: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: فليشدد حبلاً في سقف بيته ﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾؛ أي: ثم ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً، والمعنى: فليختنق غيظاً حتى يموت، فإنّ الله ناصره ومظهره، ولا ينفعه غيظه؛ ومعنى ﴿فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ﴾؛ أي: صنيعه وحيلته ما يغيظ؛ أي: غيظه، و«ما» مصدرية؛ وقيل: إن الضمير[3] في ﴿يَنصُرَهُ﴾ يعود إلى مَنْ.

والمعنى: مَنْ كان يظنّ أنّ الله لا يرزقه فليقتل نفسه، وبه قال أبو عبيدة[4]؛ وقيل: إنّ الضمير يعود إلى الدين؛ أي: من كان يظنّ أن لن ينصر الله دينه.

وقرأ الكوفيون[5] بإسكان اللام في (ثم ليقطع) قال النحاس[6]: وهذه القراءة بعيدة من العربية ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: مثل ذلك الإنزال البديع أنزلناه

---

(١) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٩٠). (٢) «جامع البيان» (١٦/ ٤٨٠).

(٣) «التبيان» (٢/ ٩٣٥)، و«الفريد» (٣/ ٥٢٢)، و«روح المعاني» (١٤/ ٢٦٤).

(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ٤٦ ـ ٤٧).

(٥) «التيسير» (ص١٥٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٩٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٣٧). وهي كذلك قراءة ابن كثير وقالون عن نافع وقراءة أبي جعفر وروح عن يعقوب والباقون بكسر اللّام وهما متواترتان.

(٦) في «إعراب القرآن» له (٣/ ٩٠).

آيات واضحات، ظاهرة الدلالة على مدلولاتها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ﴾ هدايته ابتداءً أو زيادةً فيها لمن كان مهدياً من قبل.

وقد أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ قال: لاوي عنقه[١].

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٢]، والسديّ[٣]، وابن يزيد[٤]، وابن جريج[٥]: أنّه المعرض.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم في قوله: ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ قال[٦]: أُنزلتْ في النضر بن الحارث.

وأخرج ابن مردويه[٧] عن ابن عباس في الآية قال: هو رجل من بني عبد الدار.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٨] ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ قال: مُسْتكبراً في نفسه.

وأخرج البخاري، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٩] في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة، فإنْ ولدت امرأته غلاماً وأنتجت خيلُه قال: هذا دين صالح، وإنْ لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٧٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٣) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٧٠) بسند ضعيف.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٢).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٧٠) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٧٠) عن ابن جريج عن مجاهد بسند ضعيف.
(٦) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٢) إلى ابن أبي حاتم عن مجاهد.
وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٧٦).
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٢).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٦٩) بسند صحيح.
وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٧٦).
(٩) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٧٤٢).
وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٧٦).

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه[١] بسند صحيح قال: كان ناس من الأعراب يأتون النبيّ ﷺ يُسْلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم، فإنْ وجدوا عام غيث وعام خَصْب وعام ولادٍ حسن قالوا: إنّ ديننا هذا لصالح فتمسّكوا به، وإن وجدوا عام جَدْب وعام ولاد سوء وعام قَحْط قالوا: ما في ديننا هذا خير، فأنزل الله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه[٢] أيضاً نحوه، وفي إسناده العوفي.

وأخرج ابن مردويه[٣] أيضاً من طريقه أيضاً عن أبي سعيد قال: «أسلم رجل مِنْ اليهود فذهب بصرُه ومالُه وولده فتشاءم بالإسلام، فأتى النبيّ ﷺ فقال: أقِلْني أقلني، قال: إنّ الإسلام لا يُقال، فقال: لم أُصبْ من ديني هذا خيراً ذهب بصرُي ومالي وماتَ ولدي، فقال: يا يهوديّ! الإسلام يَسِبك الرجال كما تسبك النار خَبَث الحديد والذهب والفضة، فنزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾».

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ قال: مَنْ كان يظنّ أن لن ينصر الله محمداً في الدنيا والآخرة ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ﴾ قال: فليربط بحبلٍ ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: إلى سماء بيته السقف ﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾ قال: ثم يختنق به حتى يموت.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم[٥] عنه قال: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ يقول: أن لن يرزقه الله ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ فليأخذ حبلاً فليربطه في سماء بيته فليختنق به ﴿فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ قال: فلينظر هل ينفعه ذلك أو يأتيه برزق.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٣).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٧٢، ٤٧٣) بسند ضعيف.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٨٠)، والحاكم (٢/ ٣٨٦) بسند ضعيف.
(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: بالله وبرسوله، أو بما ذكر من الآيات البينات ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هم اليهود[1] المنتسبون إلى ملة موسى ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ قوم يعبدون النجوم؛ وقيل: هم مِنْ جنس النصارى وليس ذلك بصحيح؛ بل هم فرقة معروفة لا ترجع إلى ملّة مِنْ الملل المنتسبة إلى الأنبياء ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ هم المنتسبون إلى ملة عيسى ﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾ هم الذين يعبدون النار، ويقولون: إن للعالم أصلين: النور والظلمة.

وقيل: هم قوم يعبدون الشمس والقمر؛ وقيل: هم قوم يستعملون النجاسات؛ وقيل: هم قوم من النصارى اعتزلوهم ولبسوا المسوح، وقيل: إنهم أخذوا بعض دين اليهود وبعض دين النصارى ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ هم الذين يعبدون الأصنام.

[ما وجه تقديم وتأخير النصارى؟]:

وقد مضى تحقيق هذا في البقرة، ولكنّه سبحانه قدّم هنالك النصارى على الصابئين، وأخّرهم عنهم هنا. فقيل: وجه تقديم[2] النصارى هنالك: أنهم أهل

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٣٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٦٨)، و«جامع البيان» (١٦/ ٤٨٥)، و«الملل والنحل» (١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٢) «الوسيط» (٣/ ٣٦٢)، و«الكشاف» (٤/ ١٨١ ـ ١٨٢).

كتاب دون الصابئين، ووجه تقديم الصابئين هنا: أنّ زمنهم متقدّم على زمن النصارى.

وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ في محل رفع[١] على أنها خبر لإنّ المتقدّمة، ومعنى الفصل[٢]: أنَّه سبحانه يقضي بينهم فيدخل المؤمنين منهم الجنة والكافرين منهم النار؛ وقيل: الفصل هو أنْ يميز المحقّ من المبطل بعلامة يعرف بها كل واحد منهما.

وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ تعليل لما قبلها؛ أي: أنّه سبحانه على كل شيء مِنْ أفعال خلقه وأقوالهم شهيدٌ لا يَعزْب عنه شيء منها، وأنكر الفراء أن تكون جملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ خبراً لإن المتقدّمة.

وقال لا يجوز في الكلام: إنّ زيداً إنّ أخاه منطلق، [٣/٢٦٥] وردّ الزجاج[٣] ما قاله الفراء[٤]، وأنكره وأنكر ما جعله مماثلاً للآية، ولا شك في جواز قولك: إن زيداً إنّ الخير عنده، وإنّ زيداً إنّه منطلق، ونحو ذلك. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الرؤية هنا هي القلبية[٥] لا البصرية؛ أي: ألم تعلم، والخطاب لكلِّ مَنْ يصلح له، وهو مَنْ تتأتّى منه الرؤية، والمراد بالسجود هنا هو: الانقياد الكامل، لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء، سواء جعلت كلمة من خاصة بالعقلاء، أو عامة لهم ولغيرهم، ولهذا عطف ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ على (مَنْ)، فإن ذلك يفيد أن السجود هو الانقياد لا الطاعة الخاصة بالعقلاء، وإنما أفرد هذه الأمور بالذكر مع كونها داخلة تحت (مَنْ)، على تقدير جعلها عامة لكون قيام السجود بها مُستبعداً في العادة، وارتفاع ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ بفعل[٦] مضمر يدل عليه المذكور؛ أي: ويسجد له كثير من الناس.

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٩٠)، و«الفريد» (٣/ ٥٢٣)، و«التبيان» (٢/ ٩٣٦).

(٢) «الكشاف» (٤/ ١٨١ ـ ١٨٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٣٨).

(٣) في «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤١٧).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٨).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٣٨)، و«جامع البيان» (١٦/ ٤٨٧).

(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٩١)، و«الفريد» (٣/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥)، و«التبيان» (٢/ ٩٣٧).

وقيل: مرتفع(١) على الابتداء وخبره محذوف، وتقديره: وكثير من الناس يستحق الثواب، والأوّل أظهر. وإنما لم يرتفع بالعطف على مَنْ؛ لأن سجود هؤلاء الكثير من الناس هو سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء، والمراد بالسجود المتقدّم هو: الانقياد، فلو ارتفع بالعطف على من لكان في ذلك جمع بين معنيين مختلفين في لفظ واحد.

وأنت خبير بأنّه لا ملجئ إلى هذا بعد حمل السجود على الانقياد، ولا شك أنَّه يصح أن يراد من سجود كثير من الناس هو انقيادهم لا نفس السجود الخاص، فارتفاعه على العطف لا بأس به، وإن أبى ذلك صاحب «الكشّاف»(٢) ومتابعوه.

وأما قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ فقال الكسائي(٣) والفراء(٤): إنه مرتفع بالابتداء وخبره ما بعده؛ وقيل: هو معطوف على كثير الأوّل ويكون المعنى: وكثير مِنْ الناس يسجد وكثيرٌ منهم يأبى ذلك.

وقيل: المعنى: وكثيرٌ مِنْ الناس في الجِّنة، وكثيرٌ حق عليه العذاب هكذا حكاه ابن الأنباري(٥) ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾؛ أي: مَنْ أهانه الله بأن جعله كافراً شقياً، فما له مِنْ مكرم يكرمه فيصير سعيداً عزيزاً.

وحكى الأخفش(٦) والكسائي(٧) والفراء(٨) أن المعنى: ومَنْ يهن الله فما له من مُكْرَمٍ(٩)؛ أي: إكرام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ مِنْ الأشياء التي من جملتها ما تقدّم ذكره من الشقاوة والسعادة والإكرام والإهانة.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ الخصمان أحدهما: أنجس الفرق: اليهودُ، والنصارى، والصابئون، والمجوس والذين أشركوا، والخصم الآخر: المسلمون، فهما فريقان مختصمان. قاله الفراء وغيره.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٨٢).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٩١).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٩).
(٥) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٧٨٢). (٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٤٠).
(٧) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٢١٩).
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٩). (٩) «القراءات الشاذة» (ص٩٤).

وقيل: المراد بالخصمين الجنّة والنار. قالت الجنة: خلقني لرحمته، وقالت النار: خلقني لعقوبته.

وقيل: المراد بالخصمين هم: الذين برزوا يوم بدر، فمن المؤمنين حمزة وعليّ وعبيدة، ومِنْ الكافرين عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة. وقد كان أبو ذرّ رضي الله عنه يُقْسِم أَنّ هذه الآية نزلت في هؤلاء المتبارزين كما ثبت عنه في «الصحيح»[1]، وقال بمثل هذا: جماعة من الصحابة، وهم أعرف مِنْ غيرهم بأسباب النزول.

وقد ثبت في «الصحيح»[2] أيضاً عن عليّ أنه قال: فينا نزلت هذه الآية.

وقرأ ابن كثير[3] (هَذَانِّ) بتشديد النون، وقال سبحانه: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ ولم يقل: اختصما.

قال الفراء[4]: لأنّهم جمع، ولو قال اختصما لجاز، ومعنى ﴿فِى رَبِّهِمْ﴾: في شأن ربهم؛ أي: في دينه، أو في ذاته، أو في صفاته، أو في شريعته لعباده، أو في جميع ذلك. ثم فصّل سبحانه ما أجمله في قوله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ قال الأزهري[5]: أي سُوّيت وجُعلتْ لبوساً لهم، شُبّهت النار بالثياب لأنّها مشتملة عليهم كاشتمال الثياب، وعبّر بالماضي عن المستقبل تنبيهاً على تحقّق وقوعه.

وقيل: إنّ هذه الثياب مِنْ نحاس قد أذيب فصار كالنار، وهي السرابيل المذكورة في آية أخرى؛ وقيل: المعنى في الآية: أحاطت النار بهم. وقرئ (قُطِعتْ) بالتخفيف[6] ثم قال سبحانه: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ والحميم: هو الماء الحار المغلي بنار جهنم.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٣٠٣٣)، والبخاري رقم (٣٩٦٩، ٤٧٤٣).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٩٦٥، ٣٩٦٧).

(٣) «التيسير» (ص٩٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/٣٤٢)، و«البحر المحيط» (٧/٤٩٥). الجمهور بتخفيف النون، وابن كثير بتشديدها وهما قراءتان متواترتان.

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/٢١٩).

(٥) في «تهذيب اللغة» (١/١٨٧).

(٦) «البحر المحيط» (٧/٤٩٥)، و«الكشاف» (٤/١٨٣)، و«روح المعاني» (١٧/٢٧٩). القراءة بتخفيف الطاء: شاذة.

والجملة مستأنفة أو هي خبر ثانٍ(١) للموصول ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ الصَهْر: الإذابةُ، والصهارة: ما ذاب مِنْه، يقال: صَهرتُ الشيء فانصهر؛ أي: أذبته فذابَ فهو صهير.

والمعنى: أنّه يذاب بذلك الحميم ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء ﴿وَٱلْجُلُودُ﴾ معطوفة على ما؛ أي: ويصهر به الجلود، والجملة في محل نصب على الحال؛ وقيل: إنّ الجلود لا تُذاب؛ بل تُحرق، فيقدّر فعل يناسب ذلك، ويقال: وتحرق به الجلود كما في قول الشاعر:

علفتُها تبناً وماءً بارداً(٢)

أي: وسقيتُها ماء، ولا يخفى أنّه لا ملجئ لهذا، فإن الحميم إذا كان يذيب ما في البطون فإذابته للجلد الظاهر بالأولى.

﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ المقامع(٣) جمع مِقْمَعة ومِقْمَع قمعته: ضربته بالمقمعة، وهي قطعة مِنْ حديد.

والمعنى: لهم مقامع من حديد يُضْربون بها؛ أي: للكفرة، وسميت المقامع مقامع لأنّها تقمع المضروب؛ أي: تُذلّله.

قال ابن السكّيت(٤): أقمعتُ الرجل عني إقماعاً: إذا اطلع عليك فرددته عنك ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾؛ أي: من النار ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾؛ أي: في النار بالضرب بالمقامع، و﴿مِنْ غَمٍّ﴾ بدل من الضمير في منها بإعادة الجارّ أو مفعول له؛ أي: لأجل غمٍّ شديدٍ من غموم النار ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ هو بتقدير القول؛ أي: أُعيدوا فيها؛ وقيل لهم: ذوقوا عذاب الحريق؛ أي: العذاب المُحْرق، وأصل الحريق الاسم من الاحتراق، تَحْرق الشيء بالنار واحترق حُرقةً واحتراقاً، والذّوق مماسة يحصل معها إدراك الطعم، وهو هنا توسُّع، والمراد به: إدراك الألم.

قال الزجاج(٥): وهذا لأحد الخصمين. وقال في الخصم الآخر وهم المؤمنون

---

(١) انظر: «روح المعاني» (١٧/ ٢٨٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٩٦)، و«الفريد» (٣/ ٥٢٥).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة. (٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٨٤).
(٤) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٣/ ١٢٧٢).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤١٩).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فبيّن سبحانه حال المؤمنين بعد بيانه لحال الكافرين.

ثم بيّن الله سبحانه بعضَ ما أعدّه لهم من النعيم بعد دخولهم الجنة فقال: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ قرأ الجمهور[1] (يُحلَّون) بالتشديد والبناء للمفعول، وقرئ مخففاً[2]؛ أي: يَحْلَيهم الله أو الملائكة بأمره.

و«من» في قوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ للتبعيض[3]؛ أي: يُحلّون بعض أساور، أو للبيان، أو زائدة.

و«من» في ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ للبيان[4]، والأساور جمع أَسْورة والأسورة جمع سِوُارٍ، وفي السوار لغتان[5]: كسر السين وضمها، وفيه لغة ثالثة[6]، وهي أسوار.

قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، وشيبة (ولؤلؤاً) بالنصب[7] عطفاً على محل ﴿أَسَاوِرَ﴾؛ أي: ويُحلَّون لؤلؤاً، أو بفعل مقدّر[8] ينصبه، وهكذا قرأ بالنصب يعقوب، والجَحْدري، وعيسى بن عُمر، وهذه القراءة هي الموافقة لرسم المصحف فإنّ هذا الحرف مكتوب فيه بالألف.

وقرأ الباقون بالجرّ عطفاً[9] على ﴿أَسَاوِرَ﴾؛ أي: يُحلّون مِنْ أساور ومن لؤلؤٍ، واللؤلؤ: ما يُستخرج مِنْ البحر من جوف الصَدَف.

قال القشيري[10]: والمراد ترصيع السوار باللؤلؤ، ولا يبعد أن يكون في الجنة سوار مِنْ لؤلؤ مُصْمَت كما أَنّ فيها أساور من ذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾؛ أي:

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٤٩٧)، و«التبيان» (٢/ ٩٣٨)، و«حاشية الشهاب» (٦/ ٢٩٠).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالتخفيف شاذة.
(٣) «الفريد» (٣/ ٥٢٦)، و«التبيان» (٢/ ٩٣٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٩٧).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٤٩٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٨٣)، و«الدر المصون» (٥/ ١٢٧).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) «روح المعاني» (١٧/ ٢٨٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٩٧)، و«النشر» (٢/ ٣٢٦)، و«التيسير» (ص١٥٦). الذين قرأوا بالنصب هم: نافع وعاصم وأبو جعفر ويعقوب، والباقون قرأوها بالجرِّ، ومنهم ابن كثير. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٦).
(٨) انظر: «المحتسب» (٢/ ٧٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٩٨).
(٩) «النشر» (٢/ ٣٢٦)، و«التيسير» (ص١٥٦)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٨٤).
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٤٧).

جميع ما يلبسونه حرير كما تفيده هذه الإضافة، ويجوز أَنْ يراد: أن هذا النوع من الملبوس الذي كان مُحرّماً عليهم في الدنيا حلال لهم في الآخرة، وأنه من جملة ما يلبسونه فيها، ففيها ما تشتهيه الأنفس، وكل واحد منهم يُعطى ما تشتهيه نفسُه وينال ما يريده.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾؛ أي: أُرْشدوا إليه، قيل: هو لا إلٰه إلا الله وقيل: الحمد لله؛ وقيل: القرآن؛ وقيل: هو ما يأتيهم من الله سبحانه من البشارات[١].

وقد ورد في القرآن ما يدلّ على هذا القول المجمل هنا، وهو قوله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ومعنى ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾: أنّهم أُرشدوا إلى الصراط المحمود وهو طريق الجنة، أو صراط الله الذي هو دينُه القويم، وهو الإسلام.

وقد أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة[٢] في قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ قال: هم قوم يعبدون الملائكة، ويصلّون القبلة، ويقرءون الزبور ﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾ عبدة الشمس والقمر والنيران، ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ عبدة الأوثان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ قال: الأديان ستة، فخمسة للشيطان، ودين الله ﷻ.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عَنْ عكرمة في الآية قال: فَصَل قضاءه بينهم فجعل الخمسة مشتركة، وجعل هذه الأمة واحدةً.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن ابن عباس قال: الذين هادوا: اليهود، والصابئون: ليس لهم كتاب، والمجوس: أصحاب الأصنام، والمشركون: نصارى العرب.

وأخرج البخاري، ومسلم وغيرهما عن أبي ذرّ[٥] أنه كان يقسم قسماً أن هذه

---

(١) «الوسيط» للواحدي (٣/ ٢٦٤ - ٢٦٥)، و«جامع البيان» (١٦/ ٥٠٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٨٥ - ٤٨٦)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٧٦ رقم ٦٦٢٨) بسند صحيح.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٧٨).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧).

(٥) أخرجه البخاري رقم (٣٩٦٩، ٤٧٤٣)، ومسلم رقم (٣٠٣٣) وقد تقدم.

الآية ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ الآية نزلت في الثلاثة والثلاثة الذين بارزوا يوم بدر، وهم: حمزة بن عبد المطلب وعُبيدة بن الحارث وعليّ بن أبي طالب، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، قال عليّ: وأنا أوّل مَنْ يجثو في الخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة.

وأخرَجه البخاري[1] وغيره مِنْ حديث عليّ.

وأخرجه [٣/٢٦٦] ابن مردويه[2] عن ابن عباس بنحوه.

وهكذا روي عَنْ جماعة من التابعين.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير[3] في قوله: ﴿قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ قال: من نحاس، وليس من الآنية شيء إذا حُمّي أشدّ حرّاً منه، وفي قوله: ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾ قال: النحاس يُذاب على رؤوسهم، وقوله: ﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ﴾ قال: تَسيلُ أمعاؤهم ﴿وَٱلۡجُلُودُ﴾ قال: تتناثر جلودُهم.

وأخرج عبد بن حميد، والترمذي وصححه، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن مردويه عن أبي هريرة[4] أنّه تلا هذه الآية: ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الحميم لَيُصبُّ على رءوسهم فينفذ الجُمْجمة حتى يَخلُص إلى جوفه، فيسلُتُ ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصَّهْرُ، ثم يعاد كما كان».

وأخرج ابن أبي حاتم[5] عن ابن عباس في قوله: ﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ﴾ قال: يمشون وأمعاؤهم تتساقط وجلودُهم. وفي قوله: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ﴾

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٩٦٥، ٣٩٦٧).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٤٩٤) بسند ضعيف. وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/٢٤٨١).

(٤) أخرجه الترمذي رقم (٢٥٨٢)، وعبد الله بن أحمد (ص٢٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٤٩٥)، والحاكم (٢/٣٨٧)، وأبو نعيم (٨/١٨٢، ١٨٣). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/٢٤٨١ ـ ٢٤٨٢).

قال: يُضربون بها، فيقع كلّ عضو على حياله، فيدعُون بالويل والثبور.

وأخرج ابنُ جرير[١] عنه في الآية قال: يُسْقون ماءً إذا دخل في بطونهم أذابها والجلودَ مع البطون.

وأخرج أحمد، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» والنشور عن أبي سعيد[٢] الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «لو أنَّ مقمعاً مِنْ حديد وضُع في الأرض فاجتمع الثقلان ما أقلّوه من الأرض، ولو ضُرب الجبل بمقمعٍ من حديد لتفتّت ثم عاد كما كان».

وأخرج ابن المبارك، وسعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن سلمان[٣] قال: النار سوداء مُظْلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها، ثم قرأ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾.

وفي «الصحيحين»[٤] وغيرهما عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة». وفي الباب أحاديث.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ قال: أُلهموا.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦] عن أبي العالية قال: هُدوا إلى الطيب من القول في الخصومة إذ قالوا: الله مولانا ولا مولى لكم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٩٧) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد رقم (١١٢٣٣)، وأبو يعلى رقم (١٣٨٨)، والحاكم (٤/ ٦٠٠)، والبيهقي في «البعث» رقم (٥٩٠) بإسناد ضعيف، والله أعلم.

(٣) أخرجه ابن المبارك رقم (٣١٠ ـ «زوائد نعيم بن حمّاد»)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٥٢)، وهناد في «الزهد» رقم (٢٤٨) من طريق الأعمش عن أبي ظبيان عن سلمان، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٩٨) من طريق الأعمش عن أبي ظبيان ولم يرفعه.
وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٨٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه البخاري رقم (٥٨٣٥)، ومسلم رقم (٢٠٦٩)، والترمذي رقم (٢٨١٧)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٣٤٣)، وأبو عوانة رقم (٨٤٩٨، ٨٤٩٩، ٨٥١١ ـ ٨٥١٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» رقم (٤٨٤٣)، وأحمد رقم (٢٥١).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٠٠) بسند صحيح، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٣).

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٣).

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن إسماعيل بن أبي خالد[١] في الآية قال: القرآن ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ قال: الإسلام.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الضحاك[٢] في الآية قال: الإسلام.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عن ابن زيد قال: لا إلـٰه إلا الله، والله أكبر، والحمد لله الذي قال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

[نشأة البيت الحرام]:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾.

[حجّ بيت الله الحرام]:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عطف المضارع[٤] على الماضي؛ لأن المراد بالمضارع: ما مضى مِنْ الصدّ، ومثل هذا قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٤)، وذكره ابن ابي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٣).
(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٤).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٠٠) بسند صحيح، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٣).
(٤) «روح المعاني» (١٧/ ٢٨٧)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٢٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٩٨).

﴿وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [محمد: ١ ـ النحل: ٨٨]، أو المراد بالصدّ ها هنا: الاستمرار لا مُجرّد الاستقبال، فصح بذلك عطفه على الماضي، ويجوز أن تكون الواو[١] في و﴿وَيَصُدُّونَ﴾ واو الحال؛ أي: كفروا والحال أَنْهم يصدون.

وقيل: الواو زائدة[٢] والمضارع خبر (إن) والأولى أَنْ يُقدّر خبر (إن) بعد قوله: ﴿وَٱلْبَادِ﴾ وذلك نحو: خَسِروا أَو هَلَكوا.

وقال الزجاج[٣]: إن الخبر: نُذْقه مِنْ عذاب أليم. وردّ بأنه لو كان[٤] خبراً لأن لم يُجْزَم وأيضاً لو كان خبراً لإنّ لبقي الشرط وهو ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ بغير جواب فالأولى أَنّه محذوف كما ذكرنا.

والمراد بالصدّ: المنع، وبسبيل الله: دينه؛ أي: يَمْنعون من أراد الدخول في دين الله، والمسجدِ الحرام، معطوف على سبيل الله قيل: المراد به المسجد نفسه كما هو الظاهر مِنْ هذا النظم القرآني، وقيل: الحرم كلّه؛ لأن المشركين صدّوا رسول الله ﷺ وأصحابه عَنْه يوم الحديبية.

وقيل: المراد به: مكة بدليل قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾؛ أي: جعلنّاه للناس على العموم يُصلّون فيه، ويطوفون به مستوياً فيه العاكف، وهو المُقيم فيه الملازم له والباد؛ أي: الواصل مِنْ البادية، والمراد به: الطارئ عليه مِنْ غير فرق بين كونه مِنْ أهل البادية أو من غيرهم وانتصاب ﴿سَوَآءً﴾ على أنه المفعول الثاني[٥] لجعلنّاه، وهو بمعنى مستوياً، و﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾ مرتفع به، وصف المسجد الحرام بذلك لزيادة التقريع[٦] والتوبيخ للصادّين عنه، ويحتمل أن يكون انتصاب ﴿سَوَآءً﴾ على الحال.

وهذا على قراءة النصب[٧]، وبها قرأ حَفْص عن عاصم، وهي قراءة الأعمش،

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) «التبيان» (٢/ ٩٣٨ ـ ٩٣٩)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٨٧)، و«الفريد» (٣/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٢/ ٤٢٠).
(٤) انظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٩٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٩٣).
(٥) «التبيان» (٢/ ٩٣٩)، «الفريد» (٣/ ٥٢٨). (٦) «روح المعاني» (١٧/ ٢٩١).
(٧) «التيسير» (ص١٥٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٥٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٩٩)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٩١).

وقرأ الجمهور[١] برفع (سواءٌ) على أنه مبتدأ وخبره[٢] (العاكفُ) أو على أنه خبر مُقدّم، والمبتدأ (العاكفُ)؛ أي: العاكف فيه والبادي سواء، وقرئ بنصب (سواءً) وجرّ (العاكفِ) على أنَّه صفة للنّاس؛ أي: جعلناه للناس العاكفِ والبادي سواء، وأثبت الياء في البادي ابن كثير[٣] وصلاً ووقفاً، وحذفها أبو عمرو[٣] في الوقف، وحذفها نافع في الوصل والوقف.

قال القرطبي[٤]: وأجمع النّاس على الاستواء في المسجد الحرام نفسه.

واختلفوا[٥] في مكة فذهب مجاهد، ومالك إلى أنَّ دُور مكة ومنازلها يستوي فيها المُقيم والطارئ. وذهب عمر بن الخطاب، وابن عباس، وجماعة إلى أن للقادم أَنْ ينزل حيث وجد، وعلى ربِّ المنزل أنْ يؤويه شاء أم أبى.

وذهب الجمهور[٥] إلى أنّ دور مكة ومنازلها ليست كالمسجد الحرام، ولأهلها منع الطارئ مِنْ النزول فيها.

والحاصل: أنّ الكلام في هذا راجع إلى أصلين[٦]:

الأصل الأوّل: ما في هذه الآية: هل المراد بالمسجد الحرام المسجد نفسه، أو جميع الحرم، أو مكة على الخصوص؟

والثاني: هل كان فتح مكة صُلحاً أو عنوة؟ وعلى فرض أن فتحها كان عنوة هل أقرّها النبيّ ﷺ في يد أهلها على الخصوص؟ أو جعلها لمن نزل بها على العموم؟ وقد أوضحنا هذا في شرحنا على المنتقى[٧] بما لا يحتاج الناظر فيه إلى زيادة.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «جامع البيان» (١٦/ ٥٠٤). نصب (سواءً) مع جر (العاكفِ) قراءة شاذة، وقراءة حفص بالنصب وباقي العشرة برفع (سواءٌ) وأما (العاكف) فهو مرفوع عند جميع العشرة.

(٣) أثبت ورش عن نافع وأبو عمرو وأبو جعفر الياء حال الوصل لا الوقف وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب وحذفها الباقون في الحالين «النشر» (٢/ ١٨٣)، «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٥٥)، و«التيسير» (ص١٥٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٩٩).

(٤) في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٥).

(٥) انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ١٢٦٣)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٧٦)، و«فتح الباري» (٨/ ٨).

(٦) «المحرر الوجيز» (١١/ ١٩٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٥١)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ١٢٦٣).

(٧) «نيل الأوطار» (١٤/ ٢٩٩ ـ ٣١٨)، ط. ابن الجوزي.

﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ مفعول يردُ محذوف لقصد التعميم، والتقدير: ومَنْ يرد فيه مُرادٍ؛ أيّ مُرادٍ بإلحاد؛ أي: بعدول عَنْ القصد، والإلحاد في اللغة[1]: الميل إلا أنه سبحانه بيّن هنا أنَّه الميل بظلم.

[اختلف في ماهية هذا الظلم]:

وقد اختُلف في هذا الظلم ماذا هو؟ فقيل[2]: هو الشركُ؛ وقيل: الشرك والقتل؛ وقيل: صيد حيواناته وقطع أشجاره، وقيل: هو الحلف فيه بالأَيمان الفاجرة، وقيل: المراد المعاصي فيه على العموم، وقيل: المراد بهذه الآية أنه يعاقب بمجرد الإرادة للمعصية في ذلك المكان.

وقد ذهب إلى هذا ابن مسعود، وابن عمر، والضحاك، وابن زيد وغيرهم حتى قالوا: لو همّ الرجل في الحرم بقتل رجل[3] بعدن لعذّبه الله.

والحاصل: أنَّ هذه الآية دلت على أن من كان في البيت الحرام مأخوذاً بمجرّد الإرادة للظلم، فهي مخصّصة لما ورد من أن الله غفر لهذه الأمة ما حدّثت به أنفسها إلا أنْ يقال: إنّ الإرادة فيها زيادة على مجرّد حديث النفس.

وبالجملة فالبحث عَنْ هذا وتقرير الحق فيه على وجه يجمع بين الأدلة ويرفع الإشكال يطول جدّاً، ومثل هذه الآية حديث: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»[4]، فدخل النار هنا بسبب مجرّد حرصه على قتل صاحبه.

وقد أفردنا هذا البحث برسالةٍ[5] مستقلة.

---

(١) «الصحاح» (٢/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥)، و«تهذيب اللغة» (٤/ ٤٢١).

(٢) «معالم التنزيل» (٣/ ٢٨٣).

(٣) أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٠٨) من طريق شعبة عن السُّديِّ، عن مُرّة عن عبد الله قال مجاهد: قال يزيد: قال لنا شعبة: رفَعه، وأنا لا أرفعه في قول الله: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ قال: «لو أن رجلاً همَّ فيه بسيئة وهو بِعَدن أبين، لأذاقه الله عذاباً أليماً» بسند حسن.

وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٠٨)، وأحمد رقم (٤٠٧١)، والبزار رقم (٢٠٢٤)، وأبو يعلى رقم (٥٣٨٤)، والطبراني رقم (٩٠٧٨) من طريق السُّدي، به. وسنده حسن.

(٤) أخرجه البخاري رقم (٣١).

(٥) هي رسالة «رفع البأس عن حديث النفس والهمِّ والوسواس» طبعت ضمن «الفتح الرباني» (٤/ ١٧٣٥) وطبعت مفردة بتحقيق علي رضا.

والباء في قوله: ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ إن كان مفعول ﴿يُرِدْ﴾ محذوفاً كما ذكرنا فليست بزائدة؛ وقيل: إنها زائدة هنا كقول الشاعر:

نحنُ بنو جُعدةُ أصحابُ الفَلَجْ نضرب بالسيفِ ونرجو بالفَرَجْ[١]

أي: نرجو الفَرَج، ومثله:

ألم يأتيك والأنباءُ تَنْمى بما لاقَتْ لبونُ بني زياد[٢]

أي: ما لاقتْ، ومِنْ القائلين بأنّها زائدة الأخفش[٣]، والمعنى عنده: ومَنْ يُرد فيه إلحاداً بظلم.

وقال الكوفيون[٤]: دخلت الباء؛ لأنّ المعنى: بأنْ يلحد، والباء مع أن تدخل وتحذف، ويجوز أن يكون التقدير: ومَنْ يرد النّاسَ بإلحاد؛ وقيل: إن يرد مضمن معنى يهمّ، والمعنى: ومَنْ يهمّ فيه بإلحاد.

وأما الباء في قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ فهي للسببية[٥]، والمعنى: ومَنْ يُرد فيه بإلحاد بسبب الظُلم، ويجوز أن يكون ﴿بِظُلْمٍ﴾ بدلاً من ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ بإعادة الجارّ، ويجوز أن يكونا حالين مترادفين. ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أي: واذكر وقت ذلك، يقال: بوّأتُه منزلاً وبوّأتُ له كما يقال: مكنتُك ومكنت لك.

قال الزجّاج[٦]: معناه: جعلنا مكان البيت مُبوّأ لإبراهيم، ومعنى ﴿بَوَّأْنَا﴾: بيّنا له مكانَ البيت، ومثلُه قول الشاعر:

كم من أخ لي ماجدٍ بوّأتُه بيديَّ لحداً[٧] [٣/٢٦٧]

وقال الفراء[٨]: إن اللام زائدة ومكان ظرف؛ أي: أنزلناه فيه ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ قيل: إنّ هذه هي مفسِّرة لبوّأنا لتضمنه معنى: تعبّدنا؛ لأنّ التبوئة هي للعبادة.

وقال أبو حاتم[٩]: هي مصدرية؛ أي: لأنْ لا تُشرك[١٠] بي؛ وقيل: هي المخففة

---

(١) هو للنابغة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص٢١٦).
(٢) هو لقيس بن زهير.
(٣) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٣٦).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٩٤).
(٥) «الفريد» (٣/ ٥٢٨)، و«التبيان» (٢/ ٩٣٩)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٩٢).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٢٢).
(٧) انظره في: «خزانة الأدب» (١١/ ٢١٩) لعمرو بن معدي كرب.
(٨) في «معاني القرآن» (٢/ ٢٢٣).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٩).
(١٠) أي: لا بد من نصب الكاف في هذه القراءة، «القراءات الشاذة» (ص٩٥).

من الثقيلة، وقيل: هي زائدة؛ وقيل: معنى الآية: وأوحينا إليه أَنْ لا تعبد غيري.

قال المبرِّد[(١)]: كأنه قيل له: وحِّدني في هذا البيت؛ لأن معنى لا تشرك بي: وحِّدني ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ مِنْ الشرك وعبادة الأوثان.

وفي الآية طعنٌ على ما أشرك مِنْ قُطّان البيت؛ أي: هذا كان الشرط على أبيكم فمن بعده وأنتم فلم تفوا؛ بل أشركتمُ.

وقالت فرقة: الخطاب بقوله: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾ لمحمد ﷺ وهذا ضعيف جدّاً[(٢)].

ومعنى ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ تطهيره مِنْ الكفر، والأوثان، والدماء وسائر النجاسات، وقيل: عنى به التطهير عن الأوثان فقط، وذلك أن جُرْهماً والعمالقة كانت لهم أصنام في محلّ البيت.

وقد مرّ في سورة براءة ما فيه كفاية في هذا المعنى، والمراد بالقائمين هنا: هم المُصلّون وذكر ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ بعده لبيان أركان الصلاة دلالة على عظم شأن هذه العبادة، وقَرن الطواف بالصلاة لأنّهما لا يُشرعان إلَّا في البيت، فالطواف عنده والصلاة إليه ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ قرأ الحسن وابن محيصن (وآذن) بتخفيف[(٣)] الذال والمدّ. وقرأ الباقون بتشديد[(٤)] الذال، والأذان: الإِعلام، وقد تقدّم في براءة.

قال الواحدي[(٥)]: قال جماعة المفسِّرين: لما فرغ إبراهيم مِنْ بناء البيت جاءه جبريل فأمره أنْ يؤذّن في الناس بالحج، فقال: يا ربّ مَنْ يبلّغ صوتي؟ فقال الله سبحانه: أذّن وعليّ البلاغ، فعلا المقامَ فأشرف به حتى صار كأعلى الجبال، فأدخل أصبعيه في أُذنيه، وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً وقال: يا أيُّها الناسُ كُتب عليكم الحجّ إلى البيت فأجيبوا ربّكم، فأجابه مَنْ كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء: لبيك اللّهُمَّ لبيك؛ وقيل: إنَّ الخطاب لنبيِّنا محمد ﷺ.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٦٦).
(٢) «المحرر الوجيز» (١١/ ١٩٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٥٩).
(٣) «المحرر الوجيز» (١١/ ١٩٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٠١)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٠٠).
هي قراءة شاذة والذي في الاتحاف ص(٣١٤) أن ابن محيض قرأ (أَذَنَ) على أنه فعل ماضٍ.
(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٥٠١)، و«التبيان» (٢/ ٩٤٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٦٠)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٠٠).
(٥) في «الوسيط» (٣/ ٢٦٦).

والمعنى: أعلِمهم يا محمد بوجوب الحجّ عليهم، وعلى هذا فالخطاب لإبراهيم انتهى عند قوله: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ وقيل: إنّ خطابه انقضى عند قوله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ وأن قوله: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى﴾ وما بعده خطاب لنبينا محمد ﷺ.

وقرأ الجمهور (بالحَجّ) بفتح الحاء[1].

وقرأ ابن أبي إسحاق في كل القرآن بكسرها[2] ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ هذا جواب الأمر، وعده الله إجابة الناس له إلى حجّ البيت ما بين راجلٍ وراكب، فمعنى ﴿رِجَالًا﴾: مُشاة جمع راجل؛ وقيل: جَمْع رَجْل.

وقرأ ابن أبي إسحاق (رجالاً) بضم الراء[3] وتخفيف الجيم، وقرأ مجاهد[4] (رجالى) على وزن فُعالى؛ مثل: كُسَالى، وقدّم الرجال على الركبان في الذكر لزيادة تعبهم في المشي.

وقال: ﴿يَأْتُوكَ﴾ وإنْ كانوا يأتون البيت؛ لأنّ مَنْ أتى الكعبة حاجّاً فقد أتى إبراهيم؛ لأنّه أجاب نداءه ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ عطف على ﴿رِجَالًا﴾؛ أي: وركباناً على كلِّ بعير، والضامر البعير المَهْزول الذي أتعبه السفرُ، يقال: ضَمُر يَضْمُر ضُموراً، ووصف الضامر بقوله: ﴿يَأْتِينَ﴾ باعتبار المعنى؛ لأنّ ضامر في معنى ضوامر، وقرأ أصحاب[5] ابن مسعود، وابن أبي عبلة، والضحاك (يأتونَ) على أنه صفة لرجالاً.

والفجّ: الطريقُ الواسع الجمع فجاج، والعميق البعيد، واللام في ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ متعلقة بقوله ﴿يَأْتُوكَ﴾؛ وقيل: بقوله: ﴿وَأَذِّن﴾، والشهود الحضور، والمنافع هي تعمّ منافع الدنيا والآخرة.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٦٢)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٣٩٧)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ١٩٥).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة شاذة.

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٩٥)، و«المحتسب» (٢/ ٧٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٠١). وهي قراءة شاذة.

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٩٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٦٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٠١). وهي قراءة شاذة.

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٩٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٠١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٦٣). وهي شاذة.

وقيل: المراد بها المناسك، وقيل: المغفرة؛ وقيل: التجارة كما في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]. ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾؛ أي: يذكروا عند ذبح الهدايا والضحايا اسمَ الله.

وقيل: إنّ هذا الذكر كناية عن الذبح؛ لأنّه لا ينفك عنه.

والأيام المعلومات هي: أيامُ النّحْر كما يفيد ذلك قوله: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وقيل: عَشْر ذي الحجة.

وقد تقدّم الكلام في الأيام المعلومات والمعدودات في البقرة فلا نعيده، والكلام في وقت ذبح الأضحية معروف في كتب الفقه وشروح الحديث.

ومعنى: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾: على ذبح ما رزقهم من بهيمة الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم، وبهيمة الأنعام هي الأنعام فالإضافة في هذا كالإضافة في قولهم: مسجد الجامع، وصلاة الأولى. ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ الأمر هنا للنّدب عند الجمهور[١]، وذهبت طائفة إلى أن الأمر للوجوب، وهذا التفات[٢] مِنْ الغيبة إلى الخطاب ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ البائس: ذو البؤس وهو: شدةُ الفقر، فذكر الفقير بعده لمزيد الإيضاح، والأمر هُنا للوجوب؛ وقيل: للندب. ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ المراد بالقضاء هنا هو: التأدية؛ أي: ليؤدّوا إزالة وسخِهم؛ لأنّ التفثَ هو: الوسَخُ والقذارة مِنْ طول الشعر والأظفار.

وقد أجمع المفسرون كما حكاه النيسابوري[٣] على هذا.

قال الزجاج[٤]: إنّ أهل اللغة لا يعرفون التفث. وقال أبو عبيدة[٥]: لم يأت في الشعر ما يحتجّ به في معنى التفث.

وقال المبرّد[٦]: أصل التفث في اللّغة[٧]: كلُّ قاذورة تَلْحق الإنسان، وقيل:

---

(١) «المجموع شرح المهذب» (٨/ ٣٩٦)، و«المغني» (٥/ ٤٣٥)، و«الاستذكار» (١٢/ ٢٨٣).
(٢) «روح المعاني» (١٧/ ٣٠٥)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٢١).
(٣) في «غرائب القرآن» (١٧/ ٩٥).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤).
(٥) ذكره النيسابوري في «غرائب القرآن» (١٧/ ٩٥).
(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، و«النكت والعيون» (٤/ ٢٠).
(٧) «تهذيب اللغة» (٤/ ٢٦٦).

قضاؤه ادّهانه لأنّ الحاج مغبّر شَعث لم يدهن ولم يستحدّ، فإذا قضى نسكه وخرج مِنْ إحرامه حلَق شعره، ولبس ثيابه، فهذا هو قضاء التفث.

قال الزجاج(١): كأنّه خروج مِنْ الإحرام إلى الإحلال.

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾؛ أي: ما ينذرون به مِنْ البرّ في حجّهم، والأمر للوجوب، وقيل: المراد بالنذور هنا: أعمال الحج. ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ هذا الطواف هو طواف الإفاضة.

قال ابن جرير(٢): لا خلاف في ذلك بين المتأوّلين، وَالعتيق: القديم كما يفيده قوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ الآية [آل عمران: ٩٦]، وقد سُمّي العتيق لأنّ الله أعتقه مِنْ أن يتسلّط عليه جبار؛ وقيل: لأن الله يعتق فيه رقاب المذنبين مِنْ العذاب؛ وقيل: لأنه أُعتق من غرق الطوفان؛ وقيل: العتيق: الكريم.

وقد أخرج عبد بن حميد(٣) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قال: الحرم كلُّه، وهو المسجد الحرام ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ قال: خَلْقُ الله فيه سواء.

وأخرج ابن أبي شيبة(٤) عن سعيد بن جبير مثلَه.

وأخرج ابن أبي حاتم(٥) عن ابن عباس في الآية قال: هم في منازل مكة سواء، فينبغي لأهل مكة أن يوسّعوا لهم حتى يقضوا مناسكَهم. وقال: البادي وأهل مكة سواء، يعني: في المنزل والحرم.

وأخرج ابن أبي شيبة(٦) عن عبد الله بن عمرو قال: مَنْ أخذ من أجور بيوت مكة إنما يأكل في بطونه ناراً.

وأخرج ابن سعد(٧) عن عمر بن الخطاب، أَنّ رجلاً قال له عند المروة: يا أمير المؤمنين أقطعني مكاناً لي ولعقبي، فأعرض عنه عُمر وقال: هو حرم الله سواء العاكف فيه والباد.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٢٤). (٢) في «جامع البيان» (١٦/ ٥٣٣).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٤).
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٧٩).
(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٣).
(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٧٩).
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥).

وأخرج ابن أبي شيبة[(١)] عن عطاء قال: كان عمر يمنع أهل مكة أن يجعلوا لها أبواباً حتى يَنزِل الحاجّ في عَرَصات الدُّور.

وأخرج ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، قال السيوطي[(٢)]: بإسناد صحيح عن ابن عباس[(٣)] قال: قال رسول الله ﷺ في قوله الله: «﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾ قال: «سواء المقيمُ والذي يرحل».

وأخرج ابن مردويه[(٤)] عن ابن عمر، أن النبيّ ﷺ قال: «مكة مُباحة لا تؤجَّر بيوتها، ولا تباع رباعها».

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن ماجه، عن علقمة بن نَضْلة[(٥)] قال: تُوفِّي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وما تُدْعى رباع مكة إلا السّوائب، من احتاح سكن ومن استغنى أسْكن.

رواه ابن ماجه[(٦)]، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عيسى بن يونس، عن عمر بن سعيد بن أبي حفرة، عن عثمان بن أبي سليمان، عن علقمة فذكره.

وأخرج الدارقطني[(٧)] عن ابن عمر مرفوعاً: «مَنْ أكل كراء بيوت مكة أكل ناراً».

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن راهويه، وأحمد، وعبد بن حُميد، والبزار، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن مسعود[(٨)] رفعه في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (ص٣٧١. القسم الأول من الجزء الرابع).
(٢) في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦).
(٣) أخرجه الطبراني رقم (١٢٤٩٦) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠): فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز وهو ضعيف، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٣).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦).
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (ص٣٧٢. القسم الأول من الجزء الرابع)، وابن ماجه رقم (٣١٠٧). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.
(٦) انظر: التعليقة المتقدمة.
(٧) أخرجه الدارقطني في «السنن» (٢/ ٢٩٩، ٣٠٠) و(٣/ ٥٧) وقال: الصحيح أنه موقوف.
(٨) أخرجه إسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية رقم (٤٠٤٦)، وأحمد رقم (٤٠٧١)، والبزار في «مسنده» رقم (٢٠٢٤)، وأبو يعلى رقم (٥٣٨٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٠٨) بسند حسن.

﴿بِإِلْحَادِ بِظُلْمٍ﴾ قال: «لو أنَّ رجلاً همّ فيه بإلحاد وهو بعدن أبين لأذاقه الله عذاباً أليماً».

قال ابنُ كثير[(١)]: هذا الإسناد صحيح على شرط البخاري، ووقفه أشبه من رفعه، ولهذا صمّم شعبةُ على وقفه.

وأخرج سعيد بن منصور، والطبراني عن ابن مسعود[(٢)] في الآية قال: مَنْ همّ بخطيئة فلم يعملها في سوى البيت، لم تكتب عليه حتى يعملَها، ومن همّ بخطيئة في البيت لم يمته الله من الدنيا حتى يُذيقه مِنْ عذاب أليم.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٣)] عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أُنيس: أن رسول الله ﷺ بعثه مع رجلين، أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار، فافتخروا في الأنساب، فغضب عبد الله بن أُنيس، فقتل الأنصاريَّ ثم ارتدّ عن الإسلام، وهرب إلى مكة، فنزلت فيه ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادِ بِظُلْمٍ﴾ يعني: مَنْ لجأ إلى الحرم بإلحادٍ، يعني: بميل عن الإسلام.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[(٤)] عنه في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادِ بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك.

وأخرج عبد بن حميد، والبخاري في «تاريخه»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن يعلى بن أمية[(٥)]، عن رسول الله ﷺ قال: «احتكار الطعام في الحرم إلحادٌ فيه».

وأخرج سعيد بن منصور، والبخاري في «تاريخه»، وابن المنذر عن عمر[(٦)] بن الخطاب قال: «احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم».

---

(١) في «تفسيره» (١٠/ ٣٨).
(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٩٠٧٨) بسند حسن.
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٤).
وأخرجه ابن كثير في «تفسيره» (١٠/ ٣٨) من طريق ابن لهيعة، به.
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧) بسند صحيح.
(٥) أخرجه البخاري في «تاريخه» (٧/ ٢٥٥)، وأبو داود رقم (٢٠٢٠). وهو حديث ضعيف، والله أعلم، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٤).
(٦) أخرجه البخاري في «تاريخه» (٧/ ٢٥٥، ٢٥٦).

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن ابن عمر[(١)] قال: بيع الطعام بمكة إلحاد.

وأخرج البيهقي[(٢)] في «الشُّعَب» عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «احتكار الطعام بمكة إلحاد».

وأخرج ابن جرير، والحاكم وصحّحه، عن عليّ[(٣)] قال: لما أمر إبراهيم ببناء البيت خرج معه إسماعيل وهاجر، فلما قدم مكة رأى على رابية في موضع البيت مثل الغَمامة فيه مثلُ الرأس، فكلّمه فقال: يا إبراهيم ابْنِ على ظلِّي أو: على قَدْري ولا تَزِدْ ولا تَنقُص، فلما بَنى خرج وخَلّف إسماعيل وهاجر، وذلك حين يقول الله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية.

وأخرج ابن [٣/٢٦٨] أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عطاء[(٤)] ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ قال: المصلّين عنده.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، عن قتادة معناه[(٥)].

وأخرج ابن أبي شيبة في «المُصنّف»، وابن منيع، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «السنن» عن ابن عباس[(٦)] قال: لما فرغ إبراهيمُ من بناء البيت قال: ربِّ قد فرَغْتُ، فقال: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ قال: ربِّ وما يبلُغ صوتي؟ قال: أذِّن وعليَّ البلاغ، قال: ربّ كيف أقول؟ قال:

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٤).

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (١١٢٢١).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢/ ٥٦٠)، والحاكم (٢/ ٥٥١)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٨٥): على هذا السياق أنّه بنى البيت قبل أن يفارقهما، وقد يحتمل ـ إن كان محفوظاً ـ أن يكون أولاً وضع له حوطاً وتحجيراً؛ لا أنّه بناه إلى أعلاه، حتى كبر إسماعيل فبنياه معاً، كما قال الله تعالى.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٨ رقم ١٢٠٩) من طريق أبي حمزة، به.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥١٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٦) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٥١٨)، وابن منيع كما في «المطالب العالية» رقم (١١٩٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥١٤، ٥١٥)، والحاكم (٢/ ٣٨٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ١٧٦)، وانظر: «فتح الباري» (٣/ ٤٠٩).

قل: يا أيها النّاسُ كُتِب عليكم الحجُّ إلى البيت العتيق، فسمعه مَنْ في السماء والأرض، ألا ترى أنهم يَجيئون من أقصى الأرض يُلبّون. وفي الباب آثار عن جماعة من الصحابة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ قال: أسواقاً كانت لهم، ما ذكر الله منافع إلا الدنيا.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عنه قال: منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة، فأما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فمما يصيبون مِنْ لحوم البُدن في ذلك اليوم والذبائح والتجارات.

وأخرج أبو بكر[٣] المروزي في «كتاب العيدين» عنه أيضاً قال: الأيام المعلومات: أيام العشر.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٤] عنه أيضاً قال: الأيام المعلومات: يوم النحر وثلاثة أيام بعده.

وأخرج ابنُ جرير[٥] عنه أيضاً قال: أيام التشريق.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر[٦] عنه أيضاً في الأيام المعلومات قال: قبل يوم التروية بيوم، ويوم التروية ويوم عرفة.

وأخرج ابن جرير[٧] عنه أيضاً قال: البائس: الزَّمِن.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن ابن عمر[٨] قال: التفث: المناسك كلُّها.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٢٠) بأسانيد يقوي بعضها بعضاً.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٨).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٧).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٧)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٥).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣) بسند ضعيف.

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥) بسند ضعيف.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٢٦)، وابن أبي شيبة (٤/ ٨٤) من طريق الأشعث، به.

وأخرج هؤلاء عن ابن عباس[(١)] نحوه.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حُميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٢)] قال: التفث: حلقُ الرأس، والأخذ من العارضين، ونتف الإبط، وحلق العانة، والوقوف بعرفة، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، وقصّ الأظفار، وقصّ الشارب والذبح.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[(٣)] ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ هو طواف الزيارة يوم النحر.

وورد في وجه تسمية البيت بالعتيق آثار عَنْ جماعة من الصحابة، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً، وورد في فضل الطواف أحاديث ليس هذا موضع ذكرها.

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

محل ﴿ذَلِكَ﴾ الرفع[(٤)] على أنّه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر ذلك، أو مبتدأ خبره محذوف أو في محل نصب بفعل محذوف؛ أي: افعلوا ذلك، والمشار إليه هو ما سبق مِنْ أعمال الحجّ.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٥٢٨)، وابن أبي شيبة (٤/٨٤) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٥٢٦)، وابن أبي شيبة (٤/٨٥) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٥٣٢) بلفظ: «يعني: زيارة البيت» وسنده صحيح.
(٤) «التبيان» (٢/٩٤٠)، و«الفريد» (٣/٥٣٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/٩٨).

وهذا وأمثاله يُطلق[١] للفصل بين الكلامين أو بين طرفي كلام واحد، والحرمات جَمْعُ حُرْمة.

قال الزجاج[٢]: الحُرمة ما وجب القيام به وحَرَّمَ التفريط فيه، وهي في هذه الآية ما نهي عنها ومنع مِنْ الوقوع فيها.

والظاهر من الآية: عموم كلِّ حرمة في الحج وغيره كما يفيده اللفظ وإن كان السبب خاصاً، وتعظيمها ترك ملابستها ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾؛ أي: فالتعظيم خير له ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾ يعني: في الآخرة مِنْ التهاون بشيء منها.

وقيل: إنّ صيغة التفضيل هنا لا يُراد[٣] بها معناها الحقيقي؛ بل المراد: أن ذلك التعظيم خيرٌ ينتفع به، فهي عدةٌ بخير ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ وهي: الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: في الكتاب العزيز من المحرّمات، وهي الميتة وما ذكر معها في سورة المائدة؛ وقيل في قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ١]. ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ الرِّجْس: القذر، والوثَن: التمثال، وأصله مِنْ وثَنَ الشيء؛ أي: أقام في مقامه، وسُمّي الصليب وثناً؛ لأنّه يُنْصَب ويُركَز في مقامه، فلا يبرح عنه، والمراد: اجتناب عبادة الأوثان، وسمّاها رجساً لأنها سبب الرجس وهو العذاب؛ وقيل: جعلها سبحانه رجساً حكماً[٤]، والرجس: النَّجَس، وليست النجاسة وصفاً ذاتيّاً لها ولكنها وصف شرعي، فلا تزول إلا بالإيمان كما أنها لا تزول النجاسة الحسية إلا بالماء.

قال الزجاج[٥]: «مِنْ» هنا لتخليص جنس مِنْ أجناس؛ أي: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثَنٌ ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ الذي هو الباطل، وسُمّي زوراً؛ لأنه مائل

---

(١) أي: هذا وأمثاله من أسماء الإشارة يطلق للفصل بين الكلامين أو بين وجهي كلام واحد. والمشهور من ذلك هذا، كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٥٥].
وقال الألوسي في «روح المعاني» (١٧/ ٣٠٩): واختيار «ذلك» هنا، لدلالته على تعظيم الأمر وبعد منزلته، وهو من الاقتضاب الغريب من التخلّص لملاءمة ما بعده لما قبله. وقيل: هو في موضع نصب بفعل محذوف؛ أي: امتثلوا ذلك.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٢٢).

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٥٠٤).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٨٦)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ١٢٧٢).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥).

عن الحق، ومنه قوله تعالى: ﴿تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ [الكهف: ١٧]. وقولهم مدينة زوراء؛ أي: مائلة، والمراد هنا: قول الزُّور على العموم، وأعظمه الشرك بالله بأيّ لفظ كان.

وقال الزجّاج[١]: المراد بقول الزور ها هنا: تحليلهم بعض الأنعام وتحريمهم بعضها، وقولهم: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: ١١٦]؛ وقيل: المراد به: شهادة الزور، وانتصاب ﴿حُنَفَآءَ﴾ على الحال[٢]؛ أي: مستقيمين على الحق، أو مائلين إلى الحق.

ولفظ حنفاء مِنْ الأضداد[٣] يقع على الاستقامة، ويقع على الميل؛ وقيل: معناه: حُجّاجاً، ولا وجه لهذا.

﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ هو حال كالأوّل؛ أي: غير مشركين به شيئاً مِنْ الأشياء كما يفيده الحذف من العموم.

وجملة ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مبتدأة[٤] مؤكِّدة لما قبلها من الأمر بالاجتناب.

ومعنى: ﴿خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: سَقَط إلى الأرض؛ أي: انحطّ مِنْ رفيع الإيمان إلى حضيض الكفر ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾، يقال: خطفه يخطفُه إذا سلبه، ومنه قوله: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [البقرة ٢٠]؛ أي: تخطف لحمَه وتقطّعه بمخالبها.

قرأ أبو جعفر ونافع بتشديد الطاء[٥] وفتح الخاء، وقُرِئ بكسر الخاء[٦] والطاء، وبكسر التاء[٧] مع كسرهما ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾؛ أي: تَقْذفه وترمي به ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾؛ أي: بعيد، يقال: سحق يسحق سَحْقاً فهو سَحيق: إذا بَعُد.

قال الزجاج[٨]: أعلم الله أن بُعدَ مَنْ أشرك به من الحقّ كبعد ما خرّ من

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٢٥). (٢) «الفريد» (٣/ ٥٣٣)، و«التبيان» (٢/ ٩٤١).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٨٧).
(٤) «روح المعاني» (١٧/ ٣١٢)، و«التبيان» (٢/ ٩٤١)، و«الفريد» (٣/ ٥٣٣).
(٥) «النشر» (٢/ ٣٢٦)، و«التيسير» (ص١٥٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣١٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٠٥). في كلمة (فتخطفه) القراءة بسكون الخاء وفتح الطاء وكذلك بفتح الخاء والطاء مشدّدة ومع كسر التاء فشاذتان.
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) «القراءات الشاذة» (ص٩٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٠٥)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣١٢).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٢٥).

السماء، فتذهب به الطير أو هوت به الريح في مكان بعيد ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ الكلام في هذه الإشارة قد تقدّم قريباً.

والشعائر: جمع الشَّعيرة، وهي كلُّ شيء فيه لله تعالى شَعار، ومنه شعار القوم في الحرب، وهو علامتُهم التي يتعارفون بها، ومنه إِشْعار البُدن، وهو الطعن في جانبها الأيمن، فشعائر الله: أعلامُ دينه، وتدخل الهدايا في الحجّ دخولاً أوّليّاً.

والضمير في قوله: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ راجع إلى الشعائر[1] بتقدير مضاف محذوف؛ أي: فإنّ تعظيمها مِنْ تقوى القلوب؛ أي: من أفعال القلوب التي هي مِنْ التقوى، فإن هذا التعظيم ناشئ مِنْ التقوى ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾؛ أي: في الشعائر على العموم، أو على الخصوص، وهي البُدنَ كما يدلّ عليه السياق.

ومِنْ منافعها: الركوب والدَرّ والنّسل والصوف وغير ذلك ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقت نحرها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾؛ أي: حيثُ يَحلّ نحرها.

والمعنى: أنَّها تنتهي[2] إلى البيت وما يليه مِنْ الحرَم، فمنافعهم الدنيوية المستفادة منها مستمرّة إلى وقت نَحْرها، ثم تكون منافعها بعد ذلك دينية، وقيل: إن محلها ها هنا مأخوذ مِنْ إحلال الحرام، والمعنى: أن شعائر الحجّ كلها من الوقوف بعرفة، ورمي الجمار، والسعي تنتهي إلى طواف الإفاضة بالبيت، فالبيت على هذا مراد بنفسه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ المنْسَك ها هنا المصدر مِنْ نَسَك يَنْسُك: إذا ذَبح القُربان، والذبيحة: نَسيكة، وجمعها نُسُك.

وقال الأزهري[3]: إنّ المراد بالمنسك في الآية: موضع النحر، ويقال: منسِك بكسر السين وفتحها لغتان قرأ بالكسر الكوفيون[4] إلَّا عاصماً وقرأ الباقون[5] بالفتح.

وقال الفرّاء[6]: المَنْسك في كلام العرب: الموضع المعتاد في خير أو شرّ،

---

(١) «جامع البيان» (١٦/ ٥٣٩). (٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٩٠).
(٣) «تهذيب اللغة» (١٠/ ٧٤).
(٤) «التيسير» (ص١٥٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٩١).
(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٥٠٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٩١)، و«النشر» (٢/ ٣٢٦)، و«التبيان» (٢/ ٩٤١).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٠).

وقال ابن عرفة[(١)]: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾؛ أي: مَذْهباً من طاعة الله. وروي عَنْ الفراء[(٢)] أن المنسك: العيد؛ وقيل: الحجّ، والأوّل أولى لقوله: ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ إلى آخره، والأمة: الجماعة المجتمعة على مذهب واحد.

والمعنى: وجعلنا لكلِّ أهل[(٣)] دين من الأديان ذبحاً يذبحونه، ودماً يُريقونه، أو مُتعبَّداً أو طاعةً أو عيداً أو حجّاً يحجونه، ليذكروا اسم الله وحدَه، ويجعلوا نسكهم خاصاً به ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾؛ أي: على ذبح ما رزقهم منها، وفيه إشارة إلى أنَّ القربان لا يكون إلا مِنْ الأنعام دون غيرها، وفي الآية دليل على أن المقصود مِنْ الذبح المذكور هو ذكرُ اسم الله عليه [٣/٢٦٩].

ثم أخبرهم سبحانه بتفرّده بالإلٰهية وأنه لا شريك له، والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، ثم أمرهم بالإسلام له، والانقياد لطاعته وعبادته، وتقديم الجار[(٤)] والمجرور على الفعل للقصر، والفاء هنا كالفاء التي قبلها، ثُمّ أمر رسوله ﷺ بأن يبشر ﴿الْمُخْبِتِينَ﴾ مِنْ عباده؛ أي: المتواضعين[(٥)] الخاشعين المُخْلصين، وهو مأخوذ مِنْ الخَبْتِ، وهو المنخفض[(٦)] مِنْ الأرض.

والمعنى: بشرهم يا محمد بما أعدّ الله لهم مِنْ جزيل ثوابه، وجليل عطائه؛ وقيل: إنَّ المخبتين هم الذين لا يَظْلمون غيرَهم وإذا ظلمهم غيرهم لم ينتصروا[(٧)]، ثم وصف سبحانه هؤلاء المخبتين بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: خافت وحذرتْ مخالفته، وحصول الوجل منهم عند الذكر له سبحانه دليل على كمال يقينهم، وقوّة إيمانهم، ووصفهم بالصبر ﴿عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾ مِنْ البلايا والمحن في طاعة الله، ثم وصفهم بإقامة ﴿الصَّلَاةِ﴾؛ أي: الإتيان بها في أوقاتها على وجه الكمال.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٩٢)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٥٠٨).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٩٢)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٥٠٨).

(٣) «جامع البيان» (١٦/ ٥٤٩).

(٤) «روح المعاني» (١٧/ ٣٢١)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٢٥).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٩٢). (٦) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٧٢).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٥١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٥٧٨)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٨٠٨٨) بسند حسن من طريق عثمان بن عبد الله بن أوس، عن عمرو بن أوس.

قرأ الجمهور ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بالجرّ[١] على ما هو الظاهر، وقرأ أبو عَمْرو بالنصب[٢] على توهّم بقاء النون، وأنشد سيبويه[٣] على ذلك قول الشاعر:

الــحــافــظُ عــورةَ الــعــشــيــرةِ[٤]

البيت بنصب عورة.

وقيل: لم يقرأ بهذه القراءة أبو عمرو[٥]، وقرأ ابن مُحَيصن (والمقيمين) بإثبات النون على الأصل، ورُويت[٦] هذه القراءة عن ابن مسعود. ثم وصفهم سبحانه بقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾؛ أي: يتصدّقون به وينفقونه في وجوه البرّ، ويضعونه في مواضع الخير، ومثل هذه الآية قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٧] في قوله: ﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال: الحُرْمة: مكةُ والحجّ والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها.

وأخرج ابن جرير[٨] عن ابن عباس في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ يقول: اجتنبوا طاعة الشيطان في عبادة الأوثان ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ يعني: الافتراء على الله والتكذيب به.

وأخرج أحمد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن أيمن بن

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٥٠٨)، و«التبيان» (٢/ ٩٤٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٠٢).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص٩٥)، و«المحتسب» (٢/ ٨٠).
(٣) في الكتاب (١/ ١٨٦، ٢٠٢)، وعزاه لرجل من الأنصار.
(٤) وعجزه:
.... لا يــأتــيــهــم مــن ورائــنــا نَــطَــفُ
وهو لعمرو بن امرئ القيس، «خزانة الأدب» (٤/ ٢٨٣).
(٥) أي: أنَّ القراءة المتواترة عن أبي عمرو، كقراءة الجماعة.
(٦) انظر: «القراءات الشاذة» (ص٩٥)، و«المحتسب» (٢/ ٨٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٠٨).
قرأ العشرة بحذف النون وجر الصلاة وغير هذا فهي قراءات شاذة، والرواية عن أبي عمرو شاذة وكذا ما روى عن ابن محيصن فشاذ.
(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٣٤) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٣٥، ٥٣٦) بسند ضعيف.

خريم[١] قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: «يا أيُّها الناس عَدَلتْ شهادةُ الزور شركاً بالله ـ ثلاثاً ـ، ثم قرأ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾».

قال أحمد: غريب إنما نعرفه مِنْ حديث سفيان بن زياد.

وقد اختلف عنه في رواية هذا الحديث، ولا نعرف لأيمن بن حريم سماعاً من النبيّ ﷺ.

وقد أخرجه أحمد، وعبد بن حُميد، وأبو داود، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» من حديث خُريم[٢].

وقد ثبت في «الصحيحين» وغيرهما مِنْ حديث أبي بكرة[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثاً ـ، قلنا: بلى يا رسولَ الله، قال: الإشراك بالله، وعقوقُ الوالدين، وكان متكئاً، فجلس فقال: ألا وقولَ الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكرّرها حتى قلنا: ليته سكت».

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ قال: حُجاجاً لله غير مشركين به، وذلك أنَّ الجاهلية كانوا يحجون مشركين، فلما أظهر الله الإسلام، قال الله للمسلمين: حُجّوا الآن غير مشركين بالله.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عن أبي بكر الصدّيق نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ قال: البُدْنَ.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٧٦٠٣، ١٨٠٤٤، ١٨٩٠٢)، والترمذي رقم (٢٢٩٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٣٧). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد رقم (١٨٨٩٨)، وأبو داود رقم (٣٥٩٩)، وابن ماجه رقم (٢٣٧٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٣٧)، والطبراني رقم (٤١٦٢)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٤٨٦١). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٥٩٧٦، ٦٢٧٣، ٦٩١٩)، ومسلم رقم (٨٧)، والترمذي رقم (١٩٠١، ٢٣٠١، ٣٠١٩)، وأحمد رقم (٢٠٣٨٢، ٢٠٣٩٤).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٥)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩١).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩١).

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٢).

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١]: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ قال: الاستِسْمان والاستِحْسَان والاستعظام، وفي قوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال: إلى أنْ تسمّى بدناً. وأخرج هؤلاء عَنْ مجاهد نحوه، وفيه قال: ولكم فيها منافع إلى أجلٍ مسمى، في ظهورها وألبانها وأوبارها وأشعارها وأصوافها إلى أن تُسمّى هَدْياً، فإذا سميت هَدْياً ذهبت المنافع ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ يقول: حين تُسمى ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن عكرمة[٢] قال: إذا دخلت الحرم فقد بلغت محلّها.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ قال: عِيداً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٤] في الآية قال: إهراق الدماء.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عن عكرمة قال: ذَبْحاً.

وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم[٦] في الآية قال: مكة لم يجعل الله لأمة قط مَنْسكاً غيرها.

وقد وردت أحاديث في الأضحية ليس هذا موضع ذكرها.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٧] في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ قال: المُطْمئنّين.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (ص٢٩٥ ـ القسم الأول من الجزء الرابع)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٤٠، ٥٤٣، ٥٤٨) بسند حسن.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٧).

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٢).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٦/ ٥٥٠) بسند صحيح.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٢).

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٢).

(٧) أخرجه ابن المنذر كما في «فتح الباري» (٨/ ٤٣٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٥١) بسند صحيح.

«ذم الغضب»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عمرو بن أوس[1] قال: المخبتونَ في الآية: الذين لا يَظْلمون النّاس، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

[من أحكام وحكم الذبائح]:

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

قرأ ابن أبي إسحاق ﴿وَالْبُدُنَ﴾ بضم الباء[2] والدال، وقرأ الباقون بإسكان[3] الدال وهما لغتان، وهذا الاسم خاص بالإبل، وسُمّيت بدنة لأنها تُبدّن، والبدانة: السمن.

وقال أبو حنيفة[4] ومالك[5]: إنَّه يطلق على غير الإبل، والأوّل أولى لما سيأتي من الأوصاف التي هي ظاهرة في الإبل، ولما تفيده كتب اللغة من اختصاص هذا الاسم بالإبل.

وقال ابن كثير[6] في «تفسيره»: واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة على قولين: أصحهما: أنّه يطلق عليها ذلك شرعاً كما صح في الحديث ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ﴾ وهي ما تقدّم بيانه قريباً ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾؛ أي: منافع دينية ودنيوية كما تقدّم

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٥١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٥٧٨)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٨٠٨٨) بسند حسن من طريق عثمان بن عبد الله بن أوس، عن عمرو بن أوس.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٩٥)، و«التبيان» (٢/ ٩٤٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٠٨). وهي قراءة شاذة.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ٣٩٤)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٢٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٠٨).

(٤) «المبسوط» (١٢/ ١١ ـ ١٢)، و«الاختيار لتعليل المختار» (٢/ ٤٩٣).

(٥) «الاستذكار» (١٢/ ٣١٩)، و«عيون المجالس» (٢/ ٩٠٣).

(٦) في «تفسيره» (١٠/ ٦٢).

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾؛ أي: على نحرها ومعنى ﴿صَوَآفَّۖ﴾ أنَّها قائمة قد صفّتْ قوائمُها؛ لأنّها تنحر قائمةً معقولة، وأصل هذا الوصف في الخيل يقال: صَفَنَ الفرسُ فهو صافن: إذا قام على ثلاث قوائم وثَنَى الرابعة.

وقرأ الحسن، والأعرج، ومجاهد، وزيد بن أسلم، وأبو موسى الأشعري (صوافي)[١]؛ أي: خوالص لله لا تُشْركون به في التسمية على نحرها أحداً، وواحد (صوافّ) صافة، وهي قراءة الجمهور[٢]. وواحد صوافي صافية.

وقرأ ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وأبو جعفر، ومحمد بن علي (صوافن) بالنون[٣] جمع صافنة، والصافنة: هي التي قد رَفعتْ إحدى يديها بالعقل لئلّا تضطرب، ومِنْه قوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ﴾ [صَ: ٣١]. ومنه قول عمرو بن كلثوم[٤]:

تركنا الخيلَ عاكفةً عليه مُقلّدةً أعنّتها صُفونا[٥]

وقال الآخر:

ألف الصُّفونَ فما يزالُ كأنه ممّا يقومُ على الثلاث كَسيرُ[٦]

﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾ الوجوب[٧]: السقوط؛ أي: فإذا سقطتْ بعد نحرها، وذلك عند خروج روحِها ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ ذهب الجمهور[٨] أن هذا الأمر للندب ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ﴾ هذا الأمر قيل: هو للندب كالأوّل، وبه قال مجاهد، والنخعي، وابن جرير، وابن سريج، وقال الشافعي وجماعة: هو للوجوب.

واختلف في القانع مَنْ هو؟

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص٩٥)، و«المحتسب» (٢/ ٨١)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٢٧). هي قراءة شاذة.

(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٠٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٩٦). قراءة الجمهور (صوافَّ) بفتح الفاء المشددة هي المتواترة.

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٩٥)، و«المحتسب» (٢/ ٨١). وهي شاذة والرواية عن أبي جعفر شاذة عنه.

(٤) انظر: «شرح المعلقات» للتبريزي (ص٢٦٣).

(٥) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم.

(٦) ذكره الماوردي في «النكت العيون» (٤/ ٢٧).

(٧) «تهذيب اللغة» (١١/ ٢٢٢).

(٨) «المجموع شرح المهذب» (٨/ ٣٩٦)، و«زاد المعاد» (٢/ ١٥٩)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ١٢٧٩).

فقيل: هو السائل، يقال: قَنَع الرجل[١] بفتح النون يقِنع بكسرها إذا سأل، ومِنْه قول الشمّاخ[٢]:

لمالُ المرءِ يُصلحهُ فَيُغْني مفاقِرهُ أعفُّ مِنْ القُنوعِ

أي: السؤال.

وقيل: هو المتعفّف عن السؤال المستغني ببلْغة، ذكر معناه الخليل[٣].

قال ابن السكّيت[٤]: مِنْ العرب من ذكر القنوع بمعنى: القناعة، وهي الرضا والتعفّف وترك المسألة.

وبالأوّل قال زيد بن أسلم[٥]، وابنه[٦]، وسعيد بن جبير[٧]، والحسن[٨]، وروي عن ابن عباس[٩].

وبالثاني قال عكرمة[١٠]، وقتادة[١١].

وأما المعترّ، فقال محمد بن كعب[١٢] القُرظي، ومجاهد[١٣]، وإبراهيم، والكلبي[١٤]، والحسن[١٥]: أنّه الذي يتعرّض مِنْ غير سؤال؛ وقيل: هو الذي يعتريك ويسألك.

وقال مالك: أحسن ما سمعت أن القانع: الفقير، والمعترّ: الزائر.

---

(١) «تهذيب اللغة» (١/ ٢٥٩)، و«الصحاح» (٣/ ١٢٧٢ ـ ١٢٧٣).

(٢) انظر: «ديوانه» (ص٢٢١).

(٣) انظر: «جامع البيان» (١٦/ ٥٦٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٠١).

(٤) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (١/ ٢٥٩).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥١٧) بسند ضعيف.

(٦) وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٦٨) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٦/ ٥٦٦) من طريق فرات القَزّاز، به.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٦٥) من طريق سفيان، به.

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٦٢ ـ ٥٦٣) بسند ضعيف.

(١٠) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥/ ٣٨٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٦٤) بسند ضعيف.

(١١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥) بسند صحيح.

(١٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٦٣) بسند صحيح.

(١٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٦٤) عن مجاهد وإبراهيم بسند صحيح.

(١٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٠١).

(١٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٦٥) من طريق عبد الأعلى، به.

وروي عن ابن عباس[(١)]: أنَّ كليهما الذي لا يسأل، ولكن القانع الذي يرضى بما عنده ولا يسأل، والمعترّ الذي يتعرّض لك ولا يسألك.

وقرأ الحسن[(٢)] (والمعترِّيَ) ومعناه كمعنى المعترّ.

ومِنْه قول زهير[(٣)]:

على مُكْثريهم رزقُ مَنْ يعتريهمُ وعندَ المقلّين السماحةُ والبذلُ

يقال: اعترّه واعتراه وَعرّه وعراه: إذا تعرّض لما عنده أو طلبه، ذكره النَّحاس[(٤)].

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾؛ أي: مثل ذلك التسخير البديع سخرنّاها لكم، فصارت تنقاد لكم إلى مواضع نحرها، فتنحرونها وتنتفعون بها بعد أن كانت مسخرة للحمل عليها، والركوب على ظهرها، والحلب لها ونحو ذلك.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعمة التي أنعم الله بها عليكم ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾؛ أي: لنْ يصعد إليه ولا يبلغ رضاه [٣/٢٧٠] ولا يقع موقع القبول منه لحومُ هذه الإبل التي تتصدّقون بها، ولا دماؤها التي تنصّب عند نحرها من حيث إنها لحوم ودماء.

﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ﴾؛ أي: يبلغ إليه تقوى قلوبِكم، ويصل إليه إخلاصُكم له وإرادتُكم بذلك وجهه، فإنّ ذلك هو الذي يقبله الله ويجازي عليه.

وقيل: المراد: أصحاب اللحوم والدماء؛ أي: لن يرضى المضحون والمتقرّبون إلى ربِّهم باللّحوم والدماء ولكن بالتقوى[(٥)].

قال الزجاج[(٦)]: أعلم الله أنَّ الذي يصل إليه تقواه وطاعته فيما يأمر به.

وحقيقة معنى هذا الكلام تعود إلى القبول، وذلك أن ما يقبله الإنسان يقال:

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٦٢ ـ ٥٦٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٩٤) بسند ضعيف.

(٢) «المحتسب» (٢/ ٨٢)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٥). وهي قراءة شاذة.

(٣) انظر: «ديوانه» (ص١١٤).

(٤) في «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٤١٣ ـ ٤١٤).

(٥) «النكت والعيون» (٤/ ٢٨).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٢٩).

قد ناله ووصل إليه، فخاطب الله الخلق كعادتهم في مخاطبتهم ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كرّر هذا للتذكير.

ومعنى ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: هو قول الناحر: الله أكبر عند النحر، فذكر في الآية الأولى الأمر بذكر اسم الله عليها، وذكر هنا التكبير للدلالة على مشروعية[(١)] الجمع بين التسمية والتكبير.

وقيل: المراد بالتكبير: وصفه سبحانه بما يدلّ على الكبرياء، ومعنى ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: على ما أرشَدكم إليه مِنْ علمكم بكيفية التقرّب بها، و«ما» مصدرية[(٢)]، أو موصولة ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قيل: المراد بهم: المخلصون؛ وقيل: الموحّدون.

والظاهر: أن المراد بهم: كل مَنْ يصدر منه من الخير ما يصح به إطلاق اسم المحسن عليه[(٣)].

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن عبد الله بن عمر[(٤)] قال: لا نعلم البُدْنَ إلا مِنْ الإبل والبقر.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٥)] عنه قال: البدن: ذات الجوف.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن مجاهد[(٦)] قال: ليس البدن إلا من الإبل.

وأخرجوا[(٧)] عن الحكم نحوه.

وأخرجوا[(٧)] عن عطاء نحو ما قال ابن عمر.

وأخرج ابن أبي شيبة[(٨)] ،عن سعيد بن المسيب نحوه.

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ١٢٨٣).

(٢) «روح المعاني» (١٧/ ٣٣٢)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٢٦)

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٠٤).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٩).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٣).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (ص٣٦٧ ـ القسم الأول من الجزء الرابع).

(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٤).

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (ص٣٦٥ ـ القسم الأول من الجزء الرابع).

وأخرج ابن أبي حاتم[1] عن الحسن نحوه أيضاً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، عَنْ يعقوب الرياحي[2] عن أبيه قال: أوصى إليّ رجل، وأوصى ببدنةٍ، فأتيت ابن عباس فقلت له: إن رجلاً أوصى إليّ وأوصى ببدنة، فهل تجزئ عني بقرة؟ قال: نَعَمْ، ثم قال: ممن صاحبكم؟ فقلت: مِنْ بني رياح، فقال: ومتى اقتنى بنو رياح البقر إلى الإبل؟ وَهِمَ صاحبُكم، إنما البقر للأسْد وعبد القيس.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في الأضاحي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «سننه» عن أبي ظبيان[3] قال: سألت ابنَ عباس عن قوله: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ قال: إذا أردت أن تنحر البدنة فأقمها على ثلاث قوائم معقولة، ثم قُلْ: بسم الله والله أكبر.

وأخرج الفريابي، وأبو عبيد، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس[4] في قوله: ﴿صَوَآفَّ﴾ قال: قياماً معقولة.

وفي «الصحيحين» وغيرهما عنه أنَّه رأى رجلاً قد أناخ بدنته وهو ينحرها، فقال: ابعثها قياماً مقيدة سُنَّة محمد ﷺ.

وأخرج أبو عبيد، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن ميمون بن مهران[5] قال: في قراءة ابن مسعود (صوافن)[6] يعني: قياماً.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[7] ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ﴾ قال: سقطت على جنبها.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (ص٣٦٧ ـ القسم الأول من الجزء الرابع).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨٩) و(٤/ ٢٣٣)، والبيهقي في «سننه» (٩/ ٢٨٧) من طريق وكيع، عن الأعمش.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦) بسند ضعيف؛ لضعف جابر بن نوح، ولكنه توبع، كما في الرواية المتقدمة.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤/ ٨٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٥٦) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٥٠٥)، وأخرجه أبو عبيد (ص١٧٨).

(٦) وهي قراءة شاذة. «القراءات الشاذة» (ص٩٥)، و«المحتسب» (٢/ ٩١).

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٥).

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عنه قال: نُحِرتْ.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عنه أيضاً قال: ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: المتعفّف ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: السائل.

وأخرج ابن أبي شيبة[٣] عن ابن عمر قال: القانع الذي يقنع بما آتيته.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس[٤] قال: القانع: الذي يقنع بما أوتي، والمعترّ: الذي يعترض.

وأخرج[٤] عنه أيضاً قال: القانع: الذي يجلس في بيته.

وأخرج عبد بن حميد، والبيهقي في «سننه»[٥] عنه أنه سئل عن هذه الآية، فقال: أما القانع: فالقانع بما أرسلت إليه في بيته، والمعترّ: الذي يعتريك.

وأخرج ابن المنذر[٦] عنه أيضاً قال: القانع: الذي يسأل، والمعترّ: الذي يتعرّض، ولا يسأل.

وقد روي عن التابعين في تفسير هذه الآية أقوال مختلفة، والمرجع المعنى اللّغوي لا سيما مع الاختلاف بين الصحابة ومَنْ بعدهم في تفسير ذلك.

وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس[٧] قال: كان المشركون إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء، فينضحون بها نحو الكعبة، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فأنزل الله ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم[٨] عن ابن جريج نحوه.

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٥).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٦١) بسند ضعيف.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٥).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٦/ ٥٦٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٧٢).

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٥).

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥).
وأخرجه البيهقي في «السنن» (٩/ ٢٩٤).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥).

(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥).

(٨) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٥).

[الإذن بالقتال لحماية العقائد والشعائر]:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾.

قرأ أبو عمرو وابن كثير (يَدْفع)[١] وقرأ الباقون (يُدافع)[٢] وصيغة المفاعلة هنا مُجرّدة عَنْ معناها الأصلي، وهو وقوع الفعل مِنْ الجانبين كما تدلّ عليه القراءة الأخرى.

وقد ترد هذه الصيغة ولا يراد بها معناها الأصلي كثيراً مثل: عاقبتُ اللص ونحو ذلك، وقد قدّمنا تحقيقه، وقيل: إنّ إيراد هذه الصيغة هنا للمبالغة؛ وقيل: للدلالة على تكرر الواقع[٣].

والمعنى: يدافع عن المؤمنين غوائل المشركين، وقيل: يُعلي حُجتَهم؛ وقيل: يوفّقهم، والجملة مستأنفة لبيان هذه المزية الحاصلة للمؤمنين من ربّ العالمين، وأنه المتولّي للمدافعة عنهم.

وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ مقرّرة[٤] لمضمون الجملة الأولى، فإنَّ المدافعة من الله لهم عن عباده المؤمنين مشعرة أتمّ إشعار بأنَّهم مبغضون إلى الله غير محبوبين له.

قال الزجاج[٥]: مَنْ ذكر غير اسم الله وتقرّب إلى الأصنام بذبيحته فهو خوّان كفور.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٢٦)، و«التيسير» (ص١٥٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٣٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥١٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٠٥).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «روح المعاني» (١٧/ ٣٣٧)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٢٦ ـ ٢٧).

(٤) «روح المعاني» (١٧/ ٣٣٧)، و«جامع البيان» (١٦/ ٥٧١).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٢٩).

وإيراد صيغتي المبالغة للدلالة على أنَّهم كذلك في الواقع لا لإخراج من خان دون خيانتهم، أو كَفَرَ دون كفرهم.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾ قُرِئ (أُذِنَ) مبنيّاً للفاعل[١] ومبنيّاً للمفعول وكذلك (يُقاتَلون)، قرئ مبنيّاً للفاعل[٢] ومبنيّاً للمفعول، وعلى كلا القراءتين فالإذن من الله سبحانه لعباده المؤمنين بأنَّهم إذا صلحوا للقتال، أو قاتلهم المشركون قاتلوهم.

قال المفسّرون[٣]: كان مشركو مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بألسنتهم وأيديهم، فيشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ، فيقول لهم: «اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتّى هاجر»، فأنزل الله سبحانه هذه الآية بالمدينة، وهي أوّل آية نزلت في القتال.

وهذه الآية مقرّرة أيضاً لمضمون قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ فإنّ إباحة القتال لهم هي مِنْ جملة دفع الله عنهم، والباء[٤] في ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾ للسببية؛ أي: بسبب أنهم ظُلموا بما كان يقع عليهم مِنْ المشركين من سَبٍ وضَرْب وطَرْدٍ، ثم وعدهم سبحانه النصر على المشركين، فقال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وفيه تأكيد لما مرّ من المدافعة أيضاً.

ثم وصف هؤلاء المؤمنين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ويجوز أَنْ يكون بدلاً مِنْ الذين يُقاتلون، أو في محل نصب على المدح، أو محل رفع بإضمار مبتدأ، والمراد بالديار: مكة ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ قال سيبويه: هو استثناء منقطع؛ أي: لكن لقولهم: ربنا الله؛ أي: أُخرجوا بغير حق يوجب إخراجهم لكن لقولهم: ربنا الله.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٢٦)، و«التيسير» (ص١٥٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٢٠)، و«زاد المسير» (٥/ ٤٣٦)، و«التبيان» (٢/ ٩٤٣). وهما قراءتان متواترتان.

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. وهما أيضاً متواترتان فحفص وأهل المدينة والشام بالبناء للمفعول، والباقون بالبناء للفاعل.

(٣) «روح المعاني» (١٧/ ٣٣٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص٣١٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٠٦).

(٤) «روح المعاني» (١٧/ ٣٣٨)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٢٧).

وقال الفراء[١] والزّجاج[٢]: هو استثناء متصل، والتقدير: الذين أخرجوا من ديارهم بلا حقٍ إلَّا بأن يقولوا: ربنا الله، فيكون مثل قوله سبحانه: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٩] وقول النابغة[٣]:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفَهم ... بهنَّ فلولٌ مِنْ قراعِ الكتائبِ

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ قرأ نافع (ولولا دِفاعُ)[٤] وقرأ الباقون (ولولا دَفْع)[٥] والمعنى: لولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين مِنْ قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك، وذهبت مواضع العبادة من الأرض.

ومعنى ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾: لخربت باستيلاء أهل الشرك على أهل الملل، فالصوامع: هي صوامع الرهبان.

وقيل: صوامع الصابئين، والبِيَع: جمع بِيعة، وهي كَنيسة النصارى، والصلوات هي كنائس اليهود، واسمها بالعبرانية صلوثا بالمثلثة فَعُرِّبت، والمساجد هي مساجد المسلمين.

وقيل: المعنى: لولا هذا الدفع لهُدّمت[٦] في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد المساجد. قال ابن عطية: هذا أصوب ما قيل في تأويل الآية.

وقيل: المعنى: ولولا دفعُ الله ظلمَ الظلمة بعدل الولاة؛ وقيل: لولا دفع الله العذاب بدعاء الأخيار.

وقيل غير ذلك. والصوامع[٧]: جمع صومعة، وهي بناء مرتفع، يقال: صمع الثريدة: إذا رفَّع رأسَها، ورجل أصمع القلب؛ أي: حادّ الفِطْنة، والأصمع من الرجال: الحديدُ القول؛ وقيل: الصغير الأُذْن.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٧).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٣٠). ومع نافع يعقوب وأبو جعفر.
(٣) انظر: «ديوان النابغة الذبياني» (ص١١).
(٤) «التيسير» (ص١٥٧)، و«النشر» (٢/ ٣٢٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥١٥).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٠٩)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٤١).
(٧) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٩٤).

ثم استعمل في المواضع التي يؤذّن عليها في الإسلام. وقد ذكر ابن عطية[١] في ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ تسع قراءات، ووجه تقديم مواضع عبادات أهل الملل على موضع عبادة المسلمين كونها أقدم بناءً وأسبق وجوداً.

والظاهر مِنْ الهَدْم المذكور معناه الحقيقي كما ذكره الزجاج[٢] وغيره، وقيل: المراد به المعنى المجازي، وهو تعطلها مِنْ العبادة، وقرئ (لهدّمت) [٣/٢٧١] بالتشديد، وانتصاب ﴿كَثِيرًا﴾ في قوله: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ على أنه صفة لمصدر محذوف؛ أي: ذكراً كثيراً، أو وقتاً كثيراً، والجملة صفة للمساجد.

وقيل: لجميع المذكورات ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ اللّام هي جواب لقسم محذوف؛ أي: واللهِ لينصره الله مَنْ ينصره، والمراد بمن ينصر الله: مَنْ ينصر دَينه وأولياءه، والقويّ: القادر على الشيء، والعزيز: الجليل الشريف، قاله الزجاج[٣].

وقيل: الممتنع الذي لا يُرام ولا يُدافع ولا يُمانع، والموصول في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في موضع نصب صفة لمن في قوله: ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾، قاله الزجاج[٤].

وقال غيره: هو في موضع جرّ صفة لقوله: ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾.

وقيل: المراد بهم: المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان؛ وقيل: أهل الصلوات الخمس؛ وقيل: ولاة العدل؛ وقيل غير ذلك، وفيه إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مَنْ مكّنه الله في الأرض وأقدره على القيام بذلك. وقد تقدّم تفسير الآية.

ومعنى ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: أَنَّ مرجعها إلى حكمه وتدبيره دون غيره.

وقد أخرج عبد الرزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجه، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»

---

(١) في «المحرر الوجيز» (١١/٢٠٦ ـ ٢٠٧). المتواتر منها (صَلَوَاتٌ) فتح الصاد، وفتح اللّام والواو فألف فتاء مرفوعة.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٣١).

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٣١). (٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٣١).

عن ابن عباس[(١)] قال: لما أُخرَج النبيّ ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيَّهم ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ـ ليهلكنّ القوم، فنزلت ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ الآية. قال ابن عباس: وهي أوّل آية نزلت في القتال.

قال الترمذي: حسن، وقد رواه غير واحد عن الثوري، وليس فيه ابن عباس، انتهى.

وقد روي نحو هذا عن جماعة من التابعين.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[(٢)] قال: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾؛ أي: مِنْ مكة إلى المدينة بغير حق، يعني: محمداً ﷺ وأصحابه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن عثمان بن عفان[(٣)] قال: فينا نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ والآية بعدها أخرجنا من ديارنا بغير حق، ثم مُكّنّا في الأرض فأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر فهي لي ولأصحابي.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن عليّ بن أبي طالب[(٤)] قال: إنما أُنزلت هذه الآية في أصحاب محمد ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ الآية قال: لولا دفع الله بأصحاب محمد عَنْ التابعين لهدّمت صوامع.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٥)] في قوله: ﴿لَّهُدِّمَتْ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٩)، وأحمد رقم (١٨٦٥)، والترمذي رقم (٣١٧١)، والنسائي رقم (٣٠٨٥)، والبزار رقم (١٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٧٣، ٥٧٤)، وابن حبان رقم (٤٧١٠)، والطبراني رقم (١٢٣٣٦)، والحاكم (٣/ ٧، ٨)، والبيهقي (٢/ ٥٧٩). وهو حديث صحيح.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٨)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٦).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٦ ـ ٢٤٩٧).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩) عن ثابت بن عوسجة الحضرمي قال: حدثني سبعة وعشرون من أصحاب علي وعبد الله، منهم لاحق بن الأقمر، والعيزار بن جرول، وعطية بن القُرظي، به.

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٧).

صَوَٰمِعُ﴾ الآية قال: الصوامع: التي تكون فيها الرُّهبان، والبِيَع: مساجد اليهود، وصلوات: كنائس النصارى، والمساجد: مساجد المسلمين.

وأخرجا[(١)] عنه: قال: البيع: بِيع النصارى، وصلوات: كنائس اليهود.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم[(٢)] في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال: أرض المدينة ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال: المكتوبة ﴿وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال: المفروضة ﴿وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قال: بلا إله إلا الله ﴿وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ قال: عَنْ الشرك بالله ﴿وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ قال: وعند الله ثواب ما صنعوا.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾.

[مهمة الرسل]:

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾.

قوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ إلخ هذه تسلية[(٣)] لرسول الله ﷺ وتعزيةٌ له متضمنة للوعد له بإهلاك المكذّبين له كما أهلك سبحانه المكذبين لمن كان قبله.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٧).

(٣) «جامع البيان» (١٦/ ٥٨٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤١٤).

وفيه: إرشادٌ له ﷺ إلى الصبر على قومه، والاقتداء بمن قبله من الأنبياء في ذلك، وقد تقدّم ذكر هذه الأمم وما كان منهم ومِنْ أنبيائهم وكيف كانت عاقبتهم؟ وإنما غير النظم في قوله: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ فجاء بالفعل مبنيّاً للمفعول؛ لأن قوم موسى لم يُكذِّبوه وإنما كذّبه غيرهم مِنْ القبط.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: أخّرت عنهم العقوبة، وأمهلتهم، والفاء[1] لترتيب الإمهال على التكذيب ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾؛ أي: أخذتُ كلّ فريق من المكذبين بالعذاب بعد انقضاء مدّة الإمهال ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ هذا الاستفهام[2] للتقرير؛ أي: فانظر كيفْ كان إنكاري عليهم وتغيير ما كانوا فيه مِنْ النعم وإهلاكهم؟ والنكير اسم من المُنْكَر.

قال الزجاج[3]: أي: ثم أخذتُهم فأنكرتُ أبلغ إنكار.

قال الجوهري[4]: النكير والإنكار: تَغْييرُ المنكر.

ثم ذكر سبحانه كيف عذّب أهل القرى المكذبة فقال: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾؛ أي: أهلكنا أهلها.

وقد تقدّم الكلام على هذا التركيب في آل عمران، وقُرِئ أهلكتُها.

وجملة ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ حالية.

وجملة ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ عطف على ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾، لا على ﴿ظَالِمَةٌ﴾ لأنها حالية، والعذاب ليس في حال الظلم، والمراد بنسبة الظلم إليها: نسبته إلى أهلها.

والخواء بمعنى: السقوط؛ أي: فهي ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾؛ أي: على سقوفها، وذلك بسبب تعطّل سكانها حتّى تهدّمت فسقطت حيطانها فوق سقوفها. وقد تقدّم تفسير هذه الآية في البقرة.

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ معطوف على قرية، والمعنى: وكم مِنْ أهل قرية، ومن أهل

---

(١) «روح المعاني» (١٧/ ٣٤٦).
(٢) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٣٠)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٤٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥١٥).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٠٢).
(٤) في «الصحاح» (٢/ ٨٣٧).

بئر معطلة هكذا قال الزجاج. وقال الفراء[(١)]: إنّه معطوف على عروشها، والمراد بالمعطلة: المتروكة[(٢)].

وقيل: الخالية عَنْ أهلها لهلاكهم، وقيل: الغائرة، وقيل: معطلة من الدِّلاء والأرْشية[(٣)]، والقصر المشيد هو: المرفوعُ البنيان كذا قال قتادة[(٤)] والضحاك، ويدلّ عليه قول عديّ بن زيد:

شادَهُ مرمراً وجلّلَه كِلْسا فللطيرِ في ذُراه وُكورُ[(٥)]

شاده؛ أي: رفعَه.

وقال سعيد بن جبير[(٦)]، وعطاء[(٧)]، وعكرمة[(٨)]، ومجاهد[(٩)]: المراد بالمشيد: المُجصّص، مأخوذ مِنْ الشِّيد، وهو الجصّ، ومنه قول الراجز[(١٠)]:

لا تحسبنّي وإن كُنْتُ أمرأ غَمِرا كحيةِ الماءِ بين الطينِ والشِّيدِ

وقيل: المشيد: الحصين قاله الكلبيّ[(١١)].

قال الجوهري[(١٢)]: المَشِيد المعمول بالشِّيد، والشيد بالكسر: كلّ شيء طليتَ

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٨).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٩٢) بسند حسن بلفظ: «لا أهل لها».

(٣) «النكت والعيون» (٤/ ٣١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤١٥)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٤٨).
الأرشية: جمع رِشاء، وهو الحبل. «الصحاح» (٦/ ٢٣٥٧).

(٤) «معالم التنزيل» (٣/ ٢٩١)، و«جامع البيان» (١٦/ ٥٩٤).

(٥) انظره في: «جامع البيان» (١٦/ ٥٩٥)، و«النكت والعيون» (٤/ ٣١)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٥٣).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٩٣) بسند حسن.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٩٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٩) بسند حسن.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٩٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٩) بسند حسن.

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٩٣) بسند صحيح.

(١٠) بل هو من البسيط وليس من الرجز. انظر: «ديوان الشّماخ بن ضرار» (ص١٢١).

(١١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣١).

(١٢) في «الصحاح» (٢/ ٤٩٥).

به الحائطَ مِنْ جصّ أو بَلاط، وبالفتح المصدر، تقول: شاده يَشِيده: جصّصه، والمُشيّد بالتشديد: المُطوّل.

قال الكسائي[١]: للواحد من قوله تعالى: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ والمُشَيّد للجمع من قوله: ﴿فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

والمعنى: وكم مِنْ قصر مَشِيد مُعطّل مثل البئر المعطلة، ومعنى التعطيل في القصر هو: أنه معطل مِنْ أهله، أو مِنْ آلاته، أو نحو ذلك.

قال القرطبي في «تفسيره»[٢]: ويُقال: إنَّ هذه البئر والقصر بحضرموت معروفان، فالقصر مُشْرف على قُلّة جبل لا يُرتَقى إليه بحال، والبئر في سفحه لا تُقرّ الريح شيئاً سقط فيها إلا أخرجته، وأصحاب القصر ملوك الحضر، وأصحاب البئر ملوك البدو.

حكى الثعلبيّ[٣] وغيره: أن البئر كان بعدن مِنْ اليمن في بلد يقال لها: حضوراء، نزل بها أربعة آلاف ممّن آمن بصالح ونجوا مِنْ العذاب ومعهم صالح فمات صالح، فسمّي المكان حضرموت؛ لأنّ صالحاً لما حضره مات فبنوا حضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمرّوا عليهم رجلاً، ثم ذكر قصة طويلة.

وقال بعد ذلك[٤]: وأمّا القصر المشيد فقصرٌ بناه شدّاد بن عاد بن إرم، لم يُبنَ في الأرض مثله فيما ذكروا وزعموا، وحاله أيضاً كحال هذه البئر المذكورة في إيحاشه بعد الأُنْس، وإقفاره بعد العِمْران، وإن أحداً لا يستطيع أن يدنو منه على أميال، لما يسمع فيه من عزيف الجنّ والأصوات المُنكرة بعد النعيم والعيش الرغد وبهاء المُلك، وانتظامِ الأهل كالسِّلْك فبادوا وما عادوا، فذكرهم الله سبحانه في هذه الآية موعظة وعبرة.

قال[٥]: وقيل: إنّهم الذين أهلكهم بُخْتَنَصّر على ما تقدّم في سورة الأنبياء في قوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: ١١]، فتعطلت بئرهُم وخربت قصورهم، انتهى.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٤١٦/١٤). (٢) في «تفسيره» (٤١٦/١٤).
(٣) في تفسيره «الكشف والبيان» (٢٧/٧).
(٤) قاله السُّهيليُّ في «التعريف والإعلام» (ص١١٨).
(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٤١٩/١٤)، و«التعريف والإعلام» (ص١١٨).

ثم أنكر سبحانه على أهل مكة[(١)] عدم اعتبارهم بهذه الآثار قائلاً: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ حثّاً لهم على السّفرِ ليروا مصارع تلك الأُمم فيعتبروا، ويحتمل أَنْ يكونوا قد سافروا ولم يعتبروا، فلهذا أنكر عليهم، كما في قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧ ـ ١٣٨].

ومعنى ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾: أنّهم بسبب ما شاهدوا من العِبَر تكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب أَنْ يتعقّلوه، وأسند التعقل إلى القلوب لأنها محل العقل[(٢)]، كما أَنَّ الآذان محل السمع.

وقيل: إنَّ العقل محله الدماغ[(٣)] ولا مانع مِنْ ذلك، فإن القلب هو الذي يبعث على إدراك العقل وإنْ كان محله خارجاً عنه.

وقد اختلف علماء المعقول في محل العقل وماهيته اختلافاً كثيراً لا حاجة إلى التطويل بذكره.

﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾؛ أي: ما يجب أَنْ يسمعوه مما تلاه عليهم أنبياؤُهم من كلام الله، وما نقله أهل الأخبار إليهم مِنْ أخبار الأمم المهلكة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ قال الفرّاء[(٤)]: الهاء عماد يجوز أن يقال: فإنّه، وهي قراءة عبد الله[(٥)] بن مسعود.

والمعنى واحد، التذكير[(٦)] على الخبر، والتأنيث على الأبصار أو القصة؛ أي: فإنّ الأُبصار لا تَعْمى، أو فإنّ القصة لا تُعمي الأبصار؛ أي: أبصار العيون ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾؛ أي: ليس الخلل في مشاعرهم، وإنما هو في عقولهم؛ أي: لا تدرك عقولُهم مواطن الحق ومواضع الاعتبار.

قال الفرّاء[(٧)] والزجاج[(٨)]: إن قوله: ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ مِنْ التوكيد الذي تزيده

---

(١) أي: كفار مكة. «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤١٩)، و«جامع البيان» (١٦/ ٥٩٥).
(٢) ذكره النووي في «شرح صحيح مسلم» (١١/ ٢٩).
(٣) ذكره عنه النووي في «شرح صحيح مسلم» (١١/ ٢٩).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٨).
(٥) «جامع البيان» (١٦/ ٥٩٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٢١)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٤٩). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٨).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٣٢).

العرب [٣/٢٧٢] في الكلام كقوله: ﴿عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، و﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾ [المائدة: ٤١]، و﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ثم حكى سبحانه عن هؤلاء ما كانوا عليه من التكذيب والاستهزاء فقال: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ لأنَّهم كانوا منكرين لمجيئه أشدّ إنكار، فاستعجالهم له هو على طريقة الاستهزاء والسخرية، وكأنَّهم كانوا يقولون ذلك عند سماعهم لما تقوله الأنبياء عَنْ الله سبحانه مِنْ الوعد منه ﷻ بوقوعه عليهم، وحلوله بهم، ولهذا قال: ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ قال الفرّاء[1]: في هذه الآية وعيد لهم بالعذاب في الدنيا والآخرة.

وذكر الزجاج[2] وجهاً آخر فقال: أعلمَ أنَّ الله لا يفوته شيء، وإن يوماً عنده وألف سنة في قدرته واحد، ولا فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره في القدرة، إلا أنَّ الله تفضل بالإمهال، انتهى.

ومحل جُمْلة: ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ النصب على الحال[3]؛ أي: والحال أنه لا يُخلف وعدَه أبداً، وقد سبق الوعد فلا بدّ من مجيئه حتماً، أو هي اعتراضية مبينة لما قبلها، وعلى الأوّل تكون جملة ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ مستأنَفة، وعلى الثاني تكون معطوفة على الجملة التي قبلها، مسوقة لبيان حالهم في الاستعجال، وخطابهم في ذلك ببيان كمال حِلْمِهِ؛ لكون المدة القصيرة عنده كالمدة الطويلة عندهم كما في قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ ـ ٧].

قال الفرّاء[4]: هذا وعيد لهم بامتداد عذابهم في الآخرة؛ أي: يوم من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة.

وقيل: المعنى: وإنّ يوماً مِنْ الخوف والشدّة في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا فيها خوف وشدة، وكذلك يوم النعيم قياساً.

قرأ ابنُ كثير وحمزة والكسائي (مما يَعدّون) بالتحتية[5]، واختار هذه القراءة أبو

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٨).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٣٣).
(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٥٢٢)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٥٣).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٨).
(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٥٢٣)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٥٤)، و«التيسير» (ص١٥٨)، و«حاشية الجمل» (٣/ ١٧٢).

عُبيد[(١)] لقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ وقرأ الباقون بالفوقية[(٢)] على الخطاب، واختارها أبو حاتم[(٦)] ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ الْمَصِيرُ﴾ هذا إعلامٌ منه سبحانه أنه أخذ قوماً بعد الإملاء والتأخير. قيل: وتكرير هذا مع ذكره[(٣)] قبله للتأكيد، وليس بتكرار في الحقيقة؛ لأنَّ الأوّل: سيق لبيان الإهلاك مناسباً لقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ولهذا عطف بالفاء بدلاً عن ذلك، والثاني: سيق لبيان الإملاء مناسباً لقوله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ فكأنه قيل: وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أمهلتهم حيناً، ثم أخذتهم بالعذاب ومرجع الكل إلى حكمي.

فجملة: ﴿وَإِلَىَّ الْمَصِيرُ﴾ تذييل لتقرير[(٤)] ما قَبْلَها.

ثم أمره الله سبحانه أَنْ يخبر الناس بأنّه نذير لهم بين يدي الساعة، مبين لهم ما نزل إليهم، فمن آمن وعمل صالحاً فاز بالمغفرة والرزق الكريم وهو الجنّة، ومَنْ كان على خلاف ذلك فهو في النّار وهم الذين سعوا في آيات الله معاجزين، يقال: عاجزه سابقَه؛ لأنَّ كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر، فإذا سبقه قيل: أعجزَه وعَجَزَه، قاله الأخفش[(٥)].

وقيل: معنى ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: ظانّين ومقدّرين أَنْ يعجزوا الله سبحانه ويفوتوه فلا يعذبهم، قاله الزجاج[(٦)]؛ وقيل: معاندين، قاله الفرّاء[(٧)].

وقد أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة[(٨)] في قوله: ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ قال: خَرِبةٌ ليس فيها أحد ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ عطّلها أهلُها وتركوها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ قال: شَيّدوه وحصَّنوه فهلكوا وتركوه.

---

(١) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٢١). وهما قراءتان متواترتان.

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «روح المعاني» (١٧/ ٣٥٦)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٣٢).

(٤) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٣٢).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٢٢) عن الأخفش.

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٣٣). (٧) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٩).

(٨) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦١).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٩٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٠) بسند صحيح من طريق معمر، عن قتادة.
وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٠٠) بسند صحيح من طريق سعيد عن قتادة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[١] ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ قال: التي تُركتْ لا أهل لها.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٢] ﴿وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾ قال: هو المجصّص.

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد[٣] نحوه.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن عطاء[٤] نحوه أيضاً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال: من الأيام الستة التي خلق الله فيها السمٰوات والأرض.

وأخرج ابن المنذر عن عكرمة[٦]، قال في الآية: هو يوم القيامة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧] عنه قال: الدنيا جمعة مِنْ جمع الآخرة سبعة آلاف سنة، فقد مضى منها ستة آلاف.

وأخرج ابن عدّي والديلمي عن أنس[٨] مرفوعاً نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم[٩] عن ابن عباس ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ قال: مراغمين.

وأخرج ابن جرير[١٠] عنه أنه قال: مُشَاقين.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٩١) بسند ضعيف، عطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس.

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦١)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٨).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦١).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٩٣) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٩٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٩) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٥٩٦ ـ ٥٩٧) بسند حسن.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٢).

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٩).

(٨) أخرجه الديلمي في «مسنده» رقم (٣٩٧٠). وهو حديث ضعيف. انظر: «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٦١١).

(٩) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٠٠).

(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦٠٠ ـ ٦٠١) بسند ضعيف؛ لضعف عثمان بن عطاء.

[الله يحفظ دعوته من تكذيب المكذبين، وتعطيل المعوقين، ومعاجزة المعاجزين وكذلك يحفظها من كيد الشيطان]:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾﴾.

[التمييز بين الرسول والنبي]:

قوله: ﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ قيل: الرسول[1]: الذي أُرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عَياناً، ومحاورته شفاهاً، والنبيّ: الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً؛ وقيل: الرسول مَنْ بعث بشرعٍ وأُمر بتبليغه، والنبيّ: مَنْ أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله، ولم ينزل عليه كتاب، ولا بدّ لهما جميعاً مِنْ المعجزة الظاهرة ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ معنى تمنّى: تشهّى وهيأ في نفسه ما يهواه.

قال الواحدي[2]: وقال المفسّرون: معنى تمنى: تَلا.

قال جماعة المفسّرين[3] في سبب نزول هذه الآية: أنَّه ﷺ لما شقّ عليه إعراض قومِه عنه، تمنّى في نفسه أنْ لا ينزل عليه شيء ينفّرهم عنه لحرصه على إيمانهم، فكان ذات يوم جالساً في نادٍ مِنْ أنديتهم وقد نزل عليه سورة ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]. فأخذ يقرؤها عليهم حتى بلغ قوله: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠].

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/٤٢٣ ـ ٤٢٤)، و«روح المعاني» (١٧/٣٥٩ ـ ٣٦٠).

(٢) في «الوسيط» (٣/٢٧٦).

(٣) «الوسيط» (٣/٢٧٦)، و«جامع البيان» (١٦/٦٠٢ ـ ٦٠٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٢٤).

وكان ذلك التمنّي في نفسه، فجرى على لسانه مما ألقاه الشيطان عليه «تلك الغرانيق العُلى، وإنّ شفاعتها لتُرتجى»؛ فلما سمعت قريش ذلك فرحوا، ومضى رسول الله ﷺ في قراءته حتى ختم السورة، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع مَنْ في النادي من المسلمين والمشركين، فتفرّقت قريش مسرورين بذلك وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسنَ الذكر، فأتاه جبريل فقال: ما صنعتَ؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عَنْ الله، فحزن رسول الله ﷺ وخافَ خوفاً شديداً، فأنزل الله هذه الآية، هكذا قالوا.

[بطلان قصة الغرانيق]:

ولم يصح[١] شيء مِنْ هذا، ولا ثبت بوجه مِنْ الوجوه، ومع عدم صحته؛ بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦]، وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]، وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: ٧٤]. فنفى المقاربة للركون فضلاً عَنْ الركون.

قال البزار[٢]: هذا حديث لا نعلمه يروى عَنْ النبيّ ﷺ بإسناد متصل.

وقال البيهقي[٣]: هذه القصة غير ثابتةٍ من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم.

وقال إمام الأئمة ابن خُزيمة[٤]: إنَّ هذه القصة مِنْ وضع الزنادقة.

قال القاضي عياض في «الشفاء»[٥]: إنَّ الأمة أجمعتْ فيما طريقه البلاغ أنه معصومٌ فيه من الإِخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه، لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً.

قال ابن كثير[٦]: قد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرانيق، وما كان من

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٢٨٩)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ١٢٩٠ ـ ١٢٩١).
(٢) في مسند بإثر الحديث رقم (٢٢٦٣ ـ كشف).
(٣) في «دلائل النبوة» كما في «تفسير ابن كثير» (١٠/ ٨٦).
(٤) كما في «فتح الباري» (١/ ١١٦).
(٥) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠).
(٦) في «تفسيره» (١٠/ ٨٦).

رجوع كثير من المهاجرين إلى أرض الحبشة ظنّاً منهم أَنَّ مشركي قريش قد أسلموا، ولكنّها مِنْ طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة مِنْ وجه صحيح، وإذا تقرّر لك بطلان ذلك عرفت أن معنى ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ قرأ وتلا كما قدّمنا من حكاية الواحدي[١] لذلك عَنْ المفسرين.

وكذا قال البغوي[٢]: إنَّ أكثر المفسرين قالوا معنى ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾: تلا وقرأ كتاب الله، ومعنى ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾؛ أي: في تلاوته وقراءته.

قال ابن جرير[٣]: هذا القول أشبه بتأويل الكلام، ويؤيد هذا ما تقدّم في تفسير قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: ٧٨].

وقيل: معنى ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾: حدّث، ومعنى ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾: في حديثه، روي هذا عن ابن عباس[٤].

وقيل: معنى تَمَنَّىٰٓ﴾: قال.

فحاصل معنى الآية: أنَّ الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك من دون أن يتكلم به رسولُ الله ﷺ ولا جرى على لسانه، فتكون هذه الآية تسلية لرسول الله ﷺ؛ أي: لا يهولنّك ذلك ولا يحزنك، فقد أصاب مثل هذا مَنْ قبلك من المرسلين والأنبياء، وعلى تقدير أن معنى ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾: حدّث نفسه، كما حكاه الفرّاء[٥] والكسائي[٦] فإنهما قالا: تمنى إذا حدّث نفسه، فالمعنى: أنَّه إذا حدّث نفسه بشيء تكلم به الشيطان وألقاه في مسامع الناس مِنْ دون أن يتكلم به رسول الله ﷺ ولا جرى على لسانه.

قال ابن عطية[٧]: لا خلاف أَنَّ إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة وقعت بها الفتنة.

وقد قيل في تأويل الآية: إنَّ المراد بالغرانيق: الملائكة[٨]، ويردّ بقوله:

---

(١) في «الوسيط» (٣/ ٢٧٦).
(٢) في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٩٤).
(٣) في «جامع البيان» (١٦/ ٦١٠).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦٠٩ ـ ٦١٠) بسند صحيح.
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٩).
(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٠٤).
(٧) في «المحرر الوجيز» (١١/ ٢١٢).
(٨) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٥) عن الحسن.

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾؛ أي: يُبْطله[١]، وشفاعة الملائكة غير باطلة.

وقيل: إنَّ ذلك جرى على لسانه ﷺ سهواً ونسياناً وهما مجوّزان على الأنبياء، ويُردُّ بأن السهو والنسيان فيما طريقه البلاغ غير جائز كما هو مقرّر في مواطنه.

ثم لما سلّاه الله سبحانه بهذه التسلية وأنها قد وقعت لمن قبله من الرسل والأنبياء، بيّن سبحانه أَنَّه يبطل ذلك ولا يُثْبته ولا يستمر تغرير الشيطان به فقال: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾؛ أي: يُبْطله ويجعله ذاهباً غير ثابت ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾؛ أي: يُثْبتها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ أي: كثير العلم والحكمة في كل أقواله وأفعاله.

وجملة ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً﴾ للتعليل؛ أي: ذلك الإلقاء الذي يلقيه الشيطان فتنة؛ أي: ضلالة ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ أي: شكّ[٢] ونفاق ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ هم[٢] المشركون، فإنَّ قلوبهم لا تلين للحق أبداً ولا ترجع إلى الصواب بحال.

ثم سجَّل سبحانه على هاتين الطائفتين: وهما: مَنْ في قلبه مرض، [٣/٢٧٣] ومَنْ في قلبه قسوة بأنهم ظالمون فقال: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾؛ أي: عداوة شديدة، ووصف الشقاق بالبُعد مبالغة، والموصوف به في الحقيقة مَنْ قام به.

ولمّا بيّن سبحانه أنَّ ذلك الإلقاء كان فتنةً في حقّ أهل النفاق والشكّ والشرك، بيّن أَنَّه في حقّ المؤمنين العالمين بالله، العارفين به سبب لحصول العلم لهم بأن القرآن حقّ وصدق فقال: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: الحقّ النازل من عنده؛ وقيل: إن الضمير في ﴿أَنَّهُ﴾ راجع إلى تمكين الشيطان من الإلقاء[٣]؛ لأنَّه مما جرت به عادته مع أنبيائه، ولكنه يردّ هذا قوله: ﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ فإنّ المراد الإيمان بالقرآن؛ أي: يَثْبتوا على الإيمان به ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي:

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٣٢) عن القشيري.

(٢) «روح المعاني» (١٧/ ٣٦٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٢٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٣٣).

(٣) «روح المعاني» (١٧/ ٣٦٢)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ١٢٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦).

تخشع وتسكن وتنقاد، فإن الإيمان به وإخبات القلوب له لا يمكن أن يكونا تمكين مِنْ الشيطان[١]؛ بل للقرآن ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ في أمور دينهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: طريق صحيح لا عوج به.

وقرأ أبو حيوة[٢] ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادٍ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بالتنوين.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: في شكّ[٣] من القرآن؛ وقيل[٣]: في الدِّين الذي يدل عليه ذكر الصراط المستقيم؛ وقيل: في إلقاء الشيطان، فيقولون: ما باله ذكر الأصنام بخير ثم رجع عن ذلك؟.

وقرأ أبو عبد الرحمٰن السلمي (في مُرية) بضم الميم[٤] ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: القيامة ﴿بَغْتَةً﴾؛ أي: فَجْأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ وهو يوم القيامة؛ لأنّه لا يومَ بعده، فكان بهذا الاعتبار عَقيماً، والعقيم في اللغة[٥]: مَنْ لا يكون له ولدٌ، ولما كانت الأيام تتوالى جعل ذلك كهيئة الولادة[٦]، ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يومٌ وصف بالعُقْم، وقيل: يوم حرب يُقْتلون فيه كيوم بدر.

وقيل: إنّ اليوم وصف بالعقم؛ لأنَّه لا رأفة فيه ولا رحمة، فكأنه عقيم من الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]؛ أي: التي لا خير[٧] فيها ولا تأتي بمطر.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾؛ أي: السلطان القاهر، والاستيلاء التامّ: يوم القيامة لله سبحانه وحده لا منازع له فيه ولا مدافع له عنه.

وجملة ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ مستأنفة، جواباً عَنْ سؤال مقدّر، ثم فسر هذا الحكم بقوله سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: كائنون فيها، مستقرّون في أرضها، منغمسون في نعيمها ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٩٦)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٦٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٥٣٣). وهي قراءة شاذة.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦١٣ ـ ٦١٤) عن ابن جريج.

(٤) «معالم التنزيل» (٣/ ٢٩٥). وهي قراءة شاذة.

(٥) «الصحاح» (٥/ ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩)، و«تهذيب اللغة» (١/ ٢٨٨).

(٦) «روح المعاني» (١٧/ ٣٦٤).

(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٣٢).

بِـَٔايَـٰتِنَا﴾؛ أي: جمعوا بين الكفر بالله والتكذيب بآياته ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ أي: عذاب مُتصف بأنّه مهين للمعذبين بالغ منهم المبلغ العظيم.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن الأنباري في «المصاحف»، عَنْ عمرو بن دينار(١) قال: كان ابن عباس يقرأ: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا مُحَدَّث).

وأخرج ابن أبي حاتم، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف(٢) مثله، وزاد: فنسخت مُحدّث، قال: والمُحدّثون: صاحب يٓس، ولقمان، ومؤمن آل فرعون، وصاحب موسى.

وأخرج البزار، والطبراني، وابن مردويه، والضياء في «المختارة». قال السيوطي(٣): بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس(٤) قال: «إن رسول الله ﷺ قرأ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ تلك الغرانيق العُلى، وإن شفاعتهن لتُرْتجى»؛ ففرح المشركون بذلك وقالوا: قد ذكر آلهتنا، فجاءه جبريل فقال: اقرأ عليّ ما جئتَ به، فقرأ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠] تلك الغرانيق العُلى، وإن شفاعتهن لترتجى، فقال: ما أتيتك بهذا، هذا مِنْ الشيطان، فأنزل الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ الآية».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، قال السيوطي(٥) بسند صحيح عن سعيد بن جبير(٦)، قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم، فذكر نحوه، ولم يذكر

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥).
وأخرجه ابن الأنباري في كتاب «الرد» كما في «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٢٣).
قال ابن الأنباري: «فهذا حديث لا يؤخذ به على أنَّ ذلك قرآن. وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٠٠).

(٣) في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥).

(٤) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٢٦٣ ـ كشف)، والطبراني رقم (١٢٤٥٠)، والضياء في «المختارة» (١٠/ ٢٣٤).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٥): رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح إلا أن الطبراني قال: لا أعلمه إلا عن ابن عباس، عن النبي ﷺ.

(٥) في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦٠٧) مرسلاً، وابن المنذر كما في «فتح الباري» (٨/ ٤٣٩)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٠٠).

ابن عباس، وكذا رواه ابن أبي حاتم[١]، عن أبي العالية، والسُّديّ، عن سعيد مرسلاً.

ورواه عبد بن حميد، عن السديّ[٢]، عن أبي صالح مرسلاً.

ورواه ابن أبي حاتم[٣] عن ابن شهاب مرسلاً.

وأخرج ابن جرير، عن أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام[٤] نحوه مرسلاً أيضاً.

[حاصل روايات قصة الغرانيق الإرسال أو الانقطاع]:

والحاصل: أنّ جميع الروايات في هذا الباب إمَّا مرسلة أو منقطعة لا تقوم الحجة بشيء منها.

وقد أسلفنا عَنْ الحفاظ في أوّل هذا البحث ما فيه كفاية، وفي الباب روايات من أحبّ الوقوف على جميعها فلينظرها في «الدرّ المنثور» للسيوطي[٥]، ولا يأتي التطويل بذكرها هنا بفائدة، فقد عرّفناك أنَّها جميعها لا تقوم بها الحجة.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٦] (حتى إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته) يقول: إذا حدّث ألقى الشيطان في حديثه.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧] عن الضحاك، قال: يعني بالتمنّي: التلاوة والقراءة، ألقى الشيطان في أمنيته: في تلاوته ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾ ينسخ جبريل بأمرِ الله ما ألقى الشيطان على لسان النبيّ.

وأخرج عبدُ بن حميد، وابن أبي حاتم عَنْ مجاهد[٤] ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ قال: تكلّم ﴿فِىٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ قال: كلامه.

وأخرج ابن مردويه، والضياء في «المختارة»، عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾ قال: يوم بدر.

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٥٠١)، وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧) بسند ضعيف.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩).

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٠).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩) من طريق ابن شهاب، به.

(٥) «الدر المنثور» (٦/ ٦٥ ـ ٦٩).

(٦) عزاه السيوطي (٦/ ٧٠).

(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦١٧) بسند ضعيف.

وأخرج ابنُ مردويه[١] عن أُبيّ بن كعب نحوه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير[٢]: عذاب يوم عقيم، قال: يوم بدر.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير[٣] وعكرمة مثله.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد[٤] في الآية قال: يوم القيامة لا ليلة له.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير[٥] مثله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن الضحاك[٦] مثله.

[ذكر بعض فضائل الهجرة في سبيل الله]:

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ
وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ
﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ
غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ
وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ
ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةًۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ
لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ
بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾.

---

(١) عزاه السيوطي (٦/ ٧٠).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦١٧) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦١٦) بسند ضعيف، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٠٣).

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠).

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦١٦) بسند ضعيف.

أفرد سبحانه المهاجرين بالذكر تخصيصاً لهم بمزيد الشرف، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال بعضُ المفسِّرين(١): هم الذين هاجروا مِنْ مكة إلى المدينة.

وقال بعضُهم: الذين هاجروا مِنْ الأوطان في سَرِيّة أو عَسْكر، ولا يبعد حمل ذلك على الأمرين، والكلّ مِنْ سبيل الله ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ﴾؛ أي: في حال المهاجرة، واللّام في ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ﴾ جواب قَسم محذوف، والجملة خبر الموصول بتقدير القول، وانتصاب(٢) ﴿رِزْقًا﴾ على أنَّه مفعول ثانٍ؛ أي: مَرزوقاً حَسَناً، أو على أنَّه مصدر(٣) مؤكد، والرزق الحسن: هو نعيم الجنة الذي لا ينقطع؛ وقيل: هو الغنيمة؛ لأنّه حلال.

وقيل: هو العِلْم والفهم كقول شعيب: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ﴾ [هود: ٨٨].

قرأ ابن عامر وأهل الشام (ثم قُتّلوا) بالتشديد(٤) على التكثير، وقرأ الباقون بالتخفيف(٥) ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ فإنّه سبحانه يرزق بغير حساب، وكل رزق يجري على يد العباد لبعضهم البعض، فهو منه سبحانه، لا رازق سواه ولا معطي غيره.

والجملة تذييل(٦) مقرّرة لما قبلها.

وجملة ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ﴾ مستأنفة، أو بدل مِنْ جملة ليرزقنّهم الله.

قرأ أهلُ المدينة (مَدْخلاً) بفتح الميم(٧)، وقرأ الباقون بضمها(٨)، وهو اسم مكان أُريد به الجنّة، وانتصابه(٩) على أَنّه مفعول ثانٍ أو مَصْدر ميمي مؤكِّد للفعل المذكور، وقد مضى الكلام على مثل هذا في سورة سبحان.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٣٥ ـ ٤٧٦)، و«الوسيط» (٣/ ٢٧٨).
(٢) «الفريد» (٣/ ٥٤٦)، و«التبيان» (٢/ ٩٤٦)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٨٧).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «التيسير» (ص٩١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٢٩)، و«النشر» (٢/ ٢٤٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٣٧).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «روح المعاني» (١٧/ ٣٨٩)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٣٩).
(٧) «التيسير» (ص٩٥)، و«النشر» (٢/ ٢٤٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٣٧).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.
(٩) «التبيان» (٢/ ٩٤٦)، و«الفريد» (٣/ ٥٤٦).

وفي هذا من الامتنان عليهم والتبشير لهم ما لا يُقادَر قدرُه، فإن المدخل الذي يرضونه هو الأوفق لنفوسهم والأقرب إلى مطلبهم، على أنَّهم يرون في الجنة ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلب بشر، وذلك هو الذي يرضونه وفوق الرضا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عَنْ تفريط المُفرّطين منهم لا يعاجلهم بالعقوبة.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم.

قال الزجّاج[1]: أي: الأمر ما قصصنا عليكم من إنجاز الوعد للمهاجرين خاصةً إذا قُتِلوا أو ماتوا، فهو على هذا خبر مبتدأ[2] محذوف، ومعنى ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾: مَنْ جازى الظالَم بمثل ما ظَلَمه، وسمّي الابتداء باسم الجزاء مشاكلة كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]. والعقوبة في الأصل إنما تكون بعد فعلٍ تكون جزاء عنه، والمراد بالمثلية[3]: أنّه اقتصر على المقدار الذي ظُلم به، ولم يزد عليه، ومعنى ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ أن الظالم له في الابتداء عاوده بالمظلمة بعد تلك المظلمة الأولى، قيل: المراد بهذا البغي: هو ما وقع مِنْ المشركين من إزعاج[4] المسلمين من أوطانهم بعد أن كذّبوا نبيهم وآذوا مَنْ آمن به، واللام في ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ جواب قسم محذوف؛ أي: لينصرن الله المبغيّ عليه على الباغي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾؛ أي: كثير العفو والغفران للمؤمنين فيما وقع منهم [٣/٢٧٤] مِنْ الذنوب؛ وقيل: العفو والغفران لما وقع مِنْ المؤمنين مِنْ ترجيح الانتقام على العفو.

وقيل: إنّ معنى ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: ثُم كان المجازي مَبغيّاً[5] عليه؛ أي: مَظْلوماً، ومعنى ثُم: تفاوت الرتبة؛ لأنّ الابتداء بالقتال معه نوع ظلم كما قيل في أمثال العرب: «البادي أظْلم».

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٣٥).
(٢) «الفريد» (٣/٥٤٦)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٩٠).
(٣) «روح المعاني» (١٧/ ٣٨٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٣٠).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٣٨).
(٥) «روح المعاني» (١٧/ ٣٩١ ـ ٣٩٢)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ٢١٥).

وقيل: إن هذه الآية مَدنية، وهي في القصاص[١] والجراحات.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ إلى ما تقدّم من نصر الله سبحانه للمبغيّ عليه، وهو مبتدأ وخبره جملة[٢] ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ﴾، والباء للسببية؛ أي: ذلك بسبب أنَّه سبحانه قادر، ومِنْ كمال قدرته إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل، وعبَّر عن الزيادة بالإِيلاج؛ لأنّ زيادة أحدهما تستلزم نقصان الآخر، والمراد تحصيل أحد العرضين في محل الآخر. وقد مضى في آل عمران معنى هذا الإِيلاج.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ يسمع كلّ مسموع ﴿بَصِيرٞ﴾ يُبْصر كلَّ مبصَر، أو سميع للأقوال مبصر للأفعال، فلا يَعزُب عنه مثقال ذرة.

والإِشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ إلى ما تقدّم من اتصافه سبحانه بكمال القدرة الباهرة، والعلم التام؛ أي: هو سبحانه ذو الحق، فدينه حقّ، وعبادته[٣] حقّ ونصره لأوليائه على أعدائه حقّ، ووعده حقّ، فهو ﷻ في نفسه وأفعاله وصفاته حق.

﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وشعبة (تدعون)[٤] بالفوقية على الخطاب للمشركين، واختار هذه القراءة أبو حاتم[٥].

وقرأ الباقون بالتحتية[٦] على الخبر، واختار هذه القراءة أبو عبيدة[٧].

والمعنى: إن الذين تدعونه إلٰهاً، وهي الأصنام هو الباطل الذي لا ثبوت له ولا لكونه إلٰهاً ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾؛ أي: العالي[٨] على كلّ شيء بقدرته

---

(١) انظر: «جامع البيان» (١٦/ ٦٢٠).
(٢) «الفريد» (٣/ ٥٤٦)، و«التبيان» (٢/ ٩٤٩).
(٣) «الوسيط» (٣/ ٢٧٨)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٩٣).
(٤) «التيسير» (ص١٥٨)، و«النشر» (٢/ ٣٢٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٩٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٣٩).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٣٩).
(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٥٣٠)، و«النشر» (٢/ ٣٢٧)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٩٤)، و«التيسير» (ص١٥٨).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٣٩) عن أبي عبيد.
(٨) انظر: «العلو» للذهبي، و«إثبات صفة العلو» لابن قدامة.

المتقدّس على الأشباه والأنداد، المتنزّه عما يقول الظالمون من الصفات ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾؛ أي: ذو الكبرياء[١]، وهو عبارة عَنْ كمال ذاته، وتفرّده بالإلٰهية.

ثم ذكر سبحانه دليلاً بيّناً على كمال قدرته، فقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةً﴾ الاستفهام[٢] للتقرير، والفاء للعطف على ﴿أَنزَلَ﴾، وارتفع الفعل بعد الفاء لكون استفهام التقرير بمنزلة الخبر كما قاله الخليل[٣] وسيبويه[٤].

قال الخليل[٥]: المعنى: أنزل مِنْ السماء ماء فكان كذا وكذا، كما قال الشاعر:

ألم تسألِ الربعَ القواء فينطِقُ ... وهل يخبرنْكَ اليومَ بيداءُ سَمْلَقُ[٦]

معناه: قد سألته فنطق.

قال الفراء[٧]: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ خبر كما تقول في الكلام: إنَّ الله ينزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرّة؛ أي: ذات خُضْرة كما تقول مَبْقلة ومَسْبعة؛ أي: ذوات بقل وسباع، وهو عبارة عَنْ استعجالها أثر نزول الماء بالنبات واستمرارها كذلك عادة.

وصيغة الاستقبال لاستحضار[٨] صورة الاخضرار مع الإشعار بتجدد الإنزال واستمراره، وهذا المعنى لا يحصل إلا بالمستقبل، والرفع هنا مُتعين[٩]؛ لأنه لو نصب لانعكس المعنى المقصود مِنْ الآية فينقلب إلى نفي الاخضرار، والمقصود إثباته.

---

(١) انظر: «الحجة في بيان المحجة» لقوّام السُّنَّة الأصبهاني (٢/ ١٨٦).
(٢) «روح المعاني» (١٧/ ٣٩٧).
(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٥٣١).
(٤) في «الكتاب» (٣/ ٤٠).
(٥) ذكره أبو حيّان في «البحر المحيط» (٧/ ٥٣١)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٤١).
(٦) البيت لجميل بثينة. انظر: «ديوانه» (ص١٤٤).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٩).
(٨) «روح المعاني» (١٧/ ٣٩٥).
(٩) «التبيان» (٢/ ٩٤٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ١٠٠)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٩٥)، و«الفريد» (٣/ ٥٤٧).

قال ابن عطية[١]: هذا لا يكون، يعني: الاخضرار في صباح ليلة المطر إلا بمكةَ وتهامة.

والظاهر: أنَّ المراد بالاخضرار: اخضرار الأرض في نفسها لا باعتبار النبات فيها كما في قوله: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩، الحج: ٥].

والمراد بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ أنَّه يصل علمُه إلى كلِّ دقيق وجليل؛ وقيل: لطيف[٢] بأرزاق عباده؛ وقيل: لطيف[٢] باستخراج النبات.

ومعنى ﴿خَبِيرٌ﴾ أنَّه ذو خبرة بتدبير عباده وما يصلح لهم، وقيل: خبير بما ينطوون عليه مِنْ القنوط عند تأخير المطر؛ وقيل: خبير بحاجتهم وفاقتهم ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خَلْقاً ومُلْكاً وتَصرّفاً وكلُّهم محتاجون إلى رزقه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ فلا يحتاج إلى شيء.

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المستوجب للحمد في كلِّ حالٍ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذه نعمة أخرى ذكرها الله سبحانه، فأخبر عباده بأنَّه سخر لهم ما يحتاجون إليه مِنْ الدواب والشجر والأنهار وجعله لمنافعهم.

﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ عطف[٣] على (ما)، أو على اسم (أنّ)؛ أي: وسخر لكم الفلك في حال جَرْيها في البحر، و[قرأ عبد الرحمٰن الأعرج][٤]: **﴿وَالْفُلْكُ﴾ بالرفع[٥] على الابتداء وما بعده خبره، وقرأ الباقون بالنصب**[٦].

ومعنى ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾؛ أي: بتقديره، والجملة في محل نصب[٧] على الحال على قراءة الجمهور.

---

(١) في «المحرر الوجيز» (١١/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

(٢) «الوسيط» (٣/ ٢٧٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٤١)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٩٧).

(٣) «روح المعاني» (١٧/ ٣٩٧)، و«التبيان» (٢/ ٩٤٧)، و«الفريد» (٣/ ٥٤٨).

(٤) كذا في المخطوط والصواب: (أبو عبد الرحمٰن والأعرج). وعزاها ابن خالويه في «القراءات الشاذة» (ص٩٦) للأعرج والسُّلمي، وهو أبو عبد الرحمٰن، وكذلك عزاها الألوسي في «روح المعاني» (١٧/ ٣٩٨) للسُّلمي والأعرج. والقراءة شاذة.

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٥٣٣)، و«جامع البيان» (١٦/ ٦٢٤)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٩٧)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٦).

(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٥٣٣)، و«جامع البيان» (١٦/ ٦٢٤)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٩٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٤١).

(٧) «الفريد» (٣/ ٥٤٨)، و«التبيان» (٢/ ٩٤٧).

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: كراهةَ أَنْ تقع، وذلك بأنه خلقها على صفة مستلزمة للإمساك، والجملة معطوفة على تجري.

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾؛ أي: بإرادته ومشيئته، وذلك يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: كَثير الرأفة[١] والرحمة حيثُ سخّر هذه الأمور لعباده وهيأ لهم أسباب المعاش، وأمسك السماء أَنْ تقع على الأرض فتهلكهم، تفضلاً منه على عباده، وإنعاماً عليهم.

ثم ذكر سبحانه نعمةً أخرى فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بعد أن كنتم جماداً ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء أعماركم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند[٢] البعث للحساب والعقاب.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾؛ أي: كثير الجحود لنعم الله عليه مع كونها ظاهرة غير مستترة، ولا ينافي هذا خروج بعض الأفراد عَنْ هذا الجحد، لأن المراد وصف جميع الجنس بوصف مَنْ يوجد فيه ذلك من أفراده مبالغةً.

وقد أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن سلمان الفارسي[٣]: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ مات مرابطاً أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر، وأجرى عليه الرزق وأُمِنَ من الفتّانين، واقرءوا إن شئتم: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿حَلِيمٌ﴾».

وإسناد[٤] ابن أبي حاتم هكذا: حدّثنا المسيّب بن واضح، حدّثنا ابن المبارك، عَنْ عبد الرحمٰن بن شريح، عَنْ عبد الكريم بن الحٰرث عن أبي عقبة، يعني: أبا عبيدة بن عقبة قال: قال شرحبيل بن السِّمْط: طال رباطنا وإقامتنا على حصن بأرض الروم، فمرّ بي سلمان يعني: الفارسي قال: سمعتُ رسول الله ﷺ فذكره.

---

(١) «جامع البيان» (١٦/ ٦٢٥)، و«زاد المسير» (٥/ ٤٤٨)، و«الوسيط» (٣/ ٢٧٩).
(٢) «الوسيط» (٣/ ٢٧٩)، و«جامع البيان» (١٦/ ٦٢٥).
(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠ ـ ٧١).
وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٠٣).
(٤) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (١٠/ ٩٠).
وأخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٩١٣)، والنسائي رقم (٣١٦٧).

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن فَضَالة بن عُبيد(١) الأنصاري الصحابي أنّه كان بـ (رودِس)، فمرّوا بجنازتين أحدهما قتيل والآخر مُتوفّى، فمال الناس عَنْ القتيل، فقال فَضَالة: ما لي أرى الناس مالوا مع هذا وتركوا هذا؟ فقالوا: هذا القتيل في سبيل الله، فقال: والله ما أبالي مِنْ أيّ حفرتيهما بعثتُ اسمعوا كتاب الله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ﴾ الآية.

وإسناده(٢) عند ابن أبي حاتم هكذا: حدّثنا أبو زرعة عن زيد بن بشر، أخبرني ضمام أنه سمع أبا قبيل وربيعة بن سيف المغافري يقولان: كنا برودِس(٣) ومعنا فَضَالة بن عُبيد الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ فذكره.

قلتُ: ويؤيد هذا قول الله سبحانه: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾ [النساء: ١٠٠].

وأخرج ابن أبي حاتم(٤) عَنْ مقاتل في قوله: ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ قال: إنّ النبي ﷺ بعث سريةً في ليلتين بقيتا مِنْ المُحرّم فلقوا المشركين، فقال المشركون بعضُهم لبعض: قاتلوا أصحاب محمد فإنّهم يحرمون القتال في الشهر الحرام، وإنذ أصحاب محمد ناشدوهم وذكّروهم بالله أن يعرضوا لقتالهم فإنّهم لا يستحلون القتال في الشهر الحرام إلا مَنْ بادأهم، وإن المشركين بدءوا فقاتلوهم، فاستحلّ الصحابة قتالهم عند ذلك فقاتلوهم ونصرهم الله عليهم، وهو مرسل.

وأخرج ابن المنذر(٥) عن ابن جريج في قوله: ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ﴾ الآية قال: تعاون المشركون على النبي ﷺ وأصحابه فأخرجوه، فوعده الله أن ينصره، وهو في القصاص أيضاً.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦١٩)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٠/ ٩٠) من طريق يقوى أحدهما الآخر.

(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (١٠/ ٩٠).

(٣) رودس: جزيرة في البحر الأبيض المتوسط شمال الإسكندرية غزاها المسلمون في زمن معاوية رضي الله عنه. «معجم البلدان» (٢/ ٨٣٢).

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٠٣ ـ ٢٥٠٤).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧١).

وأخرج ابنُ أبي حاتم[١] عَنْ مجاهد ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ قال: الشيطان.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[٢] عَنْ الحسن في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ قال: يَعُدّ المصيبات، وينْسَى النِّعم.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾.

عاد سبحانه إلى بيان أمر التكاليف مع الزجْر لمعاصري رسول الله ﷺ من أهل الأديان عَنْ منازعته فقال: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾؛ أي: لكلّ قرن من القرون الماضية وضعنا شريعةً خاصة، بحيث لا تتخطّى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى.

وجملة ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ صفة[٣] لـ﴿مَنسَكًا﴾، والضمير لكل أمة؛ أي: تلك الأمة هي العاملة به لا غيرها، فكانت التوراة منسك الأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى، والإنجيل مَنْسك الأمة التي من مبعث عيسى إلى مبعث محمد ﷺ، والقرآن منسك المسلمين.

والمنسك: مصدر لا اسم مكان كما يدلّ عليه هم ناسكوه، ولم يقل ناسكون فيه؛ وقيل: المنسك: موضع أداء الطاعة.

وقيل: هو الذبائح، ولا وجه للتخصيص، ولا اعتبار بخصوص السبب.

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٠٤).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٠٤).

(٣) «روح المعاني» (١٧/ ٤٠١)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ٢١٧).

والفاء في قوله: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ﴾ لترتيب[١] النهي على ما قبله، والضمير راجع إلى الأُمم الباقية آثارهم؛ أي: قد عيّنا لكل أمة شريعة، ومن جملة الأمم هذه الأمة المحمدية، وذلك موجب لعدم منازعة مَنْ بقي منهم لرسول الله ﷺ ومستلزم لطاعتهم إياه في أمر الدين، والنهي إما على حقيقته، أو كناية عن نهيه ﷺ عن الالتفات إلى نزاعهم له.

قال الزجاج[٢]: [٣/٢٧٥] إنه نهي له ﷺ عن منازعتهم؛ أي: لا تنازعهم أنت كما تقول: لا يخاصمك فلان؛ أي: لا تخاصمه، وكما تقول: لا يضاربنك فلان؛ أي: لا تضاربه، وذلك أن المفاعلة تقتضي العكس ضمناً، ولا يجوز لا يضربنك فلان وأنت تريد لا تضربه.

وحكي عن الزجاج[٣] أنه قال في معنى الآية: فلا ينازعنّك؛ أي: فلا يجادلنك. قال: ودلّ على هذا ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ وقرأ أبو مجلز[٤] (فلا يَنْزِعُنّك في الأمر)؛ أي: لا يَستخِفنّك ولا يغلبنّك على دينك.

وقرأ الباقون[٥] (ينازعنُّك) مِنْ المنازعة.

[أدبٌ حسنٌ علَّمه الله عباده في الردِّ على من جادل تعنُّتاً ومِراءة ألّا يجادل ولا يناظر ويُدفع بهذا القول]:

﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾؛ أي: وادعُ هؤلاء المنازعين أو ادعُ النّاسَ على العموم إلى دين الله وتوحيده والإيمان به ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾؛ أي: طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾؛ أي: وإنْ أبوا إلا الجدال بعد البيان لهم وظهور الحجة عليهم ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: فَكِلْ أمرَهم إلى الله، وقل لهم هذا القول المشتمل على الوعيد ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾؛ أي: بين المسلمين والكافرين ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ مِنْ أمر الدين فيتبين حينئذٍ الحق من الباطل.

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٤١)، و«روح المعاني» (١٧/ ٤٠١).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٣٧). (٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٣٧).

(٤) «المحتسب» (٢/ ٨٥)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٥). قراءة أبي مجلز شاذة.

(٥) «البحر المحيط» (٧/ ٥٢٤)، و«روح المعاني» (١٧/ ٤٠٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٤٣).

وفي هذه الآية تعليم لهذه الأمة بما ينبغي لهم أَنْ يجيبوا به مَنْ أراد الجدال بالباطل.

وقيل: إنَّها منسوخة[(١)] بآية السيف.

وجملة ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ مستأنفة مقرِّرة لمضمون ما قبلها، والاستفهام[(٢)] للتقرير؛ أي: قد علمتَ يا مُحمد وتيقنت ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومن جملة ذلك ما أنتم فيه مخلتفون ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي في السماء والأرض من معلوماته ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾؛ أي: مكتوب عنده في أمّ الكتاب ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾؛ أي: إن الحكم منه سبحانه بين عباده فيما يختلفون فيه يسير عليه غير عسير، أو إنّ إحاطة علمه بما في السماء والأرض يسير عليه.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ هذا حكاية لبعض[(٣)] فضائحهم؛ أي: إنّهم يعبدون أصناماً لم يتمسكوا في عبادتها بحجة نيرة من الله سبحانه ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مِنْ دليل عقل يدلّ على جواز ذلك بوجه مِنْ الوجوه.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله، وقد تقدّم الكلام على هذه الآية في آل عمران.

وجُمْلة ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ معطوفة على يعبدون، وانتصاب[(٤)] بينات على الحال؛ أي: حال كونها واضحاتٍ ظاهرات الدلالة ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾؛ أي: الأمر الذي يُنْكَر، وهو غضبهم[(٥)] وعبوسهم عند سماعها، أو المراد بالمنكر: الإنكار؛ أي: تعرف في وجوههم إنكارها.

وقيل: هو التجبّر والترفّع.

وجملة ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: ما ذلك المُنْكَر الذي يُعرف في وجوههم؟ فقيل: يكادون

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٤٤)، و«جامع البيان» (١٦/ ٦٢٨).
(٢) «روح المعاني» (١٧/ ٤٠٦)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٢).
(٣) انظر: «روح المعاني» (١٧/ ٤٠٧).
(٤) «الفريد» (٣/ ٥٤٩)، و«روح المعاني» (١٧/ ٤٠٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٣٦).
(٥) «تهذيب اللغة» (١٠/ ١٩١)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٢٣).

يسطون؛ أي: يَبْطشون، والسطوة: شدّة[١] البَطْش، يقال: سطا به يسطو إذا بطش[٢] به بضربٍ، أو شتمٍ، أو أخذٍ باليد، وأصل السطو: القَهْر.

وهكذا ترى أهل البدع المُضلّة إذا سمع الواحد مِنْهم ما يتلوه العالِم عليهم من آياتِ الكتاب العزيز، أو مِنْ السُّنَّة الصحيحة مخالفاً لما اعتقده مِنْ الباطل والضلالة رأيت في وجهه مِنْ المنكر ما لو تمكّن مِنْ أن يسطو بذلك العالم لفعل به ما لا يفعله بالمشركين.

وقد رأينَا وسمعنا مِنْ أهل البدع ما لا يُحيط به الوصف، واللهُ ناصر الحقّ، ومُظهر الدين، وداحض الباطل، ودامغ البدع وحافظ المتكلِّمين بما أخذه عليهم، المبينين للناس ما نُزّل إليهم، وهو حسبُنا ونعم الوكيل.

ثم أمر رسوله أن يردّ عليهم، فقال: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم﴾؛ أي: أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ الذي فيكم مِنْ الغيظ على من يتلو عليكم آيات الله، ومقاربتكم للوثوب عليهم، وهو النار التي أعدّها الله لكم، فالنار مرتفعة[٣] على أَنَّها خبر لمبتدأ محذوف، والجملة جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: ما هذا الأمر الذي هو شرّ مما نكابده ونناهده عند سماعنا ما تتلوه علينا؟ فقال: هو ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

وقيل: إن ﴿ٱلنَّارُ﴾ مبتدأ وخبره[٤] جملة ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

وقيل: المعنى: أفأخبركم بشرّ مما يلحق تالي القرآن منكم مِنْ الأذى والتوعد لهم والتوثب عليهم؟ وقُرئ النار بالنصب[٤] على تقدير أعني، وقرئ بالجرّ[٥] بدلاً من شرّ ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: الموضع الذي تصيرون إليه، وهو النار.

---

(١) «تهذيب اللغة» (٣/ ٢٤).
(٢) «الوسيط» (٣/ ٢٨٠)، و«جامع البيان» (١٦/ ٦٣٢ ـ ٦٣٣).
(٣) «التبيان» (٢/ ٩٤٨)، و«روح المعاني» (١٧/ ٤١٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٠٥)، و«الفريد» (٣/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٤٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٣٦)، و«التبيان» (٢/ ٩٤٨).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالنصب والجر كلاهما شاذتان.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[(١)] عن ابن عباس في قوله: ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ قال: يعني: هم ذابحوه ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ يعني: في أمر الذبح.

وأخرج عبد بن حميد[(٢)] عن عكرمة نحوه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[(٣)] نحوه أيضاً.

وأخرج ابن المنذر عن مجاهد[(٤)] قال: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ قول أهل الشرك: أما ما ذَبح الله بيمينه فلا تأكلوه، وأما ما ذبحتم بأيديكم فهو حلال.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[(٥)] قال: خلق الله اللوح المحفوظ لمسيرة مائة عام، وقال للقلم قبل أنْ يخلق الخلق وهو على العرش: اكتبْ، قال: ما أكتب؟ قال: علمي في خلقي إلى يوم تقوم الساعة، فجرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة، فذلك قوله للنبي ﷺ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: ما في السمٰوات السبع والأرضين السبع ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ العلم ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ يعني: في اللّوح المحفوظ مكتوب قبل أن يخلق السمٰوات والأرضين ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني: هيّن.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٦)] ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾: يبطشون.

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٠٤).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٣).
(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٣).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦٢٧) عن مجاهد بسند صحيح.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٣).
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٠/ ٩٦). وهو حديث حسن بشواهده.
(منها): ما أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٦٥٣) عن عبد الله بن عمر وقال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله قدَّر مقادير الخلائق قبل خلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء».
و**(منها)**: ما أخرجه أبو داود رقم (٤٧٠٠)، والترمذي رقم (٣٣١٩) وحسَّنه. وهو حديث صحيح.
(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦٣٣) بسند صحيح.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ هذا مُتَّصل بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [الحج: ٧١] قال الأخفش[١]: ليس ثمَّ مَثَلٌ، وإنما المعنى: ضربوا لي مَثَلاً ﴿فَاسْتَمِعُوا﴾ قولَهم، يعني: أنّ الكفار جعلوا لله مَثَلاً بعبادتهم غيره، فكأنه قال: جعلوا لي شَبَهاً في عبادتي فاستمعوا خبرَ هذا الشبه.

وقال القتيبي[٢]: إنّ المعنى: يا أيها الناس مَثَلُ مَنْ عبد آلهة لم تستطع أن تخلق ذباباً، وإنْ سلبها شيئاً لم تستطع أَنْ تستنقذه منه.

قال النحاس[٣]: المعنى: ضرب الله ﷻ لما يعبدونه مِنْ دونه مَثَلاً. قال: وهذا مِنْ أحسن ما قيل فيه؛ أي: بيَّن الله لكم شبَهاً ولمعبودكم. وأصل المثل: جملة من الكلام متلقاة بالرضا والقبول مسيرةً في النَّاس مستغربةً عندهم، وجعلوا مَضْربها مثلاً لموردها.

ثم قد يستعيرونها للقصة، أَو الحالة أو الصفة المستغربة لكونها مماثلة لها في الغرابة كهذه القصة المذكورة، في هذه الآية.

والمراد بما يدعونه مِنْ دون الله: الأصنامُ التي كانت حول الكعبة وغيرها؛ وقيل: المراد بهم: السادة الذين صرفوهم عَنْ طاعة الله؛ لكونهم أهل الحلّ والعقد

---

(١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٣٧). (٢) في «تأويل مشكل القرآن» (ص٦٠).

(٣) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٠٥).

فيهم؛ وقيل: الشياطين الذين حملوهم على معصية الله، والأوّل أوفق بالمقام وأظهر في التمثيل.

والذباب: اسمٌ للواحد يُطلق على الذكر والأنثى، وجمع القلة أذِبَّة، والكثرة ذِبَّان مثل غُراب وأغْرِبة وغِرْبان.

وقال الجوهري[(١)]: الذباب معروف الواحد ذبابة. والمعنى: لن يقدروا على خلقه مع كونه صغير الجسم حقير الذات.

وجملة ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ معطوفة على جملة أخرى شرطية محذوفة؛ أي: لو لم يجتمعوا له لن يخلقوه ولو اجتمعوا له، والجواب محذوف والتقدير لن يخلقوه وهما في محل نصب[(٢)] على الحال؛ أي: لن يخلقوه على كلّ حال.

ثم بيَّن سبحانه كمال عجزهم وضعف قدرتهم فقال: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾؛ أي: إذا أخذ منهم الذباب شيئاً مِنْ الأشياء لا يقدرون على تخليصه منه لكمال عَجْزهم وفرط ضعفهم، والاستنقاذ[(٣)] والإنقاذ: التخلّص[(٤)]، وإذا عجزوا عن خلق هذا الحيوان الضعيف، وعن استنقاذ ما أخذه عليهم فهم عَنْ غيره مما هو أكبر منه جُرْماً وأشدّ منه قُوّةً أعجز وأضعف، ثم عجب سبحانه من ضعف الأصنام والذباب، فقال: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ فالصنم[(٥)] كالطالب من حيث إنه يطلب خلق الذباب أو يطلب استنقاذ ما سلبه منه، والمطلوب: الذباب؛ وقيل: الطالب: عابدُ الصنم، والمطلوب: الصنم، وقيل: الطالب: الذباب، والمطلوب: الآلهة[(٦)].

ثم بيَّن سبحانه أَنّ المشركين الذين عبدوا من دون الله آلهةً عاجزة إلى هذه الغاية في العجز ما عرفوا الله حقّ معرفته فقال: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾؛ أي:

---

(١) في «تهذيب اللغة» (١٤/ ٤١٢).
(٢) «الفريد» (٣/ ٥٥٠)، و«التبيان» (٢/ ٩٤٩)، و«روح المعاني» (١٧/ ٤١١ ـ ٤١٢).
(٣) «الوسيط» (٣/ ٢٨٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٤٨)، و«جامع البيان» (١٦/ ٦٣٤ ـ ٦٣٥).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٤٨)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٢٩٨).
(٥) «جامع البيان» (ص٦٣٦)، و«الوسيط» (٣/ ٢٨٠)، و«زاد المسير» (٥/ ٤٥٢).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

ما عظّموه حقّ تعظيمه، ولا عرفوه [٣/٢٧٦] حقّ معرفته، حيث جعلوا هذه الأصنام شركاء له مع كون حالها هذا الحال، وقد تقدّم في الأنعام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلق كلِّ شيء ﴿عَزِيزٌ﴾ غالب لا يُغالبه أحد، بخلاف آلهة المشركين، فإنّها جماد لا تعقل ولا تنفع ولا تضرّ ولا تقدر على شيء.

[الرد على معتقدات النبوّات والإلٰهيات عند المشركين]:

ثم أراد سبحانه أن يردّ عليهم[1] ما يعتقدونه في النبوّات والإلٰهيات فقال: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾؛ كجبريل، وإسرافيل، وميكائيل، وعزرائيل ﴿و﴾ يصطفي أيضاً رُسلاً (مِنَ النَّاس) وهم الأنبياء، فيرسل الملَكَ إلى النبيّ، والنبيّ إلى النّاس، أو يرسل الملك لقبض أرواح مخلوقاته، أو لتحصيل ما ينفعهم، أو لإنزال العذاب عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لأقوال عباده ﴿بَصِيرٞ﴾ بمن يختاره من خلقه ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ﴾؛ أي: ما قدّموا مِنْ الأعمال وما يتركونه من الخير والشرّ كقوله تعالى: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ [يس: ١٢]. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ لا إلى غيره.

ولما تضمّن ما ذكره مِنْ أنَّ الأمور ترجع إليه الزجرَ لعباده عن معاصيه، والحضَّ لهم على طاعاته صرّح بالمقصود فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾؛ أي: صلّوا الصلاة التي شرعها الله لكم، وخصّ الصلاة لكونها أشرف العبادات. ثم عمّم فقال: ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾؛ أي: افعلوا جميع أنواع العبادة التي أمركم الله بها ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾؛ أي: ما هو خير، وهو أعمّ مِنْ الطاعة الواجبة والمندوبة، وقيل: المراد بالخير هنا: المندوبات.

ثم علّل ذلك بقوله: ﴿تُفۡلِحُونَ﴾؛ أي: إذا فعلتم هذه كلها رجوتم الفلاح.

وهذه الآية مِنْ مواطن سجود التلاوة عند الشافعي[2] ومَنْ وافقه، لا عند أبي حنيفة[3] ومَنْ قال بقوله، وقد تقدّم أن هذه السورة فُضّلت بسجدتين[4]، وهذا دليل على ثبوت السجود عند تلاوة هذه الآية.

---

(١) «جامع البيان» (١٦/ ٦٣٨).
(٢) «المجموع شرح المهذب» (٣/ ٥٥٧)، و«الأوسط» لابن المنذر (٥/ ٢٦٧).
(٣) «البناية في شرح الهداية» (٢/ ٧٨٦ ـ ٧٨٧).
(٤) «المغني» (٢/ ٣٥٢)، و«الأوسط» (٥/ ٢٦٧)، و«المنتقى» للباجي (١/ ٣٥١).

[سنام الإسلام وأعظم أعماله]:

ثم أمرهم بما هو سنام الدين، وأعظم أعماله، فقال: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾؛ أي: في ذاته ومِنْ أجله، والمراد به الجهاد[1] الأكبر، وهو الغزو للكفّار، ومدافعتهم إذا غزوا بلاد المسلمين، وقيل: المراد بالجهاد هنا: امتثال ما أمرهم الله به في الآية المتقدّمة، أو امتثال جميع ما أمر به ونهى عَنْه على العموم.

ومعنى ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ المبالغة في الأمر بهذا الجهاد؛ لأنه أضاف الحق إلى الجهاد، والأصل إضافة الجهاد إلى الحق؛ أي: جهاداً خالصاً لله، فعكس ذلك لقصد المبالغة، وأضاف الجهاد إلى الضمير[2] اتساعاً، أو لاختصاصه به سبحانه من حيث كونه مفعولاً له ومِنْ أجله.

وقيل: المراد بـ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾: هو أنْ لا تخافوا في الله لومة لائم؛ وقيل: المراد به استفراغ[3] ما في وسعهم في إحياء دين الله.

وقال مقاتل[4] والكلبي: إن الآية منسوخة[5] بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. كما أن قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] منسوخ بذلك، وردّ ذلك بأنّ التكليف مشروط بالقدرة، فلا حاجة إلى المصير إلى النّسخ.

ثم عظّم سبحانه شأن المكلفين بقوله: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾؛ أي: اختاركم لدينه، وفيه تشريف لهم عظيم.

ثم لمّا كان في التكليف مشقة على النفس في بعض الحالات قال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾؛ أي: مِنْ ضيق وشدّة.

وقد اختلف العلماء في هذا الحرج الذي رفعه الله فقيل[6]: هو ما أحله الله مِنْ النساء مثنى وثلاث ورباع وملك اليمين.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٥٠)، و«جامع البيان» (١٦/ ٦٣٩)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٣٠٠).

(٢) «روح المعاني» (١٧/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٥).

(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٠٨).

(٤) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٣٠٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٥٠).

(٥) «المحرر الوجيز» (١١/ ٢٢٠).

(٦) «أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ١٢٩٣).

وقيل[١]: المراد: قَصْر الصلاة، والإفطار للمسافر، والصلاة بالإيماء على من لا يقدر على غيره، وإسقاط الجهاد عَنْ الأعرج والأعمى والمريض، واغتفار الخطأ في تقديم الصيام وتأخيره لاختلاف الأهلّة، وكذا في الفطر والأضحى.

وقيل: المعنى: أنّه سبحانه ما جعل عليهم حرجاً بتكليف[٢] ما يشق عليهم، ولكنْ كلّفهم بما يقدرون عليه، ورفع عنهم التكاليف التي فيها حرج، فلم يتعبدهم بها كما تعبد بها بني إسرائيل.

وقيل: المراد بذلك: أنَّه جعل لهم من الذنب مَخْرجاً بفتح باب التوبة[٣]، وقبول الاستغفار، والتكفير فيما شرع فيه الكفارة، والأرش، أو القصاص في الجنايات، وردّ المال أو مثله أو قيمته في الغصب ونحوه.

والظاهر: أنَّ الآية أعمّ من هذا كله، فقد حطّ سبحانه ما فيه مشقة من التكاليف على عباده: إمَّا بإسقاطها مِنْ الأصل وعدم التكليف بها كما كلف بها غيرهم، أو بالتخفيف وتجويز العدول إلى بدل لا مشقة فيه، أو بمشروعية التخلّص عن الذنب بالوجه الذي شرعه الله، وما أنفع هذه الآية وأجلّ موقعها وأعظم فائدتها، ومثلها قوله سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وفي الحديث الصحيح[٤] أنَّه سبحانه قال: «قد فعلتُ» كما سبق بيانه في تفسير هذه الآية، والأحاديث في هذا كثيرة.

وانتصاب ملةَ في ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ﴾ على المصدرية[٥] بفعل دلّ عليه ما قبله؛ أي: وسّع عليكم دينكم توسعة ملةَ أبيكم إبراهيم.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٤٥٢).
(٢) «جامع البيان» (١٦/ ٦٤٠).
(٣) «روح المعاني» (١٧/ ٤٢٧)، و«جامع البيان» (١٦/ ٦٤٠).
(٤) تقدم نصه عند تفسير سورة البقرة الآية: (٢٨٦).
(٥) «التبيان» (٢/ ٩٤٩)، و«الفريد» (٣/ ٥٥١).

وقال الزجاج[١]: المعنى: اتبعوا ملةَ أبيكم إبراهيم.

وقال الفراء[٢]: انتصب على تقدير حذف الكاف؛ أي: كملة.

وقيل: التقدير: وافعلوا الخير كفعل أَبيكم إبراهيم، فأقام الملَة مقام الفعل.

وقيل: على الإِغراء، وقيل: على الاختصاص، وإنما جعله سبحانه أباهم؛ لأنَّه أبو العرب قاطبةً؛ ولأنَّ له عند غير العرب الذين لم يكونوا من ذريته حُرْمة عظيمة كحُرمة الأب على الابن لكونه أباً لنبيّهم ﷺ

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: في الكتب المتقدّمة ﴿وَفِى هَٰذَا﴾؛ أي: القرآن، والضمير لله سبحانه؛ وقيل: راجع إلى إبراهيم. والمعنى: هو ـ أي: إبراهيم ـ سمّاكم المسلمين مِنْ قبل النبيّ ﷺ، وفي هذا؛ أي: في حكمه أن من اتبع محمداً فهو مُسلم[٣].

قال النحاس[٤]: وهذا القول مخالف لقول علماء الأمة.

ثم علّل سبحانه ذلك بقوله: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: بتبليغه إليكم ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أَنَّ رسلَهم قد بلغتهم، وقد تقدّم ببيان معنى هذه الآية في البقرة.

ثم أمرهم بما هو أعظم الأركان الإِسلامية فقال: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وتخصيص الخصلتين بالذكر لمزيد شرفهما ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: اجعلوه عصمةً لكم مما تحذرون، والتجئوا إليه في جميع أموركم، ولا تطلبوا ذلك إلاّ منه ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾؛ أي: ناصركم، ومتولي أموركم دقيقها وجليلها ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾؛ أي: لا مماثل له في الولاية لأموركم، والنصرة على أعدائكم؛ وقيل: المراد بقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: تمسكوا بدين الله؛ وقيل: ثقوا به تعالى.

وقد أخرج ابن مردويه[٥] عن ابن عباس في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ قال: نَزَلتْ في صنم.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٤٠).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣١).
(٣) «معالم التنزيل» (٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠١).
(٤) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٠٦).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٥).

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[1] ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ قال: الطالب آلهتهم، والمطلوب: الذُّباب.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن عكرمة[2] في قوله: ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ قال: لا تستنقذ الأصنامُ ذلك الشيء من الذباب.

وأخرج الحاكم وصححه عنه[3] أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى موسى بالكلام، وإبراهيم بالخُلّة».

وأخرج أيضاً عن أنس[4] وصحّحه أن النبيّ ﷺ قال: «موسى بن عمران صَفِيُّ الله».

وأخرج ابن مردويه[5] عن عبد الرحمٰن بن عوف قال: قال لي عمر: ألسنا كنا نقرأ فيما نقرأ: وجاهدوا في الله حقَّ جهاده في آخر الزمان كما جاهدتم في أوّله؟ قلتُ: بلى فمتى هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: إذا كانت بنو أمية الأمراء، وبنو المغيرة الوزراء.

وأخرجه البيهقي[6] في «الدلائل» عن المسور بن مخرمة قال: قال عمر لعبد الرحمٰن بن عوف فذكره.

وأخرج الترمذي وصححه، وابن حبان، وابن مردويه، والعسكري في «الأمثال» عن فَضَالة بن عُبيد[7] قال: قال رسول الله ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله».

وأخرج ابن جرير، والحاكم، وصححه، وابن مردويه عن عائشة[8]، أنها سألت

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦٣٦) بسند ضعيف.
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٥).
(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٧٥). وهو حديث ضعيف. انظر: «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٠٤٨).
(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٧٦). وهو حديث صحيح.
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٨).
(٦) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٢٢).
(٧) أخرجه الترمذي رقم (١٦٢١)، وابن حبان (٤٦٢٤، ٤٧٠٦، ٤٨٦٢). وهو حديث صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦٤١، ٦٤٢)، والحاكم (٢/ ٣٩١) وصححه، ووافقه الذهبي.

النبيّ ﷺ عَنْ هذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، قال: «الضيقُ».

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عَنْ محمد، قال: قال أبو هريرة لابن عبّاس: أمَا علينا في الدين من حرجٍ في أن نسرِق أو نزني؟ قال: بلى، قال: فما جعلَ عليكم في الدين من حرج؟ قال: الإصرُ الذي كان على بني إسرائيل وُضِع عنكم.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] من طريق ابن شهاب أنّ ابن عباس كان يقول: وما جعلَ عليكم في الدين من حرج تَوسِعةُ الإسلام، ما جعلَ الله من التوبةِ والكفاراتِ.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق عثمان بن يسار، عن ابن عباس[٣] ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ قال: هذا في هلالِ رمضان إذا شكّ فيه الناس، وفي الحجِّ إذا شكّوا في الأضحى، وفي الفطرِ وأشباهه.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، من طريق سعيد بن جبير أنّ ابن عباس سُئِل عن الحرج، فقال: ادعُ لي رجلاً من هُذَيْل، فجاءه فقال: ما الحرجُ فيكم؟ قال: الحرجةُ من الشجرِ التي ليسَ فيها مخرجٌ، فقال ابن عباس: الذي ليسَ له مَخْرجٌ.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، والبيهقي في «سننه»، من طريق عبيد الله بن أبي يزيد [٣/٢٧٧] أنّ ابن عباس[٤] سُئِل عن الحرج، فقال: ها هنا أحدٌ مِنْ هُذيل؟ قال رجل: أنا، فقال: ما تعدُّون الحرجةَ فيكم؟ قال: الشيء الضيق، قال: هو ذاك.

وأخرج البيهقي[٥] في «سننه» عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، قال: قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، ثم قال لي: ادعُ

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/٢٥٠٦).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/٢٥٠٦).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٧٩).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/٦٤٣) من طريق عثمان بن يسار، به.

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٧٩).
وأخرجه البيهقي في «سننه» (١٠/١١٣).

(٥) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/١١٢، ١١٣).

لي رجلاً من بني مُدلِج، قال عمر: ما الحرجُ فيكم؟ قال: الضِّيقُ.

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عن السدي في قوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾، قال: دين أبيكم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾، قال: الله ﷻ سمّاكم.

ورُوِي نحوه عن جماعة من التابعين.

وأخرج الطيالسي، وأحمد، والبخاري، في «تاريخه»، والترمذي وصححه، والنسائي، وأبو يعلى، وابن خزيمة، وابن حبان، والبغوي، والباورديّ، وابن قانع، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، عن الحٰرث الأشعري[٣]، عَنْ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دعا بدعوةِ الجاهلية فإنّه من جِثي جهنم»، قال رجل: يا رسول الله، وإنْ صامَ وصلّى؟ قال: «نعم، فادعوا بدعوة الله التي سمّاكم بها المسلمين والمؤمنين عبادَ الله».

۞ ۞ ۞

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٧٥٠٨).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٦٤٤) بسند صحيح.

(٣) أخرجه الطيالسي رقم (١٢٥٨)، وأحمد رقم (١٧١٧٠)، والبخاري في «تاريخه» (٢/ ٢٦٠)، والترمذي رقم (٢٨٦٣)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٨٨٦٦)، وأبو يعلى في «مسنده» رقم (١٥٧١)، وابن خزيمة رقم (٤٨٣، ٩٣٠، ١٨٩٥)، وابن حبان رقم (٦٢٣٣)، وابن قانع (١/ ١٦٧، ١٦٨)، والطبراني رقم (٣٤٢٨، ٣٤٣٠، ٣٤٣١)، والحاكم (١/ ١١٧، ٢٣٦)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٥٣٩). وهو حديث صحيح.

سورة المؤمنون

هي مكية بلا خلاف.

قال القرطبي[(١)] كلها مكية في قول الجميع[(٢)] وآياتها مائة وتسع عشرة آية.

وقد أخرج أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه وغيرهم عن عبد الله بن السائب[(٣)] قال: صلّى النبي ﷺ بمكة الصُّبح فاستفتح سورة المؤمنين، حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى أخذته سعلةٌ فركع.

وأخرج البيهقي من حديث أنس[(٤)]، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لما خلق الله الجنّة قال لها: تكلّمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون».

وأخرجه[(٥)] أيضاً ابن عدي والحاكم.

وأخرج الطبراني في «السُّنَّة»، وابن مردويه من حديث ابن عباس[(٦)] مثله.

وقد ورد في فضائل العشر الآيات مِنْ أوّل هذه السورة ما سيأتي قريباً.

* * *

(١) في «تفسيره» (١٥/ ٥).

(٢) «زاد المسير» (٥/ ٤٥٨).

(٣) أخرجه أحمد رقم (١٥٣٩٣، ١٥٣٩٥، ١٥٣٩٧)، و.... رقم (٤٥٥)، وأبو داود رقم (٦٤٩)، وابن ماجه رقم (٨٢٠)، وابن خزيمة رقم (٥٤٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٣٤٧)، وابن حبان رقم (١٨١٥، ٢١٨٩)، والبيهقي في الدلائل (٥٩١٢، ٣٨٩)، وعبد الرزاق في مصنفه رقم (٢٧٠٧) وابن أبي شيبة (١٤/ ٥٠٥)، والشافعي (١/ ٢٠٧، ٢٠٨ رقم ٢٤١ ـ شفاء العي).

(٤) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٩١). وهو حديث ضعيف.

(٥) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨٣٧)، والحاكم (٢/ ٣٩٢) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: بل ضعيف». وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١١٤٣٩). وهو حديث ضعيف.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[تقرير الفلاح للمؤمنين]:

[صفات المؤمنين هؤلاء الذين كتب لهم الفلاح]:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾.

قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قال الفراء[1]: «قد» ها هنا يجوز أن تكون تأكيداً لفلاح المؤمنين، ويجوز أن تكون تقريباً للماضي من الحال؛ لأن (قد) تُقرّب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه، ألا تراهم يقولون: قد قامت الصلاة قبل حال قيامها، ويكون المعنى في الآية: أنّ الفلاح قد حصل لهم، وأنّهم عليه في الحال، والفلاح: الظَّفَرُ بالمراد، والنجاة مِنْ المكروه؛ وقيل: البقاء في الخير، وأفلح إذا دخل في الفلاح، ويقال: أفلحه: إذا أصاره إلى الفلاح، وقد تقدّم بيان معنى الفلاح في أوّل البقرة.

وقرأ طلحة بن مُصرِّف (قد أُفلِحَ) بضم الهمزة[2] وبناء الفعل للمفعول.

وروي عنه أنه قرأ (أفلحوا المؤمنون) على الإبهام[3] والتفسير، أو على لغة: أكلوني البراغيثُ.

ثم وصف هؤلاء المؤمنين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ وما عطف عليه، والخشوع منهم مَنْ جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة، ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والعبث، وهو في اللغة: السكون والتواضع والخوف والتذلل[4].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٨٤).

(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٥٤٦)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٧)، و«روح المعاني» (١٨/ ٧). هي قراءة شاذة.

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٥٤٦)، و«روح المعاني» (١٨/ ٦ ـ ٧)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٧). هي قراءة شاذة.

(٤) «جامع البيان» (١٧/ ١٠)، و«روح المعاني» (١٨/ ٨)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٣٠٢).

[هل الخشوع من فرائض الصلاة]:

وقد اختلف الناس في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها؟ على قولين: قيل: الصحيح الأوّل، وقيل: الثاني.

وادّعى عبد الواحد بن زيد إجماع العلماء على أنه ليس للعبد إلا ما عَقَل من صلاته، حكاه النيسابوري[١] في «تفسيره». قال: ومما يدل على صحة هذا القول قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢، محمد: ٢٤]. والتدبّر لا يتصوّر بدون الوقوف على المعنى، وكذا قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤]. والغفلة تضادّ الذكر، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]. نهي للسكران والمستغرِق في هموم الدنيا بمنزلته. واللّغو، قال الزجاج[٢]: هو كل باطل ولهو وهزل ومعصية وما لا يجمل من القول والفعل.

وقد تقدم تفسيره في البقرة.

وقال الضحاك[٣]: إن اللغو هنا الشرك.

وقال الحسن[٤]: إنه المعاصي كلها.

ومعنى إعراضهم عنه: تجنّبهم له، وعدم التفاتهم إليه، وظاهره: اتصافُهم بصفة الإعراض[٥] عن اللّغو في كل الأوقات، فيدخل وقت الصلاة في ذلك دخولاً أوّليّاً كما تفيده الجملة الاسمية، وبناء الحكم على الضمير.

ومعنى فعلهم للزكاة: تأديتهُم لها، فعبّر عن التأدية بالفعل لأنّها مما يصدق عليه الفعل، والمراد بالزكاة هنا: المصدر؛ لأنّه الصادر عن الفاعل.

وقيل: يجوز أن يراد بها العين على تقدير مضاف؛ أي: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ﴾ لتأدية ﴿الزكاة فَٰعِلُونَ﴾.

---

(١) في «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (١٨/٦).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/٦).

(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/١٠٩ ـ ١١٠).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/١١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/٤٣) بسند صحيح.

(٥) «جامع البيان» (١٧/١٠ ـ ١١).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ الفَرْجُ[(١)] يطلق على فَرْج الرجل والمرأة، ومعنى حفظهم لها: أنّهم ممسكون لها بالعفاف عما لا يحلّ لهم. وقيل: المراد هنا: الرجال[(٢)] خاصةً دون النساء بدليل قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ للإجماع على أنّه لا يحل للمرأة أنْ يطأها مَنْ تملكه.

قال الفراء[(٣)]: إن «على» في قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ بمعنى: «من».

وقال الزجاج[(٤)]: المعنى: أنهم يلامون في إطلاق ما حظر عليهم فأمروا بحفظه إلا على أزواجهم، ودلّ على المحذوف ذكر اللوم في آخر الآية.

والجملة في محل نصب[(٥)] على الحال، وقيل: إن الاستثناء من نفي الإرسال المفهوم من الحفظ؛ أي: لا يرسلونها على أحد إلَّا على أزواجهم؛ وقيل: المعنى: إلّا والين على أزواجهم وقوّامين عليهم، مِنْ قولهم: كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان.

والمعنى: أنّهم لفروجهم حافظون في جميع الأحوال إلا في حال تزوّجهم أو تسرّيهم.

وجملة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ في محل جرّ[(٦)] عطفاً على أزواجهم، و«ما» مصدرية[(٧)]، والمراد بذلك: الإماء، وعبَّر عنهنّ بـ«ما» التي لغير العقلاء؛ لأنه اجتمع فيهنّ الأنوثة المنبئة عَنْ قصور العقل وجواز البيع والشراء فيهنّ كسائر السلع، فأجراهن بهذين الأمرين مَجْرى غير العقلاء، وجملة ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ تعليل لما تقدّم مما لا يجب عليهم حفظ فروجهم منه.

[الآية أصل في تحريم نكاح المتعة]:

﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ الإشارة إلى الزوجات وملك اليمين.

ومعنى العادون: المجاوزون إلى ما لا يحلّ لهم، فسمى سبحانه مَنْ نكح ما لا يحلّ عادياً، ووراء هنا بمعنى: سوى وهو مفعول ابتغى.

---

(١) «أحكام القرآن» (٣/ ١٢٩٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ١١)، و«جامع البيان» (١٧/ ١٢).
(٢) «جامع القرآن» (١٧/ ١١ ـ ١٢). (٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣١).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٦).
(٥) «الفريد» (٣/ ٥٥٤)، و«التبيان» (٢/ ٩٥٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٤٨).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. (٧) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١١٠).

قال الزجاج[1]: أي: فمن ابتغى ما بعد ذلك فمفعول الابتغاء محذوف، و﴿وَرَآءَ﴾ ظرف.

وقد دلت هذه الآية على تحريم[2] نكاح المتعة، واستدلّ بها بعض أهل العلم على تحريم الاستمناء؛ لأنه من الوراء لما ذكر، وقد جمعنا في ذلك رسالة سميناها (بلوغ المُنى[3] في حكم الاستمنا)، وذكرنا فيها أدلة المنع والجواز وترجيح الراجح منهما.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ قرأ الجمهور (لأماناتهم) بالجمع[4]، وقرأ ابنُ كثير بالإفراد[5].

[الأمانة أعم من العهد]:

والأمانة ما يُؤتمنون عليه، والعهد ما يعاهدون عليه من جهة الله سبحانه أو جهة عباده، وقد جمع العهد[6] والأمانة كل ما يتحمله الإنسان من أمر الدين والدنيا، والأمانة أعمّ مِنْ العهد، فكل عهد أمانة.

ومعنى ﴿رَٰعُونَ﴾: حافظون. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ قرأ الجمهور (صلواتِهم) بالجمع[7]. وقرأ حمزة والكسائي (صلاتِهم) بالإفراد[8]، ومَنْ قرأ بالإفراد فقد أراد اسم الجنس وهو في معنى الجمع، والمحافظة على الصلاة إقامتها والمحافظة عليها في أوقاتها، وإتمام ركوعها وسجودها وقراءتها، والمشروع من أذكارها.

ثم مدح سبحانه هؤلاء فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾؛ أي: الأحقّاء بأن يسموا

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/٧).

(٢) «البناية في شرح الهداية» (٤/ ٥٦٤ ـ ٥٦٧)، و«المغني» (١٠/ ٤٦)، و«الأم» (٦/ ٢٠٥)، و«التمهيد» (١١/ ١٠٢)، و«مدونة الفقه المالكي وأدلته» (٢/ ٥١٨).

(٣) وهي الرسالة رقم (١٠٣) من «الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني» (٧/ ٣٣٦٣) ط. الجيل الجديد، صنعاء.

(٤) «التيسير» (ص١٥٨)، و«روح المعاني» (١٨/ ٢٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٤٩).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) «المحرر الوجيز» (١١/ ٢٢٣).

(٧) «البحر المحيط» (٧/ ٥٥٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ١٥)، و«النشر» (٢/ ٣٢٨)، و«التيسير» (ص١٥٨)، و«روح المعاني» (١٨/ ٢٨).

(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

بهذا الاسم دون غيرهم. ثم بيَّن الموروث بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ وهو أوسط الجنة، كما صح تفسيره بذلك عن رسول الله ﷺ.

والمعنى: أَنَّ مَنْ عمل بما ذُكر في هذه الآيات فهو الوارث الذي يرث من الجنة ذلك المكان، وفيه استعارة[(١)] لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم؛ وقيل: المعنى: أنّهم يرثون مِنْ الكفار منازلهم حيث فرقوها على أنفسهم؛ لأنه سبحانه خلق لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار.

ولفظ ﴿ٱلْفِرْدَوْسَ﴾[(٢)] لغة رومية معرّبة، وقيل: فارسية؛ وقيل: حبشية؛ وقيل: هي عربية.

وجملة ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ في محل نصب[(٣)] على الحال المقدّرة، أو مستأنفة لا محل لها.

ومعنى الخلود: أنهم يدومون فيها لا يَخْرجون منها ولا يموتون فيها، وتأنيث الضمير مع أنّه راجع إلى الفردوس؛ لأنّه بمعنى الجنة.

وقد أخرج عبد الرزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، والعقيلي، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الدلائل»، والضياء في «المختارة» عن عمر بن الخطاب[(٤)] قال: «كان إذا أُنزل على رسول الله ﷺ الوحي يُسمع عند وجهه كدويّ النّحل، فأُنزل الله عليه يوماً فمكثنا ساعةً، فسُرِيّ عنه فاستقبل القبلة فقال: اللَّهُمَّ زِدْنا ولا تَنقُصنا، وأكرِمْنا ولا تُهنّا، وأعطنا ولا تُحرِمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارضَ عنّا، ثم قال: لقد أنزل عليّ عشر آيات [٣/٢٧٨] مَنْ أقامهنّ دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ختم العشر».

---

(١) «روح المعاني» (١٨/ ٣٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ١٦)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥١).

(٢) «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٥٠)، و«الصحاح» (٣/ ٩٥٩).

(٣) «التبيان» (٢/ ٩٥١)، و«الفريد» (٣/ ٥٥٤)، و«روح المعاني» (١٨/ ٣٠).

(٤) أخرجه عبد الرزاق رقم (٦٠٣٨)، وأحمد رقم (٢٢٣)، وعبد بن حميد (١٥ ـ منتخب)، والترمذي رقم (٣١٧٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٤٣٩)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٤٦٠)، والحاكم (٢/ ٣٩٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٥٥)، والضياء رقم (٢٣٤). وهو حديث ضعيف.

وفي إسناده يونس بن سليم الإيلي. قال النسائي: لا نعرف أحداً رواه عن ابن شهاب إلا يونس بن سليم ويونس لا نعرفه.

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد»، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم وصحّحه، وابنُ مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عَنْ يزيد[١] بن بابَنوس قال: قلنا لعائشة: كيف كان خُلُق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان خُلقه القرآن، ثم قالت: تقرأ سورة المؤمنين؟ اقرأ ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ حتى بلغ العشر، فقالت: هكذا كان خُلُق رسول الله ﷺ.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، والبيهقي في «سننه» عن محمد بن سيرين[٢] قال: نبئت أَنَّ رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾.

وأخرجه عبد الرزاق[٣] عنه، وزاد: فأمره بالخشوع فرمى ببصره نحو مسجده.

وأخرجه عنه أيضاً عبد بن حميد[٤]، وأبو داود في «المراسيل»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «السنن» بلفظ: كان إذا قام في الصلاة نظر هكذا، وهكذا، يميناً وشمالاً، فنزلت ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ فحنى رأسَه.

وروي عنه مِنْ طرق مرسلاً هكذا.

وأخرجه الحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عنه عن أبي هريرة[٥] أن النبيّ ﷺ كان إذا صلّى رفع بصره إلى السماء، فنزلت ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ فطأْطأَ رأسَه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن سيرين[٦] بلفظ: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون رؤوسهم وأبصارهم إلى

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٣٠٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٣٥٠)، والحاكم (٢/ ٣٩٢)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٠٩). وهو حديث صحيح لغيره.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٧)، والبيهقي في «سننه» (٢/ ٢٨٣).

(٣) وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» رقم (٣٢٦٢، ٣٢٦٤) من طريق أيوب، به.

(٤) أخرجه أبو داود في «المراسيل» (ص٨٩)، والبيهقي (٢/ ٢٨٣).

(٥) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٢/ ٣٩٣)، والبيهقي في «سننه» (٢/ ٢٨٣).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٧) بسند ضعيف.

السماء في الصلاة يلتفتون يميناً وشمالاً، فأنزل الله ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ فمالوا برؤوسهم فلم يرفعوا أبصارَهم بعد ذلك في الصلاة، ولم يلتفتوا يميناً وشمالاً.

وأخرجَ ابن المبارك في «الزهد»، وعبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في «سننه» عن عليّ[١]: أنه سئل عن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ قال: الخشوع في القلب وأن تُلين كتفك للمرء المسلم، وأَنْ لا تلتفت في صلاتك.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ قال: خائفون ساكنون.

وقد ورد في مشروعية الخشوع في الصلاة والنهي عن الالتفات وعن رفع البصر إلى السماء أحاديث معروفة في كتب الحديث.

وأخرجَ ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ قال: الباطل.

وأخرج عبد الرزاق، وأبو داود في «ناسخه» عن القاسم بن محمد[٤]: أنه سئل عن المتعة فقال: إنّي لأرى تحريمها في القرآن، ثم تلا ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والطبراني عن ابن مسعود[٥] أنه قيل له: إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (١١٤٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٩)، والحاكم (٢/ ٣٩٣)، والبيهقي (٢/ ٢٧٩).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ١٠) بسند صحيح.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٨٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٨٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٨/ ١١) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٨٨).
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٤) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٨٩).
وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٨٩٣٨).

صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ قال: ذلك على مواقيتها، قالوا: ما كُنّا نرى ذلك إلا على تركها، قال: تركها كفر.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، والحاكم وصححه عن أبي هريرة[1] في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ قال: يرثون مساكنهم ومساكن إخوانهم التي أُعدت لهم لو أطاعوا الله.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي هريرة[2] قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم مِنْ أحدٍ إلا وله منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النارَ ورث أهلُ الجنة منزلَه، فذلك قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾».

وأخرج عبد بن حميد، والترمذي وقال: حسن صحيح غريب عن أنس[3]، فذكر قصة، وفيها: أنّ النبيّ ﷺ قال: «الفردوس رَبْوة الجنة وأوسطها وأفضلها»، ويدلّ على هذه الوراثة المذكورة هنا قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣]. وقوله: ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ويشهد لحديث أبي هريرة هذا ما في «صحيح مسلم»[4] عن أبي موسى عن النبيّ ﷺ قال: «يجيء يوم القيامة ناسٌ مِنْ المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم، ويضعها على اليهود والنصارى».

وفي لفظ[5] له: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديّاً أو نصرانيّاً، فيقول: هذا فكاكك من النار».

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ١٥)، والحاكم (٢/ ٣٩٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجه رقم (٤٣٤١)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ١٥)، والبيهقي في «البعث» رقم (٢٦٦). وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٢٨٠٩)، والترمذي رقم (٣١٧٤).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٥١/ ٢٧٦٧).

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٤٩/ ٢٧٦٧).

[أطوار النشأة الإنسانية بدون تحديد]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

لمّا حثّ سبحانه عباده على العبادة ووعدهم الفردوس على فعلها، عاد إلى تقرير المبدأ والمعاد؛ ليتمكن ذلك في نفوس المكلّفين فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ إلى آخره، واللّام جواب قَسَمٍ محذوف، والجملة مبتدأة، وقيل: معطوفة على ما قبلها.

والمراد بالإنسان: الجنس لأنَّهم مخلوقون في ضمن خلق أبيهم آدم؛ وقيل: المراد به آدم. والسلالة فُعالة[1] مِنْ السَّلّ، وهو استخراج الشيء من الشيء، يقال: سللت الشَّعَرة من العجين، والسيفَ من الغِمْد[2] فانسلّ، فالنطفة سُلالة، والولد سليل، وسلالة أيضاً، ومنه قول الشاعر[3]:

فجاءتْ به عضبَ الأديمِ غَضَنْفرا   سُلالةَ فَرْجٍ كان غيرَ حصين

وقول الآخر:

وهلْ هندُ إلا مُهْرةٌ عربيةٌ   سلالةُ أفراسٍ تجلَّلها بَغْلُ[4]

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٤/٨).
(٢) «تهذيب اللغة» (١٢/٢٩٢ ـ ٢٩٤)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/٤٤٦).
(٣) هو حسان بن ثابت. انظر: «ديوانه» (ص٤٨٢).
(٤) قيل: هو لهند بنت النعمان بن بشير كما في أدب الكاتب (ص٤١) وقيل هو لحميدة بنت النعمان بن بشير كما في «الاقتضاب» (ص١١٧، ٣٠٦).

و﴿مِّن﴾ في ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ ابتدائية متعلقة بخلقنا، وفي ﴿مِّن طِينٍ﴾ بيانية متعلقة بمحذوفٍ، وقع صفة لسلالة؛ أي: كائنة مِنْ طين، والمعنى: أنه سبحانه خلق جوهر الإنسان أوّلاً مِنْ طين؛ لأنّ الأصل آدم، وهو مِنْ طين[(١)] خالص وأولاده من طين ومنيّ؛ وقيل: السلالة الطين إذا عصرته انسلّ من بين أصابعك؛ فالذي يخرج هو السلالة، قاله الكلبي[(٢)] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾؛ أي: الجنس باعتبار أفراده الذين هم بنو آدم، أو جعلنا نسلَه على حذف مضاف إنْ أريد بالإنسان آدم ﴿نُطْفَةً﴾ وقد تقدّم تفسير النطفة في سورة الحج، وكذلك تفسير العلقة والمضغة.

والمراد بالقرار المكين: الرّحم، وعبّر عَنْها بالقرار الذي هو مصدر[(٣)] مبالغة.

ومعنى ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾؛ أي: أنّه سبحانه أحال النطفة البيضاء علقةً حمراء ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾؛ أي: قِطْعةَ لحمٍ غير مُخلّقة ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾؛ أي: جعلها الله سبحانه متصلبة؛ لتكون عموداً للبدن على أشكال مخصوصة ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾؛ أي: أنبت الله سبحانه على كلِّ عظم لحماً على المقدار الذي يليق به ويناسبه ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾؛ أي: نفخنا فيه الروح بعد أن كان جماداً؛ وقيل: أخرجناه إلى الدنيا؛ وقيل: هو نبات الشعر؛ وقيل: خروج الأَسْنان؛ وقيل: تكميل القوى المخلوقة فيه، ولا مانع مِنْ إرادة الجميع، والمجيء بـ«ثم» لكمال التفاوت[(٤)] بين الخلقين ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾؛ أي: استحق التعظيم والثناء.

وقيل: مأخوذ مِنْ البركة؛ أي: كثر خيرُه وبركته: والخلق في اللغة[(٥)]: التقدير، يقال: خلقتُ الأديم: إذا قسته لتقطع منه شيئاً، فمعنى ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾: أتقن الصانعين المُقدّرين، ومنه قول الشاعر[(٦)]:

ولأنتَ تَفْري ما خلقتَ وبعـ ... ـضُ القومِ يخلُقُ ثم لا يَفْرِي

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٣٠٤)، و«روح المعاني» (١٨/ ٣١).
(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٨).
(٣) «روح المعاني» (١٨/ ٣٢)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٢).
(٤) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٢).
(٥) «تهذيب اللغة» (٧/ ٢٥)، و«الصحاح» (٤/ ١٤٧٠ ـ ١٤٧١).
(٦) هو زهير بن أبي سلمى. انظر: «ديوانه» (ص٩٤).

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ الإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الأمور المتقدّمة؛ أي: ثم إنّكم بعد تلك الأمور لميتون صائرون إلى الموت لا محالة ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ مِنْ قبوركم إلى المحشر للحساب والعقاب.

واللّام في ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ جوابٌ لقسَم محذوف، والجملة مبتدأة مشتملة على بيان خَلْق ما يحتاجون إليه بعد بيان خلقهم، والطرائق هي: السمٰوات.

قال الخليل(١)، والفرّاء(٢)، والزجّاج(٣): سُمّيت طرائق؛ لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النّعل.

قال أبو عبيدة(٤): طارقت(٥) الشيء جعلتُ بعضَه فوق بعض، والعرب تُسمّي كلَّ شيء فوق شيء طريقة؛ وقيل: لأنها طرائق الملائكة، وقيل: لأنّها طرائق الكواكب ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ المراد بالخلق هنا: المخلوق؛ أي: وما كنا عن هذه السبع الطرائق وحفظها عن أن تقع على الأرض بغافلين.

وقال أكثر المفسرين(٦): المراد الخلق كلهم بغافلين؛ بل حفظنا السمٰوات عن أنْ تسقط، وحفظنا من في الأرض أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم أو تميد بهم الأرض، أو يهلكون بسبب من الأسباب المستأصلة لهم، ويجوز أن يراد(٧) نفي الغفلة عَنْ القيام بمصالحهم وما يعيشون به، ونفي الغفلة عن حفظهم.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ هذا مِنْ جملة ما امتنّ الله سبحانه به على خلقه [٣/٢٧٩].

والمراد بالماء(٨): ماء المطر، فإنّ به حياة الأرض وما فيها من الحيوان، ومن جملة ذلك ماء الأنهار النازلة من السماء والعيون، والآبار المستخرجة من الأرض، فإنّ أصلها من ماء السماء؛ وقيل: أراد سبحانه في هذه الآية الأنهار الأربعة(٩):

---

(١) في كتاب «العين» (ص٢٦٥). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٢).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٩).
(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ٥٦)، وفيه: أي: سبع سماوات.
(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٤٤٩).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٢٢)، و«روح المعاني» (١٨/ ٤٢)، و«جامع البيان» (١٧/ ٢٦).
(٧) «النكت والعيون» (٤/ ٤٩)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٣٠٥).
(٨) «أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ١٣٠٠).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٣)، عن ابن عباس.

سَيْحان، وجَيْحان، والفُرات، والنيل، ولا وجه لهذا التخصيص.

وقيل: المراد به: الماء العذب[١]، ولا وجه لذلك أيضاً فليس[٢] في الأرض ماء إلَّا وهو مِنْ السماء، ومعنى ﴿بِقَدَرٍ﴾ بتقدير منّا، أو بمقدار يكون به صلاح الزرائع والثمار، فإنّه لو كثر لكان به هلاك ذلك، ومثله قوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

ومعنى ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جعلنّاه مستقرّاً فيها، ينتفعون[٣] به وقت حاجتهم إليه كالماء الذي يبقى في المستنقعات والغُدران ونحوها ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾؛ أي: كما قَدْرنا على إنزاله فنحن قادرون على أَنْ نذهب به بوجه من الوجوه، ولهذا التنكير[٤] حُسْن موقع لا يخفى، وفي هذا تهديدٌ شديد لما يدلّ عليه من قدرته سبحانه على إذهابه وتغويره حتى يهلك الناس بالعطش، وتهلك مواشيهم، ومثله قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ [الملك: ٣٠] ثم بيَّن سبحانه ما يتسبب عن إنزال الماء، فقال: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾؛ أي: أوجدنا بذلك الماء جناتٍ من النوعين المذكورين ﴿لَّكُمْ فِيهَا﴾؛ أي: في هذه الجنات ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تتفكهون بها وتتطعمون منها.

وقيل: المعنى: ومِنْ هذه الجنات وجوه[٥] أرزاقكم ومعاشكم كقوله: فلان يأكل مِنْ حرفة كذا، وهو بعيد، واقتصر سبحانه على النخيل والأعناب؛ لأنها الموجودة بالطائف والمدينة وما يتصل بذلك، كذا قال ابن جرير[٦].

وقيل: لأنَّها أشرف الأشجار ثمرة وأطيبها منفعة وطعماً ولذّة. قيل: المعنى

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢٣/ ٨٨).

(٢) «جامع البيان» (١٧/ ٢٧)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ٢٢٧).

(٣) «أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ١٣٠٠)، و«روح المعاني» (١٨/ ٤٣).

(٤) «روح المعاني» (١٨/ ٤٥ ـ ٤٦) وقد ذكر عن صاحب التقريب ثمانية عشر وجهاً للأبلغية ـ أي: في هذه الآية ـ وزادها الألوسي إلى الثلاثين.
قال الألوسي في «روح المعاني»: وفي تنكير (ذهاب) إيماءً إلى كثرة طرقه، لعموم النكرة وإن كانت في الإثبات، وبواسطة ذلك تفهم المبالغة في الإثبات.

(٥) «روح المعاني» (١٨/ ٤٨).

(٦) في «جامع البيان» (١٧/ ٢٨).

بقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ﴾: أنّ لكم في هذه الجنات فواكه من غير العنب والنخيل؛ وقيل: المعنى: لكم في هذين النوعين خاصة فواكه؛ لأن فيهما أنواعاً مختلفة متفاوتة في الطَّعْم واللون.

وقد اختلف أهل الفقه في لفظ الفاكهة على ماذا يُطلق؟ اختلافاً كثيراً، وأحسن ما قيل: إنَّها تطلق على الثمرات(١) التي يأكلها النّاس، وليست بقوتٍ لهم ولا طعام ولا إدام.

واختُلف في البقول(٢) هل تدخل في الفاكهة أم لا؟ وانتصاب ﴿وَشَجَرَةً﴾ على العطف(٣) على جناتٍ.

وأجاز الفرّاء(٤) الرفع(٥) على تقدير: وثُم شجرةٌ فتكون مرتفعة على الابتداء وخبرها محذوف مقدّر قبلها، وهو الظرف المذكور.

قال الواحدي(٦): والمفسّرون كلهم يقولون: إنَّ المراد بهذه الشجرة: شجرة الزيتون، وخُصت بالذّكر؛ لأنه لا يتعاهدها أحد بالسقي، وهي التي يخرج الدهن منها، فذكرها الله سبحانه امتناناً منه على عباده بها، ولأنّها أكرمُ الشجر، وأعمها نفعاً وأكثرها بركة.

ثم وصف سبحانه هذه الشجرة بأنها ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ وهو جبل ببيت المقدّس، والطُّور(٧): الجبل في كلام العرب.

وقيل: هو مما عُرّب من كلام العجم(٨).

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٤٣)، و«حاشية ابن عابدين» (٣/ ٧٧٧)، و«روح المعاني» (١٨/ ٤٩).

(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٥٥٤)، و«روح المعاني» (١٨/ ٤٩ ـ ٥٠).

(٣) «التبيان» (٢/ ٩٥٢)، و«الفريد» (٣/ ٥٥٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٥٥)، و«جامع البيان» (١٧/ ٢٨).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٣).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٩٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٥٥)، و«روح المعاني» (١٨/ ٥٠).

(٦) في «الوسيط» (٣/ ٢٨٧).

(٧) انظر: «جامع البيان» (٢/ ٤٨ ـ ٥١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٢٧).

(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٢٧)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ٢٢٨).

واختُلف في معنى سيناء، فقيل: هو الحَسن؛ وقيل: هو المُبارك، وذهب الجمهور[١] إلى أنّه اسمٌ للجبل كما تقول: جبل أُحد؛ وقيل: سيناء حجر بعينه أُضيف الجبل إليه لوجوده عنده.

وقيل: هو كل جبل[٢] يَحمل الثمارَ.

وقرأ الكوفيون (سَيناء) بفتح السين[٣]، وقرأ الباقون بكسر السين[٤]، ولم يُصرف؛ لأنّه جعل اسماً للبقعة، وزعم الأخفش[٥] أنه أعجمي.

وقرأ الجمهور[٦] (تَنبُت بالدهن) بفتح المثناة وضمّ الباء الموحدة، وقرأ ابن كثير، وأبو عَمْرو بضمّ المثناة[٧] وكسر الباء الموحدة.

والمعنى على القراءة الأولى: أَنّها تنبت في نفسها متلبسة بالدهن، وعلى القراءة الثانية: الباء بمعنى مع، فهي للمصاحبة.

قال أبو عليّ[٨] الفارسي: التقدير: تنبت جناحها ومعه الدهن، وقيل: الباء زائدة. قاله أبو عُبيدة[٩]، ومثله قول الشاعر[١٠]:

هنّ الحرائرُ لا ربّاتُ أحمرةٍ سودُ المحاجر لا يقرأْنَ بالسورِ

وقال آخر[١١]:

نضربُ بالسيف ونرجو بالفَرَجْ

وقال الفراء[١٢] والزجاج[١٣]: إنّ نَبتَ وأَنبْتَ بمعنى، والأصمعي ينكر أنبت،

---

(١) «جامع البيان» (١٧/ ٢٩ ـ ٣٠)، و«النكت والعيون» (٤/ ٥٠)، و«الوسيط» (٣/ ٢٨٨).

(٢) «النكت والعيون» (٤/ ٥٠).

(٣) «التيسير» (ص١٥٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٢٦)، و«النشر» (٢/ ٣٢٨)، و«التبيان» (٢/ ٩٥٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٥٥). ومع الكوفيين ابن عامر ويعقوب.

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١١٢).

(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٥٥٥)، و«التيسير» (ص١٥٩)، و«زاد المسير» (٥/ ٤٦٧).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة.

(٨) في «الحجة» (٥/ ٢٩١ ـ ٢٩٢).

(٩) في «مجاز القرآن» (٢/ ٥٦).

(١٠) هو: الراعي النميري. انظر: «ديوانه» (ص١٢٢)، وهو في ديوان القتّال الكلبي (ص٥٣).

(١١) هو: النابغة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص٢١٦) وقد تقدم.

(١٢) «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣).

(١٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ١٠).

ويرد عليه قول زهير[(١)]:

رأيْتُ ذوي الحاجاتِ حولَ بيوتهم ... قطينا لهم حتّى إذا أنبتَ البقلُ

أي: نبَت.

وقرأ الزهري، والحسن، والأعرج (تُنبَت) بضم المثناة[(٢)] وفتح الموحدة.

قال الزجاج[(٣)] وابن جني[(٤)]: أي: تُنْبَت ومعها الدهن، وقرأ ابن مسعود[(٥)] (تُخرج) بالدهن، وقرأ زرّ بن حبيش (تنبت الدهن) بحذف حرف الجرّ[(٦)].

وقرأ سليمان[(٧)] بن عبد الملك والأشهب (بالدِّهان). ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ معطوف على الدهن؛ أي: تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يُدهن به. وكونه صبغاً يؤتدم به.

قرأ الجمهور[(٨)] (صِبْغ) وقرأ قومٌ (صِبَاغ)[(٩)] مثل لبس ولباس، وكل إدام يؤتدم به فهو صِبْغ وصباغ[(١٠)]، وأصل الصِّبْغ[(١١)] ما يلّون به الثوب، وشُبّه الإدام به؛ لأن الخبز يكون بالإدام كالمصبوغ به ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ هذه من جملة النعم التي امتنّ الله بها عليهم، وقد تقدّم تفسير الأنعام في سورة النحل.

قال النيسابوري[(١٢)] في تفسيره: ولعلّ القصد بالأنعام هنا إلى الإبل خاصة لأنّها هي المحمول عليها في العادة، ولأنه قرنها بالفُلْك وهي سفائن البرّ، كما أن الفُلك سفائن البحر.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٩).

(٢) وهي قراءة شاذة. «البحر المحيط» (٧/ ٥٥٥)، و«المحتسب» (٢/ ٨٨).

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ١٠). (٤) في «المحتسب» (٢/ ٨٨).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٩٧)، و«المحتسب» (٢/ ٨٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٥٥).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص٩٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٥٥).

(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٣٠). وكل هذه القراءات التي ذكرها شاذة.

(٨) «البحر المحيط» (٧/ ٥٥٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٣٠)، و«روح المعاني» (١٨/ ٥٥٦).

(٩) «القراءات الشاذة» (ص٩٧)، و«زاد المسير» (٥/ ٤٦٧). القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور «صِبْغ» وما عداها شاذ.

(١٠) ذكره الهروي في «غريب الحديث» (٢/ ١٥٢).

(١١) «تهذيب اللغة» (٨/ ٢٧)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٧٥).

(١٢) في «غرائب القرآن» (١٨/ ١٣).

وبيَّن سبحانه أنها عبرة؛ لأنَّها مما يستدل بخَلْقها وأفعالها على عظيم القدرة الإلٰهية، ثم فصّل سبحانه ما في هذه الأنعام من النِّعم بعد ما ذكره من العبرة فيها للعباد فقال: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾ يعني سبحانه: اللّبن المتكوّن في بطونها المنصبّ إلى ضروعها، فإن في انعقاد ما تأكله من العَلَف واستحالته إلى هذا الغذاء اللذيذ، والمشروب النفيس أعظم عبرة للمعتبرين، وأكبر موعظة للمتعظين.

قُرئ (نُسقيكم) بالنون[1] على أنّ الفاعل هو الله سبحانه، وقرئ بالتاء[2] الفوقية على أن الفاعل هو الأنعام، ثم ذكر ما فيها من المنافع إجمالاً فقال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ يعني: في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها، ثم ذكر منفعة خاصة فقال: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ لما في الأكل مِن عظيم الانتفاع لهم، وكذلك ذكر الركوب عليها لما فيه من المنفعة العظيمة فقال: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾؛ أي: وعلى الأنعام فإنْ أريد بالأنعام الإبل والبقر والغنم فالمراد: وعلى بعض الأنعام، وهي الإبل خاصة، وإن أريد بالأنعام الإبل خاصة، فالمعنى واضح.

ثم لما كانت الأنعام هي غالب ما يكون الركوب عليه في البرّ ضمّ إليها ما يكون الركوب عليه في البحر، فقال: ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ تميماً للنعمة وتكميلاً للمنة.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[3] قال: السُّلالة: صفو الماء الرقيق الذي يكون منه الولد.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[4] عَنْ ابن مسعود قال: إنَّ النطفة إذا وقعت في الرحم طارت في كل شعر وظفر فتمكث أربعين يوماً، ثم تنحدر في الرحم فتكون علقة. وللتابعين في تفسير السُّلالة أقوال قد قدّمنا الإشارة إليها.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٠٤)، و«التيسير» (ص١٣٨)، و«روح المعاني» (١٨/ ٥٧).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. هي ثلاث قراءات متواترة، فالأولى بالنون مضمومة (نُسقيكم) وهي لابن كثير وأبي عمرو والكوفيين عدا شعبة والثانية (نَسقيكم) بالنون المفتوحة قرأ بها نافع وابن عامر وشعبة ويعقوب. والثالثة: (تسقيكم) بالتاء الفوقية المفتوحة وقرأ بها أبو جعفر. «النشر» (٢/ ٣٠٤).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ١٦) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «تفسير ابن كثير» (١٠/ ١١٤) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عن ابن عباس ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قال: الشَّعَر والأسنان.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عنه[٢] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قال: نَفْخ فيه الروح.

وكذا قال مجاهد[٣]، وعكرمة[٤]، والشعبي[٥]، والحسن[٦]، وأبو العالية[٧]، والربيع بن أنس[٨]، والسديّ[٩]، والضحاك[١٠]، وابن زيد[١١]، واختاره ابن جرير[١٢].

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[١٣] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قال: حين استوى به الشباب.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن صالح أبي الخليل[١٤] قال: «لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قال عمر: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ قال: والذي نفسي بيده إنّها خُتمت بالذي تكلمت به يا عمر».

وأخرج الطيالسي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر عن أنس[١٥] قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع.

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٩٢) إلى عبد بن حميد، عن الضحاك.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٢٢) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٢٢) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٢٢) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٢٢) بسند صحيح.
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١٩).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٧/ ٢٣) بسند حسن.
(٨) انظر: «زاد المسير» (٥/ ٤٦٣)، و«معالم التنزيل» (٥/ ٤١٢).
(٩) «المحرر الوجيز» (١١/ ٢٢٥)، و«زاد المسير» (٥/ ٤٦٣).
(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٢٣) بسند حسن.
(١١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٢٣) بسند صحيح.
(١٢) في «جامع البيان» (١٧/ ٢٤ ـ ٢٥).
(١٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٢٤) بسند صحيح.
(١٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٩٢).
(١٥) أخرجه الطيالسي في «مسنده» رقم (٤١)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٠/ ١١٥ ـ ١١٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٤/ ١١٣، ١١٤) بسند ضعيف؛ لضعف علي بن زيد.

قلتُ: يا رسول الله لو صلينا خلف المقام؟ فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقلتُ: يا رسول الله لو اتخذت على نسائك حجاباً فإنه يدخل عليك البَرّ والفاجر، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وقلتُ لأزواج النبيّ ﷺ: لتنتهنّ أو ليبدلنّه الله أزواجاً خيراً منكنّ، فنزلت: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ الآية [التحريم: ٥]. ونزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ﴾ فقلت أنا: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

وأخرج ابن راهويه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه عن زيد بن ثابت(١) قال: «أملى رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَۚ﴾ فقال معاذ بن جبل: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ فضحك رسول الله ﷺ، فقال له معاذ: ممّ ضحكتَ يا رسول الله؟ قال: بها ختمت ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾». وفي إسناده جابر الجعفي وهو ضعيف جدّاً.

قال ابن كثير(٢): وفي خبره هذا نكارة شديدة، وذلك أن هذه السورة مكية، وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة، وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة، والله أعلم.

وأخرج ابن مردويه، والخطيب قال السيوطي(٣): بسند ضعيف عن ابن عباس(٤)، عن النبيّ ﷺ قال: «أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار: سَيْحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بَلْخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها مِنْ عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل، فاستودعها الجبال [٣/٢٨٠] وأجراها في الأرض، وجعلها منافع للناس في أصناف معايشهم، فذلك قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِۖ﴾ فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل، فرفع من الأرض القرآن والعِلْم، والحَجَر مِنْ ركن البيت، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى بما

---

(١) أخرجه ابن راهويه كما في «المطالب العالية» رقم (٤٠٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «تفسير ابن كثير» (١١٦/١٠)، والطبراني رقم (٤٦٥٧) بسند ضعيف.

(٢) في «تفسيره» (١١٦/١٠).

(٣) في «الدر المنثور» (٩٥/٦).

(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٥٧/١، ٥٨).

فيه، وهذه الأنهار الخمسة، فيرفع كل ذلك إلى السماء، فذلك قوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء مِنْ الأرض فقد أهلُها خير الدنيا والآخرة».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[١]، قال: طور سيناء هو الجبل الذي نودي منه موسى.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٢] في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ قال: هو الزيتُ يُؤكل ويدهن به.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾
فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن
سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ
وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا
وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ
﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن
قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ
مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾
أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ
هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ
نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

لمّا ذكر سبحانه الفُلْك أتبعه بذكر نوح؛ لأنّه أوّل مَنْ صنعه، وذكر ما صنعه

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٣٠) بسند ضعيف، عطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٣٣) بسند صحيح.

قوم نوح معه بسبب إهمالهم للتفكر في مخلوقات الله سبحانه، والتذكر لنعمه عليهم فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وفي ذلك تعزية لرسول الله ﷺ، وتسلية[(١)] له ببيان أنَّ قوم غيره من الأنبياء كانوا يصنعون مع أنبيائهم ما يصنعه قومه معه، واللام جواب قسم محذوف ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: اعبدوه وحدَه ولا تشركوا به شيئاً كما يستفاد من الآيات الآخرة، وجملة ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ واقعة موقع التعليل[(٢)] لما قبلها، وارتفاع غيرُه لكونه وصفاً[(٣)] لإله على المحل؛ لأنه مبتدأ خبره لكم؛ أي: ما لكم في الوجود إلٰهٌ غيرُه سبحانه، وقُرئ[(٤)] بالجرّ اعتباراً بلفظ إلٰه ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ أي: أفلا تخافونَ أن تتركوا عبادة ربكم الذي لا يستحقّ العبادة غيره، وليس لكم إلٰه سواه.

وقيل: المعنى: أفلا تخافون أَنْ يرفع عنكم ما خوّلكم مِنْ النِّعم ويسلبها عنكم.

وقيل: المعنى: أفلا تقون أنفسَكم عذابَه الذي تقتضيه ذنوبكم ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾؛ أي: قال أشراف[(٥)] قومه الذين كفروا به ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؛ أي: مِنْ جنسكم في البشرية، لا فرق بينكم وبينه ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: يطلب الفضل عليكم بأنْ يسودكم حتى تكونوا تابعين له منقادين لأمره، ثم صرّحوا بأنّ البشر لا يكون رسولاً فقالوا: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾؛ أي: لو شاء الله إرسال رسول لأرسلَ ملائكةً، وإنما عبّر بالإنزال عَنْ الإرسال لأنّ إرسالهم إلى العباد يستلزم نزولهم إليهم ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: بمثل دعوى هذا المدّعي للنبوّة من البشر، أو بمثل كلامه، وهو الأمر بعبادة الله وحده أو ما سمعنا ببشر يدّعي هذه الدعوى في آبائنا الأوّلين؛ أي: في الأمم الماضية قبل هذا.

---

(١) «روح المعاني» (١٨/ ٥٩ ـ ٦٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٣٤).
(٢) استئناف مسوقٌ لتعليل العبادة المأمور بها، أو تعليل الأمر بها. «روح المعاني» (١٨/ ٥٨)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٨).
(٣) «روح المعاني» (١٨/ ٥٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٥٧).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٣٤)، و«روح المعاني» (١٨/ ٥٨). والقراءة بجر (غيره) هي للكسائي وأبي جعفر وبقية العشرة بالرفع.
(٥) «روح المعاني» (١٨/ ٥٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٣٨)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٣٠٨).

وقيل: الباء في ﴿بِهَٰذَا﴾ زائدة[1]؛ أي: ما سمعنا هذا كائناً في الماضين، قالوا: هذا اعتماداً منهم على التقليد واعتصاماً بحبله، ولم يقنعوا بذلك حتى ضموا إليه الكذب البحت، والبُهت الصراح فقالوا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾؛ أي: جنون لا يدري ما يقول: ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؛ أي: انتظروا به حتى يستبين أمرُه، بأن يفيق من جنونه فيترك هذه الدعوى، أو حتى يموت فتستريحوا منه.

قال الفراء[2]: ليس يريد بالحين هنا وقتاً بعينه إنما هو كقولهم: دعه إلى يومٍ ما؛ فلما سمع عليه الصلاة والسلام كلامَهم، وعرف تماديهم على الكفر وإصرارهم عليه ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عليهم فانتقم منهم بما تشاء وكيفَ تريد، والباء في ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ للسببية[3]؛ أي: بسبب تكذيبهم إياي ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ عند ذلك؛ أي: أرسلنا إليه رسولاً مِنْ السماء ﴿أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ وأنْ هي مفسِّرة لما في الوحي من معنى القول ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾؛ أي: متلّبساً بحفظنا وكلاءتنا، وقد تقدّم بيان هذا في هود.

ومعنى ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمرنا لك وتعليمنا إياك لكيفية صنعها، والفاء في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ لترتيب[4] ما بعدها على ما قبلها مِنْ صنع الفُلك.

والمراد بالأمر: العذاب ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ معطوف على الجملة التي قبله عطف النّسَق؛ وقيل: عطف البيان؛ أي: إنْ مجيء الأمر هو فور التنور؛ أي: تنور آدم الصائر إلى نوح؛ أي: إذا وقع ذلك ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾؛ أي: ادخل فيها، يقال: سلكه في كذا أدخله، وأسلكته: أدخلته.

قرأ حفص (مِنْ كلٍّ) بالتنوين[5]، وقرأ الباقون[6] بالإضافة، ومعنى القراءة الأولى: مِنْ كلّ أمةٍ زوجين، ومعنى الثانية: من كل زوجين، وهما أمة الذّكَر والأنثى اثنين.

---

(١) «روح المعاني» (١٨/ ٦٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٥٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٢٤).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٤).
(٣) «روح المعاني» (١٨/ ٦١)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٩).
(٤) «روح المعاني» (١٨/ ٦١)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٩).
(٥) «التيسير» (ص١٢٤)، و«النشر» (٢/ ٢٨٨)، و«روح المعاني» (١٨/ ٦٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٥٢٨).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

وانتصاب[1] ﴿وَأَهْلَكَ﴾ بفعل معطوف على ﴿فَٱسْلُكْ﴾، لا بالعطف على ﴿زَوْجَيْنِ﴾، أو على ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ على القراءتين لأدائه إلى اختلاف المعنى؛ أي: واسلك أهلك ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: القول بإهلاكهم منهم ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ بالدعاء لهم بإنجائهم.

وجملة ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ تعليل للنهي عن المخاطبة؛ أي: إنهم مقضي عليهم بالإغراق لظلمهم، ومَنْ كان هكذا فهو لا يستحق الدعاء له ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ﴾؛ أي: علوتَ ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ﴾ مِنْ أهلك وأتباعك ﴿عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ راكبين عليه ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: حال بيننا وبينهم، وخلّصنا منهم، كقوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

وقد تقدّم تفسير هذه القصة في سورة هود على التمام والكمال، وإنما جعل سبحانه استواءهم على السفينة نجاة مِنْ الغرق جَزْماً؛ لأنه قد سبق في علمه أن ذلك سبب نجاتهم من الظلمة، وسلامتهم من أن يصابوا بما أصيبوا به من العذاب. ثم أمره أن يسأل ربَّه ما هو أنفع له وأتمّ فائدة فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾؛ أي: أنزلني في السفينة.

قرأ الجمهور (مُنزَلاً) بضم[2] الميم وفتح الزاي على أنه مصدر.

وقرأ زرّ بن حبيش، وأبو بكر، عَنْ عاصم، والمُفضّل بفتح الميم[3] وكسر الزاي على أنّه اسم مكان.

فعلى القراءة الأولى: أنزلني إنزالاً مباركاً، وعلى القراءة الثانية: أنزلني مكاناً مباركاً.

قال الجوهري[4]: والمَنزَل بفتح الميم والزاي النزول، وهو الحلول، تقول: نزلتُ نزولاً ومَنْزَلاً. قال الشاعر:

أَإِنْ ذكرتْك الدارُ منزلَها جُملُ ... بكيْتُ فدمعُ العينِ منحدرٌ سَجْلُ[5]

بنصب منزلها؛ لأنّه مصدر.

---

(١) «روح المعاني» (١٨/ ٦٣)، و«التبيان» (٢/ ٦٩٢)، و«الفريد» (٣/ ٥٦١).

(٢) «النشر» (٢/ ٣٢٨)، و«التيسير» (ص١٥٩)، و«جامع البيان» (١٧/ ٣٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٢٨).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) في «الصحاح» (٥/ ١٨٢٩).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٦).

قيل: أمَره الله سبحانه بأنْ يقول هذا القول عند دخوله السفينة؛ وقيل: عند خروجه منها، والآية تعليمٌ مِنْ الله لعباده إذا ركبوا ثم نزلوا أن يقولوا هذا القول: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ هذا ثناء منه على الله ﷻ إثر دعائه له.

قال الواحدي[١]: قال المفسّرون: إنه أمر أن يقول عند استوائه على الفُلك: الحمد لله، وعند نزوله منها: ربّ أنزلني منزلاً مباركاً.

والإشارة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم مما قصه الله علينا من أمر نوح عليه السلام: والآيات: الدلالات على كمال قُدرته سبحانه، والعلامات التي يستدلّ بها على عظيم شأنه ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾؛ أي: لمختبرين لهم بإرسال الرسل إليهم، ليظهر المطيع والعاصي للنّاس أو للملائكة.

وقيل: المعنى: إنه يعاملهم سبحانه معاملة المختبر لأحوالهم، تارةً بالإرسال، وتارة بالعذاب ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾؛ أي: مِنْ بعد إهلاكهم.

قال أكثر المفسِّرين[٢]: إنَّ هؤلاء الذين أنشأهم الله بعدهم هم عاد قوم هود، لمجيء قصتهم على إِثَر قصة نوح في غير هذا الموضع، ولقوله في الأعراف: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩]. وقيل: هم ثمود لأنهم الذين أهلكوا بالصيحة.

وقد قال سبحانه في هذه القصة: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣ و٨٣]. وقيل: هم أصحاب مَدْين قوم شعيب لأنّهم ممّن أهلك بالصيحة ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا﴾ عدّى فعل[٣] الإرسال بفي مع أنه يتعدّى بإلى، للدلالة [٣/٢٨١] على أن هذا الرسول المرسل إليهم نشأ فيهم بين أظهرهم، يعرفونَ مكانه ومولده، ليكون سكونهم إلى قوله أكثر من سكونهم إلى من يأتيهم مِنْ غير مكانهم.

وقيل: وجه التعدية للفعل المذكور بفي أنه ضمن معنى القول؛ أي: قلنا لهم على لسان الرسول: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ولهذا جيء[٤] بأنْ المفسرة. والأوّل أولى لأن تضمين أرسلنا معنى قُلْنا لا يستلزم تعديته بفي.

---

(١) في «الوسيط» (٣/ ٢٨٩).
(٢) «جامع البيان» (١٧/ ٣٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٣٨)، و«روح المعاني» (١٨/ ٦٦).
(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٥٥٨)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٦١).
(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٥٥٩)، و«جامع البيان» (١٧/ ٣٩).

وجملة ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ تعليل للأمر بالعبادة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذابَه الذي يقتضيه شركُكم ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦ﴾؛ أي: أشرافهم وقادتهم.

ثم وصف الملأ بالكفر والتكذيب فقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؛ أي: كذّبوا بما في الآخرة مِنْ الحساب والعقاب، أو كذّبوا بالبعث ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾؛ أي: وسّعنا لهم نعم الدنيا، فبطروا بسبب ما صاروا فيه ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مِنْ كثرة الأموال ورفاهة العيش ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؛ أي: قال الملأ لقومهم هذا القول، وصفوه بمساواتهم في البشرية، وفي الأكل ﴿مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ﴾ والشرب مما تشربون منه، وذلك يستلزم عندهم أنّه لا فضل له عليهم.

قال الفرّاء[1]: إن معنى ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ على حذف منه؛ أي: مما تشربون منه وقيل: إن (ما) مصدرية، فلا تحتاج[2] إلى عائد.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيما ذكر من الأوصاف ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾؛ أي: مَغْبونون بترككم آلهتكم واتباعكم إيّاه من غير فضيلة له عليكم.

والاستفهام في قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ للإنكار[3]، والجملة مستأنفة مقرّرة لما قبلها من تقبيح اتباعهم له.

قُرِئ بكسر الميم[4] من ﴿مِتُّمْ﴾، مِنْ مات يمات كخافَ يخاف. وقرئ بضمها[5] مِنْ مات يَمُوت: كقال يقول: ﴿وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾؛ أي: كان بعض أجزائكم تُراباً، وبعضها عظاماً نخرة لا لحم فيها ولا أعصاب عليها، قيل: وتقديم التراب لكونه أبعد في عقولهم؛ وقيل: المعنى: كان متقدّموكم تراباً ومتأخروكم عظاماً ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾؛ أي: من قبوركم أحياء كما كنتم.

قال سيبويه[6]: «أنّ» الأولى في موضع نصب بوقوع أيعدكم عليها، و«أن» الثانية بدلٌ منها.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٤).

(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١١٣)، و«روح المعاني» (١٨/ ٦٩).

(٣) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٦٢)، و«روح المعاني» (١٨/ ٧٠).

(٤) «التيسير» (ص٩١)، و«النشر» (٢/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، و«روح المعاني» (١٨/ ٧٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٤).

(٥) «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١١)، و«زاد المسير» (٥/ ٣). القراءة بكسر الميم من (مِتم) هي لنافع والكوفيين عدا شعبة، والباقون بالضم.

(٦) في «الكتاب» (٣/ ١٣٢ ـ ١٣٣).

وقال الفرّاء[١]، والجَرْمي[٢]، والمبرِّد[٣]: إن «أن» الثانية مكرّرة للتوكيد، وحسن تكريرها لطول الكلام، وبمثله قال الزجاج[٤].

وقال الأخفش[٥]: «أن» الثانية في محل رفع بفعل مضمر؛ أي: يحدث إخراجكم كما تقول: اليوم القتال، فالمعنى: اليوم يَحْدثُ القتال ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾؛ أي: بُعد ما توعدون، أو بَعيد ما توعدون، والتكرير[٦] للتأكيد[٧].

قال ابن الأنباري[٨]: وفي هيهات عَشْر لغاتٍ ثم سردها، وهي مُبيَّنة في علم النحو.

وقد قُرئ ببعضها[٩]، واللّام في ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ لبيان[١٠] المُستبعد كما في قولهم: هيت لك، كأنّه قيل: لماذا هذا الاستبعاد؟ فقيل: ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾.

والمعنى: بعد إخراجكم للوعد الذي توعدون، هذا على أن هيهات اسم فعل.

وقال الزجاج[١١]: هو في تقدير المصدر؛ أي: البُعد لما توعدون، أو بُعْدٌ لما توعدون على قراءة مَنْ نوّن فتكون على هذا مبتدأ خبره لما توعدون.

ثم بيَّن سبحانه إترافهم بأنهم قالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾؛ أي: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، لا الحياة الآخرة التي تعدنا بها، وجملة ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ مفسّرة لما ادّعوه مِنْ قَصْرهم حياتهم على حياة الدنيا.

ثم صرّحوا بنفي البعث، وأن الوعد به منه افتراء على الله فقالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٣٧ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾؛ أي: ما هو فيما يدّعيه إلا مفتر

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٤).
(٢) وهو: صالح بن إسحاق. ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٤٥٥).
(٣) في «المقتضب» (٢/ ٣٥٦).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ١١).
(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٤٥٦).
(٦) «روح المعاني» (١٨/ ٧٢)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٦٢).
(٧) تكرير لتأكيد البُعد؛ أي: بُعد الوقوع أو الصحة.
(٨) في «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ٢٩٩).
(٩) انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٨)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٣٠٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٤٠ ـ ٤٢). قرأ بكسر التاء من غير تنوين (هيهاتِ) أبو جعفر، وقرأ باقي العشرة بفتح التاء، ويقف عليها بالهاء البزي وقنبل في وجه عنه والكسائي، ويقف الباقون بالتاء. وغيرها شاذ.
(١٠) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٦٣)، و«روح المعاني» (١٨/ ٧٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٦٠).
(١١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ١٣).

للكذب على الله ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: بمصدّقين له فيما يقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾؛ أي: قال نبيُّهم لمّا علم بأنهم لا يصدّقونه البتة: ربّ انصرني عليهم وانتقم لي منهم بسبب تكذيبهم إياي ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾؛ أي: قال الله سبحانه مجيباً لدعائه، واعداً له بالقبول لما دعا به: عما قليلٍ من الزمان ليصبحنّ نادمين على ما وقع منهم مِنْ التكذيب والعناد والإصرار على الكفر.

و«ما» في ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ مزيدة[1] بين الجار والمجرور للتوكيد لقلة الزمان كما في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ثم أخبر سبحانه بأنّها ﴿أَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ وحاق بهم عذابه، ونزل عليهم سَخَطُه.

قال المفسّرون[2]: صاح بهم جبريل صيحةً واحدة مع الريح التي أهلكهم الله بها فماتوا جميعاً؛ وقيل: الصيحة هي نفس العذاب الذي نزل بهم، ومنه قول الشاعر:

صاحَ الزمانُ بآل بِرمكَ صيحةً ... خرّوا لشدّتِها على الأذقانِ[3]

والباء في ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بالأخذ، ثم أخبر سبحانه عما صاروا إليه بعد العذاب النازل بهم فقال: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾؛ أي: كغُثاء السيل الذي يحمله، والغثاء[4]: ما يَحْمل السيلُ مِنْ بالي الشجر والحشيش والقَصَب ونحو ذلك مما يحمله على ظاهر الماء.

والمعنى: صيّرهم هلكى فيبسوا كما يبس الغثاء ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ انتصاب[5] (بُعداً) على المصدرية وهو مِنْ المصادر التي لا يذكر فعلها معها؛ أي: بعدوا بُعداً، واللام لبيان مِنْ قيل له ذلك.

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[6] في قوله: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ يقول: اجعل معك في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾.

---

(١) «الفريد» (٣/ ٥٦٦)، و«التبيان» (٢/ ٩٥٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٦٢)، و«روح المعاني» (١٨/ ٧٧).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٤٤).

(٣) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٥/ ٦٣).

(٤) «الوسيط» (٣/ ٢٩٠)، و«زاد المسير» (٥/ ٤٧٣)، و«جامع البيان» (١٧/ ٤٦).

(٥) «الفريد» (٣/ ٥٦٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١١٥).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٣٦) بسند ضعيف.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد(١) ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ قال لنوح حين أُنزل من السفينة.

وأخرج هؤلاء عن قتادة(٢) في الآية قال: يعلمكم سبحانه كيف تقولون إذا ركبتم، وكيف تقولون إذا نزلتم. أما عند الركوب ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣ ـ ١٤]. و﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]. وعند النزول ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك(٣) في قوله: ﴿قَرْنًا﴾ قال: أُمّة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(٤) في قوله: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ قال: بَعيدٌ بعيد.

وأخرج ابن جرير(٥) عنه في قوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ﴾ قال: جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ۝٤٢ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٤٣ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٤٤ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٤٥ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ۝٤٦ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ۝٤٧ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ۝٤٨ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٤٩ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/٣٨) بسند صحيح.
(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٩٧).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٥٥٨ ـ ٥٥٩) بسند صحيح.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٩٨).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/٤٢) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/٤٦) بسند ضعيف.

إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

قولُه: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: من بعد إهلاكهم ﴿قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ قيل: هم[1] قوم صالح ولوط وشُعيب كما وردت قصتهم على هذا الترتيب في «الأعراف» و«هود»، وقيل: هم بنو إسرائيل. والقرون: الأمم، ولعل وجه[2] الجمع هنا للقرون والإفراد فيما سبق قريباً أنّه أراد ها هنا أُمماً متعدّدة وهناك أمة واحدة.

ثم بيَّن سبحانه كمال علمه وقدرته في شأن عباده فقال: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾؛ أي: ما تتقدّم كلُّ طائفة مجتمعة في قرن آجالها المكتوبة لها في الهلاك ولا تتأخر عنها، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤، النحل: ٦١].

ثم بيَّن سبحانه أنّ رسلَه كانوا بعد هذه القرون متواترين، وأنّ شأنَ أممهم كان واحداً في التكذيب لهم فقال: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ﴾ والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها بمعنى: أنّ إرسال كلِّ رسولٍ متأخر عَنْ إنشاء القرن الذي أرسل إليه، لا على معنى أنّ إرسال الرسل جميعاً متأخر عن إنشاء تلك القرون جميعاً.

ومعنى ﴿تَتْرَا ۖ﴾ تتواتر[3] واحداً بعد واحد ويتبع بعضُهم بعضاً، من الوَتْر وهو الفرد.

قال الأصمعي[4]: واترتُ كتبي عليه: أتبعتُ بعضها بعضاً إلا أن بين كل واحد منها وبين الآخر مُهْلة.

وقال غيره[5]: المتواترة: المتتابعة بغير مهلة.

---

(١) «الكشاف» (٤/ ٢٣٢)، و«روح المعاني» (١٨/ ٧٨)، و«جامع البيان» (١٧/ ٤٧).
(٢) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٦٤)، و«روح المعاني» (١٨/ ٧٨ ـ ٧٩).
(٣) «جامع البيان» (١٧/ ٤٨)، و«روح المعاني» (١٨/ ٧٩)، و«النكت والعيون» (٤/ ٥٤).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١١٤).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٤٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١١٤).

قرأ ابن كثير، أَبو عمرو: (تترىً) بالتنوين[١] على أنه مصدر.

قال النحاس[٢]: وعلى هذا يجوز: (تِترىً) بكسر التاء[٣] الأولى؛ لأن معنى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾: واترْنا، ويجوز أَنْ يكون في موضع الحال؛ أَي: متواترين.

﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ﴾ هذه الجملة مستأنفة مبينة لمجيء كل رسول لأمته على أَنّ المراد بالمجيء: التبليغ ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾؛ أَي: في الهلاك بما نزل بهم مِنْ العذاب ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَۚ﴾ الأحاديث جمع أُحْدوثة، وهي ما يتحدّث به الناس كالأعاجيب جمع[٤] أعجوبة، وهي ما يتعجب الناس منه.

قال الأخفش[٥]: إنّما يقال: جعلنّاهم أحاديث في الشرّ ولا يقال في الخير، كما يقال: صار فلان حديثاً؛ أي: عبرةً، وكما قال سبحانه في آية أخرى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ [سبأ: ١٩].

قلتُ: وهذه الكلية غير مسلمة فقد يقال: صار فلان حديثاً حسناً، ومنه قول ابن دُريدٍ[٦] في مقصورته:

وإنما المرءُ حديثٌ بعدَه ... فكنْ حديثاً حسناً لمن رَوى

﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وصفهم [٣/٢٨٢] هنا بعدم[٧] الإيمان، وفيما سبق قريباً بالظلم لكون كل من الوصفين صادراً عن كل طائفة من الطائفتين، أو لكون هؤلاء لم يقع منهم إلا مجرّد عدم التصديق، وأولئك ضمّوا إليه تلك الأقوال الشنيعة التي هي من أشد الظلم وأفظعه.

ثم حكى سبحانه ما وقع من فرعون وقومه عند إرسال موسى وهارون إليهم فقال: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ هي التسع المتقدّم ذكرها غير مرّة، ولا يصح[٨] عدّ فلق البحر منها هنا؛ لأنّ المراد: الآيات التي كذّبوا بها واستكبروا عنها.

---

(١) «التيسير» (ص١٥٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٤٥)، و«النشر» (٢/ ٣٢٨).
(٢) في «إعراب القرآن» (٣/ ١١٤). (٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٤٥).
(٤) «معالم التنزيل» (٣/ ٣١٩)، و«تفسير الرازي» (٣/ ٣٠٩).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٦)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٣٠٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٦٤).
(٦) ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (١/ ٢٣٢).
(٧) «روح المعاني» (١٨/ ٨١).
(٨) «البحر المحيط» (٧/ ٥٦٤)، و«روح المعاني» (١٨/ ٨١).

والمراد بالسلطان المبين: الحُجَّة الواضحة البيّنة. قيل: هي الآيات التسع نفسها، والعطف[١] مِنْ باب:

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمامِ[٢]

وقيل: أراد العصى لأنّها أمّ الآيات، فيكون من باب عطف جبريل على الملائكة؛ وقيل: المراد بالآيات[٣]: التي كانت لهما، وبالسلطان: الدلائل. المبين: التسع الآيات، والمراد بالملأ في قوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾: هم الأشراف منهم كما سبق بيانه غير مرّة ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾؛ أي: طلبوا الكبر وتكلّفوه فلم ينقادوا للحق ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ﴾ قاهرين للناس بالبغي والظلم، مستعلين عليهم، متطاولين كبراً وعناداً وتمرّداً.

وجملة ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ معطوفة على جُملة ﴿ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ [الأعراف: ٧٥] وما بينهما اعتراض، والاستفهام للإنكار[٤]؛ أي: كيفَ نصدق مَنْ كان مثلنا في البشرية؟ والبشر[٥] يطلق على الواحد كقوله: ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]. كما يطلق على الجمع كما في قوله: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: ٢٦].

فتثنيته[٦] هنا هي باعتبار المعنى الأول، وأفرد المِثْل؛ لأنه في حكم المصدر، ومعنى ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾: أنّهم مطيعون لهم، منقادون لما يأمرونهم به كانقياد العبيد.

قال المبرّد[٧]: العابد: المطيع الخاضع.

قال أبو عبيدة[٨]: العرب تسمي كل من دان لملك: عابداً له.

وقيل: يحتمل أَنَّه كان يدّعي[٩] الإِلٰهية فدعى الناس إلى عبادته فأطاعوه.

---

(١) تقدم ذكره عند تفسير الآية (٢٠) من هذه السورة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٦)، و«خزانة الأدب» (١/ ٤٥٤) وقد تقدم مراراً.

(٣) «روح المعاني» (١٨/ ٨١).

(٤) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٦٥)، و«روح المعاني» (١٨/ ٨٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٦٥).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) «روح المعاني» (١٨/ ٨٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٦٥).

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٩١).

(٨) في «مجاز القرآن» (٢/ ٥٩).

(٩) «الكشاف» (٤/ ٢٣٣).

واللام في ﴿لَنَا﴾ متعلقة بـ ﴿عَٰبِدُونَ﴾، قدّمت عليه لرعاية الفواصل[١]، والجملة حالية[٢].

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾؛ أي: فأصّروا على تكذيبهما ﴿فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ بالغرق في البحر.

ثم حكى سبحانه ما جرى على قوم موسى بَعْد إهلاك عدوّهم فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التوراة، وخَصّ موسى[٣] بالذكر لأن التوراة أنزلت عليه في الطور، وكان هارون خليفته في قومه ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾؛ أي: لعلّ قوم موسى يهتدون بها إلى الحق، ويعملون بما فيها من الشرائع، فجعل سبحانه إيتاء موسى إيّاها إيتاء لقومه؛ لأنّها وإن كانت مُنزّلة على موسى فهي لإرشاد قومه.

وقيل: إنّ ثَمَّ مضافاً محذوفاً أقيم المضاف إليه مقامه؛ أي: آتينا قوم موسى الكتاب؛ وقيل: إنّ الضمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يرجع إلى فرعون[٤] وملائه، وهو وهم لأن موسى لم يؤت التوراة إلّا بعد إهلاك فرعون وقومه كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [القصص: ٤٣].

ثم أشار سبحانه إلى قصة عيسى إجمالاً فقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾؛ أي: علامةً تدلّ على عظيم قدرتنا، وبديع صنعنا، وقد تقدّم الكلام على هذا في آخر سورة الأنبياء في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

ومعنى قوله: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ إلى مكان مرتفع؛ أي: جعلنّاهما يأويان إليها.

قيل: هي أرض دمشق، وبه قال عبد الله بن سلام[٥]، وسعيد بن المسيب[٦]، ومقاتل[٧].

---

(١) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (١٨/ ٨٤).
(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٥٦٥).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٤٧).
(٤) «روح المعاني» (١٨/ ٨٥).
(٥) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٣١٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ٤٧٦).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٥٤)، وابن عساكر في «تاريخه» (١/ ٢٠٥، ٢٠٦)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٩٠، ١٩١)، وعبد الرزاق (٢/ ٤٦) بسند صحيح.
(٧) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٣١٠).

وقيل: بيت المقدّس، قاله قتادة[١]، وكعب[٢].

وقيل: أرض فلسطين، قاله السديّ[٣].

﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾؛ أي: ذات مستقرّ يستقرّ عليه ساكنوه ﴿وَمَعِينٍ﴾؛ أي: وماء معين.

قال الزجاج[٤]: هو الماء الجاري في العيون، فالميم على هذا زائدة كزيادتها في منبع؛ وقيل: هو فعيل بمعنى مفعول.

قال عليّ بن سليمان الأخفش[٥] يُقال: مَعَن الماءُ: إذا جرى فهو مَعْين ومَمْعون، وكذا قال ابنُ الأعرابي[٦].

وقيل: هو مأخوذ من الماعون، وهو النّفْع، وبمثل ما قال الزجاج قال الفرّاء[٧] ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.

قال الزجاج[٨]: هذه مخاطبة لرسول الله ﷺ ودلّ الجمع على أَنَّ الرسل كلهم كذا أمروا.

وقيل: إن هذه المقالة خُوطب[٩] بها كل نبيّ؛ لأن هذه طريقتهم التي ينبغي لهم الكون عليها، فيكون المعنى: وقلنا: يا أيها الرسل خطاباً لكل واحد على انفراده، لاختلاف أزمنتهم.

وقال ابنُ جرير[١٠]: إنّ الخطاب لعيسى.

وقال الفرّاء[١١]: هو كما تقول للرجل الواحد: كفوا عنا.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٥٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٥) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٥٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٥) بسند صحيح.
(٣) انظر: «زاد المسير» (٥/ ٤٧٦)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٣١٠)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ٢٩١).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ١٥).
(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٤٦٤).
(٦) «تهذيب اللغة» (٣/ ١٦).
(٧) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٤٦٤).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ١٥).
(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٤٩ ـ ٥٠)، و«روح المعاني» (١٨/ ٩٠)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ٢٩١).
(١٠) في «جامع البيان» (١٧/ ٥٩).
(١١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٧).

والطيبات: ما يُستطاب ويستلذّ.

وقيل: هي الحلال[١]، وقيل: هي ما جمع الوصفين المذكورين. ثم بعد أن أمرهم بالأكل من الطيبات أمرهم بالعمل الصالح فقال: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾؛ أي: عملاً صالحاً وهو ما كان موافقاً للشرع.

ثم علّل هذا الأمر بقوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليّ شيء منه، وإني مجازيكم على حسب أعمالكم إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ هذا من جملة ما خوطب به الأنبياء.

والمعنى: أن هذه ملتكم وشريعتُكم أيُّها الرسل ملة واحدة، وشريعة متحدة يجمعها أصل هو أعظم ما بعث الله به أنبياءه وأنزل فيه كتبه، وهو دعاء جميع الأنبياء إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

وقيل: المعنى: إن هذا الذي تقدّم ذكره هو دينكم وملتكم فالزموه على أن المراد[٢] بالأمة هنا: الدِّين كما في قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]. ومنه قول النابغة[٣]:

حلفْتُ فلم أتركْ لنفسك رِيبةً … وهل يأثَمَنَّ ذو أُمَّةٍ وهو طائعُ

قُرئ بكسر[٤] (إنّ) على الاستئناف المقرّر لما تقدّمه، وقُرئ بفتحها[٥] وتشديدها.

قال الخليل[٦]: هي في موضع نصب لمّا زال الخافض؛ أي: أنا عالم بأن هذا دينكم الذي أمرتكم أن تؤمنوا به.

---

(١) «روح المعاني» (١٨/ ٩١)، و«جامع البيان» (١٧/ ٥٩).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٥١)، و«جامع البيان» (١٧/ ٦٠)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ٢٩٢)، و«النكت والعيون» (٤/ ٥٧).
(٣) انظر: «ديوانه» (ص٣٥).
(٤) «التيسير» (ص١٥٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٥١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٦٦)، و«جامع البيان» (١٧/ ٦٠). قرأ بكسر الهمزة وتشديد النون الكوفيون، وقرأ بفتحها وتخفيف النون ابن عامر، وقرأ بفتحها وتشديد النون الباقون.
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٥١ ـ ٥٢).

وقال الفرّاء[١]: إنّ متعلقة بفعل مضمر، وتقديره: واعلموا أنّ هذه أمتكم.

وقال سيبويه[٢]: هي متعلقة بـ ﴿اتقون﴾، والتقدير: فاتقونِ؛ لأن أمتكم أمة واحدة، والفاء في ﴿فَاتَّقُونِ﴾ لترتيب[٣] الأمر بالتقوى على ما قبله من كونه ربكم المختصّ بالربوبية؛ أي: لا تفعلوا ما يُوجب العقوبة عليكم منّي بأن تشركوا بي غيري، أو تخالفوا ما أمرتكم به أو نهيتكم عنه.

ثم ذكر سبحانه ما وقع مِنْ الأمم مِنْ مخالفتهم لما أمرهم به الرسل فقال: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ والفاء لترتيب عصيانهم على ما سبق من الأمر بالتقوى، والضمير يرجع إلى ما يدلّ عليه لفظ الأُمّة، والمعنى: أنّهم جعلوا دينهم مع اتحاده قطعاً متفرّقة مختلفة.

قال المبرِّد[٤]: زُبَراً: فِرقاً وقِطعاً مختلفة، واحدها زَبور، وهي الفرقة والطائفة، ومثله: الزبرة وجمعها زبر، فوصف سبحانه الأمم بأنهم اختلفوا، فاتبعت فرقة التوراة، وفرقة الزبور، وفرقة الإنجيل ثم حرّفوا وبدّلوا، وفرقة مشركة تبعوا ما رسمه لهم آباؤهم من الضلال.

قرئ (زُبُراً) بضم الباء[٥] جمع زَبور، وقرئ بفتحها[٦]؛ أي: قطعاً كقطع الحديد ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾؛ أي: كل فريق من هؤلاء المختلفين بما لديهم؛ أي: بما عندهم من الدين فرحون؛ أي: معجبون به.

﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؛ أي: اتركْهم في جهلهم، فليسوا بأهل للهداية، ولا يضق صدرك بتأخير العذاب عنهم، فلكلّ شيء وقت، شبّه سبحانه ما هم فيه من الجهل بالماء الذي يَغْمُر من دخل فيه.

والغَمْرة[٧] في الأصل: ما يغمُرك ويعلُوك، وأصله: السَّتر، والغمر: الماء

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٧). (٢) في «الكتاب» (٣/ ١٢٧).

(٣) «روح المعاني» (١٨/ ٩٣)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٦٨).

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٩٢).

(٥) «جامع البيان» (١٧/ ٦٢)، و«التبيان» (٢/ ٩٥٧)، و«روح المعاني» (١٨/ ٩٥)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٨).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالفتح شاذة، والقراءة بضم الباء متواترة.

(٧) «تهذيب اللغة» (٨/ ١٢٨)، و«الصحاح» (٢/ ٧٧٢).

الكثير؛ لأنه يغطي الأرض، وغَمْر الرداء هو الذي يشمل النّاس بالعطاء، ويقال للحقد: الغِمْر، والمراد هنا: الحَيْرة والغَفْلة والضلالة، والآية خارجة مخرج التهديد[١] لهم، لا مخرج الأمر له ﷺ بالكفّ عنهم.

ومعنى ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ حتّى يحضر[٢] وقتُ عذابهم بالقتل، أو حتى يموتوا على الكفر فيُعذّبون في النار ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾؛ أي: أيحسبون أنما نُعطيهم في هذه الدنيا مِنْ الأموال والبنين ﴿نُسَارِعُ﴾ به ﴿لَهُمْ﴾ فيما فيه خيرهم وإكرامهم؟ والهمزة للإنكار[٣]، والجواب عَنْ هذا مُقدّر يدلّ عليه قوله: ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾؛ لأنّه عطف على مُقدّر ينسحب إليه الكلام؛ أي: كلّا لا نفعل ذلك؛ بل هم لا يشعرون بشيءٍ أصلاً كالبهائم التي لا تفهم ولا تعقل، فإن ما خوّلناهم من النعم وأمددناهم به من الخيرات إنما هو استدراج لهم ليزدادوا إثماً كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

قال الزجاج[٤]: المعنى: نُسارع لهم به في الخيرات، فحذفت به، و(ما) في إنما موصولة، والرابط هو هذا المحذوف.

وقال الكسائي[٥]: إن (أنما) هنا حرف واحد فلا يحتاج إلى تقدير رابط.

قيل: يجوز الوقف[٦] على بنين؛ وقيل: لا يحسن لأن (يحسبون) يحتاج إلى مفعولين، فتمام المفعولين في الخيرات.

قال ابن الأنباري[٧]: وهذا خطأ لأن «ما» كافة.

وقرأ أبو عبد الرحمٰن السُّلمي، وعبد الرحمٰن بن أبي بكرة (يُسارع) بالياء[٨]

---

(١) «روح المعاني» (١٨/ ٩٥)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٧٠).

(٢) «النكت والعيون» (٤/ ٥٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٥٤).

(٣) «روح المعاني» (١٨/ ٩٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٦٧).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ١٦).

(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١١٧).

(٦) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٥٠٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١١٧)، و«روح المعاني» (١٨/ ٩٧).

(٧) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٧٩١ ـ ٧٩٢).

(٨) «القراءات الشاذة» (ص٩٨)، و«المحتسب» (٢/ ٩٤)، و«روح المعاني» (١٨/ ٩٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٦٨). وهي قراءة شاذة.

التحتية على أن فاعله ما يدلّ عليه أمددنا، وهو الإِمداد، ويجوز أن يكون المعنى: يسارع الله لهم. وقرأ الباقون (نُسارع) بالنون[1].

قال الثعلبي[2]: وهذه القراءة هي الصواب لقوله: ﴿نُمِدُّهُم﴾.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[3] في قوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ قال: يتبع بعضُهم بعضاً. وفي لفظ[4] قال: بعضُهم على إثْر بعض.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، [٣/٢٨٣] وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[5] ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ قال: وَلَدَتْه من غير أب.

وأخرج ابن أبي حاتم[6] عن الربيع بن أنس ﴿ءَايَةً﴾ قال: عبرة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[7] ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ قال: الربوة: المستوية، والمعين[8]: الماء الجاري، وهو النهر الذي قال الله: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤].

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[9] ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ قال: هي المكان المرتفع من الأرض، وهو أحسن ما يكون فيه النبات ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: ذات خَصْب، والمعين: الماء الظاهر.

وأخرج وكيع، والفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وتمام الرازي، وابن عساكر. قال السيوطي[10]: بسند صحيح عن

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٥٥ ـ ٥٦)، و«التبيان» (٢/ ٢/ ٩٥٧)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٤/ ١٦).

(٢) في «الكشف والبيان» (٧/ ٤٩) وفيه: والصواب: قراءة العامة لقوله سبحانه: ﴿نُمِدُّهُم﴾.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٤٨ ـ ٤٩) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٤٩) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٩٩).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٥٢) بسند صحيح.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٩٩).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٥٦) بسند ضعيف.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٥٧) بسند ضعيف.

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٥٦، ٥٧) بسند ضعيف.

(١٠) في «الدر المنثور» (٦/ ١٠١).

ابن عباس[١] في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ قال: أُنْبِئنا أنها دمشق.

وأخرج ابن عساكر، عَنْ عبد الله بن سلام[٢] مثلَه.

وكذا أخرجه ابن أبي حاتم عنه[٣].

أخرج ابن عساكر عن أبي أُمامة[٤] مرفوعاً نحوه، وإسناده ضعيف.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه، وابن عساكر عن مرة البهزي[٥]: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الربوة الرَّمْلة».

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم في «الكنى»، وابن عساكر عن أبي هريرة[٦] قال: هي الرَّمْلة من فلسطين.

وأخرجه ابن مردويه من حديثه مرفوعاً. وأخرج الطبراني، وابن السكن، وابن منده، وأبو نعيم، وابن عساكر عن الأقرع[٧] بن شُفَيّ العَكّي مرفوعاً نحوه.

وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة[٨] قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]»، ثم ذكر «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٠/ ١٢٥)، وابن عساكر في «تاريخه» (١/ ٢٠٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١/ ٢٠٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٠١).

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١/ ٢٠٣) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٥٣، ٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «تفسير ابن كثير» (١٠/ ١٢٥)، والطبراني رقم (٦٦٩٥)، وابن عساكر في «تاريخه» (١/ ٢١٠) بسند ضعيف.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٠/ ١٢٥): «وهذا حديث غريب جدّاً».

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٥٤)، وابن عساكر (١/ ٢١٢) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن السكن كما في «الإصابة» (١/ ١٠٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ٣٠٧ رقم ١٠٥٥)، وابن عساكر (١/ ٢١١).

قال الحافظ: «قال ابن السكن: لا نعرف من رجال هذا الإسناد أحداً.

(٨) أخرجه أحمد رقم (٨٣٤٨)، ومسلم رقم (١٠١٥)، والترمذي رقم (٢٩٨٩).

بالحرام يمدّ يديه إلى السماء: يا ربّ يا ربّ، فأنى يستجاب لذلك».

وأخرج سعيد بن منصور عن حفص الفزاري[1] في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ قال: ذلك عيسى ابن مريم يأكل مِنْ غزل أمه.

وأخرجه عبدان في «الصحابة» عن حفص[2] مرفوعاً، وهو مرسل لأن حفصاً تابعي.

[أثر الإيمان في القلوب المؤمنة]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣) حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧)﴾.

لما نفى سبحانه الخيرات الحقيقية عن الكفرة المتنعمين، أتبع ذلك بذكر من هو أهلٌ للخيرات عاجلاً وآجلاً، فوصفهم بصفات[3] أربع:

الأولى: قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ الإشفاق: الخوف، تقول: أنا مشفق من هذا الأمر؛ أي: خائف[4]. قيل: الإشفاق هو الخشية، فظاهر ما في الآية التكرار.

وأجيب بحمل الخشية على العذاب؛ أي: من عذاب ربهم خائفون، وبه قال الكلبي ومقاتل[5].

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٠٢).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٠٢) مرسلاً.
(٣) ذكره هذه الصفات الرازي في «تفسيره» (٢٣/ ١٠٦ ـ ١٠٧).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٥٧)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٠٠).
(٥) ذكره عنهم الرازي في «تفسيره» (٢٣/ ١٠٦).

وأجيب أيضاً بحمل الإشفاق على ما هو أثر له: وهو الدوام على الطاعة؛ أي: الذين هم من خشية ربهم دائمون على طاعته.

وأجيب أيضاً بأن الإشفاق كمال الخوف فلا تكرار؛ وقيل: هو تكرار للتأكيد.

والصفة الثانية: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ قيل: المراد بالآيات: هي التنزيلية؛ وقيل: هي التكوينية؛ وقيل: مجموعهما، وقيل: وليس المراد بالإيمان بها هو التصديق بوجودها فقط. فإنّ ذلك معلوم بالضرورة ولا يوجب المدح؛ بل المراد: التصديق بكونها دلائل وأنّ مدلولها حق[١].

والصفة الثالثة[٢]: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾؛ أي: يتركون الشرك تركاً كليّاً ظاهراً وباطناً.

والصفة الرابعة[٣]: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾؛ أي: يُعطون ما أعطوا وقلوبهم خائفة مِنْ أجل ذلك الإعطاء يظنون أن ذلك لا ينجيهم مِنْ عذاب الله، وجملة ﴿وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ في محل نصب[٤] على الحال؛ أي: والحال أنّ قلوبهم خائفة أشدّ الخوف.

قال الزجاج[٥]: قلوبهم خائفة لأنّهم إلى ربِّهم راجعون، وسبب الوجل هو أن يخافوا أن لا يُقبل منهم ذلك على الوجه المطلوب، لا مجرّد رجوعهم إليه سبحانه.

وقيل: المعنى: أنّ من اعتقد الرجوع إلى الجزاء والحساب وعلم أن المجازي والمحاسب هو الربّ الذي لا تخفى عليه خافية لم يخل مِنْ وَجَلٍ.

قرأت عائشة، وابن عباس، والنخعي (يأتون ما أتوا)[٦] مقصوراً مِنْ الإتيان.

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢٣/١٠٦).

(٢) «تفسير الرازي» (٢٣/١٠٧)، و«روح المعاني» (١٨/١٠١)، و«البحر المحيط» (٧/٥٦٨ ـ ٥٧٠).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «التبيان» (٢/٩٥٨)، و«الفريد» (٣/٥٧٣).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/١٦ ـ ١٧).

(٦) «المحتسب» (٢/٩٥)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٨)، و«البحر المحيط» (٧/٥٦٩). وهي قراءة شاذة.

قال الفراء[(١)]: ولو صحت هذه القراءة لم تخالف قراءة الجماعة؛ لأن من العرب من يلزم في الهمز الألف في كل الحالات.

قال النحاس[(٢)]: ومعنى هذه القراءة: يعملون ما عملوا والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى المتصفين بهذه الصفات، ومعنى ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يبادرون بها.

قال الفرّاء[(٣)] والزجاج[(٤)]: ينافسون فيها، وقيل: يسابقون، وقُرئ (يَسْرعون)[(٥)] ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ اللام للتقوية[(٦)]، والمعنى: هم سابقون إياها، وقيل: اللام[(٧)] بمعنى إلى كما في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]. أي: أوحى إليها، وأنشد سيبويه[(٨)] قول الشاعر:

تُجانفُ عن أهلِ اليمامةِ ناقتي ... وما قصدَتْ من أهلِها لسوائكا[(٩)]

أي: إلى سوائكا، وقيل: المفعول[(١٠)] محذوف، والتقدير: وهم سابقون النّاسَ لأجلها. ثم لما انجر الكلام إلى ذكر أعمال المكلفين ذكر لهما حكمين:

الأوّل: قوله: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الوسْع: هو الطاقة، وقد تقدّم بيان هذا في آخر سورة البقرة.

وفي تفسير الوسع قولان:

الأوّل: أنّه الطاقة كما فسّره بذلك أهل اللغة[(١١)].

الثاني: أنّه دون الطاقة، وبه قال[(١٢)] مقاتل والضحاك والكلبي والمعتزلة.

قالوا: لأنّ الوسع إنما سُمّي وسعاً؛ لأنّه يتسّع على فاعله فعله ولا يضيق

---

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/٤٦٨).

(٢) في «معاني القرآن» للنحاس (٤/٤٦٩). (٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/٢٣٨).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/١٧).

(٥) «المحتسب» (٢/٩٦)، و«البحر المحيط» (٧/٥٧٠). وهي قراءة شاذة.

(٦) «البحر المحيط» (٧/٥٧٠)، و«التبيان» (٢/٩٥٨).

(٧) «الفريد» (٣/٥٧٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/٥٩)، و«روح المعاني» (١٨/١٠٢).

(٨) في «الكتاب» (٤/٤٧٠).

(٩) البيت في الكتاب منسوب للأعشى. وانظر: «معاني القرآن» للنحاس (٤/٤٧٠).

(١٠) «روح المعاني» (١٨/١٠٢ ـ ١٠٣)، و«الفريد» (٣/٥٧٣)، و«التبيان» (٢/٩٥٨).

(١١) «تهذيب اللغة» (٣/٩٥)، و«الصحاح» (٣/١٢٩٨).

(١٢) «روح المعاني» (١٨/١٠٤)، و«معالم التنزيل» (٣/٣١٢).

عليه، فمن لم يستطع الجلوس فليوم إيماءً، ومَنْ لم يستطع الصوم فليفطر. وهذه الجملة مستأنفة للتحريض[١] على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدّي إلى نيل الكرامات، ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حدّ الوسع والطاقة، وأن ذلك عادة الله سبحانه في تكليف عباده.

وجملة ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ مِنْ تمام ما قبلها مِنْ نفي التكليف بما فوق الوسع، والمراد بالكتاب: صحائف الأعمال[٢]؛ أي: عندنا كتاب قد أثبت فيه أعمال كل واحد مِنْ المكلفين على ما هي عليه.

ومعنى ﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ يظهر به الحق المطابق للواقع مِنْ دون زيادة ولا نقص، ومثله قوله سبحانه: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

وفي هذا تهديد للعصاة وتأنيس للمطيعين مِنْ الحيف والظلم، وقيل: المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، فإنّه قد كُتب فيه كل شيء، وقيل: المراد بالكتاب: القرآن، والأوّل أولى.

وفي هذه الآية تشبيه للكتاب بمن يصدر عنه البيان بالنطق بلسانه، فإن الكتاب يُعْرب عما فيه كما يُعرب الناطق المحق.

وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، يتعلق بـ(ينطق)، أو بمحذوف هو حال من فاعله؛ أي: ينطق ملتبساً بالحق.

وجملة ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ مُبينة لما قبلها مِنْ تفضله وعدله في جزاء[٣] عباده؛ أي: لا يُظْلمون بنقص ثوابٍ أو بزيادة عقاب، ومثله قوله سبحانه: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

ثم أضرب سبحانه عن هذا فقال: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ والضمير للكفار؛ أي: بَلْ قلوب الكفار في غَمْرة غامرة لها عَنْ هذا الكتاب الذي ينطق بالحق، أو عَنْ الأمر الذي عليه المؤمنون، يقال: غَمره الماءُ: إذا غطّاه، ونهر غَمْر: يُغطي مَنْ دخله، والمراد بها هنا: الغطاء والغفلة أو الحَيرة والعِمى، وقد تقدّم الكلام على الغمرة قريباً.

---

(١) «روح المعاني» (١٨/ ١٠٤)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٧١).
(٢) «روح المعاني» (١٨/ ١٠٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٦٠).
(٣) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (١٨/ ١٠٥).

﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ قال قتادة[١] ومجاهد[٢]: أي: لهم خطايا لا بدّ أن يعملوها من دون الحق.

وقال الحسن[٣] وابن زيد[٤]: المعنى: ولهم أعمال رديئة لم يعملوها من دون ما هم عليه لا بدّ أن يعملوها فيدخلون بها النار.

فالإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إما إلى أعمال المؤمنين، أو إلى أعمال الكفار؛ أي: لهم أعمال من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله، أو مِنْ دون أعمال الكفار التي تقدّم ذكرها مِنْ كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر، وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن.

قال الواحدي[٥]: إجماع المفسِّرين وأصحاب المعاني على أنّ هذا إخبار عما سيعملونها مِنْ أعمالهم الخبيثة التي كُتبت عليهم لا بدّ لهم أن يعملوها.

وجملة ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ مقرّرة لما قبلها؛ أي: واجبٌ عليهم أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة لا محيص لهم عن ذلك.

ثم رجع سبحانه إلى وصف الكفار فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ﴾، ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام، والكلام هو الجملة الشرطية المذكورة، وهذه الجملة مبينة لما قبلها.

والضمير في (مترفيهم) راجع إلى من تقدّم ذكره من الكفار، والمراد بالمُتْرفين: المتنعمين مِنْهم، وهم الذين أمدّهم الله بما تقدم ذكره مِنْ المال والبنين، أو المراد بهم: الرؤساء منهم. والمراد بالعذاب هو: عذابهم بالسيف يوم بدر، أو بالجوع بدعاء النبيّ ﷺ عليهم حيث قال: «اللَّهُمَّ اشدد وطأتك على مُضرٍ [٣/٢٨٤] واجعلها عليهم سنينَ كسني يوسف»[٦].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٦٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٧٥) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٧٥) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٧٦) بسند حسن.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٧٦) بسند صحيح.
(٥) في «الوسيط» (٣/ ٢٩٤).
(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٣٨٦)، ومسلم رقم (٢٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل: المراد بالعذاب: عذاب الآخرة، ورجح هذا بأن ما يقع منهم من الجؤار إنما يكون عند عذاب الآخرة؛ لأنه الاستغاثة بالله ولم يقع منهم ذلك يوم بدر ولا في سني الجوع. ويجاب عنه بأن الجؤار في اللغة[١]: الصراخ والصياح.

قال الجوهري[٢]: الجؤار مثل الخوار، يقال: جأر الثور يجأر؛ أي: صاح.

وقد وقع منهم ومن أهلهم وأولادهم عند أن عُذِّبوا بالسيف يوم بدر، وبالجوع في سني الجوع، وليس الجؤار ها هنا مقيد بالجؤار الذي هو التضرّع بالدعاء حتى يتم ما ذكره القائل.

وجملة ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ جواب الشرط، وإذا هي الفُجائية[٣]، والمعنى: حتى إذا أخذنا مُترَفيهم بالعذاب فاجئوا بالصُّراخ. ثم أخبر سبحانه أنّه يقال لهم حينئذٍ على جهة التبكيت ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ فالقول مُضْمَر، والجملة مسوقة لتبكيتهم[٤] وإقناطهم وقطع أطماعهم، وخصّص سبحانه المترفين مع أن العذاب لاحق بهم جميعاً واقع على مترفيهم وغير مترفيهم لبيان أنّهم بعد النعمة التي كانوا فيها صاروا على حالة تخالفها وتباينها، فانتقلوا مِنْ النعيم التامّ إلى الشقاء الخالص، وخصّ اليوم بالذكر للتهويل.

وجملة ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ تعليل للنهي عن الجؤار، والمعنى: إنّكم من عذابنا لا تُمْنعون ولا ينفعكم جَزَعكُم؛ وقيل: المعنى: إنّكم لا يلحقكم من جهتنا نصرة تمنعكم مما دهمَكم مِنْ العذاب.

ثم عدّد سبحانه عليهم قبائحهم توبيخاً لهم فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: في الدنيا، وهي آيات القرآن ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾؛ أي: ترجعون وراءكم، وأصل النكوص[٥] أَنْ يرجع القَهْقَرى، ومنه قول الشاعر:

زَعموا أنّهم على سُبُل الحقِّ وأنا نُكُصٌ على الأعقابِ[٦]

---

(١) «تهذيب اللغة» (١١/ ١٧٧)، و«الصحاح» (٢/ ٦٠٧).

(٢) في «الصحاح» (٢/ ٦٠٧).

(٣) «الفريد» (٣/ ٥٧٤)، و«التبيان» (٢/ ٩٥٨)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٠٧).

(٤) «روح المعاني» (١٨/ ١٠٧)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٧٤).

(٥) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٢٤)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ٤٣)، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٢٩٨).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٦٣).

[جمهور المفسرين على أن الضمير في (به) راجع إلى الحرم]:

وهو هنا استعارة للإعراض[١] عن الحق، وقرأ عليّ بن أبي طالب (على أدباركم) بدل ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ بضم الكاف، وعلى أعقابكم متعلق بـ﴿تَنكِصُونَ﴾، أو متعلق بمحذوف وقع حالاً من فاعل تنكصون ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ الضمير في به راجع إلى البيت العتيق، وقيل: للحرم، والذي سوّغ الإضمار قبل الذكر اشتهارهم بالاستكبار به وافتخارهم بولايته والقيام به، وكانوا يقولون: لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم وخدّامه. وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين[٢].

وقيل: الضمير عائد إلى القرآن. والمعنى: أن سماعه يُحْدث لهم كِبْراً وطغياناً فلا يؤمنون به. قال ابن عطية[٣]: وهذا قول جيد.

وقال النحاس[٤]: القول الأوّل أولى وبيّنه بما ذكرنا. فعلى القول الأوّل يكون به متعلقاً بمستكبرين، وعلى الثاني يكون متعلقاً بـ ﴿سَٰمِرًا﴾ لأنهم كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يَسْمرون، وكان عامة سمرهم ذكر القرآن والطعن فيه، والسامر كالحاضر في الإطلاق على الجمع.

قال الواحدي[٥]: السامر: الجماعة يَسْمُرون بالليل؛ أي: يتحدّثون، ويجوز أن يتعلق ﴿بِهِۦ﴾ بقوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ والهَجَر بالفتح: الهَذَيان[٦]؛ أي: تَهذون في شأن القرآن، ويجوز أن يكون من الهُجْر بالضم، وهو الفحش.

وقرأ ابنُ مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وأبو حيوة (سُمَّرا) بضم السين[٧] وفتح الميم مشدّدة.

وقرأ زيد بن علي وأبو رجاء (سُمّارا)[٨] ورويت هذه القراءة عن ابن عباس.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٦٣).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٦٤)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٣١٣)، و«روح المعاني» (١٨/ ١١١).

(٣) في «المحرر الوجيز» (١١/ ٢٤٢). (٤) في «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٤٧٤).

(٥) في «الوسيط» (٣/ ٢٩٤).

(٦) «تهذيب اللغة» (٦/ ٤١)، و«الصحاح» (٢/ ٨٥١).

(٧) «البحر المحيط» (٧/ ٥٧٢)، و«زاد المسير» (٥/ ٤٨٣)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٦)، و«المحتسب» (٢/ ٩٦). هي قراءة شاذة.

(٨) «القراءات الشاذة» (ص٩٧)، و«المحتسب» (٢/ ٩٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٧٢). هي قراءة شاذة.

وانتصاب[١] سامراً على الحال إما مِنْ فاعل تنكصون، أو مِنْ الضمير في مستكبرين؛ وقيل: هو مصدر جاء على لفظ الفاعل، يقال: قومٌ سَامِرٌ، ومنه قول الشاعر:

كأن لم يكنْ بين الحَجون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يَسمُر بمكةَ سَامرُ

قال الراغب[٢]: ويقال: سامر وسمّار، وسمر وسامرون.

قرأ الجمهور[٣] (تَهجُرون) بفتح التاء المثناة من فوق وضم الجيم.

وقرأ نافع، وابن محيصن بضم التاء[٤] وكسر الجيم من أهجر؛ أي: أفحش في منطقه.

وقرأ زيد بن علي، وابن محيصن، وأبو نُهيك بضم التاء وفتح الهاء[٥] وكسر الجيم مشدّدة مضارع هجر بالتشديد.

وقرأ ابن أبي عاصم كالجمهور إلا أنَّه بالياء التحتية[٦]، وفيه التفات.

وقد أخرج الفريابي، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا في «نعت الخائفين»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن عائشة[٧] قالت: «قلت: يا رسول الله، قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهو الرجل يَسرِقُ ويزني ويشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله؟ قال: لا، ولكنّه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي، وهو مع ذلك يخاف الله أن لا يتقبل منه».

وأخرج ابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن الأنباري في «المصاحف»،

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨)، و«التبيان» (٢/ ٩٥٨)، و«الفريد» (٣/ ٥٧٥).

(٢) في «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٢٥).

(٣) «جامع البيان» (١٧/ ٨٣ ـ ٨٤)، و«زاد المسير» (٥/ ٤٨٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٧٢)، و«روح المعاني» (١٨/ ١١٣). قراءة الجمهور وقراءة نافع متواترة، وغيرها شاذ.

(٤) «النشر» (٢/ ٣٢٩)، و«التيسير» (ص١٥٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٩٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٧٣).

(٦) «البحر المحيط» (٧/ ٥٧٣)، و«روح المعاني» (١٨/ ١١٣).

(٧) أخرجه أحمد رقم (٢٥٢٦٣، ٢٥٧٠٥)، والترمذي رقم (٣١٧٥)، وابن ماجه رقم (٤١٩٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٧٠، ٧١)، والحاكم (٢/ ٣٩٣)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧٦٢). وهو حديث حسن.

وابن مردويه عن أبي هريرة[١] قال: قالت عائشة: يا رسول الله، فذكر نحوه.

وأخرج عبد الرزاق عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ قال: يُعْطون ما أَعطوا.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٣] عنه في قوله: ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قال: يعملون خائفين.

وأخرج الفريابي، وابن جرير عن ابن عمر[٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ قال: الزكاة.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن عائشة[٥] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ قالت: هم الذين يخشون الله ويطيعونه.

وأخرج عبد بن حميد عن ابن أبي مليكة[٦] قال: قالت عائشة: لأن تكون هذه الآية كما أقرأ أحبّ إليّ من حُمْر النَّعم، فقال لها ابن عباس: ما هي؟ قالت: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ أتوْا﴾ وقد قدّمنا ذكر قراءتها ومعناها.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن مردويه عنها[٧]، عن النبيّ ﷺ أنه قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ أتوْا﴾ مقصوراً من المجيء.

وأخرج سعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري في «تاريخه»، وابن المنذر، وابن أبي شيبة، وابن الأنباري في «المصاحف»، والدارقطني في «الأفراد»، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن عُبيد بن عمير[٨]. أنه سأل عائشة كيف كان رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾؟ قالت: أيتهما أحبّ

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٠٥).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٧٠) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٦) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٦٩) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٦٧) بسند ضعيف.
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٠٦).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٠٦).
(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٠٦).
(٨) أخرجه أحمد رقم (٢٤٦٤، ٢٥١١٥)، والبخاري في «تاريخه» (٩/ ٢٨)، والحاكم (٢/ ٢٤٦) بسند ضعيف.

إليك؟ قلت: والذي نفسي بيده لأحدهما أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها جميعاً، قالت: أيهما؟ قلت: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ ما أتوا﴾ فقالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كان يقرؤها كذلك، وكذلك أنزلت، ولكن الهجاء حُرِّف. وفي إسناده إسماعيل بن عليّ، وهو ضعيف.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ قال: سبقت لهم السعادة من الله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ يعني بالغَمْرة: الكفر والشك ﴿وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ يقول: أعمال سيئة دون الشرك ﴿هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ قال: لا بدّ لهم أن يعملوها.

وأخرج النسائي[٣] عنه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ﴾ قال: هم أهل بدر.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٤] عنه أيضاً في قوله: ﴿إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ﴾ قال: يستغيثون، وفي قوله[٥]: ﴿فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾ قال: تُدْبِرون، وفي قوله[٦]: ﴿سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ﴾ قال: تَسْمرُون حول البيت وتقولون هُجْراً.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[٧] ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ﴾ قال: بحرم الله أنه لا يظهر عليهم فيه أحد.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عنه[٨] أيضاً ﴿سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ﴾ قال: كانت قريش يتحلقون حلقاً يتحدّثون حول البيت.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٧٧)، وابن أبي حاتم كما في «فتح الباري» (٨/ ٤٤٥) بسند صحيح.
(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٠٦ ـ ١٠٧).
(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» رقم (١١٣٥٣).
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٠٨).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٧٧) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٨٠) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٨٥) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٨٠) بسند ضعيف.
(٨) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٠٨).

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه عنه[١]: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ قال: كان المشركون يُهجِرون برسول الله ﷺ في القول في سَمَرِهم.

وأخرج النسائي، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] قال: إنما كره السمر حين نزلت هذه الآية: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾.

[من أسباب إقدامهم على الكفر]:

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

[دلائل قدرة الله في الأنفس]:

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [٣/٢٨٥].

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ بيَّن سبحانه أن سبب إقدامهم على الكفر هو أحد

---

(١) أخرجه الطبراني رقم (١١٠٨٩)، والحاكم (٢/٢٤٦) وصحَّحه وتعقبه الذهبيُّ بقوله: بل يحيى ـ وهو ابن سلمة بن كهيل ـ متروك. قاله النسائي.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٣٥١)، والحاكم (٢/ ٣٩٤).

هذه الأمور[١] الأربعة:

الأوّل: عدمُ التدبّر في القرآن، فإنّهم لو تدّبروا معانيه لظهر لهم صدقه وآمنوا به وبما فيه، والهمزة[٢] للإنكار والفاء للعطف على مقدّر؛ أي: فعلوا ما فعلوا فلم يتدبروا، والمراد بالقول: القرآن، ومثله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢، محمد: ٢٤].

والثاني: قوله: ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أم هي المنقطعة[٣]؛ أي: بَلْ جاءهم مِنْ الكتاب ما لم يأتِ آباءهم الأوّلين، فكان ذلك سبباً لاستنكارهم للقرآن، والمقصود: تقرير أنّه لم يأتِ آباءَهم الأوّلين رسولٌ، فلذلك أنكروه، ومثله قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦]. وقيل: إنّه أتى آباءهم الأقدمين رسلٌ أرسلهم الله إليهم. كما هي سُنَّة الله سبحانه في إرسال الرسل إلى عباده، فقد عرف هؤلاء ذلك، فكيف كذبوا هذا القرآن؟ وقيل: المعنى أم جاءهم من الأمن من عذاب الله ما لم يأتِ آباءهم الأوّلين كإسماعيل ومَنْ بعده.

والثالث: قوله: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ وفي هذا إضراب[٤] وانتقال من التوبيخ بما تقدّم إلى التوبيخ بوجه آخر؛ أي: بل ألم يعرفوه بالأمانة والصدق فأنكروه؟ ومعلومٌ أنهم قد عرفوه بذلك.

والرابع قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ وهذا أيضاً انتقال من توبيخ[٥] إلى توبيخ، أي: بل أتقولون به جِنّة؟ أي: جنون، مع أنهم قد علموا أنَّه أرجح الناس عقلاً، ولكنَّه جاء بما يخالف هواهم فدفعوه وجحدوه تعصباً وحمية.

ثم أضرب سبحانه عن ذلك كله فقال: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: ليس الأمر كما زعموا في حق القرآن والرسول؛ بل جاءهم مُلتبساً بالحق، والحق هو الدين القويم.

---

(١) ذكرها الرازي في «تفسيره» (٢٣/ ١١١ ـ ١١٢).

(٢) «روح المعاني» (١٨/ ١١٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٧٣).

(٣) «روح المعاني» (١٨/ ١١٤)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٧٥).

(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٥٧٣)، و«روح المعاني» (١٨/ ١١٥ ـ ١١٦)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٧٥).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ لما جُبلوا[١] عليه من التعصّب، والانحراف عن الصواب، والبُعد عن الحق، فلذلك كرهوا هذا الحق الواضح الظاهر، وظاهر النظم أنّ أقلهم كانوا لا يكرهون الحق، ولكنّهم لم يظهروا الإيمان خوفاً مِنْ الكارهين له.

وجُمْلة ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ مستأنفة مسوقة لبيان أنّه لو جاء الحق على ما يهوونه ويريدونه لكان ذلك مستلزماً للفساد العظيم، وخروج نظام العالم عن الصلاح بالكلية، وهو معنى قوله: ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾.

قال أبو صالح[٢]، وابن جريج[٣]، ومقاتل[٤] والسديّ: الحق: هو الله، والمعنى: لو جعل مع نفسه كما يُحبون شريكاً لفسدت السمٰوات والأرض.

وقال الفراء[٥] والزجاج[٦]: يجوز أَنْ يكون المراد بالحق: القرآن؛ أي: لو نزل القرآن بما يُحبّون من الشرك لفسد نظام العالَم؛ وقيل: المعنى: ولو كان الحق ما يقولون مِنْ اتحاد الآلهة مع الله لاختلفت الآلهة، ومثل ذلك قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقد ذهب إلى القول الأوّل الأكثرون، ولكنَّه يرد عليه أن المراد بالحق هنا هو: الحق المذكور قبله في قوله: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ ولا يصح أَنْ يكون المراد به هنالك الله سبحانه، فالأولى تفسير الحق هنا وهناك: بالصدق الصحيح مِنْ الدين الخالص مِنْ شرع الله.

والمعنى: ولو ورد الحق متابعاً لأهوائهم موافقاً لفاسد مقاصدهم لحصل الفساد، والمراد بقوله: ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾: مَنْ في السمٰوات والأرض من المخلوقات.

وقرأ ابن مسعود (وما بينهما)[٧]. وسبب فساد المكلفين مِنْ بني آدم ظاهر، وهو ذنوبهم التي مِنْ جملتها الهوى المخالف للحق، وأما فساد ما عداهم فعلى وجه التبع لأنَّهم مدبَّرون في الغالب بذوي العقول فلما فسدوا فسدوا.

---

(١) «روح المعاني» (١٨/ ١١٦)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٧٥).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٨٩) من طريقين يقوي أحدهما الآخر.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٨٩) بسند ضعيف.
(٤) انظر: «معالم التنزيل» (٥/ ٤٢٤).
(٥) «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٩).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ١٩).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص٩٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٧٤). هي قراءة شادة مخالفة للرسم.

ثم ذكر سبحانه أن نزول القرآن عليهم من جملة الحق فقال: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ والمراد بالذكر هنا: القرآن؛ أي: بالكتاب الذي هو فخرهم وشرفهم، ومثله قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

والمعنى: بل أتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم أن يقبلوه، ويُقبلوا عليه.

وقال قتادة[(١)]: المعنى: بذكرهم الذي ذكر فيه ثوابهم وعقابهم.

وقيل: المعنى: بذكر ما لهم به حاجة من أمر الدين.

وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى بن عُمر (أتيتهُم) بتاء التكلم[(٢)].

وقرأ أبو حيوة والجحدري (أتيتَهم) بتاء الخطاب[(٣)]؛ أي: أتيتهم يا محمد.

وقرأ عيسى بن عُمر (بذكراهم)[(٤)] وقرأ قتادة (نُذكّرهم)[(٥)] بالنون والتشديد من التذكير، وتكون الجملة على هذه القراءة في محل نصب[(٦)] على الحال.

وقيل: الذكر: هو الوعظُ والتحذير ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي: هم بما فعلوا مِنْ الاستكبار والنكوص عن هذا الذكر المختص بهم معرضون لا يلتفتون إليه بحال من الأحوال، وفي هذا التركيب ما يدل على أن إعراضهم مختص بذلك لا يتجاوزه إلى غيره.

ثم بيَّن سبحانه أن دعوة نبيّه ﷺ ليست مشوبةً بأطماع الدنيا فقال: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ و«أم» هي[(٧)] المنقطعة، والمعنى: أَمْ يزعمون أنّك تسألهم خَرْجاً تأخذه على الرسالة؟ والخَرْج: الأجر[(٨)] والجُعل، فتركوا الإيمان بك وبما جئت به لأجل ذلك،

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٧٣)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ٢٩٥)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٤/ ١٩).

(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٥٧٥)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٨)، و«المحتسب» (٢/ ٩٨)، و«روح المعاني» (١٨/ ١١٩). هي قراءة شاذة.

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. وقراءة أبي حيوة والجحدري شاذة.

(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٥٧٦)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٨)، و«روح المعاني» (١٨/ ١١٩). هي قراءة شاذة.

(٥) «المحتسب» (٢/ ٩٨)، و«روح المعاني» (١٨/ ١١٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٧٦). هي قراءة شاذة.

(٦) «روح المعاني» (١٨/ ١١٨ ـ ١١٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٧٦).

(٧) «روح المعاني» (١٨/ ١٢٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٧٥).

(٨) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٧٨).

مع أنهم يعلمون أنَّك لم تسألهم ذلك ولا طلبته منهم ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾؛ أي: فرزقُ ربِّك الذي يرزقك في الدنيا، وأجرُه الذي يعطيكه في الآخرة خير لك مما ذكر.

قرأ حمزة، والكسائي، والأعمش، ويحيى بن وثّاب (أم تسألهم خراجاً)[(١)]، وقرأ الباقون[(٢)] (خَرْجاً) وكلهم قرءوا ﴿فَخَرَاجُ﴾ إلّا ابن عامر وأبا حيوة فإنهما قرآ (فَخَرْج) بغير ألف[(٣)].

والخَرْجُ: هو الذي يكون مقابلاً للدخْل، يقال لكلِّ ما تخرجه إلى غيرك: خرجاً.

والخراج[(٤)]: غالبٌ في الضريبة على الأرض.

قال المبرِّد[(٥)]: الخَرْج: المصدر، والخراج: الاسم.

قال النضر[(٦)] بن شُميل: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الفرق بين الخَرْج والخراج؟ فقال: الخراج ما لزمك، والخرْجُ ما تبرعت به.

وروي[(٧)] عنه أنّه قال: الخرج مِنْ الرقاب، والخراج من الأرض ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ هذه الجملة مقرّرة لما قبلها مِنْ كون خراجه سبحانه خير.

ثم لما أثبت سبحانه لرسوله من الأدلة الواضحة المقتضية لقبول ما جاء به، ونفى عنه أضداد ذلك قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: إلى طريق واضحة تشهد العقولُ بأنّها مستقيمة غير معوجة.

والصراط في اللغة[(٨)]: الطريق، فسُمّي الدين طريقاً لأنّها تؤدّي إليه. ثم وصفهم سبحانه بأنّهم على خلاف ذلك فقال: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ عَنِ

---

(١) «التيسير» (ص١٤٦، ١٥٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٧٦)، و«النشر» (٢/ ٣١٥)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٢٠).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان. ومع حمزة خلف.

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٥٧٦)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٢٠).

(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٧٨)، و«تهذيب اللغة» (٧/ ٤٨).

(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١١٩).

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (٧/ ٤٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١١٩)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٢٠).

(٧) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢٣/ ١١٢).

(٨) «الصحاح» (٣/ ١١٣٩)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٣٢٩).

﴿ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ يقال: نَكَبَ عَنْ الطريق يَنْكُب نُكوباً: إذا عدَل عَنْه ومال إلى غيره.

والنكوب[١] والنَّكْب: العدول والميل، ومنه النكباء للريح بين ريحين، سُميت بذلك لعدولها عَنْ المهابّ، و(عن الصراط) مُتعلّق بـ(ناكبون)، والمعنى: أن هؤلاء الموصوفين بعدم الإِيمان بالآخرة عَنْ ذلك الصراط أو جنس الصراط لعادلون عنه.

ثم بيَّن سبحانه أَنّهم مصرّون على الكفر لا يرجعون عنه بحال فقال: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾؛ أي: مِنْ قَحْطٍ وجَدْب ﴿لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾؛ أي: لتمادوا في طُغيانهم وضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتردّدون ويتذبذبون ويَخْبِطون، وأصل اللَّجاج[٢]: التمادي في العناد، ومنه: اللّجة بالفتح لتردّد الصوت، ولجة البحر تردّد أمواجه، ولّجة الليل تردد ظلامه.

وقيل: المعنى: لو رددناهم[٣] إلى الدنيا ولم ندخلهم النار وامتحناهم للجّوا في طغيانهم ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها. والعذاب[٤] قيل: هو الجوع الذي أصابهم في سني القحط؛ وقيل: المرض، وقيل: القتل يوم بدر، واختاره الزجاج[٥]، وقيل: الموت.

وقيل: المراد: مَنْ أصابه العذاب مِنْ الأمم الخالية ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ﴾؛ أي: ما خضَعوا ولا تذلّلوا؛ بل أقاموا على ما كانوا فيه مِنْ التمرّد على الله، والانهماك في معاصيه ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾؛ أي: وما يخشعون لله في الشدائد عند إصابتها لهم، ولا يَدْعونه لرفع ذلك.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قيل: هو عذابُ الآخرة؛ وقيل: قتلهم يوم بدر[٦] بالسيف؛ وقيل: القحط الذي أصابهم؛ وقيل: فتح مكة ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾؛ أي: مُتحيرون[٧]، لا يدرون ما يصنعون، والإِبلاس: التحيّر والإِياس مِنْ كل خير.

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٢٢)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ٢٨٥)، و«الصحاح» (١/ ٢٢٨).
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٣٦)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ٤٩٢).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٧٥).
(٤) «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٤٨٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٧٥).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ١٩).
(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٦٤)، والقرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٧٦).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٧٦ ـ ٧٧)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٢٦).

وقرأ السُّلَمي (مبلَسون) بفتح اللام[١] مِنْ أبلَسه؛ أي: أدخله في الإِبلاس، وقد تقدّم في الأنعام.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ امتنّ عليهم ببعض النعم التي أعطاهم، وهي نعمة السمع والبصر ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ فصارت هذه الأمور معهم ليسمعوا المواعظ، وينظروا العبر، ويتفكروا بالأفئدة فلم ينتفعوا بشيءٍ من ذلك؛ لإِصرارهم على الكفر وبُعدهم عَنْ الحقِّ، ولم يشكروه على ذلك ولهذا قال: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: شكراً قليلاً حقيراً غير معتدّ به باعتبار تلك النعم الجليلة، وقيل: المعنى: أنهم لا يشكرونه البتة، لا أنّ لهم شكراً قليلاً[٢].

كما يُقال لجاحد النِّعمة: ما أقلّ شكره؛ أي: لا يشكر، ومثل هذه الآية قوله: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم﴾ [الأحقاف: ٢٦]. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: بثكم فيها كما تبث الحبوب لتنبت وقد تقدّم تحقيقه [٣/٢٨٦] ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ أي: تُجْمَعون يوم القيامة بَعد تفرّقكم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ على جهة الانفراد والاستقلال، وفي هذا تذكير لنّعمة الحياة، وبيان الانتقال منها إلى الدار الآخرة ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ قال الفراء: هو الذي جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض، وقيل: اختلافهما: نقصان أحدهما[٣] وزيادة الآخر؛ وقيل: تكرّرها يوماً بعد يوم وليلة بعد ليلة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ كُنْه قدرته وتتفكرون في ذلك.

ثم بيَّن سبحانه أنّه لا شبهة لهم في إنكار البعث إلا التشبث بحبل التقليد المبنيّ على مُجرد الاستبعاد فقال: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾؛ أي: آباؤهم والموافقون لهم في دينهم.

ثم بيَّن ما قاله الأوّلون فقال: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ فهذا مُجرّد استبعاد لم يتعلّقوا فيه بشيء من الشبه، ثم كمّلوا ذلك القول بقولهم: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾؛ أي: وُعدنا هذا البعث ووعده آباؤنا الكائنون من قبلنا فلم

---

(١) «البحر المحيط» (٧/٥٧٧)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٨)، و«زاد المسير» (٥/٤٨٦). المتواترة بكسر اللّام وفتحها شاذ.
(٢) «روح المعاني» (١٨/١٢٧)، و«جامع البيان» (١٧/٩٦).
(٣) «روح المعاني» (١٨/١٢٨)، و«النكت والعيون» (٤/٦٤).

نصدّقه كما لم يصدّقه مَنْ قبلنا، ثم صرّحوا بالتكذيب وفرّوا إلى مجرّد الزعم الباطل فقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: ما هذا إلا أكاذيب الأولين التي سطروها في الكتب جمع أُسْطورة كأحدوثة، والأَسَاطير: الأَباطيل والتُّرّهات والكذِب.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي صالح[١] في قوله: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ قال: عرفوه ولكنّهم حَسَدُوه. وفي قوله: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ قال: الحق: الله ﷻ.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ قال: بيّنّا لهم.

وأخرجوا[٣] عنه في قوله: ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ قال: عن الحقّ لحائدون[٤].

وأخرج النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[٤] قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا مُحمد أنْشُدك الله والرحمَ فقد أكَلْنا العِلْهِزَ، يعني: الوَبَر بالدم، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾.

وأصل الحديث في «الصحيحين»[٥]: «أنّ رسول الله ﷺ دعا على قريش حين استعصوا فقال: اللَّهُمَّ أعنّي عليهم بسبعٍ كسبع يوسف» الحديث.

وأخرج ابن جرير، وأبو نعيم في «المعرفة»، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[٦]: أن ابن أُثَال الحنفي لما أتى رسولَ الله ﷺ فأسلم وهو أسير فخلّى

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١٠).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٨٩) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٨٩) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٩٢) بسند صحيح، عن ابن عباس. بلفظ: «عن الحقِّ عادلون».
عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١١) لعبد بن حميد.
(٤) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٣٥٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٩٣)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير»، والحاكم (٢/ ٣٩٤)، والطبراني رقم (١٢٠٣٨)، والبيهقي (٢/ ٣٢٨، ٣٢٩) بسند حسن.
(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٣٨٦) من حديث أبي هريرة، وقد تقدم نصّه وتخريجه.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٩٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٨١)، وأبو نعيم في «المعرفة» رقم (١٤٢٤) بسند ضعيف.

سبيله لحق باليمامة. فحال بين أهل مكة وبين المِيرة مِنْ اليمامة حتى أكلت قريش العِلْهِز؛ فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: أليس تزعم أنّك بعثت رحمة للعالمين؟ قال: «بلى». قال: فقد قتلتَ الآباء بالسيف، والأبناءَ بالجوع، فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ الآية.

وأخرج العسكري[(١)] في «المواعظ» عن عليّ بن أبي طالب في قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ قال: أي: لم يتواضعوا في الدعاء ولم يخضعوا، ولو خضعوا لله لاستجاب لهم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس[(٢)] في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قال: قد مضى، كانَ يوم بدر.

[إصرارهم على الشرك رغم ظهور الأدلّة]:

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

[تنزيه الله عن الشريك والولد]:

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

أمر الله سبحانه نبيّه ﷺ أنْ يسأل الكفار عَنْ أمور لا عذر لهم من الاعتراف

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١١ ـ ١١٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ٩٤، ٩٥) بسند صحيح.

فيها، ثم أَمره أَنْ ينكر عليهم بعد الاعتراف منهم ويوبّخهم فقال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾؛ أي: قُلْ يا محمد لأهل مكة هذه المقالة، والمراد بمن في الأرض: الخَلْق جميعاً، وعبّر عنهم بمَنْ تغليباً[(١)] للعقلاء ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ شيئاً من العِلم، وجواب الشرط محذوف؛ أي: إنْ كنتم تعلمون فأخبروني، وفي هذا تلويح بجهلهم وفرط غباوتهم ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾؛ أي: لا بدّ لهم أن يقولوا ذلك؛ لأنه معلوم ببديهة العقل.

ثم أمره سبحانه أَنْ يقول لهم بعد اعترافهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ترغيباً لهم في التدبر، وإمعان النظر والفكر، فإنّ ذلك مما يقودهم إلى اتباع الحق وترك الباطل؛ لأن مَنْ قدر على ذلك ابتداءً قدر على إحياء الموتى ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ جاء سبحانه باللام نظراً إلى معنى السؤال، فإن قولك: مَنْ ربه، ولمن هو في معنى واحد، كقولك: مَنْ ربّ هذه الدار؟ فيقال: زيد، ويقال: لزيد.

وقرأ أبو عَمْرو، وأهل العراق (سيقولون الله) بغير[(٢)] لام نظراً إلى لفظ السؤال، وهذه القراءة أوضح مِنْ قراءة الباقين باللام[(٣)]، ولكنّه يؤيد قراءة الجمهور أَنّها مكتوبة في جميع المصاحف باللّام بدون ألف، وهكذا قرأ الجمهور في قوله: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ باللام[(٤)] نظراً إلى معنى السؤال كما سلف. وقرأ أبو عَمْرو وأهل العراق بغير[(٥)] لام نظراً إلى لفظ السؤال، ومثل هذا قول الشاعر:

إذا قيلَ مَنْ ربُّ المزالفِ والقُرى ... وربُّ الجيادِ الجُردِ قيل لخالدِ[(٦)]

أي: لمنْ المزالف[(٧)]؟

والمَلَكُوت المُلْك، وزيادة التاء للمبالغة، نحو جَبَرُوت ورَهَبُوت، ومعنى ﴿وَهُوَ

---

(١) «روح المعاني» (١٨/ ١٢٩)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٧٩).
(٢) «جامع البيان» (١٧/ ٩٨)، و«النشر» (٢/ ٣٢٩)، و«التيسير» (ص١٦٠)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٢٩).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «جامع البيان» (١٧/ ٩٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٨٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٧٩).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٨٠).
(٧) **المزالف**: البراغيل، وهي البلاد التي بين الريف والبرِّ. الواحدة مَزْلفة. «الصحاح» (٤/ ١٣٧٠).

﴿يُجِيرُ﴾: أَنَّه يغيث غيرَه إذا شاء ويمنعه ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: لا يمنع أحدٌ أحداً مِنْ عذاب الله، ولا يقدر على نصره وإغاثته، يقال: أجرتُ فلاناً: إذا استغاث بك فحميَه، وأجرتُ عليه: إذا حميتَ عنه. ﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ قال الفراء[١] والزجاج[٢]؛ أي: تُصْرفون عَنْ الحق وتخدعون؟

والمعنى: كيفَ يخيّل لكم الحق باطلاً والصحيح فاسداً؟ والخادع لهم هو الشيطان أو الهوى أو كلاهما.

ثم بيَّن سبحانه أَنَّه قد بالغ في الاحتجاج عليهم فقال: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾؛ أي: الأمر الواضح الذي يحقّ اتباعه ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما ينسبونه إلى الله سبحانه من الولد والشريك، ثم نفاهما عن نفسه فقال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ «مِنْ» في الموضعين[٣] زائدة لتأكيد النفي.

ثم بين سبحانه[٤] ما يستلزمه ما يدّعيه الكفار مِنْ إثبات الشريك، فقال: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ وفي الكلام حذف تقديره: لو كان مع الله آلهة لانفرد كل إلٰه بخلقه واستبدّ به وامتاز ملكه عَنْ ملك الآخر، ووقع بينهم التطالب والتحارب والتغالب.

﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ أي: غلبَ القويّ على الضعيف وقهره، وأخذ ملكه كعادة الملوك مِنْ بني آدم، وحينئذٍ فذلك الضعيف[٥] المغلوب لا يستحق أن يكون إلٰهاً، وإذا تقرّر عدم إمكان المشاركة في ذلك، وأنَّه لا يقوم به إلا واحد تعين أن يكون هذا الواحد هو الله سبحانه، وهذا الدليل كما دلّ على نفي الشريك فإنه يدلّ على نفي الولد؛ لأنَّ الولد ينازع أباه في ملكه.

ثم نزّه سُبحانه نفسَه فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ أي: مِنْ الشريك والولد وإثبات ذلك لله ﷻ ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾؛ أي: هو مُختص بعلم الغيب والشهادة، وأمَّا غيره فهو وإنْ علم الشهادة لا يعلم الغيب.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤١). (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٠).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٨١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٨١).
(٤) «جامع البيان» (١٧/ ١٠١ ـ ١٠٢)، و«الوسيط» (٣/ ٢٩٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣).
(٥) «معالم التنزيل» (٣/ ٣١٦).

قرأ نافع، وأبو بكر، وحمزة، والكسائي (عالمُ) بالرفع(١) على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو عالم(٢).

وقرأ الباقون بالجرّ(٣) على أنه صفة لله أو بدل منه.

وروي عَنْ يعقوب(٤) أنَّه كان يخفض إذا وصل ويرفع إذا ابتدأ ﴿فَتَعَـٰلَىٰ﴾ الله ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معطوف على معنى ما تقدّم كأنه قال: علم الغيب فتعالى، كقولك: زيد شجاع فَعظُمتْ منزلتهُ؛ أي: شجع فعظمت، أَو يكون على إضمار القول؛ أي: أقول فتعالى الله.

وَالمعنى: أنَّه سبحانه متعالٍ عَنْ أن يكون له شريك في الملك ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾؛ أي: إنْ كان ولا بدّ أن تريني ما يوعدون من العذاب المستأصل لهم.

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾؛ أي: قُلْ يا ربّ فلا تجعلني. قال الزجاج(٥): أي: إنْ أنزلت بهم النقمة يا ربّ فاجعلني خارجاً عنهم، [٣/٢٨٧] ومعنى كلامه هذا: أن النداء معترض(٦)، و «ما» في إما زائدة؛ أي: قل ربّ إن تريني، والجواب: فلا تجعلني.

وذكر الربّ مرّتين: مرة قبل الشرط ومرّة بعده مبالغة(٧) في التضرع.

وأمره الله أن يسأله أنْ لا يجعله في القوم الظالمين، مع أَنَّ الأنبياء لا يكونون مع القوم الظالمين أبداً، تعليماً له ﷺ مِنْ ربه كيف يتواضع؟ وقيل: يهضم نفسه، أو لكون شؤم الكفر قد يلحق مَنْ لم يكن من أهله كقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

---

(١) «البحر المحيط» (٧/٥٨٢)، و«جامع البيان» (١٧/١٠٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/١٣١).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «النشر» (٢/٣٢٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/٨١)، و«التيسير» (ص١٦٠).

(٤) «النشر» (٢/٣٢٩)، و«روح المعاني» (١٨/١٣٤)، و«البحر المحيط» (٧/٥٨١ ـ ٥٨٢).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/٢١).

(٦) «روح المعاني» (١٨/١٣٥)، و«التبيان» (٢/٩٦٠)، و«الفريد» (٣/٥٧٨).

(٧) «تفسير أبي السعود» (٥/٨٠)، و«روح المعاني» (١٨/١٣٥).

ثم لمّا كان المشركون يُنكرون العذاب، ويَسْخرون من النبي ﷺ إذا ذكر لهم ذلك أكّد سبحانه وقوعَه بقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ﴾؛ أي: أن الله سبحانه قادر على أن يُريَ رسولَه عذابهم، ولكنّه يؤخره لعلمه بأنّ بعضهم سيؤمن، أو لكون الله سبحانه لا يعذبهم والرسول فيهم.

وقيل: قد أراه الله سبحانه ذلك يوم بدر ويوم فتح مكة، ثم أمره سبحانه بالصبر إلى أنْ ينقضي الأجل المضروب للعذاب فقال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾؛ أي: ادفع بالخصلة التي هي أحسن مِنْ غيرها، وهي الصفح والإعراض عما يفعله الكفار من الخصلة السيئة وهي الشرك. قيل: وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

وقيل: هي مُحكمة[(١)] في حقّ هذه الأمة فيما بينهم، منسوخة في حقّ الكفار ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾؛ أي: ما يصفونك به مما أنت على خلافه، أو بما يصفون من الشرك والتكذيب، وفي هذا وعيد لهم بالعقوبة.

ثم علَّمه سبحانه ما يقوّيه على ما أرشده إليه مِنْ العفو والصفح ومقابلة السيئة بالحسنة فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ الهَمَزات جمع همزة، وهي في اللّغة[(٢)]: الدّفعة باليد أو بغيرها، وهمزات الشياطين: نزغاتُهم ووساوسهم كما قاله المفسرون[(٣)]، يقال: هَمَزه ولَمَزه ونَخَسه؛ أي: دَفَعه.

وقيل: الهمز كلام مِنْ وراء[(٤)] القفا، واللّمز[(٥)]: المواجهة، وفيه إرشاد لهذه الأمة إلى التعوّذ مِنْ الشيطان، ومن همزات الشياطين سَوْرات الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه. ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ أمره سبحانه أن يتعوّذ بالله من حضور الشياطين بعد ما أمره أنْ يتعوّذ من همزاتهم.

والمعنى: وأعوذ بك أَنْ يكونوا معي في حال مِنْ الأحوال، فإنهم إذا حضروا

---

(١) «المحرر الوجيز» (١١/ ٢٥١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٨٢)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٣٦ ـ ١٣٧).

(٢) «تهذيب اللغة» (٦/ ١٦٤)، و«الصحاح» (٣/ ٩٠٢).

(٣) «جامع البيان» (١٧/ ١٠٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٨٣ ـ ٨٤)، و«الوسيط» (٣/ ٢٩٧).

(٤) «تهذيب اللغة» (٦/ ١٦٥).

(٥) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٤٧)، و«تهذيب اللغة» (٦/ ١٤٣).

الإنسان لم يكن لهم عمل إلا الوسوسة والإغراء على الشرّ والصرف عن الخير. وفي قراءة أُبيّ[١] (وقلْ ربّ عائذاً بك مِنْ همزات الشياطين * وعائذاً بك ربّ أن يحضرون).

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٢] في قوله: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ قال: خزائنُ كلِّ شيء.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عنه[٣] ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ يقول: أعِرِضْ عن أذاهم إيّاك.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عطاء[٤] ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ قال: بالسلام.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو نعيم في «الحلية» عَنْ أنس[٥] في قوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ قال: قول الرجل لأخيه ما ليس فيه، فيقول: إن كنتَ كاذباً فأنا أسأل الله أَنْ يغفر لك، وإنْ كنت صادقاً فأنا أسأل الله أَنْ يغفر لي.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وأبو داود، والترمذي وحسّنه، والنسائي، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن عمرو بن شعيب[٦]، عن أبيه، عن جدّه قال: «كان رسول الله ﷺ يعلّمنا كلماتٍ نقولهنّ عند النوم مِنْ الفَزَع: بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشرّ عباده، ومِنْ همزات الشياطين وأن

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٨٤)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ٢٥٢). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١٣).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ١٠٠) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١٣).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ١٠٥) بسند ضعيف. ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١٣).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٥٣).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٩٧)، وأحمد رقم (٦٦٩٦)، وأبو داود رقم (٣٨٩٣)، والترمذي رقم (٣٥٣٨)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١٠٦٠١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٤٠٧). وهو حديث صحيح.

يحضرون»، قال: فكان عبد الله بن عمرو يعلّمها مَنْ بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومَنْ كان منهم صغيراً لا يعقل أَنْ يحفظها كتبها له فعلّقها في عنقه.

وفي إسناده محمد بن إسحاق، وفيه مقال معروف.

وأخرج أحمد[1] عن الوليد بن الوليد أنّه قال: «يا رسولَ الله إني أجد وحشةً، قال: إذا أخذت مضجعك فقل: أعوذ بكلمات الله التامّة من غضبه وعقابه وشرّ عباده، ومِنْ همزات الشياطين وأن يحضرون، فإنّه لا يحضرك»، وبالحريّ لا يضرّك.

[من مشاهد يوم القيامة]:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ
يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ
فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ
﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا
قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ
﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾
فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ
أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ
فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ
إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

﴿حَتَّىٰٓ﴾ هي الابتدائية[2] دخلت على الجملة الشرطية، وهي مع ذلك غاية لما

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (١٦٥٧٣، ٢٣٨٣٩) وقال محققوه: «حديث محتمل التحسين».

(٢) «روح المعاني» (١٨/١٣٨)، و«البحر المحيط» (٧/٥٨٣).

قبلها متعلّقة بقوله: ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٠] وقيل: بيصفون، والمراد بمجيء الموت: مَجيءُ علاماتِه ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾؛ أي: قال ذلك الأحد الذي حضره الموتُ تحسّراً وتحزناً على ما فرط منه: رب ارجعون؛ أي: ردّوني إلى الدنيا، وإنما قال: ارجعون بضمير الجماعة لتعظيم[1] المُخاطَب، وقيل: هو على معنى تكرير الفعل؛ أي: ارجعني ارجعني ارجعني، ومثله قوله: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ [قٓ: ٢٤].

قال المازني[2]: معناه: ألق ألق، وهكذا قيل في قول امرئ القيس[3]:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ[4]

ومنه قول الحجّاج[5]:

يا حرسي اضربا عُنُقَه

ومنه قول الشاعر[6]:

ولو شئتُ حَرّمْتُ النساءَ سواكم[7]

وقول الآخر[8]:

ألا فارحموني يا إلٰهَ محمد

وقيل: إنَّهم لما استغاثوا بالله قال قائلهم: ربِّ، ثم رجع إلى مخاطبة الملائكة فقال: ﴿ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ أي: أعملْ عَمَلاً صالحاً في الدنيا إذا رجعتُ ﴿إِنَّهَا﴾ مِنْ الإيمان وما يتبعه من أعمال الخير، ولما تمنى أن يرجع ليعمل ردّ الله

---

(١) «التبيان» (٢/ ٩٦٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٨٥).
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٢٢)، والألوسي في «روح المعاني» (١٨/ ١٤٠).
(٣) انظر: «ديوانه» (ص٨).
(٤) وعجز البيت:
.... بسقط اللِّوى بين الدَّخُول وحَوْمَلِ
(٥) انظر: «روح المعاني» (٢٥/ ٤٤١).
(٦) نسبه ابن الأنباري في «الأضداد» (ص٦٤) للعَرْجي.
(٧) وعجز البيت:
.... وإن شئتُ لم أطعم نُقَاخاً ولا بَرْداً
(٨) نسب هنا البيت لحسّان بن ثابت وعجزه:
.... فإنْ لك أكن أهلاً فأنت له أهلُ
«أضواء البيان» (٥/ ٣٥٥).

عليه ذلك بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ فجاء بكلمة الردْع والزجر[(١)]، والضمير في إنّها يرجع إلى قوله: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾؛ أي: إن هذه الكلمة هو قائلها لا محالة، وليس الأمر على ما يظنه من أنّه يجاب إلى الرجوع إلى الدنيا.

أو المعنى: أنّه لو أجيب إلى ذلك لما حصل مِنْه الوفاء كما في قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]. وقيل: إن الضمير في ﴿قَآئِلُهَا﴾ يرجع إلى الله؛ أي: لا خلف في خَبره، وقد أخبرنا بأنّه لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾؛ أي: مِنْ أمامهم وبين أيديهم والبرزخ هو: الحاجز بين الشيئين. قاله الجوهري[(٢)].

واختلف في معنى الآية، فقال الضحاك[(٣)]، ومجاهد[(٤)]، وابن زيد[(٥)]: حاجز بين الموت والبعث.

وقال الكلبي[(٦)]: هو الأجل ما بين النفختين، وبينهما أربعون سنة.

وقال السديّ[(٧)]: هو الأجل.

و﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ قيل: هذه هي النفخة الأولى؛ وقيل: الثانية، وهذا أولى، وهي النفخة التي تقع بين البعث والنشور؛ وقيل: المعنى فإذا نفخ في الأجساد أرواحها، على أنّ الصور جمع صورة، لا القرن ويدلّ على هذا قراءة ابن عباس، والحسن (الصُّوَر) بفتح الواو[(٨)] مع ضم الصاد جمع صورة.

وقرأ أبو رَزين بفتح الصاد[(٩)] والواو.

وقرأ الباقون[(١٠)] بضم الصاد وسكون الواو، وهو القرن الذي ينفخ فيه.

---

(١) «روح المعاني» (١٨/ ١٤٠)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٨٢ ـ ٨٣).
(٢) في «الصحاح» (١/ ٤١٩).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٨٧).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ١١٠) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ١١٠) بسند صحيح.
(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٦٧).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٨٧).
(٨) «القراءات الشاذة» (ص٩٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٨٤)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٤٢ ـ ١٤٣).
(٩) انظر: المصادر المتقدمة.
(١٠) «روح المعاني» (١٨/ ١٤٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٨٤)، و«المحرر الوجيز» (١١/ ٢٥٣).
القراءة المتواترة، هي بضم الصاد وسكون الواو وما عداها فشاذ.

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: لا يتفاخرون بالأنساب ويذكرونها لما هم فيه مِنْ الحيرة والدهشة ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾؛ أي: لا يسأل بعضُهم بعضاً، فإن لهم إذ ذاك شغلاً شاغلاً، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٦].

وقوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]. ولا ينافي هذا ما في الآية الأخرى من قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧، الطور: ٢٥]. فإن ذلك محمول على اختلاف المواقف يوم القيامة، فالإثبات باعتبار بعضها، والنفي باعتبار بعض آخر كما قرَّرناه في نظائر هذا، مما أثبت تارة ونفي أخرى.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾؛ أي: موزوناته مِنْ أعماله الصالحة ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؛ أي: الفائزون بمطالبهم المحبوبة، الناجون مِنْ الأمور التي يخافونها.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ وهي أعماله الصالحة ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: ضيعوها [٣/٢٨٨] وتركوا ما ينفعها ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ هذا بدل من صلة الموصول، أو خبر ثانٍ لاسم الإشارة.

وقد تقدّم الكلام على هذه الآية مستوفى فلا نعيده.

وجملة ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ مستأنفة، ويجوز أن تكون في محل نصب(١) على الحال، أو تكون خبراً آخر لأولئك.

واللّفح(٢): الإحْرَاق، يقال: لفحته النار، إذا أَحْرقته، ولفحته بالسيف: إذا ضربته، وخصّ(٣) الوجوه لأنَّها أشرف الأعضاء.

﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ هذه الجملة في محل نصب(٤) على الحال، والكالح: الذي قد تشمّرت شفتاه وبدتْ أسنانهُ، قاله الزجاج(٥).

ودهر كالح: أي: شَدْيد. قال أهل اللغة(٦): الكلوح: تكنيزٌ في عبوس.

وجملة ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ هي على إضمار القول؛ أي: يقال لهم

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٥٨٥)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٤٧).
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٤٣)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ٧٣).
(٣) «روح المعاني» (١٨/ ١٤٧)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٣).
(٤) «البحر المحيط» (٧/ ٥٨٥)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٤٧).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٣).
(٦) «تهذيب اللغة» (٤/ ١٠٢)، و«الصحاح» (١/ ٣٩٩).

ذلك توبيخاً[(١)] وتقريعاً؛ أي: ألم تكن آياتي تُتلى عليكم في الدنيا؟ ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ وجملة ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر؛ أي: غلبت علينا لذّاتنا وشهواتُنا، فسُمّي ذلك شقوة؛ لأنّه يؤول إلى الشقاء.

قرأ أهلُ المدينة وأبو عَمرو، وعاصم (شقوتنا)[(٢)] وقرأ الباقون (شقاوتنا)[(٣)] وهذه القراءة مروية عن ابن مسعود والحسن.

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾؛ أي: بسبب ذلك فإنّهم ضلوا عن الحق بتلك الشقوة. ثم طلبوا ما لا يجابون إليه فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾؛ أي: فإنْ عدنا إلى ما كنّا عليه من الكفر وعدم الإيمان فإنا ظالمون لأنفسنا بالعود إلى ذلك، فأجاب الله عليهم بقوله: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾؛ أي: اسكنوا في جهنّم.

قال المبرد[(٤)]: الخسء: إبعادٌ بمكروه.

وقال الزجاج[(٥)]: تباعدوا تباعد سخط وأبُعِدوا بُعد الكلب.

فالمعنى على هذا: أبعدوا في جهنم، كما يقال للكلب: اخْسأ؛ أي: ابعُدْ، خسأتُ الكلبَ خَسْأً: طردتُه، ولا تكلمون في إخراجكم[(٦)] من النار ورجوعكم إلى الدنيا، أو في رفع العذاب عنكم.

وقيل: المعنى: لا تُكلّمون رأساً. ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ﴾ وهم المؤمنون.

وقيل: الصحابة، يقولون: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ قرأ الجمهور (إنّه كان فريق) بكسر[(٧)] إن استئنافاً تعليليّاً، وقرأ أُبيّ[(٨)] بفتحها.

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٨٣)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٤٨).

(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٥٨٦)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٤٨)، و«التيسير» (ص١٢٠)، و«النشر» (٢/ ٣٢٩)، و«جامع البيان» (١٧/ ١١٧). هما قراءتان ولكن صواب العزو: قرأ أهل الكوفة عدا عاصماً (شقاوتنا) بفتح الشين والقاف وألف بعدها وقرأ باقي العشرة بكسر الشين وسكون القاف.

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. (٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٩٩).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٤).

(٦) «روح المعاني» (١٨/ ١٥٠)، و«جامع البيان» (١٧/ ١٢٢)، و«النكت والعيون» (٤/ ٦٨).

(٧) «روح المعاني» (١٨/ ١٥٢)، و«الفريد» (٣/ ٥٨٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٨٧).

(٨) «المحتسب» (٢/ ٩٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٨٧)، و«القراءات الشاذة» (ص٩٩). وقرأه أبيّ بفتح (أنّه) شاذة.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾ قرأ نافع، وحمزة، والكسائي بضمّ السين[١].

وقرأ الباقون[٢] بكسرها.

وفرّق بينهما أبو عَمْرو فجعل الكسر مِنْ جهة الهزؤ، والضم من جهة السخرية.

قال النحاس[٣]: ولا يعرف هذا الفرق الخليل، ولا سيبويه، ولا الكسائي، ولا الفرّاء.

وحكى الثعلبي[٤] عن الكسائي: أن الكسر بمعنى: الاستهزاء والسخرية بالقول، والضم[٥] بمعنى: التسخير والاستبعاد بالفعل.

﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾؛ أي: اتخذتموهم سِخْريّاً إلى هذه الغاية فإنهم نسوا ذكر الله لشدّة اشتغالهم بالاستهزاء ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ في الدنيا، والمعنى: حتى نسيتم ذكري باشتغالكم بالسخرية والضحك، فنسب ذلك إلى عباده المؤمنين لكونهم السبب.

وجملة ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟﴾ مستأنفة لتقرير ما سبق.

والباء في ﴿بِمَا صَبَرُوٓا۟﴾ للسببية.

﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ قرأ حمزة والكسائي بكسر[٦] الهمزة على الاستئناف.

وقرأ الباقون بالفتح[٧]؛ أي: لأنّهم الفائزون، ويجوز أن يكون منصوباً[٨] على أنَّه المفعول الثاني للفعل.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٩٤)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٥٣)، و«التبيان» (٢/ ٩٦١)، و«جامع البيان» (١٨/ ١٢٦ ـ ١٢٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٣١).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٢٣).

(٤) في تفسيره «الكشف والبيان» (٧/ ٥٨) ذكره عن الكسائي والفراء.
وانظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٣١٩)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤٣).

(٥) قال المبرد: «إنما يؤخذ التفريق بين المعاني عن العرب، وأمَّا التأويل فلا يكون، والكسر في سِخريّ في المعنيين جميعاً؛ لأنَّ الضمة تُستثقل في مثل هذا». ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٢٤).

(٦) «التيسير» (ص١٦٠)، و«جامع البيان» (١٧/ ١٢٨ ـ ١٢٩)، و«زاد المسير» (٥/ ٤٩٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٩٥).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة.

(٨) «روح المعاني» (١٨/ ١٥٣)، و«التبيان» (٢/ ٩٦١)، و«الفريد» (٣/ ٥٨١).

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ القائل هو: الله ﷻ وتذكيراً لهم كم لبثوا؟ لما سألوا الرجوع إلى الدنيا بعد أن أخبرهم بأن ذلك غير كائن كما في قوله: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾.

والمراد بالأرض: هي الأرض التي طلبوا الرجوع إليها، ويحتمل أن يكون السؤال عَنْ جميع ما لبثوه في الحياة وفي القبور[1].

وقيل: هو سؤال عن مدة لبثهم في القبور لقوله: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، ولم يقل على الأرض، وردّ بمثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٥٦ و٨٥].

وانتصاب ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ على التمييز[2]، لما في «كم» من الإبهام، و﴿سِنِينَ﴾ بفتح النون[3] على أنها نون الجمع، ومِنْ العرب من يخفضها وينوّنها[4].

﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ استقصروا مدّة لبثهم لما هم فيه من العذاب الشديد، وقيل: إنَّ العذاب رُفع عنهم بين النفختين، فنسوا ما كانوا فيه من العذاب في قبورهم.

وقيل: أنساهم الله ما كانوا فيه من العذاب من النفخة الأولى إلى النفخة الثانية. ثم لما عرفوا ما أصابهم من النسيان لشدّة ما هم فيه من الهول العظيم أحالوا على غيرهم فقالوا: ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾؛ أي: المتمكنين من معرفة العدد، وهم الملائكة؛ لأنهم الحفظة العارفون بأعمال العباد وأعمارهم؛ وقيل: المعنى: فاسأل الحاسبين العارفين بالحساب مِنْ الناس.

وقرأ ابن كثير[5]، والكسائي[6] (قُلْ كم لبثتم في الأرض) على الأمر، والمعنى: قل يا محمد للكفار، أو يكون أمراً للملَك بسؤالهم، أو التقدير: قولوا كم لبثتم، فأخرج الكلام مخرج الأمر للواحد، والمراد: الجماعة. وقرأ

---

(١) «النكت والعيون» (٤/ ٦٩)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٥٦).
(٢) «الفريد» (٣/ ٥٨٢)، و«التبيان» (٢/ ٩٦١).
(٣) «التبيان» (٢/ ٩٦١)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٥٤).
(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٢٤)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٥٤)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٨٨).
(٥) «جامع البيان» (١٧/ ١٣٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٩٧)، و«النشر» (٢/ ٣٣٠)، و«التيسير» (ص١٦٠).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٩٧).

الباقون[(١)]: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ﴾ على أنّ القائل هو الله ﷻ أو المَلك ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ﴾ قرأ حمزة والكسائي (قُلْ إن لبثتم) كما في الآية الأولى، وقرأ الباقون[(٢)] قال على الخبر.

وقد تقدّم توجيه القراءتين؛ أي: ما لبثتم في الأرض إلا لبثاً قليلاً ﴿لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ شيئاً مِنْ العلم، والجواب محذوف؛ أي: لو كنتم تعلمون لعلمتم اليوم قلة لبثكم في الأرض أو في القبور أو فيهما، فكل ذلك قليل بالنسبة إلى لبثهم.

ثم زاد سبحانه في توبيخهم فقال: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ الهمزة للتوبيخ والتقرير[(٣)]، والفاء للعطف على مقدّر كما تقدّم بيانه في مواضع؛ أي: ألم تعلموا شيئاً فحسبتم، وانتصاب[(٤)] عبثاً على الحال؛ أي: عابثين، أو على العلة؛ أي: للعبَث.

قال بالأوّل سيبويه[(٥)] وقُطْرب، وبالثاني أبو عبيدة[(٦)].

وقال أيضاً: يجوز أن يكون منتصباً على المصدرية، وجملة ﴿وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾ معطوفة على ﴿أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾، والعبَثُ في اللغة[(٧)]: اللّعبُ، يقال: عبث يعبث عبثاً فهو عابث؛ أي: لاعب، وأصله مِنْ قولهم: عبثتُ الأقِط؛ أي: خلطته.

والمعنى: أفحسبتم أنْ خلقناكم للإهمال كما خُلقت البهائم ولا ثواب ولا عقاب، وأنّكم إلينا لا تُرجعون بالبعث والنشور فنجازيكم بأعمالكم؟ قرأ حمزة والكسائي (تَرجِعون) بفتح[(٨)] الفوقية وكسر الجيم مبنيّاً للفاعل، وقرأ الباقون[(٩)] على البناء للمفعول.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٣٠)، و«التيسير» (ص١٦٠)، و«جامع البيان» (١٧/ ١٣٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٩٧).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٦٨٠)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٥٧).
(٤) «التبيان» (٢/ ٩٦٢)، و«الفريد» (٣/ ٥٨٣). (٥) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٩٨).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٩٨).
(٧) «تهذيب اللغة» (٢/ ٣٣١)، و«الصحاح» (١/ ٢٨٦).
(٨) «جامع البيان» (١٧/ ١٣٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٣٢)، و«النشر» (٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٨٨). ومع حمزة والكسائي خلف ويعقوب.
(٩) انظر: المصادر المتقدمة.

وقيل: إنّه يجوز عطف ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ على ﴿عَبَثًا﴾ على معنى: أنما خلقناكم للعبث ولعدم الرجوع. ثم نزّه سبحانه نفسه فقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾؛ أي: تنزّه عن الأولاد والشركاء أو عن أن يخلق شيئاً عبثاً، أو عن جميع ذلك.

وهو ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ الذي يحق له الملك على الإطلاق ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في جميع أفعاله وأقواله ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ فكيف لا يكون إلٰهاً وربّاً، لما هو دون العرش الكريم من المخلوقات؟ ووصف العرش بالكريم لنزول[1] الرحمة والخير منه، أو باعتبار مَنْ استوى عليه، كما يقال: بيت كريم: إذا كان ساكنوه كراماً.

قرأ أبو جعفر، وابن محيصن، وإسماعيل، وأبان بن ثعلب: (الكريمُ) بالرفع[2] على أنه نعت لربّ.

وقرأ الباقون[3] بالجرّ على أنه نعت للعرش.

ثم زيّف ما عليه أهل الشرك توبيخاً لهم[4] وتقريعاً فقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ يعبده مع الله أو يعبده وحدَه.

وجملة ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ في محل نصب صفة لقوله ﴿إِلَٰهًا﴾، وهي صفة لازمة جيء بها للتأكيد، كقوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] والبرهان: الحجة الواضحة والدليل الواضح، وجواب الشرط قوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ وجملة (لا برهانَ له به) معترضة[5] بين الشرط والجزاء، كقولك: من أحسن إلى زيد ـ لا أحقّ منه بالإحسان ـ فالله مثيبه؛ وقيل: إنّ جواب الشرط قوله: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ على حذف فاء الجزاء كقول الشاعر:

مَنْ يفعلْ الحسناتِ اللّهُ يشكرُها

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قرأ الحسن وقتادة بفتح[6] (أنّ) على التعليل، وقرأ

---

(١) «روح المعاني» (١٨/ ١٥٨)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٨٥).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص٩٩)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٥٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٨٩). القراءة برفع (الكريمُ) شاذة، وهي رواية شاذة عن أبي جعفر.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٩٨)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٥٨)، و«زاد المسير» (٥/ ٤٩٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٨٩).
(٤) «روح المعاني» (١٨/ ١٥٩)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٨٥).
(٥) «الفريد» (٣/ ٥٨٣)، و«الكشاف» (٤/ ٢٥٤)، و«التبيان» (٢/ ٩٦٢).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص٩٩)، و«المحتسب» (٢/ ٩٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٩٠).

الباقون بالكسر[١] على الاستئناف.

وقرأ الحسن (لا يَفلَح) بفتح[٢] الياء واللام مضارع فلح بمعنى أفلح.

ثم ختم هذه السورة بتعليم رسوله ﷺ أَنْ يدعوه بالمغفرة والرحمة فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أمره سبحانه بالاستغفار لتقتدي به أمته.

وقيل: أمره بالاستغفار لأمته. وقَد تقدّم بيان كونه أرحم الراحمين، ووجه اتصال هذا بما قبله أنه سبحانه لما شرح أحوال الكفار أمر بالانقطاع إليه والالتجاء إلى غفرانه ورحمته.

وقد أخرج ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت»، وابن أبي حاتم عن أبي هريرة[٣] قال: إذا أُدخل الكافر في قبره فيرى مقعده [٣/٨٩] من النار ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ أتوب أعمل صالحاً، فيقال له: قد عُمِّرت ما كنت مُعمّراً، فيضيق عليه قبره، فهو كالمنهوش يُنازع ويَفْزَع تهوي إليه حيات الأرض وعقاربُها.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن جريج[٤] قال: زعموا أن النبيّ ﷺ قال لعائشة: «إنّ المؤمن إذا عاين الملائكة قالوا: نُرجعك إلى الدنيا، فيقول: إلى دار الهموم والأحزان؟ بل قُدُماً إلى الله، وأما الكافر فيقولون له: نرجعك، فيقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾»، وهو مُرْسل.

وأخرج الديلمي[٥] عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حضر الإنسان الوفاةُ يُجمع له كل شيء يمنعه عَنْ الحقّ فيُجعل بين عينيه. فعند ذلك يقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾».

وأخرج البيهقي[٦] في «الأسماء والصفات» من طريق عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ قال: أقول: لا إله إلا الله.

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٥٩٠)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٥٩)، و«التبيان» (٢/ ٩٦٢). قراءة الحسن شاذة.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٩٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٩٠)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٥٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٩٩). وهي أيضاً قراءة شاذة.

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١٤).
وأخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٠/ ١٤٧) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ١٠٧) بسند ضعيف.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١٥).

(٦) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٢٠٥) بسند حسن.

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عَنْ عائشة قالت: ويلٌ لأهل المعاصي من أهل القبور، يدخل عليهم في قبورهم حياتٌ سود، حية عند رأسه، وحية عند رجليه، يقرصانه حتى تلتقيا في وسطه، فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ قال: حين ينفخ في الصور، فلا يَبْقى حَيٌّ إلا الله.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٣] أنه سُئل عن قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ وقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧ ـ الطور: ٢٥] فقال: إنّها مواقف، فأما الموقف الذي لا أنساب بينهم ولا يتساءلون عند الصعقة الأولى لا أنساب بينهم فيها إذا صعقوا، فإذا كانت النفخة الآخرة فإذا هم قيام يتساءلون.

وأخرج ابن جرير، والحاكم وصححه[٤] عنه أيضاً أنه سئل عن الآيتين فقال: أما قوله: ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ فهذا في النفخة الأولى حين لا يبقى على الأرض شيء، وأما قوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٥٠] فإنّهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

وأخرج ابن المبارك في «الزهد»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن عساكر عن ابن مسعود[٥] قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين. وفي لفظ: يُؤخذ بيد العبد أو الأمَة يوم القيامة على

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٠/ ١٤٧) بسند ضعيف؛ لضعف علي بن زيد، وهو ابن جدعان.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ١١٢) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١٦).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ١١١)، والحاكم (٢/ ٣٩٤) من طريق المنهال بن عمرو، به.

(٥) أخرجه ابن المبارك رقم (١٤١٦ ـ «زوائد المروزي»)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ١١٢ ـ ١١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠١، ٢٠٣)، وابن عساكر في «تاريخه» (١٨/ ٢٨٥) بسند حسن.

رؤوس الأوّلين والآخرين، ثم يُنادي منادٍ: ألا إنّ هذا فلان بن فلان، فمن كان له حق قِبلَه فليأت إلى حقه. وفي لفظ: مَنْ كان له مظلمة فليجئ فليأخذ حقه، فيفرح والله المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيراً، ومصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

وأخرج أحمد، والطبراني، والحاكم، والبيهقي في «سننه» عن المسور بن مخرمة[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري».

وأخرج البزار، والطبراني، وأبو نعيم، والحاكم، والضياء في «المختارة» عن عمر بن الخطاب[2]، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي».

وأخرج ابنُ عساكر[3]، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري».

وأخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري[4] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «ما بال رجال يقولون: إنّ رحم رسول الله ﷺ لا ينفع قومه، بلى والله إن رحمي موصولاً في الدنيا والآخرة، وإنّي أيها الناس فَرَط لكم».

وأخرج ابن جرير[5] عن ابن عباس ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ قال: تنفحُ.

وأخرج ابن مردويه[6]، والضياء في «صفة النار» عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: «﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ قال: تلفحهم لفحةً فتسيل لحومُهم على أعقابهم».

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٨٩٠٧)، والطبراني (ج.. رقم ٣٠)، والحاكم (٣/ ١٥٨)، والبيهقي (٧/ ٦٤). وهو حديث حسن بشواهده.
(٢) أخرجه البزار رقم (٢٧٤)، والطبراني رقم (٢٦٣٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٤)، والحاكم (٣/ ١٤٢)، والبيهقي (٧/ ٦٣، ٦٤، ١١٤)، والضياء رقم (١٠١، ١٠٢). وهو حديث حسن بشواهده.
(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» رقم (٢١١٦٧) بسند ضعيف جدّاً.
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (١١١٣٨). وهو حديث صحيح لغيره.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧/ ١١٥) بسند ضعيف.
(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١٧).

وأخرج أبو نعيم[١] في «الحلية» عن ابن مسعود في الآية قال: لفحتهم لفحةً فما أبقت لحماً على عظم إلا ألقته على أعقابهم.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن أبي الدنيا في «صفة النار»، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن مردويه[٢] في قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ قال: تَشْويه النارُ فتقْلِص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سُرّته.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وابن أبي شيبة، وهناد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، عن ابن مسعود[٣] في الآية قال: كلوح الرأس النضيج، بدت أسنانُهم وتقلّصت شفاههم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٤] عن ابن عباس ﴿كَالِحُونَ﴾ قال: عابسون.

وقد ورد في صفة أهل النار وما يقولونه وما يقال لهم أحاديث كثيرة معروفة.

وأخرج الحكيم الترمذي، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية» عن ابن مسعود[٥]: «أنه قرأ في أُذن مُصابٍ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ حتى ختم السورة فبرئ، فقال رسول الله ﷺ: «بماذا قرأت في أذنه؟» فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أنّ رجلاً موقناً قرأ بها على جبل لزال».

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٥٩/٤، ٣٦٠) عن عبد الله بن أبي الهذيل.

(٢) أخرجه أحمد رقم (١١٨٣٦)، والترمذي رقم (٣٥٨٧، ٣١٧٦)، وابن أبي الدنيا رقم (١٠٩)، وأبو يعلى رقم (١٣٦٧)، والحاكم (٢٤٦/٢، ٣٩٥)، وأبو نعيم (١٨٢/٨). وهو حديث ضعيف.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٨/٢)، وابن أبي شيبة (١٧٤/١٣)، وهناد في «الزهد» رقم (٣٠٣، ٣٠٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١١٦/١٧)، والطبراني رقم (٩١٢١)، والحاكم (٣٩٥/٢) وقال: صحيح الإسناد.

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (١١٨/٦).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١١٥/١٧ ـ ١١٦) بسند صحيح.

(٥) أخرجه الحكيم الترمذي (١٠٤/٢) و(١٧٢/٣)، وأبو يعلى في «مسنده» رقم (٥٠٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٥١٣/٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٣١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/١) بسند ضعيف.

وأخرج ابن السني، وابن منده، وأبو نعيم في «المعرفة»، قال السيوطي[١]: بسند حسنٍ، من طريق محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه[٢] قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا أن نقول إذا أمسينا وأصبحنا: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، فقرأناها فغنمنا وسَلِمْنا.

بحمد الله تعالى تمّ طبع الجزء السادس ويليه
الجزء السابع، وأوّله: تفسير سورة النور

❁ ❁ ❁

(١) في «الدر المنثور» (٦/ ١٢٢).
(٢) أخرجه ابن السني رقم (٧٧)، وابن منده كما في «أسد الغابة» (١/ ٥١)، و«الإصابة» (١/ ١٩)، وأبو نعيم (١/ ٢٠٨ رقم ٧٢٨) بسند ضعيف؛ لضعف يزيد بن يوسف وعمرو بن يزيد.

فهرس موضوعات الجزء السادس

الموضوع **الصفحة**

تفسير سورة الكهف

- سورة الكهف مكية ٥
- ذكر الأحاديث الواردة في فضل سورة الكهف .... ٥ ـ ٧
- إنزال القرآن نعمة على الرسول وعلى أمته، ووجه ذلك ٧
- نسبة الولد على الله أقبح أنواع الكفر ٩
- قصة أصحاب الكهف وإن كانت عجيبة فإن آيات الله كذلك فوق ذلك عجباً ١٤
- المقصود بالعلم الذي جُعل علة لبعث أصحاب الكهف، هو ظهور معلوم الله ﷻ ١٦
- ما المراد بالحزبين المختلفين في مدة لبث أصحاب الكهف؟ ١٧
- معنى قيام الفتية، ومتى كان ذلك؟ .... ١٧ ـ ١٨
- اختلاف المفسرين في معنى الرقيم ٢٠
- ذكر هيئة الفتية في الكهف، وسبب ذلك .... ٢١ ـ ٢٢
- كان الكهف له فجوة واسعة ومع ذلك لم تصبهم الشمس وهذا من آيات الله ٢٣
- سبب الرعب لمن رأى أصحاب الكهف وهم رقود ٢٤
- إمساك ما يحتاج إليه الإنسان لا ينافي التوكل على الله ٢٥
- الاستدلال بأكل أصحاب الكهف طعام أهل المدينة على جواز حل طعام أهل الكتاب ٢٥
- إيثار كلمة (في) على كلمة (على) في قوله تعالى: (على ملتهم) للدلالة على الاستقرار ٢٦
- ترجيح المؤلف ان الذين غلبوا على أمرهم هم المسلمون ٢٩
- يجب أن يكون المفتي أعلم من المستفتي وعليه فأرشد الله نبيه أن لا يسأل أهل الكتاب عن قصة أهل الكهف ٣٠
- الاستثناء بمشيئة الله، وسبب نزول الآية في ذلك .... ٣٠ ـ ٣١
- الراجح أن المدة التي لبثوا في الكهف ثلاثمائة وتسع سنين والتسع ليست للشهور ٣٣

الموضوع	الصفحة
ـ التهديد والوعيد في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾	٣٩
ـ هل أهل الجنة يحلّون بأساور من ذهب فقط؟	٤١
ـ ذكر قصة الرجلين والجنتين	٤٧
ـ مناظرة الرجل المؤمن للكافر، وفيه ذكر الأدلة على البعث	٥١
ـ معنى: لا قوة إلا بالله وما فيها من تفويض الأمر لله	٥٣
ـ معنى عذاب الحسبان واختلاف المفسرين في ذلك	٥٤
ـ أحاديث وآثار في فضل كلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله)	٥٨
ـ الباقيات الصالحات هي كل قول وعمل خير ولا يصح قصرها على نوع من أنواع الذكر	٦٠
ـ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب	٦٠
ـ ذكر الأثار الواردة في فضل الباقيات الصالحات ومنهن التهليل والتسبيح والتكبير	٦١ ـ ٦٢
ـ عرض الناس على ربهم صفاً واحداً كعرض الجيش على السلطان	٦٤
ـ الاستدلال بانتفاء الملزوم المساوي على انتفاء اللازم	٦٧
ـ معنى ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: الشركاء الذين قيل انهم آلهة مع الله	٦٧
ـ الموبق: هو المكان المهلك الحائل بينهم	٦٩
ـ الذنوب صغائر وكبائر وما التبس فهو بالنسبة للعباد لا إلى الله	٧٠
ـ ظلم مَن لم يتعظ بالآيات التنزيلية والتكوينية	٧٤
ـ حقيقة الخضر ولماذا سمي بذلك وما اسمه؟	٨٠ ـ ٨١
ـ حسن تأدّب موسى مع الخضر في استئذانه لطلب العلم	٨١
ـ لا مانع من ان يأخذ الفاضل من المفضول كما في قصة موسى مع الخضر	٨١
ـ رويت قصة الخضر مع موسى من طرق كثيرة أصحها وأحسنها ما رواها سعيد بن جبير عن ابن عباس وسردها المؤلف كلها	٨٤ ـ ٨٦
ـ وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التأكيد	٩٠
ـ تحريم سؤال الناس والكُدية، وضعف الاستدلال بقصة الخضر وموسى مع أهل القرية	٩١
ـ إرادة الجدار أن ينقض من باب المجاز	٩١
ـ في قصة السفينة دليل لمن قال: إن الفقير أسوأ حالاً من المسكين	٩٢
ـ جواب الاشكال في قتل الخضر للغلام وهو صغير	٩٣
ـ معنى التأويل في قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾: المآل الذي تؤول إليه الأمور	٩٤
ـ نقد المؤلف لخبر (الخضر لا تراه الأعين)	٩٥

الموضوع | الصفحة

- المراد بالسائلين في قصة الخضر وذي القرنين هم اليهود ١٠٠
- اختلاف أهل التفسير في حقيقة ذي القرنين وذكر ترجيح المؤلف ١٠٠
- سبب تسمية ذي القرنين بهذا الاسم .... ١٠١ ـ ١٠٢
- لا مانع أن يكون ذو القرنين قد بلغ البحر المحيط ووصل إلى العين التي تغرب فيها عين الشمس ١٠٤
- مجرد الاستبعاد لا يوجب حمل القرآن على خلاف ظاهره ١٠٤
- موقف المؤلف من أخبار بني إسرائيل في التفسير ١٠٨
- قصة يأجوج ومأجوج وحقيقة أمرهم وذكر فتنتهم .... ١١٢ ـ ١٢٠
- ذم من كانت أعينهم في غطاء عن ذكر الله وعن التفكر في آياته ١٢٠
- التعبير بعدم استطاعة السمع للحق من البيان والبلاغة بمكان ١٢٠
- الأولى حمل آية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ على العموم لكل من يتصف بتلك الصفات المذكورة ١٢٣
- ذكر جنة الفردوس والأثار في فضلها وصفتها .... ١٢٥ ـ ١٢٦
- كلمات الله غير متناهية لأنّها تابعة لمعلوماته ﷻ ١٢٧
- الذي أوحي إلى النبي ﷺ الإرشاد إلى التوحيد والعمل الصالح ١٢٨
- معنى ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ هو الشرك الجلي ولا مانع من دخول الرياء في ذلك؟ ١٢٨
- ذكر الأحاديث والآثار في فضل الآيات الأخيرة من سورة الكهف ١٣١

تفسير سورة مريم ١٣٣

- سورة مريم مكية ١٣٣
- ذكر قصة جعفر بن أبي طالب مع النجاشي وقراءته من أول سورة مريم ١٣٣
- اختلاف القرّاء في قراءة (كهيعص)، وبين المؤلف أن الأصل هو التفخيم والإمالة هي الفرع ١٣٤
- معاني هذه الحروف المقطعة تقدم في أوائل سورة البقرة، وقرر هذا الأمر هنا أيضاً .... ١٣٤ ـ ١٤٥
- كل نبي هو رحمة لأمته ١٣٥
- لماذا ذكر وهن العظم دون غيره من أعضاء البدن؟ ١٣٦
- استعارة في قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ من أبدع أنواع الاستعارات ١٣٦
- يستحب للمرء أن يجمع في دعائه بين الخضوع وذكر نعم الله عليه ١٣٧

الموضوع — الصفحة

- المقصود بقوله: ﴿يَرِثُنِي﴾ أي: وراثة العلم والنبوة والقيام بأمر الدين وليس الوراثة الدنيوية ١٣٨
- معنى قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ فيه فضيلتان للتسمي بهذا الاسم .... ١٤٠ ـ ١٤١
- استفهام زكريا المقصود به التعجب وليس الإنكار ١٤١
- إيجاد الولد من قبل التوالد أهون على الله من ايجاده من العدم وكل شيء عليه هين ١٤٤
- معنى أخذ الكتاب بقوة هو: القيام بالكتاب بما فيه كما ينبغي ١٤٧
- معنى السلام على النبي يحي عليه السلام، وما وجه تخصيص السلام بثلاثة مواطن ١٤٩
- اختلاف الناس في نبوية مريم عليها السلام ١٥٢
- المراد بالروح في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ هو جبريل ١٥٢
- المنادي لها من تحتها: جبريل وقيل عيسى عليه السلام ١٥٦
- ذكر القراءات في كلمة (تساقط) وتوجيه المؤلف لها ١٥٧
- الراجح أن معنى ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ إي: إمساكاً عن الكلام ١٥٨
- نبوة عيسى وإتيانه الكتاب لم تكن منذ أول ما تكلم في المهد، وما ذكر من باب تنزيل ما لم يقع منزلة الواقع ١٦٥
- التفسير النبوي يغني عن كل قول في معنى ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ ١٦٧
- ذكر كلام الفِرق في عيسى ابن مريم عليه السلام ١٧٠
- صدّر إبراهيم النداء قبل النصائح لأبيه استمالة لقلب أبيه ١٧٣
- الفرق بين الرسول والنبي ١٧٨
- الصحيح أن إدريس في السماء الرابعة وليس في الثانية ١٨٠
- معنى أضاعوا الصلاة: أخروها عن وقتها أو أخلوا بشرط أو ركن من أركانها ١٨١
- قصة موت إدريس عليه السلام هي من الإسرائيليات التي رويت عن كعب الأحبار ١٨٥
- الورود هو المرور على الصراط، أو الورود على جهنم وهي خامدة جمعاً بين الأقوال ١٩٤
- لماذا خرج الامر مخرج الخبر في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ ٢٠٣
- معنى قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ ٢٠٨
- الأزُّ: هو تسلط الشياطين على أولياءهم بالتحريك والتهييج ٢٠٩
- محبة الله لأوليائه الصالحين، وكيف يقذف الله حب الصالحين في قلوب الناس .... ٢١٨ ـ ٢١٩

الموضوع	الصفحة

تفسير سورة طه ٢٢٠

- سورة طه مكية بالإجماع ٢٢٠
- أحاديث في فضل سورة طه لكنها ضعيفة .... ٢٢٠ ـ ٢٢١
- توجيه القراءة في كلمة (طه)، وذكر حكم الإمالة ٢٢٢
- معنى كلمة (طه) واختلاف أهل التفسير فيها، وذكر في ذلك ثمانية أقوال ورجح أنها إذا كانت في مستعملة في لغة فهي ظاهرة المعني .... ٢٢٢ ـ ٢٢٤
- تخصيص خلق الأرض والسموات بالذكر لكونهما أعظم ما يشاهده الخلق ٢٢٥
- استواء الله على عرشه من غير حدٍ أو تكييف كما هو مذهب السلف ٢٢٦
- مذهب أبي الحسن الأشعري في معنى الاستواء سبقه إلى ذلك السلف ٢٢٦
- المقصود من ذكر حديث موسى تسلية النبي ﷺ ٢٢٧
- الفرق بين المكث والإقامة ٢٢٨
- الحكمة من خلع النعلين بالوادي المقدس لأنه أبلغ في للتواضع، وذكر بعض التفاسير المخالفة في ذلك ٢٢٩
- اختصاص الإلهية موجب لتخصيصه سبحانه بالعبادة ٢٣٠
- تخصيص ذكر الصلاة من أنواع العبادة لشرفها وفضلها ٢٣٠
- توجيه معنى قراءة ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ وذكر أقوال المفسرين في ذلك ٢٣٢
- ذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ ٢٣٤
- مقصود سؤال الله لموسى عن العصا هو: تقرير الأمر، وإلا فالله قد علم ذلك ٣٣٨
- ذكر وظيفة العصا التي كانت مع موسى، وسرد جملة من منافع العصا وقد وقف المؤلف على مصنف في ذلك .... ٢٣٨ ـ ٢٣٩
- أمر الله موسى ليذهب إلى فرعون دون قومه لأنهم تبع له ٢٤١
- لم تذهب عقدة لسان موسى بالكلية بل المقصود أن يفهم منه الكلام ٢٤١
- الغاية من طلب موسى من ربه ان يجعل معه هارون وزيراً هي التسبيح والذكر ٢٤٢
- معنى الوحي إلى أم موسى ٢٤٥
- معنى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ أي: على مرأى مني ٢٤٦
- ذكر لطف الله في إرجاع موسى إلى أمه ٢٤٧
- معنى ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ أي: الغم الحاصل بقتل القبطي ٢٤٨
- عند قوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ حُذف كثير من الكلام، وهذا أسلوب من أساليب العرب ٢٤٨
- رجح المؤلف أن مدين التي ذهب إليها موسى هي مدين شعيب، وأنه بقي عنده مدة عشر سنين ٢٤٨

الموضوع | الصفحة

- المجي بكلمة ثُم المفيدة للتراخي للدلالة على أن مجيئ موسى إلى مصر كان بعد مدة ٢٤٩
- لماذا خاطب الله موسى بالأمر وأحياناً لموسى وهارون؟ ٢٥٠
- الحكمة من الأمر باللين في الوعظ وعدم التخشين ٢٥٠
- ورد أثر طويل في تفسير ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ﴾ أفاد المؤلف أنه في تفسير النسائي ٢٥٢
- خُص موسى بالخطاب في قول فرعون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ لأنه أصل الرسالة، وقيل لمطابقة رؤوس الآيات ٢٥٥
- شُبهة فرعون هي: لماذا القرون الأولى عبدت الأوثان؟ وقيل إنه مغالطة منه ٢٥٦
- اختلاف العلماء في قوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ على خمسة أقوال ..... ٢٥٧ ـ ٢٥٨
- من أنواع الأمر ما يفيد الإباحة كقوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ﴾ ٢٥٩
- رجح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ التسع الآيات ٢٦٠
- كفر فرعون كفر عناد ٢٦٠
- ذكر القراءات الواردة في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ وتوجيه كل قراءة .... ٢٦٤ ـ ٢٦٧
- غلبة الحق على سحرة موسى، ومآل السحرة بعد ذلك .... ٢٧٠ ـ ٢٧١
- مقصد فرعون من اتهام موسى أنه الذي علمهم السحر إدخال الشُبهة على الناس حتى لا يؤمنوا ٢٧٤
- لماذا استعمل لفظة (في جذور) بدل (على جذور) للدلالة على استقرارهم ٢٧٥
- المجرم هو المتلبس بالكفر والمعاصي ٢٧٦
- موقف السحرة الثابت بعد إيمانهم بالله .... ٢٧٥ ـ ٢٧٦
- هل الماء الذي أغرق فرعون بعض الماء أو كله؟ ٢٨٠
- النعمة على الآباء معدودة من النعم على الأبناء ٢٨٠
- انما تنصب الظروف إذا كانت مبهمة وهذا أصل لا خلاف فيه ٢٨٠
- لماذا خوطب بني إسرائيل بالوعد والوعد إنما هو لموسى عليه السلام ٢٨١
- انزال المنّ والسلوى على بني إسرائيل كان في التيه ٢٨١
- هل المقصود بالطيبات المستلذات أم الحلال ٢٨١
- معاتبة موسى لأخيه هارون، ونسبه إلى الأم استعطافاً له، وترقيقاً لقلبه ٢٩٠
- توجيه القراءة في قوله: ﴿بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ﴾ وترجيحها على غيرها ٢٩١
- كيف صنع السامري العجل من الحُلي؟ ٢٩٢
- الكلام في كلمة (لا مساسِ) من جهة الصرف والنحو ٢٩٣
- كان عاقبة العجل الإحراق والإبراد .... ٢٩٤ ـ ٢٩٥
- سمّي القرآن (ذكراً) لما فيه من موجبات التذكر والاعتبار ٢٩٥

الموضوع	الصفحة
ـ الجمع بين حشر المجرمين زرقاً وعمياً	٢٩٩
ـ معنى ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أنه أدل على شدة الهول، لا أنه أقرب إلى الصدق	٢٩٩
ـ رد المؤلف قول الزمخشري أن العِوج بكسر العين في المعاني وفتحها في الأعيان	٣٠١
ـ شروط الشفاعة إذن الرحمن والرضى عن المشفوع	٣٠٢
ـ الإيمان شرط في قبول العمل	٣٠٣
ـ أمر الله رسوله أن يسأله زيادة العلم بكتابه	٣٠٧
ـ المراد بنسيان آدم هو ترك العمل، وقيل هو النسيان على حقيقته وذكر كلام المفسرين	٣٠٧ ـ ٣٠٨
ـ تعريف العزم في اللغة، وخلاف المفسرين في ذلك	٣٠٨
ـ تعليق الذكر بالوقت للمبالغة	٣٠٨
ـ أفرد الضمير في كلمة (فتشقى) لأن الخطاب من أول القصة لآدم عليه السلام	٣٠٩
ـ أصول المتاعب في الدنيا التي يسعى إليها الناس أربع: الشبع والري والكسوة، والسكن وما عدا ذلك ففضلات	٣٠٩
ـ معنى ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ المقصود به في الدنيا لا في الآخرة	٣٠٩
ـ آدم عليه السلام لا مانع من ذكر أنّه عصى ربه لكنه تاب، وهذا مذكور في القرآن	٣١٠
ـ حسنات الأبرار سيئات المقربين	٣١٠
ـ أبيات من المؤلف في ذكر أن المرء لا يأمن من المعصية بعد آدم عليه السلام	٣١٠
ـ في قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦] أي: تعاديهم في امر المعاش وغيره	٣١٣
ـ رجح المؤلف أن المعيشة الضنك هي عذاب القبر	٣١٣ ـ ٣١٥
ـ الكلمة التي سبقت من الله هي: تأخير عذاب المكذبين من هذه الأمة إلى يوم القيامة	٣١٧
ـ الراجح أن المقصود من قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ التسبيح المعروف، وليس ذكراً لأوقات الصلوات	٣١٨
ـ الحقيقة مقدمة على المجاز إلا إذا وردت قرينة على تقديمه	٣١٨
ـ التقوى هي ملاك الأمر وعليها تدور دوائر الخير	٣٢٠
ـ الصحف الأولى هي عامة الكتب المنزلة، وفيها التصريح بنبوة الرسول ﷺ، وهم معترفون بصدقها وصحتها	٣٢٠
ـ ذكر الأحاديث والآثار التي وردت في فضل صلاة الفجر والعصر	٣٢٢

تفسير سورة الأنبياء

ـ سورة الأنبياء مكية	٣٢٦

الموضوع	الصفحة

- ذكر حديث في فضل سورة الأنبياء ٣٢٦
- معنى ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ أي: دنى منهم ٣٢٧
- حال الناس من الإعراض عن الاخرة والغفلة بالدنيا ٣٢٧
- معنى ﴿مُّحۡدَثٍ﴾ أي: متجدد نزوله لا أنّه مخلوق ٣٢٧
- ذكر فتنة خلق القرآن .... ٣٢٧ ـ ٣٢٨
- لقد أصاب أئمة السنة بامتناعهم من الإجابة إلى القول بخلق القرآن ٣٢٨
- المؤلف يستغرب التجاوز في مسألة القول بخلق القرآن إلى التكفير لمن قال بذلك؛ بل تكفير من توقف أو من قال: لفظي بالقرآن مخلوق ٣٢٨
- يكفي الامتناع عن الإجابة بالقول بخلق القرآن لأنه لم ينقل عن السلف الصالح (الصحابة والتابعين) في هذه المسألة شيء ٣٢٨
- معنى اسرّوا النجوى: المبالغة في الاخفاء ٣٢٨
- اضطراب الكفار وترددهم دليل على أنهم جاهلون بحقيقة ما جاء به الرسول ﷺ ٣٣١
- دفع الحق عنادًا شأن من غلبته الحُجّة وقهره البرهان ٣٣١
- لو علم الله أنهم يؤمنون إذا أعطاهم ما يقترحون من الآيات لأعطاهم ذلك ٣٣١
- سنة الله في الأمم السابقة إذا أُعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا استأصلهم الله بعذابه ٣٣١
- تخطئة المؤلف من استدل بهذه الآية ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ على جواز التقليد ٣٣٢
- التقليد هو: قبول قول الغير بغير حجة، وذكر المؤلف بعض كتبه في ذلك ٣٣٢
- الرسل أسوة لسائر أفراد بني آدم في حكم الطبيعة، فيأكلون كما يأكل الناس، ويموتون كما يموت البشر ٣٣٣
- المراد بالمسرفين في قوله تعالى: ﴿وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ أي: المجازون للحد في الكفر والمعاصي وهم المشركون ٣٣٣
- كم الخبرية تفديد التكثير ٣٣٥
- الفرق بين القصم والفصم ٣٣٥
- الظلم في الأصل: هو وضع الشيء في غير موضعه ٣٣٦
- الترف والنعم كانت من أسباب بطر وكفر المشركين ٣٣٦
- هل أُرسل نبي إلى أهل حضور في اليمن ٣٣٧
- ذكر المؤلف أن هناك آثاراً لقبر في جبل ضِين باليمن يزعمون أنه لقدم بن قادم ٣٣٧
- معنى اللهو؟ وقد يراد به الزوجة أو الولد .... ٣٣٧ ـ ٣٣٨
- الرد على من قال بإضافة الصاحبة والولد إلى الله ﷻ ٣٣٨
- كيف يكون بعض مخلوقات الله شريكاً له يُعبد كما يعبد ٣٣٩

الموضوع	الصفحة
- في قوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ تشريف للملائكة وكرامتهم	٣٣٩
- الملائكة تسبح الله كما يكون منّا مجرى النَفَس	٣٤٠
- إرشاد الله لعباده أن يُنزّه من إتخاذ الولد والشريك	٣٤١
- من يُسأل عن أعماله لا يصح أن يكون إلهاً كالمسيح وغيره	٣٤٢
- الدليل العقلي والنقلي قائم على إثبات توحيد الله ونفي الشريك	٣٤٢
- في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ تقرير لأمر التوحيد وتأكيد له	٣٤٣
- ذكر اثر في معنى قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ وأن القرية كانت باليمن تسمى حضور، وبين المؤلف أين تقع	٣٤٤
- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ حمل الآية على عموم كل مَن قال إن الملائكة بنات الله	٣٤٦
- الخشية هو الخوف مع التعظيم،والإشفاق هو الخوف مع الحذر والتوقّع	٣٤٧
- ثبت أن الملائكة تشفع للمؤمنين يوم القيامة	٣٤٧
- كانت السموات والأرض ملتصقتين ثم فصل بينهما	٣٤٨
- أكثر المفسرين أن معنى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ المراد به النطفة	٣٤٨
- الفجاج هي: المسالك وقد تكون في الأرض أو في الجبال	٣٤٨
- عدم التفكر والتدبر في الآيات التي ترشد إلى الإيمان هو إعراض عنها	٣٤٩
- سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾	٣٥٠
- لا يكون كلمة (الذكر): فلان يذكر فلان في كلام العرب العيب، وحيث يراد به العيب يحذف منه السوء	٣٥٣
- معنى ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾: أي لفرط استعجاله كأنه خلق من عجل	٣٥٥
- معنى ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾ أي: نقماتي وهو الذي رجحه المؤلف	٣٥٥
- تخصيص الوجوه والظهور في قوله تعالى: ﴿لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ لكونهما أشهر الجوانب في استلزام الإحاطة	٣٥٦
- تهديد ووعيد في قوله: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾	٣٥٧
- شأن النبي ﷺ هو الإنذار والتخويف بالقرآن	٣٦٠
- الميزان قد يراد به الجمع أو المفرد وعبّر عنه بلفظ الجمع والأحاديث قد بينت ذلك	٣٦١
- معنى الفرقان الذي أعطاه الله لموسى وهارون هو النصر	٣٦٣
- الخشية تلازم التقوى	٣٦٣
- اكثر المفسرين على أن معنى ﴿ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل النبوة	٣٦٤
- حقيقة التمثال لغة، ولماذا أنكر عليهم إبراهيم ذلك	٣٦٤

الموضوع	الصفحة
ـ عصا المقلدة التي يتأكون عليها هو قولهم: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾	٣٦٤
ـ رد المؤلف وتشنيعه على المقلّدين من هذه الأمة	٣٦٣
ـ يشترط في الشاهد على الشيء ان يكون عالماً به مبرهنًا عليه مبيناً له	٣٦٥
ـ كيف كاد إبراهيم الأصنام، وجعلها كسراً وجذاذاً؟	٣٦٨
ـ من شأن المعبود أن يُرجع إليه في المهمات، وهذا ليس موجوداً في الاصنام	٣٦٨
ـ نقد المؤلف للأعلم الشنتمري في إعراب كلمة	٣٦٩
ـ أراد إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ أن يبين لهم أن من لا يتكلم ولا يعلم ليس مستحقاً للعبادة	٣٧٠
ـ من أسلوب المناظرة التنّزل مع الخصم على فرض صحة قوله حتى تلزمه بالحجة	٣٧٠
ـ لما أعيت قوم إبراهيم الحجة لجئوا إلى الظلم، وإظهار الغلبة بأي وجه كان	٣٧١
ـ الشام سماها الله مباركة لكثرة خيرها ولأنها معادن الأنبياء	٣٧٥
ـ في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ النافلة: هو يعقوب	٣٧٥
ـ جواز إطلاق الجمع على الاثنين، وذكر من ذهب إلى ذلك من أئمة اللغة	٣٧٨
ـ هل كان حكم داود وسليمان اجتهادًا أو بالوحي؟	٣٧٩ ـ ٣٨١
ـ ذكر حكم اجتهاد الأنبياء	٣٧٩
ـ رجح المؤلف أن الحق مع أحد المجتهدين لا جميعهم	٣٧٩
ـ حكم الله واحد لا يختلف باختلاف المجتهدين، وذكر الزامات لمن خالف هذا القول	٣٧٩ ـ ٣٨٠
ـ حكم واقعة قصة داود مع سليمان في هذا الملة الإسلامية أن على أهل الماشية حفظها بالليل، وعلى أصحاب الحوائط حفظها بالنهار، والرد على الحنفية	٣٨٠
ـ الراجح حمل التسبيح على الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾	٣٨١
ـ ذو الكفل كان رجلاً من بني إسرائيل لا يتورع عن شيء ثم تاب وتاب الله عليه، و اخُتلف أهو نبي أم لا؟	٣٨٥
ـ معنى ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: لن نضيّق عليه	٣٨٧
ـ اختلاف المفسرين في تأويل جواب حديث الذي أمر أولاده أن يحرقوه	٣٨٨
ـ المقصود بالظلمات في قصة يونس: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت	٣٨٨
ـ الله يخلص المؤمن من همه بما سبق له من عمل صالح	٣٨٩
ـ حال زكريا وزوجه ويحيى من التضرع واللجوء إلى الله	٣٩٨
ـ الأنبياء كلهم مجمعون على التوحيد	٣٩٩
ـ من المقصود بقوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾؟	٤٠٠

الموضوع الصفحة

- من الآيات المشكلة في معناها ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وذكر الأجوبة في ذلك ٤٠١
- يأجوج ومأجوج قبيلتان من الإنس ٤٠١
- الحكمة من القاء الأصنام في النار وهي جماد: التبكيت لمن عبدها، وزيادة توبيخ، وتضاعف الحسرة ٤٠٦
- لا يدخل عيسى وعزير والملائكة في ورود النار ٤٠٦
- معنى ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ ثلاثة أقوال ٤٠٦
- معنى الطي في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ له معنيان ٤٠٩
- تفسير معنى ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ وأقوال المفسرين ورأي المؤلف في ذلك .... ٤ ـ ٩ ـ ٤١٠
- معنى ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ أي: نعيدكم يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً ٤١٠
- الزبور يصح أن يعنى به كل الكتب السماوية ٤١١
- معنى ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ تبشير لأمة محمد ﷺ بوراثة أرض الكافرين ٤١١
- العبادة هي الخضوع والتذلل، ورأس العبادة الصلاة ٤١٢
- النبي رحمة للعالمين ومنهم الكفار فوجوده أمان من الخسف والمسخ والاستئصال ٤١٢
- أصل الرحمة هو التوحيد والبراءة من الشرك ٤١٢
- ذكر عمل (إنما) في قصر الوصف والحكم ٤١٢
- في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: أعلمتكم ولم أخص أحداً بالإعلام أو أكتم شيئاً ٤١٣
- في قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ استجاب الله لنبيه وعذب المشركين يوم بدر ٤١٤
- كثيراً ما يستعمل في القرآن (كلمة الوصف) ويراد به الكذب كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ ٤١٤
- لا يصح حديث أن سجل اسم كاتب للنبي ﷺ أو اسم صحابي والراجح التعويل على المعنى اللغوي في معنى السجل .... ٤١٧ ـ ٤١٨

تفسير سورة الحج ٤٢١

- سورة الحج مكية ومدنية نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة ٤٢١
- ذكر ما ورد في فضل سورة الحج .... ٤٢١ ـ ٤٢٢
- ذكر في بداية هذه السورة مناسبة بما يتعلق بخاتمة سورة الأنبياء من البعث والإعادة ٤٢٣
- بدأ بذكر أهوال القيامة حاثاً على التقوى التي هي أنفع زاد ٤٢٣

الموضوع	الصفحة

- المراد بالناس جميع المكلفين من وُجد ومن سيوجد ٤٢٣
- تعريف الزلزلة والمقصود بها هنا الزلزلة التي هي أحد أشراط الساعة ٤٢٤
- تكرير الحرف يدل على تأكيد المعنى ٤٢٤
- أين يكون ذهول المرضعة عما أرضعت في الدنيا أو في عرصات القيامة؟
- ذكر مقدمة قبل الاحتجاج على منكري البعث بذكر حال المجادلين بغير علم ٤٢٥
- ذكر فيمن نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ ٤٢٦
- شك المكذبين بالبعث في إمكانه في وقوعه ٤٢٦
- معنى (المخلّقة) التي نفخ فيها الروح، وغير المخلقة التي لم تصور بعد ولم ينفخ فيها الروح ٤٢٧
- العرب كثيراً ما تطلق الواحد وتريد به الجماعة ٤٢٨
- معنى قوله: ﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾ هي مثل قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥] ٤٢٩
- من الأدلة على البعث إحياء الله الأرض الميتة بالماء ٤٢٩
- الله هو الحق الذي لا يزول ولا يتغير، وأنه المتفرد بإحياء الموتى وبعث الناس ... ٤٣٠
- الأحاديث والآثار دلت أن وقت ذهول كل مرضعة عما أرضعت عندما يؤمر آدم أن يخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين .... ٤٣٠ ـ ٤٣١
- في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ العبرة بعموم اللفظ، وإن كان السبب خاصاً، فيدخل كل مجادل في الله أو في صفاته أو في شائعه بغير علم ٤٣٣
- رجح المؤلف أن معنى قوله: ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ عموم العلم سواء كان ضرورياً أو غيره ٤٣٤
- معنى ﴿وَلَا هُدٗى﴾ أي: معناه اللغوي وهو الإرشاد ٤٣٤
- هل (المجادل بغير علم) هو نفس المذكور بالذم الذي تقدم قبل قليل فيه أم آخر؟ فيه خلاف ٤٣٤
- معنى ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ فيه وجهان: إما متكبراً أو معرضاً .... ٤٣٤ ـ ٤٣٥
- عبر في قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ﴾ بذكر اليد عن بقية الأعضاء؛ لكون مباشرة المعاصي تكون باليد في الغالب ٤٣٥
- معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ أي: شك، فهي في أهل الشك والشقاق ٤٣٦
- معنى ﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ﴾ أتى بصيغة التفضيل مع عدم نفع الاصنام بالمرة مبالغة في تقبيح حال من يعبدها ٤٣٦
- ذكر معنى جري الأنهار في الجنات ٤٣٩

الموضوع	الصفحة
- ذكر خلاف المفسرين في معنى ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾	٤٣٩
- الصابئون هم فرقة من الفرق لا تنتسب لملة من ملل الأنبياء	٤٤٢
- قدم الصابئين هنا على النصارى لأن زمنهم متقدم على زمن النصارى	٤٤٣
- الفصل بين أصحاب هذه الأديان أن يدخل المحق الجنة والمبطل النار	٤٤٣
- المراد بالسجود في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الانقياد الكامل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء	٤٤٣
- من أهانه الله بالكفر فما له من مكرم يكرمه فيصير سعيداً عزيزاً	٤٤٤
- الصحابة أعرف الناس بأسباب النزول	٤٤٥
- قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِي رَبِّهِمْ﴾ نزلت في المتبارزين يوم بدر	٤٤٥
- التعبير بالماضي عن المستقبل تنبيهاً على تحقق وقوعه	٤٤٥
- تُرصّع الأساور باللؤلؤ لأهل الجنة، ولا يبعد ذلك أن يكون سواراً من لؤلؤ مصمت كما أن فيها أساوراً من ذهب	٤٤٧
- معنى ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ قد ورد في القرآن ما يفسره وهو حمدهم لله	٤٤٨
- صح عطف المضارع على الماضي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ﴾ لأن المراد بالصد الاستمرار أو الحال	٤٥٢
- اجمع العلماء على استواء الناس في المسجد الحرام بين البادي والعاكف، واختلفوا في مكة والجمهور أنها ليست كالمسجد الحرام	٤٥٣
- هل المراد بالمسجد الحرام المسجد نفسه أم مكة؟	٤٥٣
- هل كان فتح مكة صلحاً أو عنوةً؟	٤٥٣
- ذكر معنى الظلم في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ ورجح المؤلف أن من كان في البيت الحرام مأخوذ بمجرد الإرادة لأي معصية كانت	٤٥٤
- الإرادة التي يؤاخذ بها في البيت الحرام هي زيادة على حديث النفس	٤٥٤
- للمؤلف رسالة في الإرادة التي يؤاخذ عليها العبد	٤٥٤
- من أشرك من سكان مكة فقد خالف شرط الله على الخليل عليه السلام	٤٥٦
- المراد بالقائمين المصلون، وذكر الركع السجود لبيان عظم شأن هذه العبادة	٤٥٦
- قرن الطواف بالصلاة لأنهما لا يشرعان إلا في البيت فالطواف عنده، والصلاة إليه	٤٥٦
- قدم الله ذكر الرجال على الركبان لزيادة تعبهم في المشي	٤٥٧
- من أتى الكعبة حاجاً فقد أجاب نداء إبراهيم	٤٥٧
- ذكر الأيام المعلومات وهي أيام العشر من ذي الحجة	٤٥٨
- بهيمة الأنعام هي الإبل والبقر والغنم والإضافة إليها من باب إضافة مسجد الجامع	٤٥٨

الموضوع	الصفحة
- الأمر في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنۡهَا﴾ للندب	٤٥٨
- الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَطۡعِمُوا۟ ٱلۡبَآىِٕسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ للوجوب	٤٥٨
- التفث هو: الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار	٤٥٨
- ﴿وَلۡيُوفُوا۟ نُذُورَهُمۡ﴾ أي: ما نذروا به من أعمال البر في الحج، وقيل أعمال لحج	٤٥٩
- الطواف المقصود به في قوله تعالى: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾: هو طواف الإفاضة	٤٥٩
- ذكر الأحاديث والآثار أن دور مكة مباحة لاتؤجّر	٤٦٠
- معنى حرمات الله: كل حرمة في الحج وغيره وتعظيمها ترك ملابستها	٤٦٥
- معنى اجتنبوا الرجس: اجتناب عبادة الأوثان وسماها رجساً لأنها سبب الرجس وهو العذاب	٤٦٥
- قول الزور يعم كل ما هو زور وأعظم ذلك الشرك بالله	٤٦٦
- معنى فكأنما خر من السماء أي: انحط من رفيع الإيمان إلى حضيض الكفر	٤٦٦
- الشعائر: كل شيء لله فيه شعار وعلامة، فشعائر الله أعلام دينه، ويدخل في ذلك الهدايا في الحج دخولاً أولياً	٤٦٧
- منافع البُدن الدنيوية إلى وقت نحرها ثم بعد ذلك منافعها الدينية	٤٦٧
- معنى ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلۡنَا مَنسَكًا﴾ رجح أنه ذبح القربان	٤٦٨
- لا يكون القربان إلا من بهيمة الأنعام	٤٦٨
- المقصود من الذبح هو ذكر اسم الله	٤٦٨
- وصف الله المخبتين بحصول الوجل عند ذكره دليل على إيمانهم ويقينهم	٤٦٨
- اختلاف القراء في اسم البُدْن، ولماذا سميت بذلك؟ وهي خاصة بالإبل	٤٧٢
- يطلق البدن على البقر شرعاً كما صح في الحديث	٤٧٢
- اختلاف المفسرين في معنى ﴿ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّ﴾ والمرجع هو المعنى اللغوي	٤٧٤ ـ ٤٧٨
- مشروعية الجمع بين التسمية والتكبير عند النحر	٤٧٦
- كل من صدر منه خيراً يصح إطلاق اسم المحسن عليه فهو داخل في معنى المحسنين	٤٧٦
- كلمة ﴿يُدَٰفِعُ﴾ ليس معناها وقوع الفعل من الجانبين	٤٧٩
- أول آية نزلت في شرعية القتال والجهاد قوله سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾	
- مضمون أن الله يدافع عن الذين آمنوا: فيه تشريع للجهاد	٤٨٠
- لولا دفع الله لهدمت أماكن العبادة التي كانت في زمان كل نبي	٤٨١

الموضوع	الصفحة
ـ النكتة في تقديم ذكر مواضع عبادات أهل الملل، على المسلمين، كونها أقدم بناء وأسبق وجوداً	٤٨٢
ـ استظهر ان المقصود بهدم مواضع العبادات الهدم الحقيقي	٤٨٢
ـ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمن مكّنه الله في الأرض	٤٨٢
ـ غاير في الفعل في قصة موسى فقال: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ لأن بني إسرائيل لم يكذبوه وإنما كذبه غيرهم من القبط	٤٨٥
ـ اختلاف العلماء اين محل العقل؟ وترجيح المؤلف أنه لا مانع أن يكون محله الدماغ والقلب يبعث على إدراك العقل	٤٨٨
ـ استعجال المكذبين بوقوع العذاب لأنهم كانوا منكرين له	٤٨٩
ـ هلاك القرية بعد القرية ليس من باب التكرار بل المعنى مختلف فالأول لبيان الإهلاك، والثاني سيق لبيان الإملاء والإمهال	٤٩٠
ـ الفرق بين النبي والرسول ولابد لهما جميعاً من المعجزة الظاهرة	٤٩٢
ـ ذكر قصة الغرانيق وإبطال المؤلف لها بأحسن تقرير	٤٩٣ ـ ٤٩٤
ـ الأمة مجمعة أن ما كان طريقه البلاغ أن النبي ﷺ معصوم فيه	٤٩٣
ـ معنى ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ أي: تلا، ومعنى ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: ألقى في تلاوته	٤٩٤
ـ السهو والنسيان فيما طريقه البلاغ غير جائز في حقه ﷺ	٤٩٥
ـ هذا الإلقاء من الشيطان يزيد المؤمنين ثباتاً في إيمانهم بالقرآن	٤٩٦
ـ معنى ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ أي: لا يوم بعده، أو لا خير فيه للمشركين	٤٩٦
ـ جميع الروايات في قصة الغرانيق إما مرسلة أو منقطعة لا تقوم بمثلها الحجة	٤٩٨
ـ المهاجرون في سبيل الله يعم من هاجر من مكة إلى المدينة، أو غيرها	٥٠٠
ـ كل رزق يأتي من العباد بعضهم البعض فهو منه سبحانه	٥٠٠
ـ الرزق الحسن هو نعيم الجنة، وقيل العلم	٥٠٠
ـ ذكر الامتنان من الله على المهاجرين في سبيله أنه سيعطيهم ﴿مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾	٥٠١
ـ من معاني اسم (اللطيف) أنه يصل علمه إلى كل دقيق وجليل	٥٠٤
ـ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ لا ينافي خروج بعض الأفراد عن هذا الجحد	٥٠٥
ـ ذكر أدب هذه الأمة في من أراد الجدال بعد بيان الحق	٥٠٩
ـ أهل البدع إذا سمعوا من أهل السُّنَّة القرآن وأحاديث السُّنَّة يكادون يبطشون بهم	٥١٠
ـ المؤلف ذكر معاناته من أهل البدع ومن حقدهم على أهل السُّنَّة الشيء الكثير	٥١٠
ـ المراد بما يدعونه من دون الله الأصنام	٥١٣
ـ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ هي من مواطن السجود عند الشافعي خلافاً لأبي حنيفة	٥١٥

الموضوع | الصفحة

- حق جهاده: هو بذل ما في وسعهم لأحياء دين الله ٥١٥
- التكليف مشروط بالقدرة فلا داعي للقول أن الأمر بحق الجهاد منسوخ؟ ٥١٥
- معنى قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أصل عظيم في ترك المشقة، وتخفيفها ٥١٦
- إبراهيم عليه السلام أبو العرب قاطبة، وله حُرمة عند غير العرب ٥١٧
- الأحاديث والأثار في وجوب التسمي بالمسلمين دون غيره من المسميات ٥٢٠

تفسير سورة المؤمنون ٥٢١

- سورة (المؤمنون) مكية بلا خلاف ٥٢١
- ذكر بعض فضائل سورة (المؤمنون) ٥٢١
- تعريف الخشوع لغة وشرعاً، واين محله القلب أو الجوارح؟ ٥٢٢
- هل الخشوع في الصلاة فرض أم لا؟ على قولين ٥٢٣
- تعريف اللهو، وأعراض المؤمنين عنه في كل وقت ووقت الصلاة من باب أولى .. ٥٢٣
- الإجماع أن المرأة لا يحل لها أن يطأها مَن تملكه ٥٢٤
- تحريم نكاح المتعة ٥٢٥
- هل يحرم الاستمناء لمفهوم الآية، أشار المؤلف أن له رسالة في ذلك وقد ذكر أدلة الفريقين ٥٢٥
- الأمانة أعم من العهد فكل عهد أمانة لا العكس ٥٢٥
- ذكر معنى المحافظة على الصلاة ٥٢٥
- المؤمنون يرثون منازل الكفار في الجنة ٥٢٦
- ذكر بعض فضائل العشر الآيات الأول من سورة «المؤمنون» ٥٢٧
- المقصود بالإنسان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ﴾ هو جنس الإنسان، ثم جعل نسله من نطفة .... ٥٣٠ ـ ٥٣١
- المقصود بالقرار المكين هو الرحم ٥٣١
- المجيء بـ (ثم) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ لكمال التفاوت بين الخلقين ٥٣١
- في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ عام في جميع الخلق ٥٣٢
- في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ جميع أنواع المياه فما في الأرض من ماء إلا وأصله من السماء ٥٣٣
- حسن موقع التنكير في قوله: ﴿عَلَىٰ ذَهَابٍ﴾ ليفيد قدرة الله على ذهاب الماء بأي وجه من الوجوه ٥٣٣

الموضوع | الصفحة

- ذكر الجنات من النخيل والأعناب لأن فيهما أنواعاً مختلفة متفاوتة في الطعم واللون ٥٣٤
- اختلف الفقهاء في لفظ الفاكهة على ماذا يطلق؟، ورجح المؤلف أنّه يطلق على الثمرات التي ليست بقوت و لا طعام ولا إدام ٥٣٤
- الشجرة التي تخرج من طور سيناء هي شجرة الزيتون ٥٣٤
- جعل الله في خلق الإبل عبرة لأنه مما يستدل بخلقها وأفعالها على عظيم القدرة .. ٥٣٧
- ذكر قدرة الله الباهرة في تكون اللبن في بطون الأنعام ٥٣٧
- ذكر موافقة عمر بن الخطاب لربه في أربع ٥٣٨
- أول من صنع الفلك هو نوح عليه السلام ٥٤٠
- في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ تعليم من الله لعباده إذا ركبوا ثم نزلوا أن يقولوا هذا القول ٥٤٤
- في قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ مختلف من هم هؤلاء القوم؟ فقيل قوم هود، وقيل قوم صالح وقيل قوم شعيب ٥٤٤
- في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾ تعدي الفعل بحرف (في) لأن هذا الرسول نشأ فيهم، يعرفونه ٥٤٤
- أرسل الله الرسل تتراً يتبع بعضهم بعضاً، و بين كل واحد منها وبين الآخر مهلة .. ٥٤٩
- الآيات التسع لا يصح أن يعد منها فلق البحر لأن المراد بالآيات النى كذبوا بها . ٥٥١
- إيتاء التوراة لموسى جُعل إيتاءً لقومه لأنها إرشاد لهم ٥٥٢
- لم يعط موسى التوراة إلا بعد إهلاك فرعون ٥٥٢
- الطيبات ما جمعت وصفين: الحلال واللذة ٥٥٤
- الأصل الذي أجمعت عليه الرسل هو الدعوة إلى عبادة الله وحده ٥٥٤
- استدراج الله للمكذبين بالخيرات ليزدادوا إثماً ٥٥٦
- ذكر بعض الآثار على ان الربوة هي الرملة بفلسطين ٥٥٨
- وصف الله من هو أهل للخيرات بصفات أربع ٥٥٩
- هل الإشفاق هو الخشية او مغاير لها ٥٦٠
- الإيمان بالآيات التنزيلية والكونية والمقصود بذلك التصديق بكونها دلائل، وأن مدلولها حق ٥٦٠
- لماذا أهل الطاعات يعملونها وهم وجلون ٥٦٠
- تفسير الوسع وخلاف الناس في ذلك ٥٦١
- في قوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ تحريض على فعل الطاعات وبيان سهولة ذلك ٥٦٢

الموضوع	الصفحة
- معنى ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: صحائف الأعمال	٥٦٢
- في قوله: ﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ تهديد ووعيد للعصاة، وتأنيس لأهل الطاعات	٥٦٢
- في قوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ أجمع المفسرون أنها في الكفار	٥٦٣
- رجح المؤلف أن معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ أن المراد بالعذاب ما وقع يوم بدر وسني الجوع والجؤار هو الصراخ	٥٦٤
- الضمير في قوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ راجع إلى الحرم	٥٦٥
- ذكر الله سبب اقدام الكفار على الكفر أربعة أمور منها: عدم التدبر للقرآن	٥٧٠
- ذكر توبيخ الله للمكذبين بحجة بعد حجة	٥٧٠
- قد علم المشركون أن النبي ﷺ أرجح الناس عقلاً لكن رموه بالجنون تعصباً وحمية	٥٧٠
- ذكر أسباب كراهة الناس للحق	٥٧١
- رجح المؤلف أن الحق المراد به في قوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ الصدق الصحيح من الدين الخالص من شرع الله	٥٧١
- سبب فساد المكلفين هي الذنوب وباقي المخلوقات تبع لهم	٥٧١
- دعوة النبي ﷺ ليست مشوبة بأطماع الدنيا	٥٧٢
- معنى ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: أنهم لا يشكرون ألبتة	٥٧٥
- معنى اختلاف الليل والنهار: تعاقبهما، واختلافهما في السواد والبياض وفي الزيادة والنقصان	٥٧٥
- قوله: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ هذا الدليل كما دل على نفي الشريك فإنه يدل على نفي الولد لأن الولد ينازع أباه في ملكه	٥٧٩
- قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾، قيل منسوخة في حق الكفار، ومحكمة في هذه الأمة فيما بينهم	٥٨١
- إرشاد هذه الأمة إلى التعوذ بالله من الشيطان وسَورات الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه	٥٨١
- العرب قد تخاطب الواحد بصيغة الجمع إما للتعظيم أو لتكرار الفعل	٥٨٤
- في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ هي النفخة الثانية، التي تقع بين البعث والنشور	٥٨٥
- اختلاف المواقف يوم القيامة ففي موقف يتساءلون وفي آخر لا يتساءلون	٥٨٦
- السؤال عن لبثهم في الأرض أي: الحياة الدنيا وليس حياة البرزخ	٥٨٩
- وصف الله العرش بالكريم لنزول الرحمة والخير منه أو باعتبار مَن استوى عليه	٥٩١

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

دار ابن الجوزي 8428146
9 786038 298749